الإحاطة
في أخبار غرناطة

للسان الدين
أبي عبد الله محمد بن الخطيب

القسم الثالث

مراجعة وتقديم وتعليق بوزياني الدراجي

دار الأمل للدراسات

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني
لترقية الفنون والآداب

Cet ouvrage a été publié avec le soutien du Ministère de la Culture, dans le cadre du Fonds National pour la Promotion et le Développement des Arts et des Lettres.

دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع

شارع بلخوني يوسف السحاولة (16305) الجزائر

هاتف وفاكس: 0 21 35 78 29

الإيداع القانوني: 2349 - 2009

ردمك: 978 - 9961 - 858 - 35 - 6

بســم الله الرحمن الرحيــم

محمد بن محمد

ابن الشُّرَيِّر[1] من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله.

حاله

ذكر في **الإكليل** بما نصه: شاعر مُجيدٌ، حَوْكَ الكلام، ولا يقصر فيه عن درجة الأعلام. رحل إلى **الحجاز** لأول أمره، فطال بالبلاد **المشرقية** ثَواؤه. وعميت أنباؤه، وعلى هذا العهد وقَفْتُ له على قصيدة بخطه غرضها نبيل، ومرعاها غير وبيل، تدل على نَفْس ونَفَس، وإضاءة قبس. وهي[2]:

لنا في كل مكرمة مَقام
ومن فوق النجوم لنا مُقام

[1] ذكرت هذه الترجمة كاملة في الإسكوريال. بينما نقل المقري في نفح الطيب بعضها من الإحاطة؛ وسماه: محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري الجياني الأصل المالقي؛ ثم نُقل ما ذكره ابن الخطيب في الإكليل.
[2] البحر الوافر.

روينـــا من ميـــاه المجـــد لمـــا

وردناهـــا وقـــد كثـــر الزحـــام

ومنهـا :

فنحـــن هم وقل لي من سوانـــا

لنـــا التقديـــم قدمـــاً والكـــــلام

لنا الأيدي الطوال بكل ضـــرب[1]

يهـــز به لـــدى الـــروع الحســـام

ونحـــن اللاَّبِســـــون لكـــل درع

يصيب الشمـــس[2] منهـــن انثـــلام

بأنـــدلـــس لنـــا أيـــام حـــــرب

مواقفهـــــن في الـــدنيـــا عظـــام

ثوى[3] منها قلوب الـــروم خوفـــاً[4]

يخـــوف منه في المهـــد الغـــلام

[1] في النفـح: ((صـوب)).
[2] نفسـه: ((السُّمْـر)).
[3] أي أقـام.
[4] في النفـح: ((خـوف)).

حمينـــا جانب الديـــن احتسابـــــا

فهـــا هـــو لا يهـــان ولا يضـــام

وتحـــت الرايـــة الحمـــراء منـــا

كتـــايـــب لا تطـــاق ولا تـــرام

بنـــو نصـــر وما أدراك[1] ما هـــم

أسود الحرب والقـــوم الكـــرام

لهـــم في حربهـــم فتكـــات عمرو

فللأعمـــــار عندهـــم انصـــرام

يقـــول عداتهـــم مهمـــا ألمُّـــــوا

أتونـــا ما من المـــوت اعتصـــام

إذا شرعـــوا الأسنة يوم حـــرب

فحقـــــق أن ذاك هـــو الحمـــام

كـــأن رماحهـــــم فيهـــا نجـــوم

إذا مـــا أشبـــــه الليـــل الغمـــام[2]

---

[1] **وردت هكذا في نفح الطيب؛ بينما كتبت في مخطوط الإسكوريال: ((ما أدريك)).**
[2] **في النفـح: ((القتـام)).**

أنـــاس تخلــف الأيـــام ميتـــــاً
بـــــحي منهــــم فلهــــم دوام
رأينـــا من أبي الحجاج شخصـــاً
عـــلى تلـــك الصفـــات له قيـــام
مـــوقى العرض محمود السجايا
كريـــــم الكـــف مقـــدام همـــام
يجـــول بذهنـــه في كـــل شـــيء
فيدركـــه وإن عـــز المـــــرام
قويـــم الـــرأي في نوب الليـــالي
إذا مـــا الـــرأي فارقـــه القـــوام
لـــه في كل معضلـــة مضـــــاء
مضـــاء الكــف ساعـــده[1] الحسام
رؤوف قـــادر يغـــضي ويعفـــو
وإن عظــــم اجتنـــاء واجتـــرام
تطـــوف ببيت ســـؤدده القـــوافي
كما قد طـــاف بالبيـــت الأنـــام

[1] **في النفح: ((ساعدها)).**

وتسجـــد في مقـــام عـــلاه شكرا
ونعـــم الركـــن ذلـــك والمقـــام
أفارسهـــا إذا ما الحرب أخنـــت[1]
عـــلى أبطالهـــا ودنـــا الحمـــام
وممطرهـــا إذا ما السحب كفّـــت
وكف أخـــي النـــدى أبـــداً غمام
لك الذكـــر الجميـــل بكل قطـــر
لك الشـــرف الأصيل المستـــدام
لقـــد جينا[2] البلاد فحيث سرنـــا
رأينـــا أن ملكـــــك لا يـــــرام
فضلت ملوكهـــا شرقـــاً وغربـــاً
وبـــت لملكهـــا يقظـــاً ونـــــام[3]
فأنـــت لكـــل مَعْلُـــوَّةٍ مـــــدار
وأنـــت لكـــل مكرمـــة إمـــــام

[1] أخنـت علـى أبطالهـا: أي أتـت عليهـم وأهلكتهـم.
[2] في النفـح: ((جبنـا)).
[3] نفسـه: ((ونامـوا)).

جعلـــت بـــلاد أندلـــس إذا مـــا

ذكـــرت تغـــار مصر والشـــآم

مكـــان أنـــت فيه مكـــان عـــز

وأوطـــان حللـــت بهـــا كـــرام

وهبتك من بنـــات الفكـــر بكـــرا

لها من حســـن لقيـــاك ابتســـام

فنـــزه طرف مجـــدك في حلاها

فللمجـــد الأصيـــل بها اهتمـــام

***

محمد بن مسعود

ابن خالصة[1] بن فرج بن مجاهد بن أبي الخصال الغافقي؛ الإمام البليغ، المحدث الحجة؛ يكنى أبا عبد الله. أصله من فَرْغَلِيط من شُقُورة؛ من كورة جيان؛ وسكن قرطبة وغرناطة.

حاله

قال **ابن الزبير** عند ذكره: ذو الوزارتين، **أبو عبد الله بن أبي الخصال**، كان من أهل المعارف الجمة، والإتقان لصناعة الحديث، والمعرفة برجاله، والتقييد لغريبه، وإتقان ضبطه، والمعرفة بالعربية واللغة والأدب، والنسب والتاريخ، متقدماً في ذلك كله. وأما الكتابة والنظم؛ فهو إمامهما المتفق عليه، والمتحاكم فيهما إليه. ولما ذكره **أبو القاسم الملاحي** بنحو ذلك قال: لم يكن في عصره مثله، مع دين وفضل وورع. قال **أبو عمرو بن الإمام الإستجي** في **سمط الجمان**، لما ذكره: البحر الذي

---

[1] **في الإسكوريال: ((خلصة)). وتوجد ترجمة محمد بن الخصال أيضاً في المعجب، والمغرب، والذخيرة، وقلائد العقيان، والمطرب، وبغية الملتمس، والصلة، وبغية الوعاة، وروايات المبرزين، والمعجم في أصحاب القاضي الصدفي، والمقتطف في أزهار الطرف.**

لا يماتح[1] ولا يشاطر، والغيث الذي لا يساجل ولا يقاطر[2]، والروض الذي لا يفاوح ولا يعاطر، والطود الذي لا يزاحم ولا يخاطر، الذي جمع أشتات المحاسن، على [ماء غير ملح][3] ولا آسن؛ وكثرت فواضله، فأمنت المماثل والمحاسن، الذي قصرت البلاغة على[4] محتده، وألقيت أزمة الفصاحة في يده، وتشرفت الخطابة والكتابة باعتزائهما إليه، فنثل كنانتها، وأرسل كماينها، وأوضح أسرارها ودفاينها، فحسب الماهر النّحرير، [والجهبذ العلامة البصير][5] إذا أبدع في كلامه، وأينع في روض الإجادة نثاره ونظامه، [وطالت قنى الخطية الذبل أقلامه][6]، أن يستنير بأنواره، [ويقتضي بعض مناهجه وآثاره][7] وينشر على أثوابه مسك غباره، وليعلم كيف يتفاضل الخبر والإنشاء، ويتلو: ﴿ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ

---

[1] ربما قصد بهذا القول: البحر الذي لا يضاهى.
[2] في الإسكوريال: ((يخاطر)).
[3] نفسه: ((على غير طوق)).
[4] نفسه: ((عليه)).
[5] ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال؛ بينما سقط في المخطوطين.
[6] ما بين الحاصرتين ساقط في ج؛ بينما هو وارد في الزيتونة.
[7] ما بين الحاصرتين ساقط أيضاً في ج؛ ووارد في الزيتونة.

يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾[1].] وعضّه العَقُور **أبو نصر]**[2] **في قلائده**؛ حيث قال: ((هو وإن كان خامل المنشأ نازله، لم ينزله المجد مناله، ولا فرع للعلاء هضابا، ولا ارتشف للسنا رضابا، فقد تميز بنفسه، وتحيز من أبناء[3] جنسه، وظهر بذاته، وفخر بأدواته.

مشيخته

قال الأستاذ **أبو جعفر بن الزبير**، في **الصلة**[4]: روى عن **الغساني، والصدفي**[5] **وأبي الحسن ابن الباذش، وأبي عمران بن تليد، وأبي بحر الأسدي، وأبي عبد الله النفزي**، وجماعة غيرهم.

---

[1] **الآية كاملة هكذ: [لِئَلاّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللّهِ وَأَنّ الفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ). سورة الحديد؛ الآية: 29.**

[2] **هذه العبارة؛ وردت هكذا في الإسكوريال؛ وجاء في موضعها في المخطوطين: ((وذكره الفتح في قلائده)). و((أبو نصر)) المذكورة؛ هي كنية الفتح بن خاقان صاحب قلائد العقيان.**

[3] **سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال،** والقلائد؛ **بينما وردت في المخطوطين.**

[4] **يسمى هذا الكتاب: ((صلة الصلة)).**

[5] **في المخطوطين: ((الصديقي)).**

توواليفـه

قال **الأستاذ**: وأما كتبه وشعره[1] وتواليفه الأدبية؛ فكل ذلك مشهور، متداول بأيدي الناس، وقل من يُعلم بعده، أن يجتمع له مثله، رحمه الله.

من روى عنه

روى عنه **ابن بشكوال**، **وابن حبيش**، **وابن مضاء**، وغيرهم، وكل ذلك ذكره في رحاله، وهو أعرف بتقدمه في احتفاله.

شعره[2]

وله شعر كثير. فمن إخوانياته ما خاطب به **أبا إسحق ابن خفاجة**[3]:

---

[1] سقطت هذه الكلمة في ج.

[2] فإذا كان شعر محمد بن الخصال يملأ صفحات عديدة في نسخة الإسكويال؛ فإن بقية المخطوطات تعاني من شح في ذلك؛ إذ لا يوجد في نسختي: ج، والزيتونة؛ سوى عشرة أبيات لهذا الشاعر. وعليه؛ فقد اعتمد عنان ـ هنا ـ على مخطوط الإسكوريال؛ خاصة؛ وأنه يشمل أيضاً على الأبيات العشرة الواردة في الزيتونة، وج.

[3] البحر الكامل.

هـــب النسيـــم هبوب ذي إشفاق

يذهبـــن الهوى بجناحـــه الخفـــاق

وكأنمـــا صبح الغصون بنشـــوة

باحـــت لهـــا سرايـــر العشـــاق

وإذا تـــلاعبت الريـــاح ببانـــــه

لعب الغـــرام بمهجـــة المشتـــاق

مه يا نسيم فقد كبرت عن الصبا

لم يبـــق من تلـــك الصبابة بـــاق

إن كنـــت ذاك فلســـت ذاك ولا

أنا قـــد أذنتـــك[1] مفارقي بفـــراق

ولقد عهدت سراك من عدد الهـــوى

والموت في نظري وفي استنشاق

أيـــام لو عن السلـــو لخاطـــري

قربتـــــه هديـــــاً[2] إلـــى أشـــواق[3]

---

[1] **جعلها د. طويل: ((أذِنْتُ))؛ لسلامة الوزن.**
[2] **الهَدْي: هو ما يقدم من ضحايا في الحج والعمرة من النعم.**
[3] **جعلها د. طويل: ((أشواقي)).**

الهــوى إلــفي والبطالة مركــبي
والأمــن ظــلي والشبــاب رواق[1]

في حيث قسمت المدامة قسمــة
ضيزى[2] لأن السكــر من أخــلاق[3]

لا ذنب للصهبــاء أني غاصــب
ولــذاك قــام السكــر باستحقــاق

ولقد صددت الكأس فانقبضت بها
من بعدها انبسطــت يمين الســاق

وتركت في وسط الندامى خلــة
هامت بها الوسطى من الأعــلاق

فاستسرفوني مذكرين وعندهــم
أنى أديــن اللهــو ديــن نفــاق

وحبابها نفث الحبــاب وربمــا
سدكــت يد الملسوع منه بــراق

---

[1] جعلها ذ. طويل: ((رواقي)).
[2] أي قسمة ناقصة.
[3] جعلها د. طويل: ((أخلاقي)).

وكأنــه لما توقّــر من فوقهـــــا[1]

نور تجســم من نــدى الأحـــداق

لو بارح نفح النوى في روضـــة

فأثارهـــا وســرى عن الأحـــداق

ولقد جلوا واللـــه يـــدرأ كيدهـــم

فتَّانـــةَ الأوْصـــاف والأعــراق

أغـــوى بها إبليس قدْمـــاً أدمـــاً[2]

وهي[3] السر يرتمي في هواها الباق[4]

تالله أصرف نحوها وجد الرضا

لو شعشعـــت برضا أبي إسحـــاق

ومـن نسيبه[5]:

وليلـــــة عنبريـــة الأفـــــــق

رويت فيها السرور من طـــرق

---

[1] **حـذف د. طويـل ((مـن))؛ فغدا الشطر هكـذا: ((وكأنـه لمـا توقـر فوقهـا)).**

[2] **جعلهـا د. طويـل: ((آدم)).**

[3] **حذف د. طويل كلمة ((هي))؛ فغدا الشطر هكذا: ((والسر يُرمى في هواها الباقي)).**

[4] **كتبهـا د. طويـل: ((البـاقي)).**

[5] **هـذه القصيـدة موجـودة في الذخيـرة، والمغـرب؛ وهـي مـن بحـر المنسـرح.**

وكنـــت حران فاقتدحـــت بهـــا

ناراً من الـــراح بَرَّدَتْ حُـــرق[1]

وافـــت[2] بها[3] عاطـــلا وقد لبست

غـــلالـــة فصلـــت من الحـــدق

فأجابهـــا[4] الدهر من بنيـــه دجى[5]

لقيتـــه كالإصبـــاح في نســـــق[6]

قامت لنا في المقـــام أوجههـــم

وراحهـــم بالنجـــــوم والشفـــق

وأطلع[7] البدر من ذرى غصـــن

تهفـــو عليـــه القلـــوب كالورق

---

1 جعلها د. طويل: ((حرقي)).
2 في الذخيرة: ((حلت)).
3 في المغرب، والذخيرة: ((بنا)).
4 في الذخيرة، والمغرب: ((فجاءها)).
5 في الذخيرة: ((هوى)).
6 ورد هذا العجز في المغرب، والذخيرة هكذا: ((بفتية كالصباح في نسق)).
7 في المغرب: ((واطّلع)).

من عبد شمس بـــدا سناه وهـــل
ذاك[1] النـــور[2] إلا لـــذاك[3] الأفـــق
مـــد بحمـــــراء من مدامتـــــه
بيضـــاء كـــف[4] مسكيـــة العبـــق
فخلتهـــــــا وردة منعمـــــــة
تحمل من سوسن عـــلى طبـــق
نشرت[5] في الراح[6] حين نشرتها[7]
ما غـــادرت مقلتـــاه من رمـــق[8]

وقال[9]:

يا حبـــذا ليلـــة لنـــا سلفـــت
أغرت بنفسي الهوى وما[10] عرفت

---

[1] في المغرب، والذخيرة: ((ذا))؛ وهذا أسلم.
[2] نفسهما: ((البدر)).
[3] في المغرب، والذخيرة: ((إلاّ لذلك)).
[4] في الذخيرة: ((كفاً)).
[5] في المغرب، والذخيرة: ((يشرب)).
[6] في الذخيرة: ((بالراح)).
[7] في المغرب والذخيرة: ((يشربها)).
[8] نفسه: ((من رمقي)).
[9] ورد هذان البيتان في: ج، والزيتونة. كما وردا في الذخيرة، وبغية الوعاة. وهما من بحر المنسرح.
[10] في الذخيرة: ((وقد)).

دارت بظلمائهـــا المـــدام فكـــم
نرجســـة من بنفســـج قطفـــت

وقال في مغنٍّ زار، بعده أغبَّ وشطَّ المزار[1]:

وافى وقد عظمـــت عليّ ذنوبه
في غيبـــة قبحـــت[2] بها آثـــاره
فمحـــا إساءتـــه لنـــا[3] إحسانـــه
واستغفـــرت لذنوبـــه أوتـــاره[4]

[1] وردت هذه العبارة في الإسكوريال هكذا؛ بينما ذكرت في المخطوطين شكل مغاير؛ حيث جاء: ((في غائب آب بعد ما غب المزار)). وقد رجح عنا صحة عبارة الإسكوريال؛ لأنه لاحظ في البيت الثاني ذكر كلمة: ((أوتاره))؛ وهذا يقترن مع ذكر المغني. ويوجد هذان البيتان أيضاً في: قلائد العقيان، وبغية الملتمس، والمطرب، والذخيرة. وهما من البحر الكامل.
[2] في ج: ((حظيت)).
[3] في الذخيرة: ((بنا)).
[4] في ج: ((أنواره))، وفي الزيتونة: ((أماره)).

وقال يعتذر عن استبطاء مكاتبة[1]:

ألـــم تعلمـــوا[2] والقلب رهن لديكم
يخبركم[3] عني بمضجره[4] بعـــدي

فلـــو[5] قلبتني[6] الحادثات مكانكـــم
لأنهبتها وفري واودلاتها[7] خـــدي

ألم تعلموا أنـــي وأهلي وواحـــد[8]
فدا[9] ولا أرضى بتفديـــة[10] وحدي

---

[1] هذه الأبيات موجودة في: قلائد العقيان، والمطرب، والذخيرة. وهي من البحر الطويل.
[2] في الذخيـرة: ((ألـم تسألـوا)).
[3] نفسـه: ((فيخبركـم)).
[4] في القلائـد، والمطـرب، والذخيـرة: ((بمضمـره)).
[5] في القلائد، والمطـرب: ((ولـو)).
[6] في المطـرب، والذخيـرة: ((قبلتـنـي)).
[7] في القلائد ، والمطـرب، والذخيـرة: ((وأوطأتـهـا)).
[8] في القلائد ، والمطـرب، والذخيـرة: ((وواحـدي)).
[9] المصـادر نفسـهـا: ((فـداء)).
[10] في المطـرب: ((بتقدمـتي)).

ومن قوله في غرض المدح يخاطب **تاشفين بن علي**، ويذكر **الوقعة** بـ ((**كركي**))[1]، يقول فيها[2]:

اللـــه أعطاك فتحاً غير مشترك
ورد عزمك عن فـــوت إلى درك
أرسل عنان جـــواد أنت راكبـــه
واضمم يديك ودعه في يد الملك
حتى يصير إلى الحسنى على ثقة
يهدي سبيلـــك هاد غير مؤتعـــك
قد كان بعدك للأعـــداء مملكـــة
حتى استدرَّت عليهم كورة الفلك
سارت بك الجرد أوطار القضا بهـــا[3]
والحين قد قيد الأعداء في شرك

---

[1] هي (كركي))؛ وليس ((بكركي)) كما اعتقد د. طويل. لأن هذة الأخيرة في في لبنان. أما معركة كركي؛ فقد حدثت سنة 531هـ/1136م؛ بين جيش قشتالة وبين جيش المرابطين بقيادة الأمير تاشفين بن علي بن يوسف ابن تشفين اللمتوني؛ وكان الانتصار فيها للمسلمين. وكان تاشفين ـ آنئذ ـ أميراً على الأندلس من قبل أبيه؛ الذي أسند إليه تلك المهمة سنة 522هـ/1128م.

[2] هذه القصيدة من البحر البسيط.

[3] هكذا كتبها عنان؛ وقد جعلها د. طويل: ((الفضاء بها)).

فما تركـــت كميـــا غير منعفـــر
ولا تركت نجيعـــاً غير منسفـــك
نامـــوا وما نام موتور عل حنق
أسدى إذا فرصـــة من السلـــك[1]
فصَبَّحَتْهُـــم جنـــود اللـــه باطشة
والصبح من عبرات الفجــر في مُسُـــك
من كل مبتـــدر كالنجـــم منكـــدر
تفيض أنفسهم غيظاً من المســـك
فطاعنوكـــم بأرماح وما طعنت
وضاربوكـــم بأسياف ولم تحـــك
تعجل النحر فيهـــم قبل موسمـــه
وقَدَّمَ الهَدْيَ منهـــم كل ذي نسك
فالطير عاكفـــة والوحش واقفـــة
قد أثقلتها لحـــوم القوم عن حرك

[1] أضـاف د. طويـل كلمـة: ((ليسـت))؛ فأضـحى الشطـر هكـذا: ((أسـدى إذا فرصـة ليسـت مـن السلـك)).

عدت عـــلى كل عاد منهم أسَـــرٌ
بعثه[1] في حنجر[2] رحب وفي حنك
كلي هينئـــاً مريئاً واشكري ملكاً
قرتك أسيافـــه في كل معتـــرك
فلو تتضدت الهامات إذ نشـــرت
بالقـــــاع للغيظـــــان بالنبـــك
أبرح وطالب بباقي الدهر ماضيه
فيوم بدرٍ أقامـــه الفيئ في فـــدك
وكم مضى لك من يوم بنت لـــه
في ماقط برمـــاح الحظ مشتبـــك
بالنقـــع مرتكـــم بالموت ملتيـــم
بالبيض مشتمل بالشمر محتبـــك
فحص القـــباب إلى فحص الصعاب
إلى أريولة مداســـات إلى السكك

[1] جعلها د. طويل: ((بعثن))؛ لسيتقيم الوزن.
[2] أي الحنجرة.

وكم على حبر محمود وجارتـــه

للروم من مرتكـــل غير متـــرك

وفيت للصفر حتى قيل قد غدروا

سموت تطلب نصـــر الله بالدرك

فأسلمتهم إلى الإســـلام غدوتهم

وأذهب السيف ما بالدن من حنك

يا أيهـــا الملـــك السامي بهمتـــه

إلى رضى اللـــه لا تعـــدم رضى الملك

ما زلت تسمعه بشرى وتطلعـــه

أخرى كدرّ على الأجياد منسلك

بيضت وجه أمير المؤمنيـــن بها

والأرض من ظلمـــة الإلحـــاد في حلك

فاستشعر النصر واهتزت منابره

بذكـــر أروع للكفـــار محتنـــك

فأخلـــدك ولمـــن والاك طاعته

خلود بر بتقوى اللـــه ممتسـك

وافيت والغيـــث زاخر قد بكا طرباً
لما ظفرت وكم بلله من الضحك
وتمم اللـــه ما أنشأت من حسن
بكـــل منسبـــك منـــه ومنتمـــك
وعن قريب تباهي الأرض من زهير
سماهـــا بهـــا غضـــة الحبـــك
فَعُدْ وقُدْ واعتمدْ وأحمدْ وسدْ وأبِدْ
وقُلْ وصِلْ واسْتَطِلْ واسْتَوْلِ وانْتَهِكْ
وحسبك اللـــه فرداً لا نظيـــر له
تغنيك نصرته عن كل مشتـــرك

ومن قوله في غرض الرثاء، يرثي الفقيد **أبا الحسن بن مغيث**[1]:

الدهـــر ليس على حر بمؤتمـــن
وأي علق تخطتـــه يـــد الزمـــن

[1] ورد في المعجب؛ من هذه القصيدة أربعة أبيات فقط؛ هي البيت: الثالث، والرابع، والسادس، والسابع؛ غير أنها نسبت في هذا المصدر لابن طفيل. وهي من البحر البسيط.

يأتي العفا[1] على الدنيا وساكنهـــا
كأن[2] أدبـــر لم يسكن إلى سكـــن
يا باكيا فرقة الأحباب عن شحط[3]
هلا بكيـــت فراق الـــروح للبدن
نورٌ تقيـــد[4] في طيـــن إلى أجـــل[5]
وانحاز عنواً[6] وخلى الطين في الكفن
كالطير في شرك يسمو إلى درك
حتى تخلص من سقم ومن درن
إن لم يكن في رضى الله التقاوهمـــا
فيا لها صفقـــة بتِّت على دغـــن[7]

[1] أضـاف د. طويـل؛ الهمـزة؛ فغدت: ((العفـاء))؛ لسلامـة الـوزن.
[2] جعلهـا د. طويـل: ((كأنـهـا)). مـن أجـل الـوزن.
[3] أي بُعْد.
[4] في المعجب: ((تـردَّد)).
[5] النـور: هنـا كنايـة عن الـروح؛ والطيـن: كنايـة عن الجسـد.
[6] في المعجب: ((فانحـاز علـواً)).
[7] ورد هـذا البيـت في المعجب هكـذا:
((إن لم يكن في رضى الله اجتماعهمـا * فيا لهـا صفقـة تمـت على غبـن)).

يا شد ما افترقا من بعد ما اعتنقا[1]
أظنهـــا محرقة[2] كانت على دخن[3]
ورب ســـار إلى وجه يســـر به
وافى وقد نبت المرعى على الدمـــن
أتى إلى اللـــه لا سمعٌ ولا بصرٌ
يدعو إلى الرشد أو يهدي إلى السنن
في كل يوم فـــراق لا بقاء لـــه
من صاحب كرم أو سيد قمـــن
أعيا أبا حسن فقد الذين مضـــوا
فمن لنا بالـــذي أعيا أبا حســـن
كأن البقية في قوم قد انقرضوا
فهاج ما شاء ذاك القرن من شجـــن
يعد فـــداً وفي أثوابـــه رمز من
كل ذي خلق عمرو وذي فطـــن

---

[1] **في المعجب: ((اعتلقا)).**
[2] **نفسـه: ((هدنـة)).**
[3] **أي على فسـاد.**

وإنّ مــن أوجدتنــا كل مفتقــد

حياتــه لعزيــز الفقد والظعــن

من للملــوك إذا خفت حلومهــم

بما يقــاوم ذاك الطيش من سكن

ومنهـا:

يا يونس لا تسر أصبحنا لوحشتنا

نشكو اغتراباً وما بنا عن الوطن

ويا مطاعا مطيعــاً لا عناد لــه

في كل أمر على الإسلام مؤتمن

كم خطت كارتجاج البحر مبهمة

فرجتها بحســام سل من لســن

طود المهابة في الجــلا وإن جذبت

عنانه خلوة هــزت ذرى وتــر

أكرم به سببــاً تلقى الرسول به

لخمس واردة في الفرض والسنــن

ناهيك من منهج سم القصور به

هوى فمن قدر عــال إلى فــدن

من كل وادي التُّقَى يسقى الغمام به
فيستهل شروق الضرع باللبـــن
تجملت بك في أحسابها مضــــر
وأصل مجدك في جرثومة اليمن
من دولة حولها الأنصار حاشدة
في طامح شامخ الأركان والقنن
من الذين هم رووا وهم نصروا
من عيسة الدين لا من جذوة الفتـــن
إن يبد مطلـــع منهم ومستمـــع
فارغب بنفســـك عن لحظ وعن أذن
ما بعد منطقه وشي ولا زهــــر
ولا لأعلاق ذاك الدر من ثمـــن
أقــول وفينـــا فضـــل ســـؤدده
استغفر اللـــه ملء السر والعلـــن
محمد ومغيث نعم ذا عوضـــاً
هما سلالة ذاك العارض الهتـــن

تقيـــلا هديـــه في كل صالحـــة

نصر السوابــق عن طبع وعن مرن

ما حل حبوتـــه إلا وقـــد عقـــدا

حباً بما اختار من أيد ومن منـــن

غر الأحبـــة عند حسن عهدهما

وإن يونـــس في الأثواب والجنن

علماً وحلمـــاً وترحيباً وتكرمـــة

للزايريـــن وإغضاء على زكـــن

يا وافد الغــيث أوسع قبره نزلا

وروماً حول ذاك الديم من تكـــن

وطبق الأرض وبلا في شفاعتـــه

فنعم رايـــد ذاك الريف واليمـــن

وأنت يا أرض كوني مرة بـــأبي

مثوى كريم ليوم البعث مرتهـــن

وإن ترددت بترب فيــك أعظمــه

فكم لها في جنان الخلد من ردن

ومن شعره؛ قوله مخمِّساً؛ [كتب بهـا][1]؛ وقد أقام **بمراكش**؛ يتشوق إلى **قرطبة**[2]:

بدت[3] لهم بالغور والشمل جامــع

بروق بأعلام العذيــب لوامــع

فباحت بأسرار الضمير المدامع

ورب غــرام لم تتله المسامــع

أذاع بهــا[4] من فيضها التصويب[5]

****

ألا في سبيل الشوق قلب مؤثــل

بركــب إذا شاء والبروق تحمل

هو المــوت إلاّ أنــني أتحمــل

---

[1] هكذا في الإسكوريـال؛ أمـا في المخطوطيـن؛ فـوردت: ((وكتبهـا)).
[2] البحـر الطويـل.
[3] في الإسكوريـال: ((سحـت)).
[4] في المخطوطيـن: ((ودام بهـا)).
[5] جعلهـا د. طويـل: ((لا يُصَـوَّبُ))؛ ليستقيـم الـوزن. وقـد وردت هـذه القطعـة الخماسيـة في المخطوطيـن.

إذا قلـــت هذا منهل عز منهـــل

وراية برق نحوها القلب يَجْنِـــبُ

****

أبى اللـــه إما كـــل بعد فثابـــت

وإما دنو الـــدار منهـــم ففايـــت

ولا يلفت البين المصمـــم لافت

ويا رب حي البـــارق المتهافـــت

غـــراب بتفريق الأحبـــة يَنْعَـــبُ

****

خذوا بـــدمي ذاك الوسيق المضرجا

وروضاً بغيض العاشقين تأرجـــا

عفى الله عنه قاتـــلاً ما تحرجـــا

تمشَّى الردى في نشره وتدرجا

وفي كل شيء للمنيـــة مَذْهَـــبُ

****

سقى اللـــه عهداً قد تقلص ظلـــه

حيا قطـــره يحيي الربا مستهلـــه

وعى به شخصـــاً كريماً أُجِلُّــهُ
يصـــح فــؤادي تــارة ويُعلُّــه
ويلمـــه بالذكر طوراً ويُشْعِــبُ
****
رماني على قرب بشرخ ذكائـــه
فأعشت جفوني نظرة من ذكايه
وغصت بأدنى شعبة من سمايـــه
شعابي وجا[1] البحـــر في غلوئـــه
فكل قـــرب[2] ردع خديه يركـــب
****
ألم يأتـــه أنَّى ركنـــت قعـــــوداً
وأجمعت عن وفز الكلام قعـــودا
ولم أعتصر للذكر بعدك عـــودا
وأزهقـــني هذا الزمـــان صعودا

[1] جعلها د. طويل: ((وجاء))؛ من أجل سلامة الوزن.
[2] جعلها د. طويل: ((بقرب))؛ من أجل سلامة الوزن.

فربع الذي بين الجوانح سبســـب

****

على تلك من حال دعوت سميعا

وذكـــرت روضاً بالعقاب مريعا

وتملأ الشعب المذحجي جميعـــاً

وسرباً بأكناف الرصافة ريعـــا

وأحداق عيـــن بالحمـــام تقلـــب

****

ولم أنـــس ممشانا إلى القصر ذي النخل

بحيث تجافى الطود عن دمث سهل

وأشرف لا عن عظم قدر ولا فضل

ولكنـــه للملـــك قام على رجـــل

يقيـــه تباريح الشمال ويحجـــب

****

فكـــم توجّـــع[1] ينتابـــه برسيســـه

ويرتحـــل الفتى بأرجل عيســـه

[1] **جعلها د. طويل: ((وجع))؛ لسلامة الوزن.**

أبِــقْ أمَّ عمرو في بقايا دريســـه
كسحق اليماني معتليـــه نفيســـه
فرقعته تسبي القلـــوب وتعجب
****
وبيضاء للبيض البهاليل تعتريـــه[1]
وتعتز بالبـــان جلالا وتنتـــزي
ســـوى أنها بعد الصنيع المطرز
كساها البِلَى والثكل أثواب مُعْوِزِ
يبكي وتبكي للزايريـــن وتنـــدب
****
وكم لك بالزهـــراء من متـــردد
ووقفـــة متسق المجامع مقصـــد
يسكن من خفـــق الجوانح باليـــد
ويهتك حجب النـــاصر بن محمد
ولا هيبـــة تُخْشَى هنالك وترهب
****

[1] جعلها د. طويل: ((تعتزي)).

لنعـــم مقام الخاشـــع المتنســك
وكانت في محل العبشمين الممــلك
متى يورد النفس العزيزة يسفك
وإن يسم نحو الأبلق الفرد يملك
وأي مـــرام رامـــه يتصعـــب
****
قصور كان الماء يعشق مبناهـــا
فطوراً يرى تاجاً بمفرق أعلاها
وطوراً يرى خلخال أسوق سفلاها
إذا زل وهناً عن ذوايب يهواها
يقول هوى بدراً أو انقَضَّ كوكب
****
أتاها على رغم الجبال الشواهق
وكل منيــف للنجوم مراهـــق
وكم دفعت في الصدر منه بعانق
فأودع في أحشائهـــا والمفـــارق

حسابـــاً بأنفاس الرياح يَـــذْرَبُ

****

هي الخود من قرن إلى قدم حسناً

تناصف أقصاها جمالا مع الأدنى

ودرج كالأفلاك[1] مبنى على مبنى

توافقن في الإتقان واختلف المعـــنى

وأسباب هذا الحسن قد تتشعـــب

****

فأين الشموس الكالفات بها ليـــلاً

وأين الغصون المائسات بها ميلا

وأين الظبا[2] السابحات بها ذيـــلا

وأين الثرى رجلا وأين الحصا خيلا

فـــوا عجبا لـــو أن من يتعجـــب

****

كم احتضنت فيها القيان المزاهرا

---

[1] جعلها د. طويل: ((كأفلاك))؛ من أجل سلامة الوزن.

[2] جعلها د. طويل: ((الظباء))؛ من أجل سلامة الوزن.

وكم فاوحت فيها الرياض المجامـــرا
وكم ساهرت فيها الكواكب سامـــرا
وكم قد أجاب الطير فيها المزامـــرا
عظيـــم من الدنيا شعاع مطنـــب
****
كأن لم يكن يُقضى بها النهي والأمر
ويُجبى إلى خزائنها البر والبحر
ويسفر مخفـــوراً بذمتها الفخـــر
ويصبح مختوماً بطينتها الدهـــر
وأيامـــه تعـــزى إليها وتنســـب
****
ومالك عن ذات القِسِيِّ النواضج
وناصحـــة تُعزى قديمـــاً لناصح
وذي أثر على الدهـــر واضـــح
يخبـــر عهـــد هنالـــك صالـــح
ويعمر ذكر الذاهبيـــن ويخـــرب
****

تلاقى عليه فيض نهر وجـــدول
تصعد من سِفْلٍ وأقبل من عَــلٍ
فهـــذا جنـــوبىّ وذلـــك شمـــأل[1]
وما اتفقـــا إلا على خير منـــزل
وإلا فـــإن الفضل منه مجـــرب
****
كأنهمـــا في الطيـــب كانا تنافرا
فسارا إلى وصل القضاء وسافرا
ولما تـــلاقى السابقـــان تناظـــرا
فقـــال وليُّ الحـــق مهلاً تظافرا
فكلٌّكمـــا عذب المجاجـــة طيـــب
****
ألم يعلمـــا أن اللجاج هو المقـــتُ
وأن الذي لا يقبل النصف مُنْبَـــتٌّ
وما منكما إلا له عندنـــا وقـــت
فلما استبان الحق واتجه السمت

[1] جعلها د. طويل: ((شمـألي)).

تقشع من نـــور المودة غيهـــب

****

وإن لهـــا بالعامريـــة لمظهـــرا

ومستشرفاً يُلهي العيون ومنظراً

وروضنـــا على شطَّيْ خضارة أخضرا

وجوسق ملك قد علا وتجبـــرا

لـــه تـــرة عند الكواكب تطلـــب

****

غيـــره[1] في عنفـــوان المـــوارد

وأثبتـــه في ملتـــقى كـــل وارد

وأبـــرزه للأريـــحي المجاهـــد

وكل فتى عن حرمة الدين زايـــد

حفيظتـــه فـــي صـــدره تتلهـــب

****

تقـــدم عن قصر الخلافة فرسخا

وأصحر بالأرض الفضاء ليصرخا

---

[1] جعلها د. طويل: ((أغيره))؛ من أجل سلامة الوزن.

فحالته أرض الشرك فيها مُنوِّخا
كذلـــك من جاس الديار ودوَّخا
فردْعَتُه في القلب تسري وترهب
****
أولَيكَ قـــوم قد مضوا وتصدعوا
قضوا ما قضـــوا من أمرهم ثم ودعـــوا
فهـــل لهم ركز يحس ويسمـــع
تأمـــل فهذا ظاهر الأرض بلقع
إلا أنهم في بطنهـــا حيث غيـــب[1]
****
ألســـت ترى أن المقام على شفا
وأن بياض الصبح ليس بذي خفا
وكم رسم دار للأجنـــة قد عفـــا
وكأن حديثـــاً للوفـــود معرفـــاً
فأصبح وحش المنتـــدى يُتجنـــب
****

[1] جعلها د. طويل: ((غيبوا)).

وللهِ في الدارات ذات المصانـــع
أخلاء صدق كالنجـــوم الطوالـــع
أشيع بينهـــم كل أبيض ناصـــع
وأرجع حتى لست يوماً براجـــع
فيـــا ليتني فـــي قسمتي أتهيـــب
****
أقرطبـــة لم يثنـــني عنك سلوان
ولا بمثل إخواني بمغناك إخوان
وإني إذا لم أســق ماءك ظمـــآن
ولكن عداني عنك أمر له شـــان
وموطـــني آثـــار تُعـــدُّ وتكتـــب
****
لك الحق والفضل الذي ليس يدفـــع
وأنت لشمس الدين والعلم مطلع
ولولاك كان العلم يُطوى ويُرفع
وكل التقى والهدى والخير أجمع

إليــك تتاهى والحسود معــذب

****

ألم تك خصت باختيار الخلايف

ودانت لهم فيها ملوك الطوايــف

وعض ثقاف الملك كل مخالــف

بكل حسام مرهف الحد راعــف

به تحقن الآجــال طوراً وتسكب

****

إلى ملكهــا انقاد الملوك وسلموا

وكعبتهــا ندا الوفــود ويممــوا

وفيها استفادوا شرحهم وتعلمــوا

وعاذوا بها من دهرهم وتحرموا

فنكــب عنهم صرفه المتسحــب

****

علوت فما في الحســن فوقك مرتقى

هــواؤك مختــار وتربــك منتقى

وجسرك للدنيــا وللديــن مُلتــقى

وبيتك مربوع القواعـــد بالتـــقى
إلى فضله لأكباب تنضى وتضـــرب
****
تـــولى خيــــار التابعيـــن بقـــاءه
وخطوا بأطراف العوالي فنـــاءه
ومدوا طويـــلا صيتـــه وثنـــاء[1]
فـــلا زال مخلـــوع عليه سنـــاه[2]
ولا زال سعي الكايديـــن يخيـــب
****
وبالـــغ فيـــه كـــل أروع أصيـــد
طويل المعالي والمكارم واليـــد
وشادوا وجادوا سيـــداً بعد سيـــد
فبادوا جميعاً عن صنيع مخلـــد
يقـــوم عليـــه الثنـــاء ويخطـــب
****

[1] **جعلها د. طويل: ((وثناءه)).**
[2] **جعلها د. طويل: ((سناءه)).**

مصابيحـــه مثل النجوم الشوابك

تمزق أثـــواب النجوم الحوالـــك

وتحفظـــه من كـــل لاه وسالـــك

أجادل تنقض انقضاض النيـــازك

فإبشارهـــم بالطبطبيـــة تتهـــب

****

أجدك لم تشهـــد بها ليلـــة القدر

وقد جاش بر الناس منه إلى بحر

وقد أسرجت فيه جبال من الزهر

فلو أن ذلك النور يقبس من فجر

لأوشك نور الفجر يفنى وينضب

****

كأن للثريَّاوات أطوادٌ من نرجس[1]

ذوايبـــه تهفـــو بأدنـــى تنفـــس

وطيب دخان النِّد من كل معطس

وأنفاســـه في كل جسم وملـــبس

[1] **جعلها د. طويل هذا الشطر هكذا: ((كأن للثريات أطواد نرجس)).**

وأذيالـــه فوق الكواكب تسحـــب

****

إلى أن تبدت راية الفجر تزحف

وقد قــضى الــذي لا يســوف[1]

تولـــوا وأزهار المصابيح تقطف

وأبصارها صوناً تغض وتطرف

كما تتصـــل الأرماح ثم تركـــب

****

ســـلام على غيابها وحضورهـــا

سلام على أوطانها وقصورهـــا

سلام على صحرايها[2] وقبورهـــا

ولا زال سورالله من دون سورهـــا

فحسن دفاع الله أحمى وأرهـــب

****

وفي ظهرها المعشون كل مرفع

---

[1] **جعل د. طويل هذا الشطر هكذا: ((وقد قضى منها الذي لا يسوف))؛ وذلك من أجل سلامة الوزن.**

[2] **كتبها د. طويل: ((صخرائها)).**

وفي بطنها الممشـــوق كل مشفع
متى تأته شكوى الظلامـــة ترفع
وكل بعيـــد المستغـــاث مدفـــع
من الله في تلك المواطن يقـــرب
****
وكم كربة ملء الجوانح والقلـــب
طرقــت وقد نام المواسون من صحــب
بروعتهـــا قبر الولي[1] لي وهـــب
وناديت في الترب المقـــدس يا رب
فأبت بما يهوى الفؤاد ويرغـــب
****
فيا صحبي حان قبلـــك مصرعي
وكنت على عهد الوفا والرضا معي
فحط بضاحي ذلك السُّرَى مضجعي
وذرني فجار القوم غير مـــروع

[1] كتبها د. طويل: ((الوالي)).

فعندهـــم للجار أهــل ومرحـــب

****

رعى الله من يرعى العهود على النـــوى

ويظهر بالقول المحبر ما نـــوى

ولبيته من مستحكـــم الود والهـــوى

يرى كل واد غير واديه مجتوى

وأهـــدي سبيلـــه الذي يتجنـــب

****

كتابته

وكتابة **ذي الوزارتين** ـ رحمه الله ـ كالشمس[1] شهرة، والبحر[2] والقطر كثرة؛ ونحن نثبت له شيئاً من ذلك ليلاً يخلو هذا الكتاب من شيء من بيانه. كتب يراجع الوزير **أبا بكر بن عبد العزيز،** من رسالة، كتب بها إليه مع حاج يضرب القرعة: ((أطال الله بقاء وليّي[3]، وإمامي[4]،

---

[1] **في الإسكوريـال: ((الشمـس)).**
[2] **سقطـت هـذه الكلمـة في ج.**
[3] **في الإسكوريـال: ((رييـسي)).**
[4] **سقطـت هـذه الكلمـة في ج.**

الذي له إكباري وإعظامي، وفي سلكه اتسامي وانتظامي، [وإلى ملكه انتسابي واعتزايي، وبوُدّه افتخاري وانتزايي][1]، للفضايل مجيباً ومبدياً، وللمحامد مشتملاً ومرتدياً[2]، وبالغرايب متحفاً ومهدياً، [ولا زال الرخاء وأزِل، وجدّ من المصافاة وهزل، وسحت من المراعاة وجزل][3].

وصل كتابه صحبة **عرّاف اليمامة**[4]، وفخر[5] **نجد وتهامه**، [يقرظه ويزكيه، ويصفه بالخب[6] يفسره ويجليه][7]، ويجليه][7]، والخفيّ[8] يظهره ويبديه، ولعله رائد،

---

[1] ما بين الحاصرتين سقط في ج.

[2] في الزيتونة: ((مجتدياً)).

[3] ما بين الحاصرتين سقط في ج.

[4] عرّاف اليمامة؛ هو "رياج بن عجلة" المشار إليه في الشعر الجاهلي؛ فيقول شاعرهم: فقلت لعرّاف اليمامة داوني * فإنك إن داويتني لطبيب

وقال آخر: جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد إن هما شفياني

فقالا شفاك الله والله ما لنا * بما حملت منك الضلوع يدان

وعراف نجد هو: الأبلق الأسدي. وثمة عرافون كثيرون في شبه جزيرة العرب أيام الجاهلية. أشهرهم: شق، وسطيح.

[5] في ج: ((وحادى))، وفي الزيتونة: ((وحرى)).

[6] في الزيتونة: ((الحق)). الخب هو: الخبال والاضطراب.

[7] ما بين الحاصرتين؛ ورد هكذا في الإسكوريال والزيتونة؛ بينما كتب مكان تلك العبارة في ج: ((يقرظه ويجليه)).

[8] في المخطوطين: ((والخفاء)).

رائــد، **لابــن أبي صايــد**[1]، أو هاد **للمسيح الدجال**[2] قايد. أشهد شهادة إنصاف؛ أن عنده لعضباً صاف[3]، ولو كان هناك ناظر صادق[4] طاف، ولله خفايا الألطاف، لقلت هو باد غير خاف، من بين كل ناعل وحاف.

وسأخبرك أيدك الله، بما اتفق، وكيف طار ونعق، وتوسد الكرامة، وارتفق، [طرق له وصفك ونعتك، وثقفه بريك ونحتك، ورفعه للعيون جدك وبختك][5]، وامتدت نحوه النواظر، واستشرفه الغايب والحاضر،

---

[1] لعله ابن صياد أو صايد؛ المسمى صافي، أو عبد الله؛ الذي اختلفت الآراء حوله؛ وقال بعضهم أنه المسيح الدجال. والله أعلم.

[2] المسيح الدجال: هو الكذاب أو المموه، أو السائح في الأرض. ويقول الرازي. ((وأمّا المسيح الدجّال فإنّما سُمّي مسيحاً لأحد وجهين أولهما: لأنّه ممسوح العين اليمنى، وثانيهما: لأنّه يمسح الأرض أي يقطعها في زمن قصير لهذا قيل له: دجّال؛ لضربه في الأرض، وقطعه أكثر نواحيها؛ وقيل سُمّي دجّالاً من قوله: دَجَلَ الرجلُ إذا مَوّه ولبّس)). ثم قال:
((لم يرد ذكر المسيح الدجال صراحة بالنص في القرآن؛ لكن بعض المفسرين يرون أن هناك آيات تدل عليه في القرآن مثل الآية 158 من سورة الأنعام: [هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنّا مُنْتَظِرُونَ). بينما ورد ذكره صراحة في السنة النبوية المطهرة؛ وذلك في عديد من الأحاديث مثل حديث تميم الداري)).

[3] في ج: ((أصداف)).

[4] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

[5] ما بين الحاصرتين سقط في ج.

وتسابق إليه النابه[1] والخامل، وازدحم عليه العاطل والعامل؛ هذا يلتمس مزيداً، وذاك يبتغي حظاً[2] جديداً، وهذا يطلب تقليداً، [وذلك يسل إلى مغاليقه إقليداً][3]. فكلما حزب، وغل وجلب، حلب واستدر، وتلقاه [وإن ساءه الغيب][4] بما سر.

وكنت واتغت جملة من الأعيان، ووافقت ثلة من جلة الإخوان، على تمشية أمره، وتوشية ذكره؛ فلما صدقت تلك الفرقة، واستوت بهم تلك الفرقة، أحضرناه لِلسِّبار[5]، وأقعدناه للنقد والاختيار، وأردنا أن نقف على جلايا تلك الأخبار، فأحضرنا طحناً ونطعاً، وسرينا عنه من الوحشة قطعاً، وقلنا له خذ عفوك، ولا توردنا[6] إلاّ صفوك، ولا تصانعنا في الكريهة التي نراها، والحادثة تستفظع ذكراها. فما عندنا جهل، وما منّا إلاّ محتّنك كهل، لا يتكاده حزن، ولا يستخفه سهل، فسكن جايش

---

[1] في الإسكوريـال: ((النبيـه)).

[2] في ج: ((شيئـاً))

[3] مـا بيـن الحاصرتيـن سقـط في ج.

[4] هـذه العبـارة سقطـت في المخطوطيـن.

[5] أي للاختبـار.

[6] في والزيتونـة: ((تزدنـا إلى)).

فوره، وضرب بلحيته على زوره[1]، ثم صعَّد فينا النظر وصوب، واستهل صارخاً وثوَّب [وتحرج من الكذب وتحوب][2]، وقال لست للعشرة خابطاً، ولا للطرف غامضاً، ولا عن الصدق إذا صدع حايداً، ولا للغدر ممن وقع منه ذايداً، ولا بمعجزات النبوة لاعباً، ولا لصريح الجد مداعباً، ولا تطيبني مسألة ولا حلوان، ولا تستفزني نضايد كثيرة ولا ألوان. إنما هو رسم وخط، ورفع وحط، ونحس وسعد، ونقد ووعد، ويوم وغد[3].

فقلنا له: الآن صحت الوفادة [وأينعت الإرادة][4]. ثم نظر إلينا نظر المستقل واجتذب النطع[5] اجتذاب المدل[6]، ونثل الطجن[7] وهاله، وأداره حتى [استدار هاله][8]، ثم قال يا أيها الملأ هذا المبتدأ[9]، فأيكم يبدأ.

---

1 الزَّور: هو أعلى وسط الصدر.

2 هذه العبارة سقطت في ج.

3 في الإسكوريال: ((وبعد)).

4 في المخطوطين، وج، والزيتونة: ((وتعينت الزيادة)).

5 النطع: هو بساط من الجلد؛ يفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب. والنطع أيضاً ما ظهر من داخل الفم؛ حيث موقع اللسان من الحنك.

6 في ج: ((المستثقل))، وفي الزيتونة: ((المقل)).

7 هكذا. وكتبها د. طويل: ((الطحن)).

8 في المخطوطين: ((استهالهما)).

9 في الإسكوريال: ((النبأ)).

فرمقني القوم بأبصارهم، وفغروا وكبروا، وليتهم [عند ذلك][1] صفروا.

فقلت يا قوم قد عضضت على ناجذي حلماً، [وقتلت شأني كله علماً][2]، [وعقدت بيني وبين وبين غد سلماً][3]، فكيف أستكشف عما أعرف؟ وأسبقهم وأسبقهم عما لا يستبهم؟ على الرحمن توكلت، وعلى الشيطان تركلت، ومن كسبي أكلت، [وفي مبرك السلامة بركت][4]، وجسيمات الأمور تركتني وتركت، والنفس[5] المطمئنة رجوت، ولعلني قد نجوت، [وأصبت فيما نحوت][6]. فلحظتني عند هذه المقالة عينه، وطواني[7] صدقه صدقه ومينه[8]. [ثم صار القوم دوني أنجية، وأعد له كل تورية وتعمية. فقال قايل منهم، تعالوا نشترك في ضمير،

[1] سقطت هذه العبارة في الإسكوريال.
[2] في ج: ((وقلت كل ذلك أتقنه حفظاً)).
[3] سقطت هذه العبارة في المخطوطين.
[4] في ج: ((وعن مبرك الشيطان نكلت)).
[5] في الإسكوريال: ((المسة)).
[6] في ج، والزيتونة: ((صدقت ـ أصبت فيما قد رجوت)).
[7] في ج: ((وأدهشني)).
[8] أي صدقه وكذبه.

ونَرْمِه بهذا **الطَّاغية ابن رذمير**[1]؛ ففي كل قلب منه ندب كبير، والسؤال عنه دين وأدب، فإن أصابه استرحنا من النصب والشخوص، وحرنا من العموم إلى الخصوص، وإن أخطأه فهو لما سواه أخطأ، ولما يدعيه ويريده منه أبطأ. فقالوا نعم ما عرضت، وأحسن بما رويت وفرضت.

فلما رأيناه يثقل التعريض، ويحكم التقرير والتعويض، قلنا له حقق ضميرك كل التحقيق، وضع مسبحتك في الدقيق. [فابتدر ما أمر][2] وحسر عن ذراعه وشمّر، ومرت أصبعه في خطه مرّ الذر المتهالك، ووقعت وقع القطر المتدارك، [لا تمس الطحن إلاّ تحليلا، وغمزاً كالوهم قليلا][3] فطوراً يستقيم سبيلا، وتارة يستدير يستدير إكليلا، وآونة يأتي بالسماء ونجومها قبيلاً. فكان هنالك لنعش من بنات[4]،

---

[1] لم يرد في المخطوطين من العبارة المحصورة بين، حاصرتين سوى: ((ثم صار القوم إلى ذكر الطاغية ابن رذمير)).
[2] هذه العبارة سقطت في المخطوطين.
[3] في الزيتونة: ((لا تمس الضخمى إلا عليلا وعمرا كالموسم ولو خليلا)). خليلا)). بينما العبارة ساقطة في ج.
[4] بنات نعش وأبوهم: هم في مجملهم الدب الأكبر؛ يستدل بها على جهة الشمال. إلى جانب نجمتين في جهة اليمين. هما الحواجيز والجدي. ومن الأساطير التي تروى عن النجم (سهيل). أنه قتل نعشاً؛ فحملته بناته

وللثريّـــــا [1] مـــن أخـــــوات، وطيـــــر قابضات، وصافات وأسراب ناشرات خافقات.

فلما استوفى عدده، وبلغ أمده، وختم طرائقه وقدده، وأعطى الأصول وفروعها، وتدبر تفاريقها وجموعها؛ فجمع وتقبض، وفتر ثم انتفض، [وصعد ذهنه وتسافه، وأخذ الطحن فسافه][2]، وزفر وشهق، وعشر ونهق، وألصق بظهره حشاه، وكتم الربو ثم أفشاه، وقال هــذا الــذي كنـــت أخشـــاه، عميتـــم

السبع في نعش: أربع بنات يحملنه في النعش، وثلاث يمشين خلفه، ويقال عن الأخيرة أنها عرجاء. وهنّ يعتقدن أن قاتل أباهن هو الجدي (النجم القطبي)؛ لذا فقد قررن أن لا يدفنّ أباهن قبل أن يأخذن بثأره. ولكن هناك نجمتان اسمهما الحواجيز يمنعهن ويقفن عائقاً بينهن وبين تحقيق هدفهن، و الوصول إلى الجدي؛ وعبهم فقد بقين يدرن حول الجدي والحواجيز تفصل بين القاتل وطالبي الثأر. بينما يختبئ سهيل خوفاً ولا يظهر إلاّ كلّ شهرين؛ ولفترة قصيره فقط.

[1] الثريا نجم؛ من أشهر النجوم. ويعرف نجم الثريا من القدم؛ كما يعرفه العرب في أيام الجاهلية؛ حيث ورد ذكره في أشعارهم. وقد استعملوا هذا النجم كمقياس لقوة البصر. وهي سبعة أنجم ظاهرة. وفي الثريّا يشتدّ الحرّ والسَّموم ويندر فيها نزول الأمطار؛ كما يكثر هبوب الرياح والعواصف، وتغور فيها المياه، وترتفع عاهات الثمر ويرتج البحر، وييبس العشب. ويعرف هذا النجم عند المزارعين باسم (الجوزاء الأولى)؛ بينما يسميه عرب البادية (الثريّا) أو (النّجم). إذ يقولون: ((إذا طلع النّجم؛ فالحرّ: في حدم [أي في شدّة]، والعشب في حطم [أي في تكسر وحطام]، والعاهات في كدم [أي باقية].

[2] ما بين الحاصرتين سقط في ج.

الأثـــر، [وكتمتم حقيقة الخبر][1]، [وعثرتم خاطي فيما عثر، ونثرتم نظام الحدس فما انتشر][2]. سألتم عن روح شارد، وشيطان مارد، وصادر مع اللحظات وارد. لا يوطن داراً. ولا يأوي قراراً ولا يطعم النوم إلا غراراً. نعم أمره عندي مستقر. هو زنديق مستتر، وشهاب من شهب الكفر مستمر.

ثم رجَّع البصر واختصر، وعاد إلى الحساب يتقرّاه، والصواب يتحرّاه؛ وتتبَّع أديم الطّحن ففراه. وقال أعوذ بالله من شر ما أراه؛ إلى كم أرى في غلاء وبلاء ؛ كأني لست ذا أمرار وأحلاء، تالله لو كانت قرعة رفعة وعلا ؛ ما غاب عني اللّحياني ذو السَّبَلة، ولواجهنا البيـــاض ذو الغـــرة المستقلـــة، مواجهـــة **حســـان**[3]

---

[1] ما بين الحاصرتين سقط في الإسكوريال.

[2] ما بين الحاصرتين سقط في ج.

[3] هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري؛ (توفي سنة 54هـ/673م.). شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم. سبق له في الجاهلية أن ذهب إلى بلاد الشام؛ ومدح الملك الغساني جبلة بن الهيثم، ومدح قومه الغساسنة. والمقصود بقوله في النص أعلاه: ((مواجهة حسان لجبلة))؛ هو خَبَرَ حسان عندما زار جبلة لأول مرة؛ حيث قال: أتيت جبلة بن الأيهم الغساني؛ وقد مدحته، فأذن لي؛ فجلست بين يديه؛ وعن يمينه رجل له ضفيرتان؛ وعن يساره رجل لا أعرفه. فقال: أتعرف هذين؟ فقلت: أما هذا فأعرفه؛ وهو النابغة؛ وأما هذا فلا أعرفه. قال: فهو

لجبلـــــه[1]؛ النَّحس على هذا الروح قد رُتِّب[2]؛ وكتب عليـه [من الشقاء][3] ما كتب، وأخرج النصرة الداخلة من العتب. ثم أشار إلى الحُمرة، وكأنما وضع يده على جَمْرة، وقال: كَوْسَجَ[4] نَعِيّ، وسناط الوجه شقي، وثقاف وطريق، وجماعة وتفريق، وقبض خارج، ومنكوس مارج. ثم وضع عمامته، ولولب[5] هامته، وأمال

علقمة بن عبدة؛ فإن شئت استنشدتهما وسمعت منهما؛ ثم إن شئت أن تنشد بعدهما أنشدت؛ وإن شئت أن تسكت سكت. قلت: فذاك. قال: فأنشده النابغة:

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطيء الكواكب

قال: فذهب نصفي. ثم قال لعلقمة: أنشد؛ فأنشد:

طحا بك قلب في الحسان طروب   بعيد الشباب عصر حان مشيب

فذهب نصفي الآخر فقال لي: أنت أعلم؛ الآن إن شئت أن تنشد بعدهما أنشدت، وإن شئت أن تسكت سكت. فتشددت ثم قلت: لا؛ بل أنشد. قال: هات. فأنشدته:

لله در عصابة نادمتها   يوماً بجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة عند قبر أبيهم   قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم   كأساً تصفق بالرحيق السلسل
يغشون حتى ما تهر كلابهم   لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجه كريمة أحسابهم   شمّ الأنوف من الطراز الأول

فقال لي: إنه، لعمري ما أنت بدونهما. ثم أمر لي بثلاثمائة دينار، وعشرة أقمصة؛ لها جيب واحد؛ وقال: هذا لك عندنا في كل عام.

[1] يسمى جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبى شمر ويسمى أيضاً المنذر بن الحارث؛ ملك الغساسنة دخل الإسلام ثم ارتد.

[2] في ج: ((غلب)).

[3] في الزيتونة: ((من التأوه))؛ بينما سقطت في ج.

[4] الكوسج: الذي تكون لحيته على ذقنه؛ لا على عارضيه.

[5] في ج: ((أبدى))، وفي الزيتونة: ((وأركب)).

وجهه فجراً طلقاً، ثم عرضه مجناً مطرقاً، وعقد أنامله عضا، [وأدمى صدره دعاً ورضاً، وقطع بصره لحاً وغضاً، وتكفأ وتقلع][1] وأدلع لسانه فاندلع. فقلنا شرٌّ تَأَبّطَه، أو شيطان يتخبطه، أو قرين يستنزله ويختله[2] أو رؤى في الذرة والغارب يفتله.

[ثم تجاحظ وتحاذر، وتضاءل وتنازر][3]، وقال: والذي أحيا **عازِر**[4]، وأخرج **إبراهيم**[5] من **آزَرْ**[6]، وملك

---

[1] ما بين الحاصرتين سقط في المخطوطين.

[2] في الزيتونة: ((ويختلبه)).

[3] ما بين الحاصرتين في المخطوطين: ((ثم تجاحظ وتكادن، وتضاءل وتبادن)).

[4] ثمة عازر جدّ سيدنا موسى؛ وهو عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم الخليل؛ وثمة عازر الذي أحياه سيدنا عيسى عليه السلام بعد موته. إذ جاء في مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي فضل بن حسن الطبرسي: ((وقيل إنه [أي عيسى] أحيا أربع أنفس (عازر)؛ وكان صديقاً له؛ (وهو المقصود هنا)؛ وكان قد مات منذ ثلاثة أيام. فقال عيسى لأخته: انطلقي بنا إلى قبره؛ ثم قال: اللّهمّ ربّ السماوات السبع، وربّ الأرضين السّبع؛ إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك، وأخبرهم بأنّي أحيي الموتى؛ فأحيا عازر؛ فخرج من قبره، وبقي وولد له. و(ابن العجوز)؛ مرّ به ميتاً على سريره، فدعا الله عيسى، فجلس على سريره، ونزل عن أعناق الرجال، ولبس ثيابه، ورجع إلى أهله وبقي وولد له. و(ابنة العاشر)؛ قيل له: أتحييها وقد ماتت أمس؟ فدعا الله فعاشت، وبقيت وولدت. و(سام بن نوح)؛ دعا عليه باسم الله الأعظم؛ فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه. فقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا؛ ولكني دعوتك باسم الله الأعظم)).

[5] في المخطوطين: ((البرائح)).

[6] ((آزر)) في النص القرآني هو أب إبراهيم عليه السلام. وقد بقي على كفره؛ على الرغم من وعظ ولده إبراهيم له، ودعوته للدين الحنيف..

عنان الريح وأذعن له كل شيء بالسجود والتسبيح، إنه لمن عُبَّاد **المسيح**. هيهات هيهات، لا أضعضع بظن، ولا يقعقع لي بشن، ولا أنازع من هذه الفنون في فن؛ قد ركبت أثباج البحار، وقطعت نياط المفاوز والقفار، وشافهني الحرم والبيت، وصافحني الحجر الكميت، وأحرمت ولبيت، وطفت ووفيت، وزرت **المصطفى** صلى الله عليه وسلم وتحفيت؛ ثم ملت على **عدن**، وانحدرت عن **اليمن**، واستسقيت كل راعدة، وأتيت كل قاعدة؛ ورأيت صاحب الجمل **قس بن ساعدة**[1]، **ووردت**

---

[1] أي الذي يركب على الجمل الأحمر في سوق عكاظ؛ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد إياد: ((يا معشر وفد إياد؛ ما فعل قس بن ساعدة الإيادي)). قالوا: هلك يا رسول الله. قال: ((لقد شهدته يوماً بسوق عكاظ على جمل أحمر يتكلم بكلام معجب مونق؛ لا أجدني أحفظه)). واسمه بالكامل هو قس بن ساعدة بن حُذَافة بن زُهَير بن إياد ابن نِزَار، الإيادي (توفي في حدود سنة 600م يعتبر من أكبر خطباء العرب وحكمائهم في العصر الجاهلي. كان يدين بالمسيحية. ويتولى أسقفية نجران. هو صاحب مقولة ((البعرة تدل على البعير، وأثر القدم يدل على المسير))؛ كما أنه أول من استعمل عبارة ((أما بعد)) في اللغه العربية. رآه النبي محمد صلى الله عليه وسلم ـ قبيل البعثة ـ يخطب الناس بسوق عكاظ؛ وروى خطبته وعجب من حسنها وأظهر تصويبها ثم قال: ((يرحم الله قساً؛ أما إنه سيبعث يوم القيامة أمة وحده)).

عكـاظ[1]، وصدقت الحفـاظ، وقـدت العصيـة بنسع، ومسحت الشامات بأخمس وتسع، ووقفت حيـث وقـف الحكمـان[2]، وشهـدت زحـف **التركمـان**[3]، وكيف تصاولت القروم، وغُلِبـت **الـرُّوم**[4]، [وهـزم المدبـر المقبـل، واكتسحت الجِحاش الإبـل][5].

فقلنا لله أنت، لقد جليت عن نفسك، وأربى يومك على أمسك، ولقد صدق مطريك، ووفـت

---

[1] تقـع عكـاظ في ناحيـة مكـة؛ بيـن نخلـة والطائـف؛ وبالتحديـد في المكـان المسمى بأثيداء. تعقد في عكـاظ أشهر وأكبر سـوق في شبـه جزيـرة العرب أيـام الجاهليـة. وكانـت معرضـاً تجاريـاً هامـاً ومنتـدًى اجتماعيـاً وثقافيـاً وإعلاميـاً؛ يشتمـل علـى مختلـف أنـواع النشاطـات؛ خاصـة الشعر والخطابـة. وكانـت سـوق عكـاظ مجـالاً لإطـلاق الألقـاب والأوصـاف علـى الأفـراد والقبائـل، ويعتبـر مـا يحـدث في هـذه السـوق مصـدر أمثـال وعبـرة. وقـد تعلـن فيهـا مظاهـر الحـزن؛ إذ تُرفـع فيهـا رايـات الحـزن؛ كلمـا نكبـت قبيلـة؛ وهـذا مـا فعلتـه قريـش؛ بعـد غـزوة بـدر. كمـا تُقـام فيهـا مباريـات الفروسيـة والسبـاق، والمنافسـات الشعريـة، وغيرهـا.

[2] الحكمان هما: أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص. إذ كلفا بالتحكيم بين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان في حرب صفين.

[3] التركمـان يسمـون أيضـاً ((الغز))؛ وهـم شعـب تـركي؛ مواطنـه هي: آسيـا الوسطى، وتوركمنستـان، وأذربيجـان، وكازاخستـان، وأوزبكستـان، وقيرغيزستـان؛ وفي بعض المقاطعـات مـن الصيـن المعروفـة بتركستـان الشرقيـة وبعض المقاطعـات أيضـاً مـن أفغانستـان، وفي شمـال شـرق إيـران، بالإضافـة إلى شمـال العراق وبعض الأنحـاء المتفرقـة مـن سوريـا ولبنـان وفلسطيـن. ويجتمعون علـى التكلم باللغـة التركمانيـة.

[4] إحالـة إلى قولـه تعـالى: [غُلِبَـتِ الـرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُـمْ مِـنْ بَعْـدِ غَلَبِهِـمْ سَيَغْلِبُـونَ].

[5] مـا بيـن الحاصرتيـن سقـط في المخطوطيـن.

صحيفــة تزَكِّيـــك، [وما كانت فراستنا لتخيب فيك][1].
فماذا تستقري من اللوح، وترى في ذلك الروح، بعيشك [ألا ما أمتعتنا][2] بالإفشاء والبوح. فرجع في البحث أدراجه، وطالع كواكبه وأبراجه، وظل[3] على مادة الطحن، يرقم ويرمق، ويفتق ويرتق.

ثم جعل يبتسم، وقال: أحلف بالله وأقسم، لقد استقام النسم، وإنه لكما أرسم وأسم، وإني لا أجده إلا لاغباً مبهوراً، ومنكوداً مقهوراً؛ ولن يلبث إلا شهوراً، قد أفل طالع جده، وفل حده وأتي عليه نقي خده، وصبيٌّ لم يملك أبوه وملك جده. فقلنا صرحت وأوضحت، وشهرت هذا المستور وفصحت وإن ساعدك قدر، وكان لك عن هذا الورود صدر، فحظك مبتدر؛ وخطك[4] صاف لا يشوبه كدر؛ فقال هذا أمر قد آن أو كان، وسيأتيكم الخبر الآن؛ فانفصلنا وأصغينا الآذان، وجعلنا نتلقى الركبان، فلم يرعنا إلاّ النّعمى الناجمة،

[1] في الإسكوريال، والزيتونة: ((وما كانت فراسة ـ فراستنا لتنام فيك)).
[2] في الإسكوريال: ((ألا ما أمعنت)).
[3] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال والزيتونة.
[4] في ج: ((ولحظك)).

والبشرى الهاجمة بما بان، فأدهنا في شأنه، ولم يكن يعاوده خوف طغيانه، فإذا الخبر لم يخط صماخه، وكأنما كان عوداً وافى مناخه، أو طايراً أم أفراخه.

فلم ينشب أن أقبل يَصْمُد نحونا أي صمد، ويتعرضنا على عمد، تعرض الجوزاء للنجوم؛ [وينقض انقضاض نيازك النجوم][1]، وقال ألم يأن أن تدينوا لي بالإكبار، وتعلموا أني من الجهابذة الكبار، فقلنا منك الإسجاح[2]، فقد ملكت ومنك ولك النجاح، أية سلكت. فأطرق زهواً، وأعرض عنا لهواً، وقال اعلموا أن القرعة لو طوت أسرارها، ومنعتني[3] أخبارها، لمزقت صدراها، وذروت غبارها، ولكان لي عنها أوسع منتدح، وأنجد زناد يقدح، أين أنتم عن رصدي الأحلاك[4]؟ وعلمي بالأفلاك؟ أنا في مرج الموج، وأوج الأوج، والمتفرد بعلم الفرد والزوج، ومسترط السرطان، ومستدير الدبران،

---

[1] في المخطوطين: ((وانقض انقضاض المارد المرحوم)).
[2] يقال: سجحت الحمامة: أي سجعت. وسجح سجحاً، وسجح له بكلام: عرّض له به.
[3] في المخطوطين: ((غيبتني)).
[4] أي المواضع ذات السود الشديد؛ ربما يقصد السماء في الليل المظلم.

وبايـع المشتـري[1] بالميـزان[2]، والقابـض بيـوم[3] الحساب والعمل، على روق الثور وذنب الحمل، [أعقد نصل العقرب][4]، وأقيد الأبعد والأقرب، لصيد أوابدها بالدَّقايق والدَّرَج، [حتى اضطر سارحها إلى الحرج، وأصبحها في أضيق منعرج][5]. [أنا استذكرت بالأنبار فرحة الإقبال وترحة الإدبار][6]، وطالعت **إقليدس**[7]، فاستنبطته،

[1] المشتري: هو كوكب ضخم؛ بل يعد من أكبر الكواكب المتواجدة في المجموعة الشمسية؛ وهو خامس كوكب من حيث البعد عن الشمس.
[2] الميزان: هو أحد الأبراج الفلكية؛ وهي: الحمل (21 مارس - 19 أفريل)، والثور (20 أفريل - 20 مارس)، الجوزاء (21 ماي - 21 جوان)، والسرطان (22 جوان - 22 جوييه)، والأسد (23 جوييه - 22 أوت)، والعذراء (23 أوت - 22 سبتمبر)، الميزان (23 سبتمبر - 23 أكتوبر)، والعقرب (24 أكتوبر - 21 نوفمبر)، والقوس (22 نوفمبر - 21 ديسمبر)، والجدي (22 ديسمبر - 19 جانفي)، الدلو (20 جانفي - 18 ففرييه)، والحوت (19 ففرييه - 20 مارس).
[3] في الإسكوريال: ((بيد)).
[4] في الإسكوريال: ((عندي نعل العقرب)).
[5] في المخطوطين: ((واضطر من هاهنا إلى الحرج، وأجمعهم في ضيق المنعرج)).
[6] في الإسكوريال: ((أنا استدركت بالأنبار، حركة الإقبال والإدبار)).
[7] يسمى إقليدس أو أقليد؛ ولد في حدود سنة 325 ق.م. وتوفي حوالي سنة 265 ق.م). هو عالم في الرياضيات يوناني الأصل؛ ولكنه عاش في مدينة الإسكندرية. وقد اعتبر المؤسس الأول للهندسة الرياضية. له كتاب جامع شهير يسمى أصول الهندسة؛ ويتألف من ثلاثة عشر سفراً؛ تبحث في الهندسة المستوية، ونظرية الأعداد الأولية.

وصارعت **المجسطي**[1] فجسطنته، وارتمطت إلى الأرتماطيقي[2]، [وأطقت الألوطيقي][3]، ولحظت التحليل بحل بحل ما عقده، وانتضيته ما مطل به الجهابذة، فنفذه. وعاينت[4] زحل[5]، حين استقل على بعيره[6] ورحل، وضايقته في ساحته، وحصرته في مساحته، وحضرت قرانه، وشهدت تقدمه ومرانه، وشاهدته [شفراً بشفر][7]، وناجاني برقاً يعد في الكفر، وتخريبه لُمُلْكِ الصُّفْر، [

---

[1] المجسطي: هو أقدم كتاب وجد في الفلك؛ بالإضافة إلى كونة يعالج علم الرياضيات. ألفه العالم الإغريقي بطليموس سنة **148**م بالإسكندرية. وسماه باليونانية ((ماثماتيكا سينتاكسيس)). وتعني: ((الأطروحة الرياضية))، ترجم هذا الكتاب للعربية حنين بن إسحاق؛ وهو الذي أعطاه اسم ((المجسطي)). ومن ثمة نقل من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية؛ وبعدها إلى بقية اللغات الأوروبية؛ وعلى هذا فقد ظل اسم الكتاب العربي هو المستعمل في التراجم كلها؛ حيث يسمى كتاب (**Almagest**)؛ مشتقاً من كلمة المجسطي العربية.

[2] هو علم الأرتماطيقي؛ يبحث هذا العلم خواص خواص العدد؛ من حيث تأليفه؛ سواء على التوالي، أو بالتضعيف.

[3] سقطت هذه العبارة في ج.

[4] في الإسكوريال: ((أنا عادلت)).

[5] زحل هو كوكب يحتل المرتبة السادسة من الشمس؛ كما أنه هو الثاني الثاني من الكبر في النظام الشمسي؛ وذلك بعد المشتري. يصنف زحل من الكواكب الغازية؛ مثله مثل المشتري، وأورانوس، ونيبتون. والكواكب الأربعة المذكرة تدعى معاً الكواكب الجوفيانية؛ أي أشباه المشتري.

[6] في ج: ((رحيله)).

[7] في المخطوطين: ((شبرا وشبر ـ شبرا بشبر)).

وتفريقه **لبلاد اللطينة**][1] وإنجاز الوعد في فتح **قسنطينة**[2]. أنا عقدت رشا الدلو، وذروت غبار الحوت للفلو. أنا اقتدحت [سقط الجَوْزَهَرْ][3]، فلاح بعد خفايه وظهر. أنا استشرت[4] الهلال من مكامن ســرره، [وأخذت عليه ثنايا ثنايا سفره][5]، وقددت قلامته من ظفره، ودللت طير الصَّاير على شجره، فجنيت المرّ من ثمره، أنا طرقت الزهرة[6] في خدرها، وصافحتها من الفكرة بيد لم تدرها. تدرها. أنا أذكيت على ذكاء فظلت تلتهب؛ وأحرزتها من الوهم شطنا [أجذبها به فتنجذب][7]. أنا أنعى للمعتبرين حياتها، [فيشبهون الحسنة، ويتحرون أوقاتها، حتى تنتشر

---

[1] **في الإسكوريال: ((وتقريه لبلادهم طينة)). ويقصد بلاد اللاتين؛ أي بلاد التي تخضع لحكم رومة؛ ويتكلم أهلها لغات مشتقة من اللغة اللاتينية.**

[2] **لا يبدو أنه يقصد قسنطينة الموجود في المغرب الأوسط؛ بل يقصد القسطنطينية؛ حاضرة بلاد الروم البيزنطيين؛ المعروفة الآن بإسطنبول.**

[3] **في المخطوطين: ((زند جوزانه - الجوزاء)). وما ورد أعلاه أصح. والجوزهر: مصطلح فلكي فارسي؛ وهو كوزجهر أي صورة الجوز؛ ويمثل النقطتان اللتان تتقاطع عليهما الدائرتان من الأفلاك؛ وتسميان: العقدتين. ويقول آخرون أنه: كوي جهر؛ أي صورة الكرة.**

[4] **في المخطوطين: ((استخرجت)).**

[5] **سقطت هذه العبارة في ج.**

[6] **الزُهرة: هي فينيس (Venus)؛ ثاني كوكب من حيث قربه إلى الشمس؛ الشمس؛ وهو من الكواكب الترابية مثل: عطارد والمريخ؛ قريب الشبه من كوكب الأرض؛ سواء من حيث الحجم أو التركيب عموماً.**

[7] **في المخطوطين: حتى جرت جرى المهذب)).**

بعد الطيّ حياتها[1]، وتستقيل من العثار آياتها. أنا انتضيت للشباب شرخاً، وأضرمت للمريخ[2] عقاراً ومرخاً، حتى أتغانى بملاحم حروبه، وحوادث طلوعه وغروبه، وتلمظه إلى النجيع، وولوغه في مهجة البطل السجيع. أنا أبرى من اللّمم[3]، وأشفى من الصَّمم، وأنقل العطس إلى الشمم.

فقلنا: أما الأولى، فقد سلمنا لك جميعها، وأما هذه الثلاثة فلن تستطيعها. قال فلم تعجزون ولا تستخزون؟ فقلنا من كان له علاج فبنفسه يبدأ، ونَغَب بغيره. ولسنا نريدك، ولكن تهتزُّ يدُك. قال أما من بينهم رَوِي، وألقى في روعه ما ألقى في روعي، فمثله كالصَّارم، حسنه في فِرِنْده، لا غمده، وجماله في حدّه لا في خدّه، والمرء كما قيل بأصغريه[4]، لا بمنخريه،

[1] وردت هذه العبارة في الزيتونة فقط.

[2] المريخ؛ كوكب يسمى بالاتينية مارس MARS. ويحتل المرتبة الرابعة من حيث البعد عن الشمس. كما أنه الجار الخارجي للأرض؛ وهو مصنف ضمن الكواكب الصخرية. ويعتبر من مجوعة الكواكب الشبيهة بالأرض.

[3] اللَّمَم هنا: جنون خفيف يصيب الإنسان.

[4] أي قلبه ولسانه. وصاحب هذا القول هو صبي من بني هاشم؛ حضر مع وفد من أهل الحجاز؛ لتهنئة الخليفة عمر بن عبد العزيز. فتقدم ذلك الصبي؛ وأراد الكلام؛ فقال عمر: ليتكلم من هو أسن منك؛ فقال الغلام:

والشأن في الحيزوم، لا في الخيشوم، وفي الذّكرين، لا في الأنثيين، وبعد فهو كلام ظاهره إجمال، وباطنه احتمال، وسأنبئكم [بغزارة سيله، وفجر ليله][1]. أما الأفطس فيدلي الضغنة، ويتزوج في **آل جفنه**. فإن الله أتم، جاء الولد أتم، وإن نام عرق خاله، بقي الولد بحاله. وأما الأصم، فيخرج عن الغلام، وبلا فال، ويطلب في بني السميعة بركة الإسمية والفال، فإن الله أراد، ظفر بالمراد، وجاء ابنه[2] **(أسمع من قُرَادٍ)**[3].

فأحس من بعض الحاضرين تمريضاً، وعاين طرفاً غضيضاً، [فتعكر وتشذر][4]، وطوف وحذر. وقال

يا أمير المؤمنين؛ إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه؛ فإذا منح الله عبده لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً؛ فقد استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه؛ ولو كانت من الأمور بالسن؛ لكان هاهنا من هو أحق بمجلسك منك. فقال عمر: صدقت تكلم. وثمة قول ضعيف يرى أنه حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

[1] في ج: ((بفجر سيله لا بفجر ليله)).

[2] في المخطوطين: ((الولد)).

[3] القراد؛ واحدتها: قرادة؛ وتجمع إلى: قردان؛ وهي حشرة تلتصق بالبعير. أما المثل؛ فيقصد به ـ كما يقولون ـ أن القراد يسمع صوت أخفاف الإبل على مسافة يوم من مسيرها؛ فيقصدها. وفي ذلك يقول ذو الرمة:

بأعقاره القردان هزلى كأنها * نوادر صيصاء المبيد المحطم

إذا سمعت وطء الركاب تنعشت * حشاشتها في غير لحم ولا دم

[4] في المخطوطين: ((فتكدر وتشور)).

صاحب الشريعة، سماهم بني السميعة، قوموا يا بني اللّكيعة، فقد قطعتم رزقي، وآذيتم[1] طُرُقي، وأذللتم ضربي وطَرْقي، وسددتم طوقي، وأخذتم على أفقي غربي وشرقي. [ذروني لِلَّتي هي للبلية تجني، ثم الوجد يعني، لو شَرِب نواديه إثر تجني][2].

ثم نجا بعزمته سميلاً، وأرسل بنات نعش ذيلا، وقد أفاد بما استصحب من ميامنك ليلاً [كذبني أيدك الله عند نواه][3] ولم يطلعني طلع ما نواه؛ وما ذاك إلا لمطمع لواه، ومغنم هواه فرفعت لي بعد وداعه نجوة، ورمتني بشخصه فجوة [فقلت: ما أراك إلا غائل، أورثت عنك الحبائل][4]؛ فسراك سرى قَيْن، وحديثك مَيْن، ألم تعبر دُجَيْلا، ويممت سهيلا؟ فقال طربت إلى الأصفية الصغار، وشاقني الشوق بين الطواغيت والأصفار. فقلت له: هلم إلى خط نعيده، وحظ نستفيده. فقال لولا أن تقولوا

---

[1] في ج: ((وداريتم))، وفي الزيتونة: ((وراديتم)).
[2] سقطت هذه العبارة المحصورة بين حاصرتين في ج، بينما وردت في الإسكوريال هكذا: ((ذروني للتي هي الليل يجز، ثم للوقد يعن لو شرب نواديه ترن)).
[3] سقطت هذه العبارة في ج.
[4] ما بين الحاصرتين سقط في الإسكوريال.

الساعة متى، وتطالبوني بإحياء الموتى، لما أجمعت إلى الغرب غروباً، ولأريتكم من الحذق ضروباً. ثم قال: إن لي بالحضرة أفراخاً[1]، وأما استصرخت عليها استصراخاً، وانسلخت منها انسلاخاً، وأعيا على أمره، فلم أعلم له ظعناً ولا مناخاً. فلبثت كذلك أياماً، قد اعتمّ عليّ أمره اعتياماً، ولم أعرف له إنجاداً ولا اهتماماً[2]، فإذا به وقد اضمرت عنه بأساً، ولم أطمع فيه رأساً، قد أشب لي شباباً، ولمعت صلعته شهاباً، تكتنفه صرة، وبيُمْناه قوصرة[3]. وتؤود يسراه جرّة.

فقلت له قاتلك الله. [ما أشدّ فقداتك، إلا فقدتك، وما أذكر وجداتك إلا وجدتك][4] أين أفراخك، والأم التي جذبها استصراخك. فقال الصعلوك: لو أعلم مذاهبه، تحرم مناهبه، وتحدم مراهبه. ذرني وعلاجي، أحاجي وأداجي، وأعاين وأناجي، وأتقلب في بركة دعاء

---

[1] أي أطفالاً صغاراً.
[2] في ج: ((اتهاما))، وفي الزيتونة: ((إلتهاما)).
[3] القوصرة: وعاء من القصب؛ يستعمل لحمل التمر وغيره من الفواكه والخضار.
[4] ورد من هذه الفقرة في الزيتونة ((ما أشد بفقدك إلا وما أدركها))؛ بينما سقطت كلها في ج.

الباجي[1]. فقلت له: مالك وللميت، ورحم الله من سميت. قال: لما أذن الله فالتأمت[2] الشيمة، وتمزقت عني المشيمة، هممت بالسَّــرْق، ولففــت في الخَــرْق، [وفارقت من الضيق منتداه][3]، وأفلتتني يداه؛ فحنكني السعد[4] بتمر المدينة، وسقاني من ماء البلدة الأمينة، وعوذني بدعوات متينة، فها أنا كما ترى [أتهادى واجتذب][5] وأستحــلي وأستعـــذب. فقلنـــا: لعمـــرك[6] إنـــه لفضـــل عميم، لولا الصميم، [وإنها لمنقبة][7]؛ لولا العقبة [وأثرة ملتمسة، لولا العطسة][8]. فقال: دعنا من زخاريفك، وأغضض من عنان تصاريفك.

[1] هو الإمام الحافظ القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الأندلسي. أصله من مدينة بطليوس؛ فانتقل جدّه إلى باجة؛ (وهي بلدة قريبة من إشبيلية؛ فنسب إليها. ولد في سنة ثلاث وأربعمائــة.

[2] في المخطوطين: ((بإتمام)).

[3] ورد في موضعها في الإسكوريال: ((ومثلت في منتداه)).

[4] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

[5] في ج: ((استحلى واستجذب)).

[6] في المخطوطين: ((لعمر الله)).

[7] في ج: ((ونوائل معتقبة)).

[8] سقطت هذه العبارة في ج.

البازل[1] لا يكون إلا ذميما، والليث لا يوجد إلا شميما[2] ثم [قام وحمل][3]، وابتدر وارتجل[4]:

عيشنا كله خدَعْ * فاترك اللوم عنك ودَعْ
أنا كالليث والليو * ثِ بأرسانها[5] تَرُعْ
ولها لأوجه السَّيـ * ـمه من يلقها يُرَعْ
أي حسن لمازن * بيد الدَّل يُخترعْ
أنا كالسيف حده * لا يبالي بما وقعْ
إنما الحسن للمها * ةِ وللظبي يا لَكِعْ

فقلت: تباً لك ساير اليوم، إنك لتريش وتبري، وتقد وتفري، وتحاسن وتقابح[6]، وتُهارش وتنابح، [وتحب وتحب وتتأمل، وتحسن وتغلغل][7]، وتشاعر وتراجز، وتناطح وتناجز. وأنت على هذا كله مُصِرّ[8]؛ ما جزاؤك إلا

---

[1] البازل: ما انشق وانخرم. ويطلق على من انشق نابه من الإبل.
[2] في الإسكوريال: ((ستيماً)).
[3] في المخطوطين: ((قال وأجمل)).
[4] هذه الأبيات من البحر الخفيف.
[5] في المخطوطين: ((بأساتها)). وكتبها د. طويل: ((بأرسائها)).
[6] في ج: ((وتخاشن)).
[7] وردت في المخطوطين هكذا: ((وتخب وتجب وتناقل وتخاتل ـ تحامل)).
[8] في المخطوطين: ((معجب بها ـ مغرما)).

إلا ريح فيها صِرّ. فما هو إلا أن غفلت عنه لمحة طرف، أو نفحة عرف، ثم التفت، وإذا به قد أفلس، وكأنما كان برقاً خُلِّس، ولم أدر أقام أو جلس. ومحاسنه القَطْر[1] الذي لا يعد، والأمر الذي يأخذه الحد. وكفى بهذه الرسالة دليلا على جلالة مقداره، وتدفق بحاره [وفخاره][2]؛ لما اشتملت عليه من بلاغة وبيان، وبساط حال أنت على خبره بعيان، وعلوم ذات افتنان، خلد الله عليه الرحمة، وضاعف له [المنة والنعمة][3].

[مولده

بأوايل ربيع الثاني ؛ عام خمس وستين وأربعماية][4].

---

[1] في المخطوطين: ((كالقطر)).
[2] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.
[3] في الإسكوريال: ((المنحة)).
[4] الموافق لـ 1072م. ما بين الحاصرتين سقط في ج؛ بينما كتب في الإسكوريال: ((ولد في سنة خمس وستين وأربعماية)). وجاء في معجم الصدفي: ((ومولده سنة خمس، وقيل سنة ثلاث وستين وأربعمائة)).

وفاتـه

مـن خـط الحافـظ المحـدث **أبي القاسـم ابـن بشكـوال** رحمـه الله: كـان[1] ممـن أصيـب أيـام الهـرج **بقرطبـة**، فعظـم المصـاب بـه، الشيـخ[2] الأجـل، ذو الوزارتيـن، السيـد الكامـل [الشهيـر الأثيـر][3]، الأديـب [اللّغـوي السـري][4] الكاتـب البليغ، معجـزة زمانـه [وسابـق أقرانـه][5]، ذو المحاسـن الجمـة، [الجليلـة الباهـرة][6]، والأدوات الرفيعـة الزكيـة، الطاهـرة الكاملـة، المجمـع علـى تنـاهي نباهتـه، وحمـد[7] خصالـه وفصاحتـه؛ [مـن لا يشـق غبـاره، ولا تلحـق تلحـق آثـاره، معجـزة زمانـه في صناعـة النثر والنظـم][8]، **أبـو عبـد الله بـن أبي الخصـال** [رحمـه الله تعـالى ورضـي عنـه][9]

[1] لـم يـرد هـذا النـص في النسخـة الموجـودة الآن مـن كتـاب الصلـة لابـن بشكـوال. علـى أن شيئـاً منـه ورد فيـه.
[2] في المخطوطيـن: ((الفقيـه)).
[3] أضيفـت هـذه العبـارة مـن المخطوطيـن.
[4] سقطـت هـذه العبـارة في المخطوطيـن.
[5] أضيفـت هـذه العبـارة مـن المخطوطيـن.
[6] أضيفـت هـذه العبـارة مـن المخطوطيـن.
[7] سقطـت هـذه الكلمـة في الإسكوريـال.
[8] مـا بيـن الحاصرتيـن سقـط في الإسكوريـال.
[9] سقطـت هـذه العبـارة في الإسكوريـال.

ونضر وجهه. أُلْفِيَ مقتولاً قرب [باب داره][1] بالمدينة، وقد وقد سلب ما كان عليه، بعد نهب داره، واستيصال حاله، وذهاب ماله. وذلك يوم السبت الثاني عشر من شهر ذي الحجة؛ من سنة أربعين وخمسماية[2]. فاحتمل إلى الربض الشرقي[3] بحومة الدرب؛ فغسل هنالك وكفن، وكفن، ودفن بمقبرة **ابن عباس** عصر يوم الأحد بعده، ونُعِيَ إلى النّاس وهم مشغولون بما كانوا بسبيله من الفتنة. فكثر التفجّع لفقده، والتأسّف على مصاب مثله، وأجمعوا على أنه كان آخر رجال **الأندلس** علماً وحلماً، وفهماً ومعرفة، وذكاء وحكمة ويقظة، وجلالة ونباهة، وتفنناً في العلوم. وكان له [رحمه الله][4] اهتمام بها، وتقدم في معرفتها وإتقانها. وكان رحمه الله، صاحب لغة وتاريخ[5] وحديث، وخبر وسِيَر، [ومعرفة برجال

---

[1] **في الإسكوريال: ((متر له)).**
[2] **الموافق لـ 1145م.**
[3] **يقع الربض الشرقي في الجهة الشمالية الشرقية من قرطبة؛ حيث تتواجد المدينة العتيقة؛ وعلى ضفاف منحنى نهر الوادي الكبير.**
[4] **أضيفت هذه العبارة من المخطوطين.**
[5] **أضيفت هذه الكلمة من المخطوطين.**

الحديث، مضطلعاً بها][1]، ومعرفة [بوقائع **العرب**][2] وأيام الناس، وبالنثر والنظم. وكان جزل القول، عذب اللفظ، حلو الكلام، [عذب الفكاهة][3] فصيح اللسان، بارع الخط [حسنه ومتقنه][4]. كان في ذلك كله واحد عصره. ونسيج وحده، يسلم إليه في ذلك كله، مع جمال منظره، وحسن خلقه، وكرم فعاله، ومشاركته لإخوانه. وكان مع ذلك كله [جميل التواضع، حسن المعاشرة لأهل العلم][5] مسارعاً لمهماتهم، نهاضاً بتكاليفهم، حافظاً لعهدهم، مكرماً لنبهائهم، واسع الصدر، حسن المجالسة والمحادثة، كثير المذاكرة، جم الإفادة. له تصانيف جليلة[6] نبيهة، ظهر ظهر فيها علمه وفهمه، أخذها الناس عنه مع ساير ما كان يحمله ويتقنه، عن أشياخه الذين أخذ عنهم، وسمع منهم، وقرأ عليهم[7].

---

[1] **أضيفت هذه العبارة من المخطوطين.**
[2] **أضيفت هذه العبارة من المخطوطين.**
[3] **أضيفت هذه العبارة من المخطوطين.**
[4] **أضيفت هذه العبارة من المخطوطين.**
[5] **أضيفت هذه العبارة من المخطوطين.**
[6] **في ج: ((رفيعة القدر)).**
[7] **نقل عنان هذه الفقرة من المخطوطين والإسكوريال؛ ولكنه تصرف في صياغتها.**

وقال غيره: قتل **بدرب الفرعوني** بقرب **رحبة أبان، بداخل مدينة قرطبة**، قرب **باب عبد الجبار** يوم دخلها **النصارى** مع أميرهم **ملك طليطلة**؛ يوم قيام **ابن حمدين**، واقتتاله مع **يحيى بن علي بن غانية المسوفي [** الملثم **المرابطي]**[1] يوم الأحد لثلاث عشرة مضت من ذي الحجة؛ عام أربعين وخمسمائة[2]. قتله **بربر المصامدة**[3]؛ رجالة **أهل دولة اللثام**؛ لحسن ملبسه، ولم يعرفوه، وقتلوا معه [**ابن أخته]**[4] **عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود**، وكان أنكحه إبنته، فقتلا معاً. وكان **محمد** خيرة الشيوخ، **وعبد الله** خيرة الأحداث، رحمهما الله تعالى.

***

---

[1] في المخطوطين: ((من المرابطين)).
[2] الموافق لـ 1145م.
[3] مصمودة قبيلة أمازيغية كبيرة من فرع البتر. مواطنهم بالمغرب الأقصى؛ ولهم بطون كثيرة. منها: كدميوة، وحاحة، ودكالة، ووريكة، وغمارة، وهنتاتة، وهرغة؛ وإلى هرغة ينسب محمد بن عبد الله بن تومرت؛ الشهير بلقب المهدي. باعث الدولة الموحية، والمنظر الأول فيها.
[4] ما بين الحاصرتين زائد في الإسكوريال.

محمد بن مُفَضّل

ابن مُهيب اللخمي[1]؛ يكنى أبا بكر، من أهل شِلب[2]؛ من العَليا.

حاله

قال الأستاذ **أبو جعفر بن الزبير**: كان منقبضاً عن الناس، أديباً، شاعراً، **خمّسَ عشرينيات الفازاري**، رحمه الله تعالى. وذكره **صاحب الذيل**. وقال لي شيخنا **أبو البركات**، وهو جده، أبو أبيه، ما معناه: كان شريفاً عالي الهمة، عظيم الوقار، ألوفا، صموتا، نحيف الجسم، آدم اللون، خفيف العارض، مقطب الوجه، دايم العبوس، شامخ الأنف، إلا أنه كان رجلا عالما راسخا؛ عظيم النزاهة، حافظا للمروءة، شهير الذكر، خطيباً مصقعاً، مهيباً كشهرته، قديم الرياسة، يعضد حديثه قديمه. واستقر **بألمرية**، لما تغلب العدو على بلد سلفه. ولما

---

[1] لم ترد هذه الترجم لا في ج، ولا الزيتونة؛ بينما وردت في الإسكويال فقط.

[2] هي بلدة تتواجد في البرتغال؛ في الجهة الجنوبية منها؛ وهي قريبة من المحيط؛ وتسمى عندهم Silves. وإلى هذه البلدة ينسب الشاعر الأندلسي أبو بكر بن عمار.

توفي شيخ المشايخ، **أبو إسحق بن الحجاج**[1]. تنافس الناس من البلدين، وغيرهم، في خطبة بنته. قال شيخنا **أبو البركات**؛ ومن خطّه نقلت، وكان **ابن مهيب** واحداً منهم في الإلحاح بالخطبة، متقدماً في حلبتهم، بجيوش الأشعار. ورام غلبته ذوو اليسار، من حيث كان بحمراء جيش الإعسار، فأذلهم بالمقابلة في عقر الدار، فلم يراجعوا من الغنيمة إلا بالفرار.

قلت: وجلب في هذا المعنى شعراً كثيراً، ناسب الغرض. ونال من المتغلب على **ألمرية**، على عهده، حظوة، فاستظهر به تارة على **معقل مرشانة** وتارة على الرسالة إلى الحضرة **الحفصية بتونس**. ولما آب من سفره إليها، سعى به لديه بما أوجب أن يحجر عليه التصرف، وسجنه بمنزله. فلما قصد **ألمرية الغالب بالله**[2]، مستخلصا إياها من يد الرييس **أبي عبد الله بن الرميمي**؛ ونزل

---

[1] **يقصد الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر الخزرجي؛ مؤسس دولة بني الأحمر النصرية.**

[2] **المقصود هو: محمد بن يوسف بن نصر (محمد بن الأحمر)؛ مؤسس مملكة بني نصر بغرناطة. كانت ألمرية في بداية عهده تابعة لخصمه ابن هود (المتوكل). ولما توفي هذا الأخير زحف ابن الأحمر إلى ألمرية وأحتلها، وكان عليها ـ من قبل المتوكل ـ الوزير أبو عبد الله بن الرميمي.**

بمدينتها، وحاصر قصبتها، وقع اختيار الحاصر والمحصور على تعيين **ابن مهيب**، بمحاولة الأمر، وعقد الصلح، رضى بدينه وأمانته، فعقد الصلح بينهما على أن يسلم **ابن الرميمي القصبة**، ويعان على ركوب البحر بماله وأهله وولده، فتأتى ذلك واكتسب عند **الغالب بالله**، ما شاء من عزّة وتجلة.

وقفني شيخنا **أبو البركات** على ظهير سلطاني، صدر عن **الأمير الغالب بالله**، يدل على جلالة قدره؛ نصه: ((هذا ظهير كريم، أظهر العناية الحافلة لمستوحيها ومستحقها، وأجراه من الرعاية الكاملة على الحب طرقها. أمر بإحكام أحكامه، والتزام العمل بفصوله وأقسامه، **الأمير عبد الله**[1] **محمد بن يوسف بن نصر**، نصر الله أعلامه، وأدام لإقامة قسط العدل أيامه، لوليه العلي المكانة، وصفيه المليء بأثرتَي المعرفة والديانة، الحري بما اختصه، أيده الله، من الحفظ لمرتبته السامية والصيانة. للشيخ الفقيه، الجليل، العالم، الأوحد، العلم، الأتقى

[1] **أضاف د. طويل كلمة ((بن)) من اللمحة البدرية؛ فغدت: ((الأمير أبو عبد الله محمد)).**

الأزهر، الفاضل، الخطيب الأرفع، المحدث الثقة، الراوية، الصالح، السني، الحافظ، الحافل، الماجد، السري، الطاهر، المكرم، المبرور، الكامل، **أبي بكر** ابن الشيخ الوزير الأجل، الفقيه، الحسيب، الأصيل، الأمجد، المكرم، المبرور، الأفضل، المرحوم، **أبي عمرو ابن مهيب**، أدام الله عزة جانبه، ووصل بالعلم والعمل ارتقاء مراتبه، أقام به الشواهد على اعتقاده. أنه أخلص أوليائه وداً، وأفضلهم قصداً، وأكرمهم عهداً، حين ظهرت له. أيده الله، آثار آرايه الأصيلة، وبانت في الصلاح والإصلاح، ميامن مناقبه الجميلة، ووجب له من العناية والمزيات، أتم ما توجبه معارفه، وتقتضيه مجادته وزهادته، التي لا يفند في وصفها واصف. وأعلن، بأنه دام عزه، أحق من حفظت عليه، مرتبة صدور العلماء الراسخين في العلم، وأبقيت مزية ما تميز به من التقى والورع الكافي والحلم، وبرع بصلة العناية بجانبه، لما أهلته إليه معرفته من نفع المتعلمين، وإرشاد من يسترشده في مسايل الدين من المسلمين، وأفصح بأنه أولى مخصوص بالتجلة

والتوقير، وأجدر منصوص على أن قدره لديه معتمد بالتكريم والتكبير. وأمر، أعلى الله أمره، أن يستمر له، ولزوجه الحرة الأصيلة الزكية، التقية الصالحة، المصونة المكرمة المبرورة، **عائشة** بنت الشيخ الفقيه الجليل العالم الصالح السني، الزاهد الفاضل، المرحوم المقدس الأرضى، **أبي إسحق بن الحاج**، ما اطردت به العادة لهما قديماً وحديثاً، وتضمنه الظهيران الكريمان؛ المؤرخ أحدهما بالعشر الأواخر لشوال؛ عام خمسة وثلاثين وستماية[1]؛ من صرف النظر في أعشارهما وزكواتهما إليهما، ليضعا ذلك في أحق الوجوه، ويؤديا فيه حق لله تعالى، ما مثلهما علماً وديناً من يؤديه، موكولاً ذلك لله، إلى ما لديهما، من نشر الأمانة، مصروفاً إلى نظرهما الجاري، مع العلم والديانة، وتجديد أحكام ما بأيديهما من الظهاير والأوامر القديمة والحديثة، المتضمنة تسويغ الأملاك، على اختلافها، وتباين أجناسها وأوصافها، لهما ولأعقاب أعقابهما، على التأبيد والتخليد، والمحاشاة من اللوازم،

[1] **الموافق لـ 1137م.**

والمعاوز والمغارم. وأن يطرد لشركائهما، وعمرة أملاكهما، ووكلايهما، وحواشيهما، ومن اتصل بهما، جميل العناية، وحفيل الرعاية، وموصول الحماية، الاستمرار الذي يطرد العمل به مدى الأيام، وتتوالى التمشية له، من غير انصرام على الدوام، مُوَفًّى بذلك، ما يحق لجانب الفقيه العالم، الأوحد الأسنى، **أبي بكر**، أدام الله عزته، من حظوظ الإجلال، منتهى فيه، إلى أبعد آماد العنايات الشريفة، الفسيحة المجال، مُقْضى على حق ما انفرد به من العلم، واتصف به من الديانة، اللذين أضفيا عليه ملابس البهاء والجلال. فمن وقف على هذا الظهير الكريم من الولاة والعمال، وساير ولاة الأشغال، وليتلقه بغاية الائتمار والامتثال، إن شاء الله. وكتب في الثاني عشر من ذي الحجة؛ عام ثلاثة وأربعين وستمائة))[1].

[1] **الموافق لـ 1245م.**

مشيختـه

أخذ عن **أبي العباس أحمد بن منذر الإشبيلي**، تلا عليه **بإشبيلية**، وعلى **عباس بن عطية أبي عمرو**. وروى عن **أبي محمد عبد الكبير الإشبيلي**، وصحب **أبا الحسن ابن زرقون،** وتفقه عليه. وانتقل إلى **ألمرية**. فصحب **أبا إسحق البليفيقي**[1] وأخذ عنه، وتزوج ابنته. وأجاز له **أبو عبد الله ابن هشام الشواش**، وغيره. ثم انتقل آخر عمره إلى **سبتة**.

شعره

نقلت من خط شيخنا **أبي البركات** قوله في غرض الوصية[2]:

ألَيل النوى هل من سبيل إلى فجــر

ويا قلب كم تأسى ويا دمع كم تجري

[1] **هكذا.**

[2] **البحر الطويل.**

أبى القلـــب إلا أن يهيم بحبكـــم
وأن تبرحوا إلا القليل عن الفكر
رحلت عنكـــم لا بقلبي وإنمـــا
تركت لديكم حين ودعتكم سري
أعود بدهر الوصل من حين هجركم
ورب وصال مستعاد من الهجـــر
للعباب[1] نفسي لست أنفـــق قربكم
لزهدي فيكم بل حرصت على البـــر
تقطـــع أكبـــاد عليكـــم صبابـــة
فاصبر إن الخير أجمع في الصبر
وبالقلب من لا يصلح الصبر عنهم
وإن كان خيرا فهو عنهم من الشـــر
فلولاهم ما كنت أحسب ساعـــة
فقدتكـــم فيها عيانـــاً من العمـــر

[1] **جعلها د. طويل: ((لتلعاب))؛ من أجل سلامة الوزن.**

ألا يا أخي فاسمع وصاتي[1] فإنها
لبتك[2] لعمري من أخ سالم الصدر
يحبـــك في ذات الإله ويبتـــغي
بحبـــك عند اللـــه مدخر الأجـــر
ألا إنما التوفيق كنـــت منَ أْهلـــه
مراعاة حق الله في السر والجهر
بتوحيـــده فـــي ذاتـــه وصفاتـــه
وأفعاله أيضاً وفي الندى[3] والأمر
فثابر على القرار والأثـــر الـــذي
يصح عن المختار والسادة الغـــر
وعد لـــك الخيرات عما سواها
وكن بها مستمسكا أبد الدهـــر
إذا يسلك الشيطان فجاً سوى الـــذي
سلكت ولا يلفي سبيلا إلى مكـــر

---

[1] أي وصيـتي.
[2] جعلهـا د. طويـل: ((أتَثـك)).
[3] جعلهـا د. طويـل: ((بالنـدّ))؛ مـن أجـل سلامـة الـوزن.

وفرق الأجنـــاس[1] حاشى تقيهــم
فقد ظهر الإفساد في البر والبحر
ولا تنسني واذكر أخاك بدعـــوة
فإنك منه يا أخـــي لعلى ذكـــر

قال شيخنا **أبو البركات**، ومن شعره، ومن خطه نقلت[2]:

للصالحيـــن إلى الصلاح طريق
رحبت بهم وغدت عليك تضيق
صرفوا النفوس من الهوى عن صوبهـــا
فغدت إلى طلب النجـــاة تتـــوق

منها بعد أبيات:

يا قرة العين استمـــع من ناصح
في صدره قلـــب عليك شفيـــق

[1] أضاف د. طويل كلمة ((من))؛ فأضحت: ((وفَرِّقْ من الأجناس)).
[2] البحر الكامل.

أنت الشقيــق ولادة ولذلك لـــي

روح لروحك في الخلوص شقيق

لا تخدعنـــك ترهات أحدثـــت

وخزعبلات للجهــول تـــروق

واعكف على القرآن دهرك واجتمع

فالشغـــل عنـــك لغيره تفريـــق

إن الحديـــث وفقهـــه وعلومـــه

هـــذا الـــذي للمؤمنيـــن يليـــق

واهجر بني الدنيا فإن بهجرهـــم

يتضاعف الإيمـــان والتصديـــق

والحـــق بقوم قد عنـــو بتجارة

نفقت لهـــم يـــوم القيامة ســـوق

واحفـــظ لسانك عن إذاية[1] مسلم

فسبابه قال الرســـول فســـوق

لا تبـــك هم الرزق فهو مقـــدر

والعبد طول حياتـــه مـــرزوق

---

[1] **جعلها د. طويل: ((أذيـة)).**

ولتـــرض بالرحمـــن رباً حاكماً
ودع الفضـــول فمنه ضل فريق
حلـــوا عقال عقولهـــم وتحكموا
إن التحكـــم بالعقـــول مـــروق
ولقد أتتك نصيحـــتي ولشمسهـــا
في أفق حبك يا حبيـــب شـــروق
فكن القريـــب مكانه من نفعهـــا
فمكـــان سدتهـــا إليـــك سحيـــق
واصطد بباري العزم أطيار الرضا
فأخوك غايـــة بـــازه التحليـــق
ولتجعـــل التسبيـــح شأنـــك إنه
في الصعب ممن شأنه التصفيق
واقنع بعلم الـــوحي علمـــاً ثم لا
يذهـــب بك التشقيـــق والتوفيـــق
لا ترض فيـــه بالدنية ولْتَمُـــتْ
عطشاً إذا لم تسق منه رحيـــق

ما كل علم يهتــدى بحصولـــه
منه الركيـــك نعــم ومنه رقيق
كمدارك الأصوات منها طيـــب
تسلو النفــوس به ومنه نهيــق
وعليكـــم مـــني تحيـــة من لـــه
قلـــب إليكـــم أجمعـــه[1] مشـــوق

وقال: ألفيت بخطه ما نصه، وكان بعض السفهاء قد كتب إلي بيتين من شعر؛ وهما[2]:

إليك أبا بكـــر رفعت وسيلـــتي
ومثلـــك من تلقى إليه الوسائـــل
غرقت ببحر الذل يوما وليس لي
بأرضكم إلا اهتمامـــك ساحـــل

[1] جعلها د. طويل: ((أجمعين))؛ لسلامة الوزن.
[2] البحر الطويل.

وأساء المحاولة في دفعها، فصرفته، ولم أقف عليهما، فضرب عليهما، وكتب في ظهرهما[1]:

حللـــت أبا بكر بموطـــن عــزة
فأنسيت ما قد كنت فيه من الذل
وأصلـــك من كبر وكن متكبـــراً
وكيف يطيب الفرع من ذلك الأصل

وكتبت إليه صحبة دراهم وجهت بها إليه[2]:

جفــوت وما زال الجفا[3] سجيـــة
لمثلـــك ما إن زال تبلى بها مثل[4]
وما قلت في أصـــلي فكذبة فاجر
رأى الفرع محموداً فعاب على الأصـــل
وبالإفــك ما عثرت لا بحقيقـــة
فما الكبر من شأنـــي ولا كنت فـــي ذل

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] البحـر الطويـل.
[3] أضـاف د. طويـل الهمـزة؛ فأصبحـت: ((الجفـاء))؛ مـن أجـل سلامـة الـوزن.
[4] جعلهـا د. طويـل: ((مثـلي)).

وما زلت واللــه الحميد مكرماً

وفي نائبات الدهر للعقد والحــل

ولو كنت من يتقي الله لم تكــن

تمد[1] متى تسخط وعند الرضا تحــل[2]

أما قلت أني ساحل لــك عندمــا

غرقت ببحر الذل في زمن المحــل

وكيف نسخت المدح بالذم قبل أن

تبث لي الشكوى وتدلي بما تدل[3]

ولكن لــؤم الطبــع يحمل أهلــه

على الصعب من سب الكرام أوالنيل

إن[4] كان بعــض الكبر نقصا فإنه

عليك من الأوغاد يحسب في الفصل

وما الذل إلا ما أتى بك نحونــا

فقيراً من التقوى سليباً من العقل

---

[1] جعلها د. طويل: ((تمر)).
[2] جعلها د. طويل: ((تحلي)).
[3] جعلها د. طويل: ((تدلي)).
[4] جعلها د. طويل: ((إذا)).

ومطلوبك الدنيا فخذها خسيســـة
تـوافي خسيس النفس والقول والفعل
وما الجود إلا ما أصبت مكانـــه
ومهما فقدت الأصل لا عار في البخـــل
ومثلك من يُجفي ويقلب خاسئــاً
فلست لإسداء الصنيعة بالأهـــل
ولكنـــني عـــودت نفسي عـــادة
من البذل لم أعدل بها قط عن نـــذل
فخذهـــا لحـــاك الله غير مبارك
لسعيك فيها يا بن خانيـــة النعـــل
ومثلي من يُوذَى فيحتمل الأذى
ولكنه قد يـــدر[1] الجهل بالجهـــل
وقد قال من لا شـــك في قولـــه
من الحكما القتـــل أذهب للقتـــل[2]

---

[1] **جعلها د. طويل: ((يدرأ))؛ لسلامة الوزن والمعنى.**
[2] **جعل د. طويل هذا البيت هكذا:**
((وقد قال من لا شك في قوله من حكـ * ـمة إنما القتل أذهب للقتل)).

فإن زدتنا زدنا وإن كنت نادماً
قبلناك أخذاً في أمـــورك بالعدل
ففي كل شيء لست عنك مقصراً
بما شئت من قطع وما شئت من وصـــل

قال الشيخ: قول الهاجي، وأصلك من كبر؛ معناه التعريض؛ يكون سلف **أبي بكر بن مهيب**، علواً في أنفسهم وتكبروا، فثاروا بسبب ذلك **بطبيرة**[1] وجهاتها، ثار منهم **عبد الرحمن** جد **أبي بكر**، ثم **حسن**، ثم **عامر** أخوه، وإلى هذا أشار **أبو بكر بن مهيب** بقوله في بعض شعره[2]:

((إن لم أكن ملكـــاً فكنـــت ريِّســـاً))

---

[1] **وهي في غرب الأندلس؛ وفي جنوب البرتغال بالتحديد؛ مطلة على المحيط؛ عند مصب نهر وادي يانة؛ وتسمى عندهم Tavera.**
[2] **البحر الكامل.**

وأنشد في **الصلة الزبيرية**[1]؛ قوله رحمه الله[2]:

أمـــلي من الدنيا المباحة كسرة
أبقي بهـــا رمقي ودار نابيـــة
قد أضرب الزمان عن سكانهـــا
فكأنهـــا في القفـــر دار خاليـــة

ومن شعره في المقطوعات[3]:

ترحـــل صبري والولوع مقيـــم
وصح اشتيـــاقي والسلو سقيـــم
فيا ليت شعري هل أفوز بعطف من
زينـــت خدي ورداً عليه أقـــوم[4]
ويا جنة قد حيـــل بيني بينهـــا
بقلـــبي من شـــوقي إليك جحيم

---

[1] المقصود بالزبيرية نسبة إلى أحمد بن الزبير صاحب كتاب صلة الصلة.
[2] البحر الكامل.
[3] البحر الطويل.
[4] هذا العجز مضطرب المعنى ومختل الوزن.

دخوله غرناطة

قال الشيخ: دخل **غرناطة** مرتين؛ أخبرني بذلك الشيخ القاضي **أبو الحسن ابن عبيدة**، وهو بصير بأخباره، إذ هو من أصحاب سلفه، وممن رافق جده في الكتب عن بعض الأمراء مدة، وفي الخطابة **بألمرية** أخرى.

وفاته

توفي: **بسبتة**؛ أول ليلة من جمادى الآخرة؛ عام خمسة وأربعين وستماية[1].

***

[1] **الموافق لـ 1247م.**

محمد بن عبد الله

ابن داود بن خطاب الغافقي[1]

حالـه

من **صلة ابن الزبير**: كان كاتباً بارعاً، شاعراً مجيداً، له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام، وغير ذلك، مع نباهة وحسن فهم، [ذو فضل وتعقل][2] وحسن سمت. وورد على **غرناطة**، واستعمل في الكتابة السلطانية مدة، وكان معلوم[3] القدر، معظماً عند الكافة[4]. ثم إنه رجع إلى **مرسية**، وقد ساءت أحوالها، فأقام بها مدة، ثم انفصل عنها، [وقد اشتدت أحوالها][5]، واستقر **بالعدوة** بعد مكابدة[6].

---

[1] ورد ذكره في: العبر، وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ونظم الدر والعقيان (مخطوط المكتبة الوطنية بباريس).

[2] في ج: ((ذا نباهة)).

[3] في المخطوطين: ((عظيم)).

[4] في الإسكوريال: ((صنفه)).

[5] سقطت هذه العبارة في المخطوطين.

[6] قال ابن مريم في كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: ((نزيل تلمسان؛ من أهل مرسيه. كان من أبرع الكتاب خطاً وأدباً وشعراً؛ ومن أعرف الفقهاء بأصول الفقه. كتب بغرناطة عن ملوكها؛ وقفل إلى مرسيه؛ وقد اختلت أمورها؛ فارتحل إلى تلمسان؛ وكتب بها

قلت: أخبرني شيخنا **أبو الحسن الجياب**[1] رحمه الله، قال: كان شَكِس[2] الأخلاق، متقاطباً، زاهياً[3] بنفسه. ابتدأ يوماً كتاباً مُصَدَّراً بخطبته، فقال فيه يصف صحابة **رسول الله** صلى الله عليه وسلم ((عفوة العفوة))[4]، وتركه لأمر عرض له؛ فنظر إليه الفقيه **عمر اللّوشي**؛ وهو كاتب المقام السلطاني؛ فظن لقصوره أنه وَهَمَ، وأراد ((الصفوة))؛ فأصلحه؛ فلما عاد ونظر إليه مزقه، وكسر الآلة، وقال: لا أقيم بموضع [بلغ فيه الجهل إلى هذا القدر][5]، ويُتَسَوَّر به الإصلاح، على قلم يطمع بعد في مقامه. وانصرف، واستقر **بتلمسان**[6]، كاتباً عن

عن أمير المؤمنين يغمراسن بن زيان؛ وتوفي سنة 636 ست وثلاثين وستمائة؛ رحمه الله)). ص: 227.

[1] هو الكاتب العالم الوزير أبو الحسن بن الجياب الأندلسي توفي سنة 749هـ/1348م. أستاذ لسان الدين بن الخطيب ورئيسه في العمل. وضع له ترجمة في الإحاطة.

[2] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((شكه)).

[3] في الإسكوريال: ((ذاهباً)).

[4] أي خيرة الخيرة. وكتبت في المخطوطين: ((صفوة الصفوة)).

[5] في الإسكوريال: ((يحصل فيه هذا الغدر)).

[6] ذكره العلامة عبد الرحمن بن خلدون؛ فقال: ((ووفد عليه [أي يغمراسن] لأول دولته ابن وضاح؛ إثر دولة الموحدين؛ أجاز البحر مع جالية المسلمين من شرق الأندلس؛ فآثره، وقرب مجلسه، وأحلّه من الخلة والشورى بمكان اصطفاه له. ووفد في جملته أبو بكر بن خطاب؛ المبايع لأخيه بمرسيه. وكان مرسلاً بليغاً، وكاتباً مجيداً، وشاعراً محسناً.

سلطانها **أبي يحيى يغمراسن**[1] **بن زيان**. وزعموا أن **المستنصر أبا عبد الله ابن الأمير أبي زكريا**، استقدمه على عادته في استدعاء الكتاب المشاهير، والعلماء[2]؛ وبعث إليه ألف دينار من الذهب العين؛ فاعتذر ورد عليه المال. وكانت، أشقّ ما مرّ على **المستنصر**، [وظَهَرَ له عُلُوُّ شأنه][3]، وبعد همّته.

مشيختـه

روى[4] عن القاضيين: **أبي عيسى بن أبي السداد، وأبي بكر بن مُحْرِز**، وعن الأستاذ **أبي بكر محمد بن**

فاستكتبه؛ وصدر عنه من الرسائل في خطاب خلفاء الموحدين بمراكش وتونس ـ في عهود بيعاتهم ـ ما تنوقل وحفظ)). العبر، مج: 7، ص: 163.

[1] في الإسكوريال: ((يغمور)).

[2] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.

[3] في الإسكوريال والزيتونة: ((لأجل بأوه)).

[4] أورد يحيى بن خلدون ـ أيضاً ـ أسماء الذين روى عنهم ابن خطاب؛ فقال: ((ومحمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي أبو بكر؛ نزيل تلمسان؛ من أهل مرسية. روى عن أبي جهور، وأبي بكر بن محرز، وأبي بكر الغافقي، وأبي علي الحسن بن عبد الرحمن الرفاء، وأبي عيسى محمد بن محمد بن أبي السداد، وأبي المطرف بن عميرة؛ وغيرهم. وأجازه أبو الربيع بن سالم)). بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد؛ ج: 1، ص: 129.

محمد المعروف بالقرشي، وقرأ وسمع على هـؤلاء ببلـده، [وأجاز له كتابة **أبو الربيع بن سالم** وغيره][1].

شعـره

من ذلك قوله[2]:

أقنع بما أوتيتــه تنــل الغــنى
وإذا دهتـــك ملمــة فتصبــر
واعلم بأن الــرزق مقسوم فلــو
رمنــا زيــادة ذرة لــم نقــدر
والله أرحــم بالعبــاد فلا تسـل
أحداً تعــش عيش الكرام وتؤجر
وإذا سخطــت لبؤس حالك مرة
ورأيت نفسك [قد غوت فلتبصر][3]
وانظر [إلى من كان دونك][4] تذّكر
لعظيم نعمتــه عليــك وتشكــر

---

[1] سقطت هذه العبارة في ج.
[2] البحر الكامل.
[3] في المخطوطين: ((قد ثبت فاستغفر)).
[4] نفسهما: ((إلى من دون حالك)).

[وممـا قالـه فـي صبـاه[1]:

يـــا دعــــــوة شـــــــاك[2]
ما قد دهـــاه من لحـــاظ رشـــاك
ظبي تصدى للقلـــوب يصيدهـــا
من ناظريه في ســـلاح شـــــاك
ورمى وإن قالوا رنا عن فاتـــر
ســـاج عليـــه سيـــم[3] النســـاك
قد كنـــت أحـــذر بطشه لو أنني
أبصـــرت منه مخايـــل الفتـــاك
أو ما عليـــه ولا عليـــه حاكـــم
يحمي ثغورك أو يحوط حمـــاك
أو ما لجـــارك ذمـــة مرعيـــة
أبذا يظـــل دم الغريـــب طـــلاك

[1] البحـر الكامـل. واعتبـاراً مـن الحاصـرة الـتي فتحـت هنـا؛ وحـتى البيـت الأخيـر مـن المقطوعـة السينيـة الآتيـة؛ حيـث تقفـل الحاصـرة الثانيـة؛ كـل هـذا الشعـر المحصـور بينهمـا وارد فـي الإسكوريـال؛ بينمـا سقـط فـي المخطوطيـن.
[2] هـذا الشطـر غيـر سليـم فـي الـوزن، وقاصـر فـي المعنـى. كمـا أن بعـض الأبيـات فـي القصيـدة انتابهـا بعـض الخلـل؛ لـذا فقـد تـم الاعتمـاد علـى مـا صوبـه د. طويـل.
[3] جعلهـا د. طويـل: ((سيمـة))؛ مـن أجـل سلامـة الـوزن.

إني استنمــــت إلى ظلالك ضلة
فإذا ظبــاؤك ماضيات ظبـــاك
ما لي أخاطب بانة ما أن تـــعي
قـــولا ولا تـــرثي لدمعة بـــاك
أكريمـــة الحييــن هـــل لمتيـــم
رحمَى لديك فأرتجي رحمـــاك
أصبتني بعد المشيب وليس من
عـــذر لمن لـــم يصبــه ثـــراك
ولولا[1] ما جذبـــت عناني لوعة
واللـــه يشهـــد أنـــني لـــولاك
لما دعـــا داعي هـــواك أجبته
من لا يجيب إذا دعت عينـــاك
أصليتـــني نـــار الصدود وإنني
راض بأن أصــــلى ولا أســـلاك

[1] جعلها د. طويل: ((لـولاك))؛ لسلامـة الـوزن.

وأبحت ما منع التشرع من دمي
باللـــه مـــن أفتـــاك قتل فتـــاك
وتركـــت قلبي طايراً متخبطـــا
شباك[1] ختلـــك أو بطعن سبـــاك
ومنعت أجفـــاني لذيـــذ منامهـــا
كي لا يتيح لي الكـــرى لقيـــاك
ولقد عجبـــت وأنت جد بخيلـــة
أن[2] أعرت الشمس بعض حلاك
إني لأيـــأس من وصلك تـــارة
لكـــن أعلـــل مطمـــعي بعـــلاك
أسماك أنك قد خفضت مكانـــتي
هـــلا خلعـــت علي من سيمـــاك
إنـــي مُعنَّـــاك المتيـــم فليكـــن
حـــظي لديـــك مناسبـــاً مغنـــاك

[1] جعلها د. طويل: ((بشباك))؛ لسلامة الوزن.
[2] جعلها د. طويل: ((كأن))؛ لسلامة الوزن.

تثـــني معاطفـــك الصبا خوطية
وكذا الصبا فصباك مثل حمـــاك
أبعدتنـــي منها بطعنـــة رامـــح
ألذاك سمَّتْـــك الـــورى بسمـــاك
أأموت من عطش وثغرك مورد
فيه الحياة استـــودعتهـــا فـــاك
هلا تـــني عـــن حلـــوة فلِعِلَّـــة
وضعت أداة النفي في اسم لماك

وقال يجيب **أبا عبد الله بن خميس** رحمه الله، عن قصيدة بعث بها إليه أولها[1]:

رد في حدايـــق مايهـــا مرتـــاد
قد لـــذ مـــورود وطـــاب مـــراد
زرق الأسنة دون زرق حمامهـــا
وظبىً كما رنت العيـــون حـــداد

[1] البحر الكامل.

هذه الأبيــات[1]:

نعـــم المـــراد لمن غـــدى يرتـــاد

مرعـــى يـــرف نباتـــه ومهـــاد

سالت على العافي جداولـــه كمـــا

صالـــت على العـــادي بـــدا ناد[2]

فشـــددت رحل مطيتي منـــه إلى

حيث السيـــادة تُبْتَـــنَى وتشـــاد

وركبت ناجيـــة مباريـــة الصبـــا

خضـــراً[3] فـــوق خضارة تعتـــاد

يغتادهـــا سكانهـــا قُلَّـــب عـــلى

من كـــان من سكانهـــا استبـــداد

عجبـــاً لهـــم أحلامهـــم عاديـــة

تمضي عليهـــم حكمهـــا أعـــواد

---

[1] البحـر الكامـل.

[2] جعـل د. طويـل هـذا الشطـر هكـذا:

((صالت على العادي ظُبًى تَنَـادُ))؛ من أجل سلامـة الوزن، واستقامـة المعنى.

[3] جعلهـا د. طويـل: ((خضـراء))؛ لسلامـة الـوزن.

خبـــر تلمسانـــاً بأنـــني[1] جيتهـــا

لمـــا دعـــاني نحوهـــا الـــرواد

وعاقتهـــا[2] سمعـــاً ولم أر حسنهـــا

إلا أنـــاســـاً حدثـــوا فـــأجـــاد[3]

ولـــرب حســـن لا ثـــواه ناظـــر

ويـــراه لا يخـــفى عليه فـــؤاد

ودخلتهـــا فدخلـــت منهـــا جنـــة

سكـــانهـــا لا تخفى ولا حيـــاد[4]

ورأيـــت فضلا باهـــرا ومكارمـــا

وعُلا تغاضـــر دونهـــا التعـــداد

أهل الروايـــة والدرايـــة والنـــدا

في نورهـــم أبـــدا لنا استمـــداد

فهم إذا سُيلـــوا بحـــار معـــارف

ولدى السكينـــة والنهى أطـــواد

---

[1] **جعلها د. طويل: ((بأني))؛ لسلامة الوزن.**

[2] **جعلها د. طويل: ((وأعاقها))؛ لسلامة الوزن.**

[3] **جعلها د. طويل: ((فأجادوا)).**

[4] **هذا الشطر مختل الوزن ومضطرب المعنى.**

درجاتهـــا ينحـــط عنها غيرهم
ومن الـــورى قتـــر ومنه وهـــاد
فأجلهـــم وأحلهـــم من مهجـــتي
بمكانـــة مـــا فوقهـــــا مـــزداد
وأود حين أخـــط أطيب ذكرهم
لـــو أن أســـود مقلـــتيّ مـــــداد

وقال يخاطبه وقد وقف على بعض قصيدة[1]:

رقت حواشي طبعك ابن خمـــيس
فهفا قريضك بي وهاج رسيسى
ولمثله يصبـــو الحليم ويمتـــري
ما للشروق به وسيـــر العيـــس
لك في البلاغة والبلاغة بعض ما
تحويـــه مـــن أثـــر محـــل رييـــسي

[1] **البحر الكامل.**

نظـــم ونثـــر لا تُبـــارى فيهمـــا

تمهدت[1] ذاك وذا بعلم الطُّـــوس][2]

وقال عند وفاته وربما نسبت لغيره[3]:

رب أنت الحليم فاغفر ذنـــوبي

ليس يغفـــو عن الذنوب[4] سواكـــا

رب ثَبِّـــت عند الســـؤال لساني

وأقمـــني على طريـــق هداكـــا

رب كـــن[5] إذا وقفـــت ذليـــلا

ناكـــسَ الرأي أستحي أن أراكـــا

رب من لي والنار قد قربت لي

[وأنا قد أبحـــت عهـــد حماكـــا][6]

---

[1] جعلها د. طويل: ((مهدت))؛ لسلامة الوزن)).

[2] إلى هنا حدود الشعر الوارد في الإسكوريال، وساقط في المخطوطين. وكل ذلك حصر بين حاصرتين.

[3] البحر الخفيف.

[4] في المخطوطين: ((الذنب)).

[5] أضاف د. طويل كلمة ((لي))؛ فأضحت: ((رب كن لي)). لسلامة الوزن، واستقامة المعنى.

[6] ورد هذا الشطر هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتب في المخطوطين كالتالي: ((وأنا تحت أحمد وحماكا))

رب مـــالي من عـــدة لمـــآلي[1]
غير أنـــي أعددت صدق رجاكا
رب أقـــررت أني[2] عبـــد ســـوء
حلمك الجـــم غـــره فعصاكـــا
رب أنـــت الجواد بالخير دومـــاً
لم تزل راحماً فهب لي رضاكا
رب إن لم أكن لفضلـــك[3] أهـــلاً
باجترايي فأنـــت أهـــل لذاكـــا

نثـره

ومـن نثره ما خاطب به صديقين لـه **بمرسية**؛ من مدينة **إشبيلية**: ((كتبته، كتب الله لكما فوزاً بالحسنى، وأجناكما من ثمرات[4] إحسانه أكثر ما يجنى. من **إشبيلية**، وحالي بحمد الله حسنة، ونفسي بحب قربكما مرتهنة، وعليّ بما لديكما من السراوة التي جبلتما على

[1] في الإسكوريـال: ((لمـا بي)).
[2] جعلهـا د. طويـل: ((أنـني))؛ لسلامـة الـوزن.
[3] في الإسكوريـال: ((لذلـك)).
[4] في المخطوطيـن: ((ثمـرة)).

فطرتهـا، [وامتزتما في الاجتلاء بغرَّتها][1]، علم لا يدخله الشك، ونسبتي إلى ودّكما الذي لبسته معلماً وتقلدته محرماً، لا يعبر عن معناها إلاّ بما لا يزال، ولا ينفك. فلنثن عنان القلم عن مداده، ونأخذ في حديث سواه. وصلنا **إشبيلية** ضحوة يوم الثلاثاء خامس ربيع الآخر، ولقينا **الإفانت**[2] على ميلين، وفزنا بما ظهر من بشره واعتنايه بقرار الخاطر، وقرة العين، ونزلنا في الأخبية خارج البلد، موضعاً[3] يعرف **بالقنب**[4]، قد تفجر عيونا، وجمع ماؤه وهواؤه من المحاسن فنونا، وعرض علينا النزول في الديار داخل المدينة، فرأينا المقام فيه[5]، أحد الأسباب المسعدة[6] على حفظ الصحة المعينة، ورغبنا عن المدينة لحرّها الوهاج، وغبارها العجاج، ومايها الأجاج. ولما ثاب

---

[1] **في المخطوطين: ((وامتزتما بقوتها)).**
[2] **يقصد الإفانتي Infante؛ لقب يطلق على ولي العهد في مملكة قشتالة. وكان صاحب النص قد زار إشبيلية في زمن احتلالها من قبل القشتاليين. إذ أنها سقطت في قبضتهم في شهر شعبان من سنة 646هـ/1248م. وغدت عاصمة لدولتهم.**
[3] **في ج: ((سيوضع)).**
[4] **يسمى بالإسبانية: El Campo؛ أي الحقل أو الميدان.**
[5] **في الإسكوريال: ((فيها))، وفي ج: ((القنب)).**
[6] **في ج: ((المساعدة)).**

من النشاط البارح، واستقل من المطي الرازح، طفت في خارجها وداخلها، ووقفت[1] على مبانيها المشيدة ومنازلها، ورأيت انسياب أراقشها[2]؛ وتقصيت آثار طريانتها[3] وبراقشها[4]؛ فشاهدت من المباني العتيقة، والمنارة[5] الأنيقة، ما يملا[6] أعين النظار، وينفسح فيه مجال مجال الاعتبار. على أني ما رأيتها إلاّ بعد ما استولى عليها الخَسف. وبان عنها الظرف ونبا عنها الطرف، فلا ترى من مغانيها إلا طللا دارسا، ولا تلمح من بدايعها[7] إلاّ محياً محياً عابسا، لكن الرائي إذا قدر وضعها الأول، وركب وهمه من مباينها ما تحلل، وتخيل في ذهنه حسنها وتمثل، تصور حسناً يدعو إلى المجون، ويُسلي عن الشجون [لولا

---

[1] في المخطوطين: ((واطلعت)).
[2] أي ألوان نقوشها. وبرقش معناه: تزين بألوان مختلفة.
[3] المقصود بها: طريانة Triana؛ وهي ضاحية إشبيلية الجميلة؛ الممتدة على الضفة الغربية من نهر الوادي الكبير.
[4] في الإسكوريال: ((وفلسها))، وفي الزيتونة: ((وعشها)).
[5] يقصد منارة الجامع الأعظم الشهيرة؛ التي شرع في بنائها أيام الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف سنة 584هـ/ 1188م، ودشنت في عهد ابنه المنصور عام 593هـ/ 1196م. وتعتبر الآن من أهم المعالم السياحية في إشبيلية؛ وتسمى عندهم La Giralda؛ أي الخيرالدا؛ بعد أن حُول ذلك المسجد إلى كنيسة، واستعملت المنارة كبرج للأجراس.
[6] في ج: ((يستميل)).
[7] في المخطوطين: ((معالمها)).

أنها عرضت لأشمط راهب؛ لما دان إلا بدن، ولا تقرب بغير قارب][1] وحسبي أن أصفها بما يقيها من القبول، وأقول إنها في البلاد بمنزلة الربيع من الفصول، ولولا أن خاطري مقسم وفكري حدّه مثلم، لقضيت من الإطناب وطراً، ولم أدع من معاهدها[2] عيناً إلاّ وصفتها ولا أثراً.

وفاتــه

توفي **بتلمسان**؛ يوم عاشوراء؛ سنة ست وثمانين وستماية[3].

***

[1] مـا بيـن الحاصرتيـن سقـط في ج.

[2] في المخطوطيـن: ((معلمهـا)).

[3] الموافـق لـ 1287م. جـاء في بغيـة الـرواد: أن وفاتـه (في عاشـوراء سنـة ست وثلاثيـن وستمائـة)). وفي البستـان في ذكـر الأوليـاء والعلمـاء بتلمسـان. ((سنـة ست وثلاثيـن وستمائـة)).

محمد بن عبد الله

ابن محمد بن لب الأمي[1]؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن الصايغ؛ بالصاد المهملة، والغين المعجمة؛ من أهل ألمرية.

حاله

من خط شيخنا **أبي البركات** في ((**الكتاب المؤتمن على أنباء أبناء الزمن**)): كان سهلا، سلس القياد، لذيذ العشرة، دمث الأخلاق، ميالا إلى الدّعة، نفورا عن النصب، يركن إلى فضل نباهة وذكاء، يحاسب بها[2] عند التحصيل والدراسة، والدؤوب على الطلب، من رجل يجري من الألحان على مضمار لطيف، ولم يكن له صوت رخيم، يساوق[3] انطباعه في التلحين، يخبر[4] ذلك بالأوتار. وحاول من ذلك بيده مع أصحابه، ما لاذ به الظرفاء منهم. واستعمل **بدار الأشراف بألمرية**، فأحكم تلك الطريقة في أقرب زمان، وجاء زمامه يروق من ذلك

---

[1] وردت هذه الترجمة في الإسكوريال؛ ولم ترد في الزيتونة ولا في ج. كما وردت أيضاً ترجمة صاحبها في الكتيبة الكامنة، وبغية الوعاة، والدرر الكامنة، ونفح الطيب.

[2] في النفح: ((بهما)).

[3] أي يجاري.

[4] في النفح: ((فجبر)).

العمل شأنه[1]. ثم نهضت به همته إلى أرفع من ذلك، فسار إلى **غرناطة**، وقرأ[2] بها **العربية** وغيرها، وانخرط في سلك نبهاء الطلبة لأدنى مدة، ثم رحل إلى **بلاد المشرق** في حدود العشرين وسبعمائة[3]، فلم يتجاوز **القاهرة** لموافقة هواها[4] علَّة؛ كان يشكوها، وأخذ في إقراء **العربية** بها، وعرف بها إلى أن صار يُدعى **بأبي عبد الله النحوي**. قال شيخنا المذكور، ورأى في صغره فارة أنثى، فقال هذه قُرَيْنَة، فَلُقِّبَ بذلك، وصار هذا اللقب أغلب[5] من اسمه ومعرفته.

وجرى ذكره في **التاج** بما نصه: لجٌّ معرفة لا يغيض[6]، وصاحب فنون يأخذ فيها ويفيض. نشأ ببلده مشمراً عن ساعد اجتهاده، وشارك[7] في قُنَنِ[8] العلم

---

[1] **في النفح: ((من شأنه)).**
[2] **نفسه: ((فقرأ)).**
[3] **الموافق لـ 1320م.**
[4] **في النفح: ((هوائها)).**
[5] **نفسه: ((أغلب عليه)).**
[6] **أي لا ينضب.**
[7] **في النفح: ((وسائراً)).**
[8] **أي في قمم العلم.**

ووهاده، حتى أينع روضه، وفهق[1] حوضه. ثم أخذ في إراحة[2] ذاته، وشام بإرقة[3] لذاته، ثم سار في البطالة سير سير الجموح، وواصل الغبوق بالصبوح، حتى قضى وطره، وسيم بطره، وركب الفلك، وخاض اللجج الحلك، واستقر **بمصر** على النعمة العريضة، على شك في قضائه الحجة العريضة[4]. وهو[5] **بمدرستها الصالحية**، نبيه المكانة، معدود في أهل العلم والديانة.

مشيخته

قرأ **بألمرية** على **المكتِّب أبي عبد الله المَيُرْقي**، وأخذ عن شيخ الجماعة **أبي الحسن بن أبي العيش**، وقرأ بالحضرة على الخطيب **أبي الحسن القيجاطي** وغيره[6]. وأخذ **بالقاهرة** عن الأستاذ **أبي حيّان**، وانتفع به وبجاهه.

---

[1] أي امتلأ حوضه.
[2] في النفح: ((راحة)).
[3] نفسه: ((بارق)).
[4] نفسه: ((في قضاء حجة الفريضة)).
[5] نفسه: ((وهو اليوم)).
[6] نفسه: ((على الخطيب أبي علي القيطاجي وطبقته)).

شعـره

قال شيخنا **أبـو البركـات**، وكـان أخـذ مـن قـرض جيـد الشعـر بالحـظ الوافـر. فمـن شعـره مـا نقلـه إلينـا الحـاج الحافظ **المُكَتِّب أبـو جعفـر بـن غصـن** ، حسبمـا قيـده عنـه **بمصـر**[1]:

بعـــد المـــزار ولوعته أشـــواق[2]
حكمـــا بفيـــض مدامع الأمـــاق
وخفوق نجدي النسيم إذا ســـرى
أذكى لهيـــب فـــؤاديَ الخفـــاق
أمعللـــي إن التواصـــل فـــي غد
من ذا الـــذي لغد فديتـــك بـــاق
إن الليالـــي سبـــق قـــد[3] أقبلـــت
وإذا تولـــت لـــم تنـــل بلحـــاق

[1] توجد هذه القصيدة أيضاً في الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب؛ وهي من البحر الكامل.
[2] في الكتيبـة، والنفـح: ((ولوعـة الأشـواق)).
[3] نفسهمـا: ((إنْ)).

فصفحٌ تمدونه على الحمى سُقِيَ الحمـــا[1]

صوب الغمـــام الواكف الرقراق

فيه[2] لذي القلـــب السليـــم وداده

قلـــب سليـــم يـــا له[3] مـــن راق

قلـــب غـــداة فراقهـــم فارقتـــه

لا كان فـــي الأيـــام يوم فـــراق[4]

يا ساريـــاً والليـــل ساج عاكف

يفتـــري للعلا بنجـــايب ونيـــاق[5]

عـــرج على مثوى النبي محمد

خير البرية ذي المنْخُل البـــراق[6]

ورســـول رب العالمين ومن له

حفـــظ العهـــود وصحة الميثاق

---

[1] ورد هذا الصدر في الكتيبة، والنفح هكذا: ((عُجْ بالمطيِّ على الحمى سُقِيَ الحِما)).
[2] في الكتيبـة: ((فبـه)).
[3] في النفـح: ((ما لـه)).
[4] سقـط هـذا البيـت في الكتيبـة الكامنـة.
[5] جـاء هـذا العجز في الكتيبـة الكامنـة، ونفـح الطيـب هكـذا: ((يفـري الفـلا بنجائـب ونيـاق)).
[6] هكذا؛ وفي الكتيبة الكامنـة: ((ذي المحل الراقي))، وفي نفح الطيب: ((ذي المقام الراقي)).

الظاهـــر الآيـــات قـــام دليلها
والطاهـــر الأخـــلاق والأعـــراق
بـــدر الهـــدى البـــادي آياتـــــه[1]
وجبينه كالشمـــس في الإشـــراق
الشافع المقبول من عَمَّ الـــورى
بالجـــــود والإرفـــاد والإرفـــاق
والصـــادق[2] المأمون أكرم مرسلٍ
ســـارت رسالتـــه إلـــى الآفـــاق
أعلى الكرام نداً وأبسطهـــم يـــداً
قبضـــت عنان المجد باستحقـــاق
وأشـــد خلـــق اللـــه إقدامـــا إذا
حمي الوطيس وشمرت عن ساق
أمضاهم والخيل تعثر في القنـــا[3]
وتجـــول سبحاً في الدم المهراق

---

[1] ورد هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا: ((بـدر الهـوى البـادي الـذي آياتـه))؛ وفي النفـح كمـا يـلي: ((بـدر الهـدى وهـو الـذي آياتـه)).
[2] في النفـح: ((الصـادق))؛ بـدو الـواو.
[3] نفسـه: ((الـوغى)).

من صير الأديان دينـــاً واحـــدا

من بعـــد إشـــراق[1] مضى ونفاق

وأحَلَّنـــا من حرمـــة الإسلام في

ظـــــل ظليـــل وارف الأوراق

لـــــو أن للبـــدر المنير كمالـــه

ما نالـــه كســـف ونكـــس محاق[2]

لـــو أن للبحرين جـــود يمينـــه

أمن السفيـــن غوايـــل الإغراق[3]

لـــو[4] أن للآبـــاء رحمـــة قلبـــه

ذابـــت نفوسهـــم[5] من الإشفـــاق

ذو العلـــم[6] والخـــفيّ المنجـــلي[7]

والجاه والشرف القديـــم البـــاق

---

[1] في الكتيبـة، والنفـح: ((إشـراك)).
[2] ورد هذا العجز في الكتيبة الكامنة هكذا: ((ما طاله كسف وكشف محاق)).
[3] في النفـح: ((الإيسـاق)).
[4] في الكتيبـة: ((أو)).
[5] نفسـه: ((قلوبهـم)).
[6] في الكتيبـة: ((ذو الحلـم والعلـم))، وفي النفـح: ((ذو الحلـم والعلـم)).
[7] وورد بقية الشطر في الكتيبة الكامنـة، ونفح الطيب هكذا: ((الخفي المنجلي)).
المنجلي)).

آياتــــه شهـــب وغـــر بنــــانـــه

سحب النـــوال تـــدر بــــالأرزاق

فاحت فيوح الأرض وهو غياثها[1]

وربت رُبَى الإيمان وهو الشاق[2]

ذو رأفـــة بالمؤمنيـــن ورحمـــة

وهُدًى وتأديب بحســـن سيـــاق

وخصـــال مجد أفردت بالخصل في

مـــرمى الفخـــار وغاية السباق

ذو المعجـــزات الغر والآي التي

كـــم آيـــة فقـــدت وهُنَّ بـــواقي

ثنـــت المعارض خيراً[3] لما حكت

فلق الصبـــاح وكان ذا إفـــلاق

يقظ الفؤاد سرى وقد هجع الورى

لمقـــام صـــدق فـــوق ظهر بـــراق

---

[1] ورد هذا الصدر في الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب هكذا: ((ماجت فتوح الأرض وهو غياثها)).

[2] في النفح: ((وهو الساقي)).

[3] نفسه: ((حائراً)).

وسمـــا وأمـــلاك السمـــا[1] تحفه

حتى تجاوزهـــن سبـــع طبـــاق

منهـا:

يا ذا الذي اتصل الرجا[2] بحبله

وانبت من هذا للورى[3] بطـــلاق

حبي إليـــك وسيلتي وذخيـــرتي

إنـــي من الأعمـــال ذو إمـــلاق

وإليـــك أعملت الرواحل ضمراً

تختـــال بين الوخـــد والإعنـــاق[4]

نُجُبـــاً إذا نَشَـــرَتْ[5] تلـــك الفـــلا

تطـــوي الفـــلا ممتدة الأعنـــاق[6]

يحـــدو بهـــن من النحيب مردد

وتقـــودهـــن أزمـــة الأشـــواق

---

[1] في النفـح: ((السمـاء)).
[2] في الكتيبـة، والنفـح: ((الرجـاء))؛ وهـو أسلـم.
[3] نفسهمـا: ((الـورى))؛ وهـو أسلـم.
[4] الوخـذ، والإعنـاق: ضـرب مـن السيـر السريـع.
[5] في النفح: ((نشدت حُلى تلك العلا)). وفي الكتيبـة: ((نشرت حلى تلك العلا)).
[6] الأعنـاق: مفردهـا عنـق: الجزء الـذي يصل الـرأس بالجسـم (الرقبـة).

غــرض إليـــه فوقنـــا[1] أسْهُمـــاً

وهـــي القِـــسِيّ برين كالأفـــواق

وأنختها[2] بفنايـــك الرحب الـــذي

وســـع الـــورى بالنايـــل الدقاق[3]

وقوّى[4] مؤملك الشفاعة في غـــد

وكـــفى بها هبـــة من الـــرزاق

وعليـــك يا خيـــر الأنام تحيـــة

تحـــيي النفوس بنشرها الفتـــاق

تتـــأرج الأرجـــاء مـــن لفحاتها[5]

أرج النـــدى بمدحك المصـــداق

منها[6]:

قسمـــاً بطيب تراب طيبة إنـــه

مسك الأنـــوف وإثمد الأحـــداق

---

[1] **في الكتيبـة: ((فُوَّقتْهـا))، وفي النفـح: ((فوَّقتنـا)).؛ وذلـك كلـه أسلـم.**
[2] **نفسهمـا: ((فأنختهـا)).**
[3] **نفسهمـا: ((الدفـاق)).**
[4] **نفسهمـا: ((وقـري)).**
[5] **نفسهمـأ: ((نفحاتهـا)).**
[6] **الأبيـات المواليـة لـم تـرد في الكتيبـة الكامنـة.**

وأثبـــار مسجده[1] الذي برحابـــه
لمعامــــــل الرحمـــن أي نفـــاق
لأجـــود فيـــه بأدمـــع أسلاكها
منظومـــــــة بترايـــب وتـــراق
أغـــدو بتقبيـــل على حصبايـــه
وعـــلى كـــرام[2] جـــدره بعنـــاق
وعليـــك ذا النوريـــن تسليم له
نور يلوح بصفحـــه المهـــراق
كفـــواً لنـــبي وكفوا على جنـــة
خيـــرت له بشهـــادة وصـــداق[3]
وعلى أب السبطين من سبق الألى
سبقوا إلى الإســـلام أي سبـــاق[4]

---

[1] في النفـح: ((وبشـأن مسجدهـا))؛ وذلـك أسلـم.
[2] نفسـه: ((وعـلى كرائـم))؛ وهـذا أسلـم.
[3] ورد هـذا البيـت في نفـح الطيـب هكـذا:
((كفـؤ النـبي وكفـؤ أعلى جنـة * حيـزت له بشهـادة وصـداق)).
[4] في النفـح: ((يـوم سبـاق)).

الطاهر الصهــر[1] ابن عم المصطفى
شرف على التعميم[2] والإطــلاق
مبدي القضا[3] من وراء حجابهــا
ومفتــح الأحكــام عن إغــلاق
يغــزو العــداة بغلظة فيعيدهــم[4]
بصوارمٍ تفــري القفار[5] رقــاق
راياتــه لا شــيء من عقيانها[6]
بمطار يوم وغُى ولا بمطــاق
وعلى كرام ستة عثرت[7] بهــم
عنــد النظــام ليــالي[8] النســاق
ما بيــن أروع ما جــد نيرانــه
جنح الظــلام تشــب للطــراق

[1] في النفـح: ((الطهـر)).
[2] نفسـه: ((علـى التخصيـص)).
[3] نفسـه: ((مبـدي القضايـا))؛ وهـذا أسلـم.
[4] نفسـه: ((فيهدّهـم)).
[5] نفسـه: ((الفقـار)).
[6] نفسـه: ((عقبانـهـا)).
[7] نفسـه: ((عشـرت)).
[8] نفسـه: ((لآلـئ)).

وأخي حروب صده رشف[1] القنا
عمـــا قـــدود مثلهـــن رقـــاق
ما غردت شجواً مطوقـــة ومـــا
شقت كمام روض[2] عن أطـــواق
وعلى القرابـــة والصحابة كلهم
والتـــابعيـــن لهم ليـــوم تـــلاق

ولما سنّى الله في **الروم** الوقعة المبيرة والوقيعة الشهيرة[3]، التي أجلت عن قتل مليكهم معركتها، وانتهت للفتح معركتها وحركتها، وعمت الإسلام بإتعاس

[1] في النفح: ((رشق)).
[2] نفسه: ((كمام الروض))؛ وهذا أسلم.
[3] يقصد المعركة التي حدثت سنة 718هـ/1318م؛ بين جيش قشتالة بقيادة كل من: الدون بيدرو، والدون خوان وصيّا الملك الصغير ألفونسو الحادي عشر؛ وجيش غرناطة بقيادة شيخ الغزاة أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء. وموقع المعركة كان على هضبة إلبيرة القريبة من غرناطة. وكان الانتصار فيها للمسلمين؛ قتل خلالها الوصيان: الدون بيدرو، والدون خوان.

فل الكفر بركتها، قدم مع الوفود من أهل بلده، وهنأ أمير المسلمين[1] بفتحه ذلك، وطلوع ولده، فقال[2]:

أمليك أم بـــدر الدجى الوضـــاح
وحســـامـــه أم بـــارق لمـــــاح
أعلى المسالـــك ما بنته يد التقى
وعمادهـــا الأعـــلام والأرمـــاح
وأحـــق من يـــدعى خليفـــة ربه
ملك خلافتـــه هـــدى ونجـــاح
كأمير أندلـــس وناصرها الـــذي
أفـــنى العـــداة حسامـــه السفاح
أسمى الملـــوك أبو الوليد المرتضى
وأعز من شـــرفت به الأمـــداح
هو دوحة الملك العـــلي فروعها
وبـــــراحتيـــه تـــرزق الأدواج

[1] المقصود هو السلطان النَّصْري أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد؛ الذي تربع على عرش غرناطة من سنة 713هـ/1313م إلى سنة 725هـ/1324م.
[2] البحر الكامل.

وبمحـــو رســـم عداتـــه بلبّاتـــه[1]
نطق الكتاب وخطــت الألــواح
بدر الكمال لوَ اْنَّ بــدراً مثلـــه
لم يبد خشيـــة نـــوره الإصبـــاح
بحر النوال لوَ اْنَّ بـــدرا مثلـــه
لارتاع خشيـــة فيضـــه المـــلاح
ولمثلـــه قـــاد الجيـــاد عـــدوه
فخبـــا له قـــدح وخـــاب قـــداح
أهـــواه شيطـــان الهوى في لجة
إن الهـــوى بـــأليفـــه طمـــاح
طمـــع الشـــقي أضلـــه وأذلـــه
كـــل المطامـــع للغبي فصـــاح
فأبادهـــم وملوكهـــم فتـــح بـــدا
وبسعـــد جـــدك ربنـــا فتـــاح

[1] جعلها د. طويل: ((بلَبَاتِـه)). مـن أجـل سلامـة الـوزن.

وفواصـــل تُبْـــرى بهن مفاصل

وصفاحٌ[1] يُفْـــرى بهـــن صفـــاح

لم تُفـــن كلهـــم سيوف الهند بل

لسيوف جودك في النفـــوس جـــراح

ما زال حيٌّ عداك يحسد ميتهم

ويحث فوتـــاً عاجـــلا فيـــراح

فاقتل كبيرهم وأحي صغيرهـــم

واسب النسا فما عليـــك جنـــاح

تستبيح[2] ما حاط العداة وما حموا

وحماك يا منصور ليس يبـــاح

يا أمَّـــة الكفران تفنيـــداً وهـــل

لجفـــون أعمى ينجلي مصباح

أتركتـــم بطرو وحيـــدا مفـــرداً[3]

يشـــدو عليـــه الطايـــر الصياح

---

[1] **جعلها د. طويل: ((وصفائح))؛ من أجل سلامة الوزن.**

[2] **جعلها د. طويل: ((تسبيح))؛ لسلامة الوزن.**

[3] **الدون بيدرو يسميه المسلمون بلسانهم: بيطرو، أو بطره؛ واسمه بالكامل ـ كما ورد في المصادر التاريخية ـ هو بطرة بن ألهنشة بن هرندة بن شانجة.**

وجـــوان يرتشـــف الندى فنديمه[1]
غربانـــه ووســـاده الصّفـــــاح
وكذلك المطران جـــاد رسومـــه
قطر المنايا الصــــارم الطفـــاح
أروسٌ أم تبيض النعام بمرجنـــا[2]
أصنافكـــم هـــذي أم الأشبـــاح
ما للمطامير اشتكت من ضيقها
بالمال والأســـرى وهن فســـاح
جارت بكـــم أبطالنـــا فكأنكـــم
كشح وجيش المسلمين وشـــاح
تبـــاً لـــرومي يهيـــم براحـــة
أيـــرام عـــن خيـــل الإله براح
قُصَّت قوادمكـــم فمـــا إقدامكـــم
ولليل[3] جنح الكفـــر تغيض جناح

---

[1] أمـا جـوان فهـو: الـدون خـوان؛ الـوصي علـى ملـك قشتالـة.
[2] جعل د. طويل هذا الشطر هكذا: ((أروؤس تبيض النعام بمرجنـا)).
[3] جعلهـا د. طويـل: ((والليـل))؛ لسلامـة الـوزن.

هــذا فلا تستعجلــوا ببلادكــم

ستـــرون كيف يكـــون الاستفتاح

قد إنثتـــت بطحاؤنا بحطامكــم

ونباتهـــا الريحـــان والتفـــــاح

تاللـــه ما كنتــم بأول عسكــر

أمــل النجــاح وحينـــه يجتاح

القـــس غركـــم ليهلـــك نسلكـــم

بسيوفنـــا إنْ إفكـــه لصـــراح

كم ذا يسخركـــم ويسخـــر منكم

غـــدراً ومكـــــراً إنـــه لوقـــاح

منهـا :

وفوارس نشـــوا[1] لنهـــب فـــراس

طلبـــوا انتشـــاو الدمـــا للـــراح[2]

أربوا على الأسد الهزبر بسالـــة

مع أنهـــم غـــر الوجوه صبـــاح

---

[1] كتبهـا د. طويـل: ((نشـأوا)).

[2] جعل د. طويـل هذا الشطر هكذا: ((طلبـوا انتشـاء للدمـا لا الـراح))؛ مـن أجـل سلامـة الـوزن.

خاضوا بحار الحرب يطمو بحرهـــا

ووطيسها حامي الصِّــلى لفاح

ما هم ببذل نفوسهـــم ونفيسهم

عن[1] النـــوال والنـــزال سجـــاح

وإذا هم ذكروا بنـــاد فانتشـــق

مسكا تضـــوع عرفـــه النفـــاح

فغدا وراح النصر يُقدم جمعهـــم

ويحفهم حيـــث اعتـــدوا أو راح[2]

سنـــاك مولانـــا بسعـــد مقبـــل

خلصاء قد عمتهـــم له أفـــراح[3]

وبنجلـــك البـــدر الـــذي آفاقـــه

ملك وهالتـــه هـــدى وصـــلاح

بدر البـــدور فلا بـــدار عليـــه

وبـــذا نـــارت[4] أربـــع وبطـــاح

---

[1] أضـاف د. طويـل الـواو؛ فغدت: ((وعن النـوال))؛ لسلامـة الـوزن.
[2] جعلهـا د. طويـل: ((أو راحـوا)).
[3] جعلهـا د. طويـل: ((عمتـهـم الأفـراح))؛ لسلامـة الـوزن.
[4] جعلهـا د. طويـل: ((أنـارت))؛ لسلامـة الـوزن.

فلكـــم عـــدو أفـــلّ بزوغـــــه[1]

خسفت به الأوجـــال والأتـــراح

وهنا ونالـــك بالأميـــر تجـــــدد

كـــــل بحبـــك نفســـه ترتـــاح

قد جــــاء بعد العسر يسرٌ شامل

قد جاء بعـــد الشـــدة الإنجـــاح

فالحمد للـــه الـــذي قد خصنـــا

ولنـــا بحمـــدك بعـــده إفصـــاح

وعلى المقام المولـــوي تحيـــة

كالزهـــر إذ تُهـــدي شذاه رياح

ما خط مدحك في الطروس محبر

ومحيي دجاجر[2] الأصيل صبـــاح

[1] أضـاف د. طويـل ((مـا)) قبـل ((أفـل))؛ فغدت: ((عـدو مـا أفـل)).
[2] جعلهـا د. طويـل: ((ومحـا دياجيـر))؛ مـن أجـل سلامـة الـوزن واستقامـة المعنى.

وقال يرثي الخطيب ببلده، الشهير الفاضل، **أبا الحسن بن شعيب** رحمه الله[1]:

بـــوادي لقد حملت ما ليس لقواه
فراق ولي شرف[2] الأرض تقـــواه
بليت بذا التفريـــق فاصبر فربما
بلغت بحســـن الصبر ما تمنـــاه[3]
شجا كل نفـــس فقد أنفس جوهر
تعد ولا تحصى كـــرام سجايـــاه
بكى كلنا حزناً عليـــه كما بـــكى
لفرقتـــه محرابــــــه ومصـــلاه
فللـــه خطـــب جليـــل لقد رمى
أجل خطيـــب بالجلالة مصمـــاه
فلولاكـــم يغلـــب تأسينا الأســـى
ولم يشمـــل الشمل التفجع لولاه

[1] **البحـر الطويـل.**
[2] **جعلهـا د. طويـل: ((ولا مـن شـرف)).**
[3] **جعلهـا د. طويـل: ((مـا تتمنــاه))؛ مـن أجـل سلامـة الـوزن.**

فلم يبق إلا من جفا جفنـــه الكرى

ومن جانبت وصل المضاجع جنبـــاه

وفاة لمريّ[1] وفي فـــوفِّي أجـــره

وأصـــفَى بإصفـــاه الإله وصافاه

أبي الحسن العدل الرضا المحسن الذي

أتتـــه بأضعاف الزيـــادة حسنـــاه

خطيـــب جلا فصل الخطاب بيانه

وأعدل قـــاض فاضل في قضاياه

وجسم الهدى الرحب السبيل وروحه

ولفظ العلى الفخر الأصيل ومعناه

مطيع رفيع خاضـــع متواضـــع

كريم حليـــم طاهـــر القلـــب أواه

متى يمشي[2] هوناً ليس إلا لمسجد

تميد[3] خجلا أرض بها حط نعلاه

---

[1] جعلها د. طويل: ((وفاء المريّ)).
[2] حذف د. طويل ((الياء)) في ((يمشي))؛ فغدت: ((يمش)).
[3] حذف د. طويل ((الياء)) في ((تميد))؛ فغدت: ((تمد)).

تكلمه عــرف وذكــر وحكمــة

تلذ بهــا الأسماع ما كان أحــلاه

كذا صمته خوف وفكر وخشيــة

فما زال يخشى الله والكل يخشــاه

يصوم وقد طال النهار مهجــراً

وتبحر بالليل للتغمــض[1] عينــاه

فكم دارس أحيــاه من أربع التقا

وكم غاسق من حندس الليل أحياه

فيا طيبا أصــلاً وذكراً وتربــة

ومنه استفــاد الطيب أطيب ريّاه

وفي حشرقــة تحن ومرتجــاً وباطنا[2]

وأمن سنى شمس الضحى من محياه

محياً يــروّي الناظريــن تهلــلاً

فتعرفــه في الصالحيــن بسيماه

---

[1] **جعلها د. طويل: ((التغمّض)).**

[2] **جعل د. طويل هذا الشطر هكذا: ((وفي حرقة تحنو ومرأى وباطناً)).**

بحبك هامـــت كل نفـــس منيبـــة

كذا من أحب اللـــه حببـــه اللـــه

فما أنعم الأرض التي بك قدست

وآثر ذياك الضريـــح وأنـــــداه

بشـــراك إنا قد شغلنـــا بحزننـــا

ورضوان بشـــراه بذلك بشـــراه

عزاً لأهليـــه الأهلـــــة أنهـــــم

لهم يعتري من بعده العز والجاه

نال شعيـــب في الزمان بـــدوره

ولم تكـــن الشمس المنيـــرة إلاه

أُعَزِّي أولي الإيمـــان كلا بفقـــده

نعـــــم وأسنيـــه بحبـــه مـــأواه

سقى الله وَسْميَّ الحيا ذلك الثرى

وغاداه صـــوب الغاديـــات وميّاه

كما قد سقاه ليلـــة الدفـــن ربـــه

من الغيث وكاف السحاب وأسخاه

ترضـــوا عن القاضي الإمام خطيبكم
فقد رضي الرحمن عنه وأرضاه
وصلـــوا على هادي الأنام نبيكم
صلاة بها يمحو المسيء خطاياه
عليك سلام الله ما الروض فـــاح إن
ســـرت سحراً ريح الصبا بخزامـــاه

وفاته

توفي رحمه الله؛ في رمضان؛ تحقيقاً من سنة خمس على شك وسبعماية[1]، أخبرني بذلك من يوثق به.

***

[1] الموافق لـ 1305م. وقد حقق عنان هذا؛ فوجد أن ابن الخطيب أخطأ في تاريخ وفاة ابن لب الأمي؛ إذ لاحظ أن ابن الخطيب سبق له أن قال ـ في أول الترجمة ـ أن المذكور قد وفد إلى غرناطة للتهنئة بالنصر الذي أحرز على النصارى؛ في المعركة التي حدثت سنة 718هـ. وبذلك يرى عنان أن وفاة ابن لب الأمي حصلت في سنة 725هـ/1324م. ومن جهة أخرى؛ فقد ورد في بغية الوعاة؛ أنه توفي سنة خمسين وسبعمائة. أما في الدرر الكامنة؛ فقد ذكر أنه توفي بفعل الطاعون الذي اجتاح البلاد سنة 749هـ.

محمد بن عبد الله

ابن الحاج البضيعة[1]؛ من أهل مالقة؛ وتردد كثيراً على الحضرة، مسترفداً ومنشداً، وفي غير ذلك من الأغراض؛ يكنى أبا عبد الله.

حاله وشعره

من **الإكليل**: شاعر اتخذ النظم بضاعة، وما ترك السعي في مذاهبه ساعة، أجرى في الملا، لا في الخلا، وجعل ذكره دلوه في الدلا، وركض في حلبة النجبا النجايب، ورمى في الخواطي بسهم صايب، فخرج بهرجه ونفق، وارتفد بسببه وارتفق. وهو الآن قد سالمته السنون، وكأنما أمن المنون، من رجل مكفوف الأذى، حسن الحالة إلا إذا، هذا قلت، ثبت هذا والمذكور حيٌّ، وقد مات رحمه الله.

---

[1] وردت هذه الترجمة في مخطوط الإسكوريال فقط.

ومن شعره[1]

رجاي[2] في المولى العظيم عظيــم
غنيــت به حيث الغــنى[3] بمديــم
وحسبي الرجا فيمن عليه معــولي
حديث حديــث لم يــزل وخديم
وما عرفت نفسي سوى باب فضلــه
عــلى ثقــة أن الكريــم كريــم
فإن قيل عني مذنب قلــت سيــدٌ
كفيــل بغفــران الذنــوب رحيــم
وما اعتصــم المملوك إلا بحبلــه
فجــانبــه نعــمى لنــا ونعيــم
رضــاه سبيــل للنجــاة وحبــه
طريق لجنّــات النّعيــم قديــــم

---

[1] **الأبيـات التاليـة مـن البحـر الطويـل.**
[2] **حولهـا د. طويـل إلى: ((رجـائي)).**
[3] **حولهـا د. طويـل إلى: ((الغنـاء)).**

وأنشد يوماً الأمير ثالث الأمراء من **بني نصر**[1] يهنيه بالملك ويعزيه[2]:

عــلى من تُنْشــر اليــوم البنــود

وتحت لــواء من تسري الجنــود

وقال [على هذا الكذا، الذي بين يديك][3]؛ فخجل، وعظم استظراف الحاضرين لذلك.

تـوفي

في كذا وسبعمائة[4].

---

[1] هو أبو عبد الله محمد بن محمد الفقيه الضرير؛ الملقب بالمخلوع؛ حكم من سنة 701هـ/1301م إلى سنة 708هـ/1308م.

[2] هذا البيت من البحر الوافر.

[3] جاءت هذه العبارة في اللمحة البدرية؛ كما يلي: ((على هذا الزبلخ الذي ترى قدامك))؛ والمقصود هو نفسه.

[4] في سنوات من 1300م.

محمد بن عبد الله

ابن فُطيس[1]؛ يكنى أبا عبد الله؛ من أهل مالقة. وقال الأستاذ[2] من بيت فطيس الألبيريين.

حالـه

قال: طبيب ماهر، وأديب شاعر؛ كان في أيام **بني حسون**[3]، يخف عليهم، وله فيهم أمداح كثيرة. يذكر أنه دخل يوماً على القاضي **أبي مروان بن حسون**، بعد انقطاع عن زيارته، فعتبه القاضي، فاعتذر، ثم أنشد:

يـا حامـلاً مـن عـلاه تاجـاً
ومـن سنـا وجهـه سراجـا
لو كـان رودي عـديل ودّي
لكنـت مـن بابـك الرتاجـا

[1] وردت هذه الترجمة في مخطوط الإسكوريال فقط.
[2] يقصد أبو جعفر بن الزبير مؤلف كتاب صلة الصلة.
[3] أي أيام قاضي مالقة أبي الحكم ابن حسون؛ الذي ثار ضد المرابطين في مالقة سنة 540هـ/1145م؛ وتلقب بلقب الإمارة؛ ولكنه فشل أمام المرابطين الذين استولوا على المدينة وقصبتها سنة 547هـ/1152م؛ فما وجد أمامه سوى الانتحار؛ فأرسل رأسه إلى مراكش.

إن لم يعـــرج عليـــك شخـــصي

نفـــسي وروحي عليـــك عاجـــا

وذكره **ابـن عسكـر**[1] فـي كتابـه.

***

[1] **هـو محمـد بـن علـي بـن الخضـر بـن هـارون المعـروف بابـن عسكـر. لـه ترجمـة في الإحاطـة.**

محمد بن عبد الرحمن

ابن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح [بن محمد بن أيوب][1]
ابن محمد بن الحكيم اللخمي[2]؛ ذو الوزارتين، يكنى أبا عبد الله؛
رندي النشأة، إشبيلي الأصل.

يرجع بيته، وبيت **بني حجاج**، وبيت **بني عباد**، إلى جُرثومة واحدة، وانتقل سلفه إلى **رندة**[3]] في دولة **بني عباد**، **ويحيى** جد والده هو المعروف **بالحكيم** لطِّبه. وقدم **ذو الوزارتين** على حضرة **غرناطة** أيام السلطان **أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر**؛ إثر قفوله من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة **أبا عبد الله بن رُشَيْد الفهري**؛ فألحقه السلطان بكتابه، وأقام يكتب له في ديوان الإنشاء، إلى أن توفي هذا السلطان، وتقلد الملك بعده ولي عهده **أبو عبد الله المخلوع**؛ فقلده الوزارة

[1] ما بين الحاصرتين؛ أضيف من الإسكوريال.
[2] توجد ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم اللخمي في نفح الطيب؛ ضمن ترجمة ابنه أبي بكر.
[3] هنا، وبعد كلمة ((رندة))؛ كتب في الإسكوريال والزيتونة العبارة التالية: ((فناهيك من أصالة، وجلالة، وكرم طعمة)). ثم يأتي الحديث عن حاله مبشرة. أما الفقرة الموالية التي تبدأ بحاصرة؛ فقد نقلت من نفح الطيب.

والكتابة، وأشرك معه في الوزارة، **أبا سلطان عبد العزيز ابن سلطان الداني**. فلما توفي **أبو سلطان**، أفرده السلطان بالوزارة، ولقبه **ذا الوزارتين**، وصار صاحب أمره، إلى أن توفي بحضرة **غرناطة** قتيلاً ـ نفعه الله تعالى ـ غدوة يوم الفطر، مستهل شوال؛ سنة ثمان وسبعمائة[1]، وذلك لتاريخ خلع سلطانه، وخلافة أخيه أمير المسلمين، **أبي الجيوش**، مكانه][2].

حالـه

[كان رحمه الله تعالى علماً في الفضيلة والسراوة، ومكارم الأخلاق؛ كريم النفس، واسع الإيثار، متين الحرمة، عالي الهمة، كاتباً بليغاً، أديباً، شاعراً، حسن الخط، يكتب خطوطاً على أنواع؛ كلها جميلة الانطباع. خطيباً، فصيح القلم، زاكي الشيم، مؤثراً لأهل العلم والأدب، براً بأهل الفضل والحسب، نفقت بمدته للفضائل

---

[1] **الموافق لـ 1308م.**

[2] **هنا تقفل الحاصرة المذكورة أعلاه؛ وهي التي تشمل الفقرة المنقولة من نفح الطيب. وبالمقابل فهذه الفقرة ساقطة في الزيتونة، والإسكوريال.**

أسواق، وأشرقت بإمداده للفضائل آفاق ‌I[1]. ومن **عائد الصلة**: كان رحمه الله فريد دهره سماحة[2]، وبشاشة، ولوذعية، وانطباعاً. رقيق الحاشية، نافذ العَزْمة[3]. مهتزاً للمديح، طلقاً لأمل، كهفاً للغريب، **برمكي** المائدة[4]، **مهلبي** الحلوى[5]. ريان من الأدب، مضطلعاً بالرواية، مستكثراً من الفائدة. يقوم على المسائل الفقهية، ويتقدم الناس في باب التحسين والتقبيح؛ ورفع راية[6] الحديث والتحديث. نفّق بضاعة الطلب، وأحيا معالم الأدب، وأكرم العلم والعلماء[7]، ولم تشغله السياسة عن النظر، ولا عاقه تدبير الملك، عن المطالعة والسماع، والإفراط[8] في اقتناء الكتب، حتى ضاقت قصوره عن خزائنها،

---

[1] هذه الفقرة المحصورة بين حاصرتين؛ سقطت أيضاً في الإسكوريال، والزيتونة؛ بينما وردت في نفح الطيب.
[2] في الزيتونة: ((ساحة)).
[3] في ج: ((العزيمة)).
[4] أي يشبه آل برمك؛ وزراء بني العباس في كرم الضيافة.
[5] في الزيتونة، والإسكوريال: ((الخلوة)). ويقصد بقوله مهلبي الحلوى: أي يشبه بني المهلب بن أبي صفرة في أكل الحلوى وإطعامها؛ لأن هذه الأسرة اشتهرت بذلك.
[6] في الزيتونة: ((رؤية))، وفي الإسكوريال: ((آية)).
[7] في الزيتونة، والإسكوريال: ((العامل)).
[8] في ج: ((وأفرط)).

وأثرت أنديته من ذخائرها. قام له الدهر على رجل[1]، وأخدمه صدور البيوتات، وأعلام الرياسات، وخوطب من البلاد النازحة، وأمل من[2] الآفاق النائية.

رحلته ونباهته

رحل إلى **الحجاز** الشريف من بلده، على فتاء سنة، أول عام ثلاث[3] وثمانين وستمائة[4]، فحج وزار، وتجول في في **بلاد المشرق**، منتجعاً عوالي الرواية في مظانها، ومنقراً عنها عند مُسِنِّي شيوخها، وقيد الأناشيد الغريبة، والأبيات المرقصة، وأقام **بمكة** شرفها الله، من شهر رمضان إلى انقضاء الموسم، فأخذ بها عن جماعة يأتي ذكرهم في مشيخته. وانصرف إلى **المدينة المشرفة**، ثم قفل مع الركب الشامي إلى **دمشق**، ثم كرّ إلى **المغرب**، لا يمر بمجلس علم أو تعلم إلا رَوَى أو رُوِّي؛ واحتل **رُندة** حرسها الله أواخر عام خمسة وثمانين

---

[1] أي أن الدهر طاوعه.
[2] في الزيتونة، والإسكوريال، ونفح الطيب: ((في)).
[3] صوبها د. طويل؛ فكتبها: ((ثلاثة)).
[4] الموافق لـ 1284م.

وستمائــة[1]، وأقــام[2] بها عيناً في قرابته، وعلماً في أهله، معظماً عندهم[3]، إلى أن أوقع السلطان بالوزراء من **بني حبيب**، الوقيعة **البرمكية**[4]. وورد **رُندة** في أثــر ذلــك، [في شهر جمادى الآخرة؛ من عام ستة وثمانين وستماية][5]؛ فتعرض إليه، ومدحه[6]، وهنأه بقصيدة طويلة؛ طويلة؛ من أوليات شعره، أولها[7]:

هل إلـــى ردِّ عشيـــات الوصــــال

سبب أم ذاك من ضرب المحــــال

فلما أنشدها إياه، أعجب به، وبحسن خطه ونصاعة ظرفه، فأثنى عليه، واستدعاه إلى الوفــادة علـى حضرتــه[8]؛ [فوفد إليها في آخر العام المذكـور][9]؛ فأثبتـه

---

[1] الموافق لـ 1286.
[2] في نفح الطيب: ((فأقام)).
[3] في الإسكوريال، والزيتونة، والنفح: ((لديهم)).
[4] يشير إلى ما أوقعه الخليفة العباسي هارون الرشيد بأسرة البرامكة. وهذا الخبر شهير ومعروف.
[5] الموافق لـ 686م. ما بين الحاصرتين ساقط في ج، والإسكوريال.
[6] هذه الكلمة سقطت في ج، والإسكوريال؛ ولم ترد كذلك في نفح الطيب.
[7] سترد بعد قليل؛ وهي من بحر الرمل.
[8] في الزيتونة، والإسكوريال: ((الحضرة)).
[9] وردت هذه العبارة هكذا في ج، ونفح الطيب: ((فوفد آخر عام ستة وثمانين)).
وثمانين)).

في خـــواص دولتـــه، [وأحظـاه لديـه][1]؛ إلـى أن رقـاه إلـى كتابة الإنشاء ببابه. واستمرت حالـه، معظـم القـدر، مخصوصاً بالمزية، إلـى أن تـوفي السلطان، ثاني الملـوك مـن **بـني نصـر**، وتقلـد الملـك بعـده، ولـي عهـده **أبـو عبـد اللـه**؛ فـزاد فـي إحظائـه وتقريبـه، وجمـع لـه بيـن الكتابـة والـوزارة، ولقبـه **بـذي الوزارتيـن**؛ وأعطـاه العلامـة، وقلـده الأمـر، فبعـد الصيـت وطـاب الذكـر؛ إلـى أن كـان مـن الأمـر[2] مـا يـأتي [بـه الذكـر][3] قريبـاً إنشـاء اللـه تعـالى.

---

[1] في الزيتونـة: ((وأحيـا ملكـه))، وفي الإسكوريـال: ((وأحظيـا ملكـه)).
[2] في نفـح الطيـب: ((مـن أمـره مـا كـان)).
[3] هذه الإضافـة مـن الزيتونـة، والإسكوريـال.

مشيختـه[1]

قرأ **برُندة** على الشيخ النحوي **أبي الحسن علي بن يوسف العبدري السفاح القرآن** العظيم بالروايات السبع، **والعربية** وغير ذلك. وعلى الخطيب بها **أبي القاسم بن الأيْسَر**، وأخذ عن والده جميع مروياته؛ واستجاز له في صغره أعلام ذلك الزمان، وأخذ في رحلته عن الجلة [من الجملة][2]؛ الذين يضيق عن أمثالهم الحصر. فمنهم **أبو اليمن جار الله بن عساكر**؛ لقيه بالحرم الشريف، وانتفع به، واستكثر من الرواية عنه. ومنهم الشيخ **أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني** المعروف **بابن هبة الله الحراني**. [ومنهم الشيخ الشريف[3] **أبو العباس**

---

[1] كتب في مخطوط الإسكوريال؛ تحت كلمة (مشيخته): ((قلت لم أر في هذا الكتاب مشيخة أطول منها؛ فاختصرتها؛ لطولها. على أني في هذا الاختصار لهذا الكتاب أقيد المشيخة قاصداً للتبرك بذكر أشياخ العلم، وحملة الدين وقادته. جعلني الله ممن انتظم في غمارهم، وسلك مسلك أتباعهم وآثارهم. وبعد ما نقل الشيخ ابن الخطيب منها نحو الثلاثة أوراق؛ قال في آخر ذلك: ((إلى طايفة كثيرة من أهل المشرق والمغرب)). وقد رجح عنان؛ أن يكون الذي كتب هذا، وقام بتلخيص موضوع مشيخة ابن الحكيم هو الناسخ؛ وليس المؤلف. لذا فقد عمل على نقل ما جاء في هذا الباب كاملاً؛ وقد تم ذلك من مخطوطي الزيتونة، وج.

[2] أضيفت هذه العبارة من الزيتونة.

[3] في النفح: ((الشرف)).

أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطي بن الإمام الجزائري؛ **جزائر المغرب**، نزيل **بغداد**. ومنهم الشيخ **أبو الصفا خليل بن أبي بكر بن محمد المرادي الحنبلي**؛ لقيه **بالقاهرة**. ومنهم الشيخ **رضي الدين القسطميني أبو بكر**. ومنهم الشيخ **شرف الدين** الحافظ **أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي**؛ إمام الديار **المصرية** في الحديث، ومؤرخها وحافظها][1]. ومنهم **عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد الخيمي شهاب الدين أبو عبد الله**؛ نزيل **مشهد الحسين بن علي**؛ قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة التي أولها[2]:

---

[1] وردت هذه الفقرة المحصورة بين حاصرتين في مخطوط الزيتونة هكذا: ((وشرف الدين أبو العباسي؛ من أهل الجزاير؛ عمالة إفريقية، ونزيل بغداد. ومنهم خليل بن أبي بكر بن بكر بن محمد المرادي؛ نايب قاضي الحنابلة بالقاهرة المصرية؛ يكنى أبا الصفا؛ لقيه بالقاهرة المعزية. ومنهم أبو بكر بن عمر بن علي القسطماني رضي الدين. ومنهم عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدين الخضري الدمياطي....)).

[2] هذا البيت من البحر البسيط. ورد في موضعين من نفح الطيب؛ غير أن كلمة ((التقصي)) وردت هكذا في المرة الأولى؛ بينما كتبت في المرة الثانية: ((التقضي)).

يا مطلباً[1] ليس لي في غيـــره أرب

إليك آل التقـــصي وانتهى الطلـــب

ومنها البيت المشهور؛ الذي وقع النزاع فيه[2]:

يا بارقـــاً بأعالي الرقمتيـــن بـــدا

لقد حكيـــت ولكن فاتك السبـــب[3]

ومنهم **عبد المولى يحيى بن حماد البعلبكي**؛ مولده سنة إحدى عشرة وستمائة[4]. ومنهم **محمد بن بكر بن خلف بن أبي القاسم الصفار**. ومنهم الشيخ **أبو الفضل الأديب جمال الدين بن أبي الخير بن علي بن عبد الله ابن رواحة**. ومنهم **محمد بن يحيى بن عبد الله القرشي جمال الدين أبو صادق**؛ ومن تخريجه **الأربعون المروية بالأسانيد المصرية**. وسمع **الحلبيات**[5] من **ابن عماد الحراني**،

---

[1] في الزيتونـة: ((يـا طالبـاً)).

[2] ورد هـذا البيـت في ج، ونفـح الطيـب؛ بينمـا سقـط في الزيتونـة. أمـا موضـوع النـزاع فقد حـدث بيـن الشيـخ المذكـور؛ وهـو - في الحقيقـة - محمـد ابـن عبـد المنعـم بـن محمـد شهـاب الديـن بـن الخيـمي الأنصـاري؛ وبيـن نجـم الديـن بـن إسرائيـل؛ وذلـك حيـن ادعى هـذا الأخيـر أن البيـت المذكـور أعـلاه مـن نظمـه، واتهـم ابـن الخيـمي بسرقتـه. فاحتكمـا أمـام شـرف الديـن بـن الفـارض الـذي حكـم بالبيـت - بعـد الاختبـار - لابـن الخيـمي.

[3] في نفـح الطيـب: ((الشنـب)).

[4] الموافـق لـ 1214م.

[5] سقطـت هـذه الكلمـة في الزيتونـة.

والشيخ **أبي الفضل عبد الرحيم** خطيب **الجزيرة**؛ ومولده سنة ثمان وتسعين وخمسمائة[1]. ومنهم الشيخ **محمد بن عباس الأشعري تقي الدين الحافظ أبو القاسم**. ومنهم الشيخ **محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد المجيد الأنماطي**. ومنهم **أبو البدر بن عبد الله بن أبي الزبير الكاتب المصري**. ومنهم الشيخ **عبد الرحيم بن عبد المنعم ابن خلف التدميري**. ومن رؤساء شيوخه؛ الشيخ **محيي الدين أبو الفضل**. ومنهم **زينب بنت الإمام أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف [بن محمد بن علي][2] البغدادي**؛ تكنى **أم الفضل**؛ وسمعت من أبيها. ومنهم **محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الخراساني أبو عبد الله موقر الدين**؛ وألبسه خرقة التصوف. ومنهم الشيخ **محمد بن يحيى بن هبيرة الشيباني شرف الدين**. ومنهم الشيخ **شهاب الدين أحمد بن عيسى بن عيسى بن يوسف بن إبراهيم بن إسماعيل السلفي**. ومنهم الشيخ **علي بن عبد الكريم بن عبد الله الدمشقي أبو الحسن**؛ ولد سنة سبع وتسعين

---

[1] **الموافق لـ 1201م.**
[2] **أضيفت هذه العبارة من الزيتونة.**

وخمسماية[1]. ومنهم الشيخ **غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الجلاوي**. ومنهم الشيخ **نور الدين علي بن محمد أبي البركات الأنصاري** المقرئ **بحرم الخليل**؛ سمع من **أبي الحسن علي بن شجاع**. [ومنهم **يوسف بن داود بن عيسى ابن أيوب الحنفي**][2]. ومنهم الملك الأوحد **يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين وداود**[3] **بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب**. ومنهم **عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر القرشي الزهري** خطيب **القدس**. ومنهم الشيخ **عبد الحفيظ بن بدران**؛ ويدعى **عليّ الدين**؛ من **أهل بانياس**؛ سمع من **ابن صيصرى**. ومنهم الشيخ **علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم المقدسي**. ومنهم الشيخ **محمد بن محمد بن سالم بن يوسف بن أسلم القرشي جمال الدين**. ومنهم **عبد الواسع ابن عبد الكافي شمس الدين**. ومنهم الشيخ **أحمد بن أحمد الزجاجي] البغدادي** الإمام **تقي الدين**. ومنهم **عبد**

---

[1] **الموافق لـ 1392م.**
[2] **سقط ما بين الحاصرتين في ج.**
[3] **في النفح: ((صلاح الدين داود))؛ بدون واو العطف.**

الجميل بن أحمد بن الزجاج][1]. ومنهم **فاطمة بنت إبراهيم ابن محمد بن محمود بن جوهر البعلبكي**؛ الشيخة الكاتبة الخيرة **أم الخير**. ومنهم **الشيخ يوسف بن أبي ناصر السفاوي**. ومنهم الشيخ **عبد السلام بن محمد [بن مزروع]**[2] **أبو محمد عفيف الدين**. ومنهم الشيخ **أحمد بن عثمان بن محمد الشافعي البخاري شمس الدين**. ومنهم الشيخ **عبد الله بن خير بن أبي محمد بن خلف القرشي**. ومنهم الشيخ **محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله ابن عبد الباقي بن علي الصواف شرف الدين**. ومنهم الشيخ **علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن زريق الكاتب**؛ لقيه **بتونس**. ومنهم الشيخ **سليمان بن علي بن عبد الله الكاتب التلمساني عفيف الدين** الصوفي؛ الأديب نزيل **دمشق**؛ ومولده **بتلمسان**. ومنهم الشيخ **محمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد ابن الحسن بن عبد الله بن أحمد الميموني البستي القسطلاني قطب الدين**؛ الإمام المفتي؛ شيخ **دار الحديث**

---

[1] **سقط ما بين الحاصرتين في ج.**

[2] **ما بين الحاصرتين أضيف من الزيتونة.**

الكاملية بالقاهرة المعزية. ومنهم الشيخ **عبد الكريم بن علي بن جعفر القرشي جمال الدين**. ومنهم الشيخ **أحمد ابن محمد بن عبد الظاهر جمال الدين**. ومنهم **محمد بن محمد بن إبراهيم النجاشي**. ومنهم الشيخ **عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر الطبري**؛ إمام **الروضة النبوية** ثم **الصخرة القدسية**. ومنهم الشيخ **فخر الدين عثمان بن أبي محمد بن إسماعيل بن جندرة**. ومنهم الشيخ **عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي بن أنسكرت فخر الدين**. ومنهم الشيخ **ثابت بن علي بن عبد العزيز بن قاسم بن عبد الرازق**؛ سمع على **ابن المغير البغدادي**. ومنهم الشيخ **أمين الدين أبو الهامات جبريل بن إسماعيل ابن سيد الأهل الغساني**[1]. ومنهم الشيخ **محمد بن أحمد ابن عبد الله؛ الأندلسي** الأصل **شرف الدين**؛ سمع من **علم الدين الشيخوني** وغيره. ومنهم الشيخ **محمد بن محمد الشامي الشافعي الدمشقي؛** إمام **مسجد أبي بكر الصديق** رضي الله عنه؛ يدعى **شمس الدين**؛ سمع من **الزبيدي**.

[1] سقطت هذه الكلمة في ج.

ومنهم الشيخ **يحيى بن الخضر بن حاتم الأنصاري**؛ يعرف **بابن عز الدولة**. وأجاز له جماعة؛ منهم **ابن عماد الحراني**. ومنهم **ابن يحيى بن محمد بن محمد الهَمْداني كمال الدين**؛ وسمع من **ابن الزجاج وابن رواح الحميري**. ومنهم الشيخ **عبد الملك أبو المعالي بن مفضل الواسطي**؛ عرف **بابن الجوزي**؛ سمع على جماعة؛ منهم **شعيب الزعفراني**. ومنهم الشيخ **محمد بن أحمد بن ياسر بن شاكر الحاكمي**. ومنهم الإمام مفتي المسلمين رضي الله عنه. ومنهم **أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني المكي**. ومنهم الخطيب **أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد بن محمد بن رحيمة الكناني** خطيب **بجاية**. ومنهم قاضي القضاة **ببلاد إفريقية أبو العباس بن الغماز**[1] **البَلَنْسي**؛ لقيه **بتونس**. ومنهم الفقيه العلامة الوزير **أبو القاسم محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزي الكلبي**. ومنهم الشيخ **أبو محمد عبد الله ابن يوسف الخلابي**. ومنهم الشيخ المغربي **أبو محمد**

---

[1] **في الزيتونة: ((الغمار)).**

الحجاج بن يوسف بن إبراهيم بن عتاب؛ لقيه **بتونس**. ومنهم الشيخ الفقيه **أبو بكر بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن يربوع السبتي**. ومنهم الإمام قدوة النحاة **أبو الحسين**[1] **عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن عبد الله ابن أبي الربيع القرشي**. ومنهم الإمام **أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبد الحق الزواوي المشدالي**؛ من أهل **بجاية**. ومنهم الخطيب القاضي **أبو عمرو إسحق بن أبي إسحق بن عبد الوهاب الرندي**. إلى طائفة كبيرة من **أهل المشرق والمغرب**.

محنته

أغرى به الأمير ولي العهد، بسبب أمور اختلف فيها، منها أبيات في هجو **الدولة النصرية**، الله أعلم بصحة نسبتها إليه، فأوقع به [وناله بين يديه نكال كبيرا][2]؛ أفلت منه برفق[3]؛ واختفى مدة في المآذن المقفلة، والأماكن

[1] في الزيتونة: ((أبو الحسن)). وفي النفح: ((أبو الحسين عبيد الله)).
[2] وردت هذه العبارة في الإسكوريال هكذا: ((فتُنُورل بين يديه بنكال كبير)).
[3] في الإسكوريال: ((برمق)).

الخفية؛ حتى أصحى له جو سخطه، [وقضى الله برد أمره إليه، واستيلايه على ما وراء بابه][1].

من روى عنه[2]

أخذ عنه الخطيب الصالح **أبو إسحق بن أبي العاصي**، وتدبج معه رفيقه **عبد الله بن رُشيد**، وغير واحد. وكان ممدوحاً؛ وممن مدحه الرئيس **أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي**، والرئيس **أبو الحسن بن الجيّاب**؛ وناهيك بهما. ومن بديع مدح **ابن الجياب** له؛ قصيدة رائية رائقة؛ يهنيه فيها بعيد الفطر؛ منها في أولها[3]:

يا قادمـــاً عمـــت الدنيـــا بشائره
أهلا بمقدمك الميمــون طائــره
ومرحباً بك من عيــد تحف بـــه
من السعـــادة أجناد تظـــاهـــره[4]

[1] وردت هذه العبارة في ج هكذا: ((وقضى الأمر باستلابه)).
[2] ورد هذه الفقرة، والقصيدة الموالية لها؛ في مخطوط جاينجوس فقط. إذ لم تذكر في الزيتونة، ولا في الإسكوريال.
[3] وردت هذه القصيدة أيضاً في نفح الطيب، وأزهار الرياض. وهي من البحر البسيط.
[4] في نفح الطيب، وأزهار الرياض: ((تظافره)).

قدمت فالخلق في نعمى وفي جــذل
أبدى بك البشر باديه وحاضـــره[1]
والأرض قد لبست أثواب سندسها
والروض قد بسمت منه أزهــره
حاكت يد الغيث في ساحاته حللا
لما ساقها دراكــاً منك باكــره
فلاح فيهــا من الأنوار باهرهــا
وفاح فيها من النــوار عاطــره
وقام فيها خطيــب الطير مرتجلا
والزهر قد رصعــت منه منابره
موشي ثــوب طواه الدهــر آونة
فها هــو اليوم للأبصار ناشره
فالغصن من نشوة يثــني معاطفه
والطير من طرب تشدو مزاهره
وللكمام انشقــاق عن أزاهرهــا
كما بدت لك من خــل ضمائره

[1] أي من البدو والحضر.

للـــه يومك ما أذكـــى فضائلـــه
قامـــت لدين الهوى[1] فيه شعائره
فكم سريرة فضل فيك قد خبئت
وكم جمال بدا للنـــاس ظاهـــره
فافخر بحـــق على الأيـــام قاطبة
فما لفضلـــك من نـــد يظاهـــره[2]
فأنت في عصرنا كابن الحكيم إذا
قيست بفخر أولي العليا مفاخـــره
يلتاح منه بأفـــق الملك نور هدى
تضاءل الشمس مهما لاح زاهره
مجد صميم على عرش السماك سما
طالت مبانيه واستعلت مظاهـــره
وزارة الدين والعلم الذي رفعت
أعلامه والندى الفياض زاخـــره

[1] في النفـح، والأزهـار: ((الهـدى)).
[2] في أزهـار الريـاض: ((ينـاظـره)).

وليس هذا ببـــدع من مكارمـــه
ســـاوت أوائله فيـــه أواخـــره
يلقى الأمور بصدر منه منشرح
بحر وآراؤه العظمى جواهـــره
راعى أمور الرعايا معملاً نظراً
كمثـــل علياه معدومـــاً نظائـــره
والملـــك سير في تدبيره حكماً
تنال ما عجـــزت عنه عساكـــره
سياسة الحكم[1] لا بطش يكدرهـــا
فهو المهيب وما تخشى بوادره
لا يصدر الملـــك إلا عن إشارته
فالرشـــد لا تتعـــداه مصائـــره
تجري الأمور على أقصى إرداته
كأنمـــا دهـــره فيـــه يشـــاوره
وكـــم مقـــام له في كل مكرمـــة
أنست مـــوارده فيها مصـــادره

---
[1] في النفـح، والأزهـار: ((الحلـم)).

ففضلهـــا طبق الآفاق أجمعهـــا
كأنه مثـــل قـــد ســـار سائـــره
فليـــس يجحـــده إلا أخـــو حسد
يرى الصباح فيعشى منه ناظره
لا ملك أكبـــر من ملك يدبـــره
لا ملـــك أسعـــد من ملك يؤازره
يا عـــز أمر به أشتـــدت مضاربـــه
يا حسن ملـــك به ازدانت محاضره
تُثنى البلاد وأهلوها بما عرفـــوا
ويشهد الدهـــر آتيـــه وعابـــره[1]
بشرى لآمله الموصول مأملـــه
تعساً لحاسده المقطـــوع دابـــره
فالعلم قد أشرقت نوراً مطالعـــه
والجود قد أسبلت سحاً مواطره

[1] في النفـح، والأزهـار: ((وغابـره))؛ بالغيـن المعجمـة.

والناس في بشر[1] والملك في ظفر
عال على كل عالي القدر قاهره
والأرض قد ملئت أمناً جوانبهـــا
بيمن من خلصت فيها سرائـــره
وإلى[2] أياديه من مثنى وواحـــدة[3]
تساجل البحر إن فاضت زواخره
فكـــل يـــوم تلقـــانـــا عوارفـــه
كساه أموالـــه الطولى دفاتـــره
فمن يـــؤدي لما أولاه من نعـــم
شكراً ولو أن سحبانـــاً يُظاهـــره
يا أيها العبد[4] بادر لثـــم راحتـــه
فلثمهـــا خيـــر مأمول تبـــادره
وافخر بأن لقيت[5] ابن الحكيم على
عصر يباريك أو دهر تفاخـــره

---

[1] في الأزهار: ((يسر)).
[2] في النفح، والأزهار: ((وَالى)).
[3] نفسهما: ((وَمَوْحَدَة)).
[4] في النفح، والأزهار: ((العيد)).
[5] نفسهما: ((وَافْخَرْ بأن قد لقيت)).

ولّى الصيام وقد عظمت حرمته
فأجــره لك وافيــه ووافـــره
وأقبل العيــد فاستقبــل به جذلاً
واهنــأ به قادماً عمت بشائـــره

ومن مدح الرئيس **أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي** له قوله[1]:

تـــراءى سحيرا والنسيم عليـــل
وللنجم طـــرف بالصباح كليـــل
وللفجر نهر خاضه الليل فاعتلت
شوى أدهم الظلماء منه خجـــول
بريـــق بأعلى الرقمتيـــن[2] كأنـــه
طلائـــع شهب والسمـــاء تجـــول

---

[1] **وردت هذه القصيدة في ج فقط؛ إذ لم تذكر في الزيتونة ولا في الإسكوريال. وهي من البحر الطويل.**

[2] **الرقمة: جانب الوادي، ومجتمع الماء أو الروضة. والرقمتان أيضاً اسم لعدد من الأمكنة؛ منها على سبيل المثال: قريتان بالقرب من البصرة؛ وهما منزل مالك بن الرّيب المازني؛ إذ يقول فيهما:**

فلله دري يوم أترك طائعاً * بُنَي بأغلَى الرقمتين وماليا

والرقمتان أيضاً روضتان؛ ذكرهما زهير ابن أبي سلمى في شعره؛ فقال:

ودار لها بالرقمتين كأنها * مراجيع وَشم في نواشر مِعصَمِ

فمزق ساجي الليـــل منه شرارة
وخرق ستر الغيـــم منه نصـــول
تبسم ثغر الـــروض عند ابتسامه
وفاضت عيـــون للغمـــام همول[1]
ومالت غصون البان نشوى كأنها
يدار عليها من صبـــاه شمـــول
وغنت على تلك الغصون حمائم
لهـــن حفيـــف فوقهـــا وهديـــل[2]
إذا سجعت في لحنها ثم قرقرت[3]
يطيح خفيـــف دونهـــا وثقيـــل
سقى الله ربعاً لا يزال يشوقـــني
إليـــه رســـوم دونهـــا وطلـــول

[1] هامل؛ جمعها هوامل وهمولة وهاملة وهمـولاً: أي فاضت؛ سواء الدمع، أو السماء.
[2] الحفيـف: الأصـوات الصـادرة عن حركـة أغصـان الأشجـار. والـهديـل: أصـوات طائـر الحمـام وأفراخـه.
[3] أي إذا سكنـت في لحنهـا ثـم صوتـت.

وجـــاد رباه كلمـــا ذر شـــارق
من الوَدْقِ[1] هتان أجش هطـــول

ومالي أستسقي الغمام ومدمـــعي
سفوح على تلك العراص همول

وعاذلة باتت تلوم على السُّـــرَى[2]
وتكثـــر مـــن تعذالهـــا وتطيـــل

تقـــول إلى كم ذا فـــراق وغربة
ونأي على ما خيلـــت ورحيـــل

ذريـــني أسعى للتي تكسب العلا
سنـــاء وتبقى الذكر وهو جميـــل

فأما تريني من ممارسة الهوى
نحيـــلا فحد المشـــرفي نحيـــل

وفوق أنابيـــب اليراعة صفـــوة
تزيـــن وفـــي قد القنـــاة ذبـــول

---

[1] **الـوَدْق: هـو المطر؛ جـاء في الذكـر الحكيـم: [أَلَـمْ تَـرَ أَنّ اللّـهَ يُـزْجِي سَحَابـاً ثُـمّ يُؤَلّـفُ بَيْنَـهُ ثُـمّ يَجْعَلُـهُ رُكَامـاً فَتَـرَى الْـوَدْقَ يَخْـرُجُ مِـنْ خِلالِـهِ وَيُنَـزّلُ مِـنَ السَّمَـاءِ مِنْ جِبَـالٍ فِيهَـا مِنْ بَـرَدٍ فَيُصِيـبُ بِـهِ مَـنْ يَشَـاءُ وَيَصْرِفُـهُ عَنْ مَـنْ يَشَـاءُ يَكَـادُ سَنَـا بَرْقِـهِ يَذْهَـبُ بالأَبْصَـارِ). سـورة النـور؛ الآيـة 43.**

[2] **أي عـلى السَّيْـر ليـلاً.**

ولولا السُّــرَى لم يحتل البدر كاملا

ولا بات منـــه للسعـــود نزيـــل

ولولا اغتراب المرء في طلب العلا

لما كان نحو المجد منه وصـــول

ولولا نـــوال ابن الحكيم محمـــد

لأصبح ربع المجـــد وهو محيل

وزير سما فوق السماك جلالـــة

وليـــس لـــه إلا نجـــــوم قبيـــل

من القـــوم أما في النديّ فإنهـــم

هضاب وأما في الندَى فسيـــول[1]

حووا شرف العلياء إرثا ومكسباً

وطابت فـــروع منهم وأصـــول

وما جونة[2] هَطَّالـــة ذات هَيْـــدب[3]

مرتهـــا شمول مرجـــف وقبول

[1] النَّـدِيُّ (في الشطر الأول): هو النـادي أي المجلس. والنَّـدَى (في الثـاني): هـو الجـود والفضـل والخيـر.
[2] يقصـد السحابـة السـوداء.
[3] الهيـدب: تلـك السحابـة المتدليـة؛ نحـو الأرض؛ بحيـث تدنـو منهـا علـى شكـل خيـوط تنصـب منهـا المطـر.

لها زجــل[1] من رعدها ولوامــع[2]
من البرق عنها للعيــون كلــول[3]
كما هدرت وسط القلاص[4] وأرسلت
شقاشقها[5] عنــد الهيــاج فحــول
بأجــود من كــفّ الوزير محمد
إذا ما توالــت للسنيــن محــول[6]
ولا روضة بالحسن طيبة الشــذا
ينُــمُّ عليهــا أذخــــر وجليــل
وقد أذكيت للزهر فيها مجامــر
تعطــر منهــا للنسيــم ذيــول
وفي مقل النَّــوَّار للطَّلِّ عبــرة
تــرددهــا أجفــانهــا وتحيــل

---

[1] أي لهـا نغم وطرب مـن رعدهـا. ويقولـون: ((سحـاب ذو زجـل))؛ أي عندمـا يصحبـه الرعـد.
[2] أي بـرق لامـع.
[3] الكـل وكـلـول: الثقـل والتعب.
[4] القـلاص مـن الميـاه: المرتفـع.
[5] أي هديرها. كشقشقة الجمل: أي هديره، وشقشقة الطير: أي عندما يصوت.
[6] أي إذا تـوالى جـدب السنيـن. والمحـول هـو الجـدب.

بأطيب من أخلاقـــه الغرّ كلمـــا
تفاقم خطـــب للزمـــان يهـــول
حويـــت أبا عبد الإلـــه مناقبـــاً
تفوت يَـــدَي من رامها وتطـــول
فغرناطة مصر وأنت خصيبهـــا[1]
ونائـــل يمنـــاك الكريمـــة نيـــل[2]
فداك رجال حاولوا درك العـــلا
ببخل وهل نال العـــلاء بخيـــل
تخيرك المـــولى وزيراً وناصحاً
فكـــان له ممـــا أراد حصـــول
وألـــقى مقاليـــد الأمور مفوضا
إليك فلـــم يعدل يمينـــك ســـول
وقام بحفـــظ الملك منك مؤيـــد
نهـــوض بما أعيا سواك كفيـــل

---

[1] أي مخصبها. وهنا تلميح إلى قصة يوسف عليه السلام؛ حين عمل على إخصاب مصر.
[2] نائل يمناك: من يصيب الخير من يمناك. والنيل: هو نهر النيل الموجود بمصر.

وساس الرعايا منك أشوس باسل

مبيــد العــدا للمعتفيــن منيــل

وأبلــج وقّــاد الجبيــن كأنمــا

على وجنتيــه للنضــار مسيــل

تهيــم به العليــاء حتى كأنهــا

بثينـــة فـــي الحـــب وهو جميل[1]

له عزمـــات لو أعيــر مضاؤها

حســـام لما نالت ظبـــاه فلـــول

سرى ذكره في الخافقين فأصبحت

إليـــه قلـــوب العالميـــن تميــل

وأغْدَى قريضي جوده وثنـــاؤه

فأصبح في أقصى البلاد يجـــول

إليك أيا فخـــر الوزارة أرقلـــت[2]

برحلي هوجـــاء الثجـــاء ذلول

---

1 هو سالم بن بخيت المعشني؛ الملقب بجميل بثينـة؛ شاعر ينتمي إلى بني عذرة وهم بطن من من حمير اليمنيين. شاعر رقيق؛ فتنته بلخيلر ابن سهيل ارعبوب بن ثعلبة العذرية (بثينـة)؛ فخطبها إلى أبيها؛ فردَّه، وزوجها من غيره. توفي جميل سنة 113هـ/731م. وفي العصر الأموي.

2 أي أسرعت.

فليت إلى لقياك ناصيـــة الفـــلا

بأيدي ركـــاب سَيْرهـــنّ ذميـــل

تســـددني سهمـــاً لكـــل ثنيـــة

ضوامر أشباها القِـــسِيِّ نحـــول

وقد لفظتني الأرض حتى رمت إلى

ذراك برحـــلي هوجل وهجـــول[1]

فقيـــدت أفـــراسي به وركائـــبي

ولـــذَّ مقـــام لـــي بـــه وحلـــول

وقد كنت ذا نفس عزوف وهمة

عليها لأحـــداث الزمـــان دَحُول[2]

وتهوى العلا حظي وتُغْري بضـــده

لـــذاك اعترتـــه رقـــة ونحـــول

وتـــأبى لي الأيـــام إلا إدالـــة

فصونـــك لي أن الزمان مديـــل

[1] الهوجل: المفازة البعيدة التي ليست بها أعلام. وهجول: المطمئن من الأرض.
[2] أي المخادعة.

فكل خضـــوع في جنابك عـــزة

وكل اعتـــزاز قد عداك خمـــول

شعـره

وبضاعته في الشعر مزجاة، وإن كان أعلم الناس بنقده[1]، وأشدهم تيقظاً[2] [لمواقعه الحسنة وأضدادها][3]. فمن ذلك قوله: ورفعه إلى السلطان ببلده **رُندة**، وهو إذا ذاك فتى يملأ العين أبهة، ويستميل القلوب لباقة، وهي[4]، ومن خطه نقلت[5]:

هـــل إلى رد عشيـــات الوصال

سبب أم ذاك من ضـــرب المحال

حالـــة يسري بهـــا الوهـــم إلى

أنهـــا تثبـــت بـــراءاً باعتـــلال

---

[1] في ج: ((بـه))، وفي الزيتونـة: ((بنبـره)).
[2] في الإسكوريـال: ((تفطنـاً)).
[3] كتـب بـدل هـذه العبـارة في ج: ((لموافقـة الحسـن وضـده)).
[4] كلمـة ((وهي)) أضيفـت مـن الإسكوريـال.
[5] توجـد هـذه القصيـدة أيضـاً في نفـح الطيـب. وهي مـن بحـر الرمـل.

وليـــالي[1] مـــا تبـــقى بعـــدهـــا
غير أشـــواقي إلى تلـــك الليـــال

إذ مجال الوصـــل[2] فيها مسرحي
ونعيـــمي آمـــر فيهـــــا ووال

ولحـــالات التـــراضي جولـــة
مزجـــت[3] بيـــن قبـــول واقتبـــال

فبوادي الخيـــف[4] خـــوفي مسعـــد
وبأكنـــاف مُـــنًى أســـنى نـــوال[5]

لست أنـــسى الأنـــس فيها أبـــداً
لا ولا بالعـــذل في ذاك أبـــال

وغـــزال قـــد بـــدا لي وجهـــه
فرأيت البـــدر في حال الكمـــال

---

[1] في نفح الطيب: ((وليالٍ))؛ وهذا أصوب.
[2] في ج: ((الليل))،
[3] في النفح: ((مرحت)).
[4] الخيف قرية بين قرى عديدة ضمن وادي الصفرا؛ والتي تقع في الجنوب الغربي من المدينة المنورة؛ وتبعد عنها بـ 100 كم.
[5] في النفح: ((موال)).

ما أمـــال التيـــه من أعطافـــه
لم يكن إلا على فضل[1] اعتـــدال
خصَّ بالحســـن فما أنت تـــرى
بعده للنـــاس حظـــاً في الجمال
مـــن تســـلى عن هـــواه[2] فأنـــا
بســـواه عن هـــواه غير ســـال
فلئـــن أتعبـــــني حـــبي لـــــه
فكـــم نلـــت بـــه أنعـــم حـــال
إذ لآلـــئ[3] حيـــده مـــن قبـــلي
ووشاحـــــاه يميـــــني وشمـــال
خلـــف النـــوم لي السهـــد بـــه
وترامى الشخص لا طيف الخيال
فيـــــداوي[4] بلِمـــــاه ظمـــئي
مزجك الصبهاء بالمـــاء الـــزلال

[1] في النفـح: ((خصـل)).
[2] في ج، والزيتونـة: ((هواهـا)).
[3] في النفـح: ((إذ لآلي))؛ وهـو أسلـم.
[4] نفسـه: ((فتـداوي)).

أو أشـــادت[1] ثنـــا المَلِـــك الـــ

ـــأوحـــدِ الأسمى الهمام المتعال

ملـــك إن قلت فيـــه ملكـــــاً

لم تكـــن إلا محقـــاً في المقـــال

أيـــد الإســـــلام بالعـــدل فمـــا

أن ترى رسماً لأصحاب[2] الضلال

ذو أياد شملـــت كـــل الـــورى

ومعـــال يـــا لهـــا خيـــر معال

همـــة هامـــت بأحـــوال التُّـــقى

وصفـــات بالجـــلالات حِـــوال

وقَّـــفَ النفس عـــلى إجهادهـــا

بيـــن صـــوم وصـــلاة ونـــوال[3]

---

[1] **في النفـح: ((أو إشـادات بنـاء الملـك)).**

[2] **في الزيتونـة، والإسكوريـال: ((أربـاب)).**

[3] **ورد هـذا البيـت في ج، والإسكوريـال؛ بينمـا سقـط في الزيتونـة.**

ومنها في ذكر القوم الموقع بهم[1]:

وفريق من عتاة[2] عاندوا
أمره فاستوجبوا سوء نكال[3]
غرهم طول التجافي عنهم
مع شيطان لهم كان[4] موال
فلقد كانت بهم رندة أو
أهلها في سوء تدبير وحال
ولقد كان النفاق مذهبا
فاشيا بين هاتيك التلال
ما يعود اليوم إلا بادروا
بروواة ونكيرات ثقال
طوقوا النعمى فلما أنكروا
طوقوا العدل بذي البيض العوال

[1] هذه القطعة كلها؛ اعتباراً من الكلمة الأولى وهي: ((وفريق))؛ وإلى نهاية القطعة المنتهية بعبارة: ((في المآل)). كل ذلك لم يرد في نفح الطيب.
[2] في ج: ((عقاد))، وفي الزيتونة: ((عناة)).
[3] في الإسكوريال: ((النكال)).
[4] في ج: ((دال)).

[ماطـــل الدهـــر بهـــم غريمـــه
فهـــو الآن وفي بعـــد المطـــال
ولقد كنـــت غريـــم الدهـــر إذ
شـــدني جـــورهـــم شد عقـــال
ولكـــم نافرتـــــه مجتهـــــداً
عندما ضاق بهـــم صدر احتمال][1]
أعقبـــوا جزاء ما قـــد أسلفـــوا
في الدنـــا ويعقبـــوه في المـــآل

وهـي طويلة ومنها:

أيهـــا المـــولى الـــذي نعمـــاؤه
أعجزت عن شكرها كنه المقـــال
هـــا أنـــا أنشـــدكـــم مهنئـــاً
من بديـــع النظم بالسحر الحلال

---

[1] الأبيـات الثلاثـة المحصـورة بيـن حاصرتيـن؛ سقطت في ج، والزيتونـة؛ بينمـا هي مذكـورة في الإسكوريـال. وقـد جعل د. طويـل: ضـرب البيـت هكـذا: ((احتمـالي))؛ إذ أضـاف اليـاء.

فأنـــــا العبــد الــذي حُبُّكـــــم
لم يـــزل واللـــه في قلبي وبـــال[1]

أورقت روضـــة آمـــالي لكـــم[2]
وتولاهـــا الكبيـــــر المتعـــــال[3]

واقتنيـــت الجـــاه من خدمتكـــم
فهو[4] ما أذخـــره من كنز مـــال[5]

ومنها:

يـــا أميــــــر المسلميـــن هـــذه
خدمـــة تنبئ عن أصدق[6] حـــال

هـــي بنـــت ساعـــة أو ليلـــة
سهلـــت بالحب في ذاك الجلال

مـــا عليها إذ أجـــادت مدحهـــا
مـــن بعيد الفهـــم يلغيها وقـــال

---

[1] جعلها د. طويل: ((وبـالي)).
[2] في النفـح: ((بكـم)).
[3] جاء هذا الشطر في الإسكوريـال، والزيتونـة، ونفـح الطيب هكذا: ((مذ تولاها الربـاب المتـوالي)).
[4] في النفـح: ((فـهي)).
[5] سقـط هـذا البيـت في ج.
[6] في الإسكوريـال: ((صـادق)).

فـــهي في تأديـــة الشكـــر لكـــم

أبـــداً بين احتفـــاء واحتفـــــال

وكتب رحمه الله يخاطب أهله من مدينة **تونس**[1]:

حـــي حي باللـــه يا ريـــح نجد[2]

وتحمل عظيـــم شوقي ووجـــدي

وإذا مـــا بثثـــت حـــالي فبلـــغ

من ســـلامي لهم على قدر ودي

ما تناسيتهـــم [وهل في مغيـــبي][3]

هم[4] نســـوني على تطاول بعـــدي

بي شـــوق إليهـــم ليس يُعـــزى

لجميـــــل[5] ولا لسكـــان[6] نجـــد

---

[1] **هذه القصيدة موجودة في نفح الطيب.**
[2] **في ج: ((مجد)).**
[3] **في الإسكوريال: ((وها في يقيني)).**
[4] **في الإسكوريال، والزيتونة ((ما))، وفي نفح الطيب: ((قد)).**
[5] **المقصود هنا هو: جميل بن معمر؛ عاشق بثينة.**
[6] **في ج: ((أسكان))، وفي الزيتونة: ((كساكن)).**

يا نسيم الصبـــا إذا جئـــت قوماً
ملئـــت أرضهـــم بشيـــح ورنـــد[1]
[فتلطـــف عنـــد المرور عليهـــم
وحقـــــوقـــاً لهـــم عـــلي فـــأدِّ
قل لهم قد غدوت من وجدهم[2] في
حال شـــوق لكـــل رُند[3] وزنـــد][4]
وإن استفســـروا حديـــثي فـــإني
باعتناء الإلـــه بلغـــت قصـــدي

---

[1] الشيـح: نبـات طبي متواجد في المناطـق السهبيـة بشمـال إفريقيـة وسوريـا وشمـال جزيـرة العرب وتركيـا وإيـران؛ لأوراقـه رائحـة عطريـة قويـة. مـن استعمالاتـه الطبيـة: أنـه مفيـد لطـرد الديـدان مـن المعدة، وقاطـع للبلغم، معالـج للمغـص ومخفـف للبـول السكـري؛ وبالإضافـة إلى ذلـك؛ يستخـدم الشيـح أيضـاً كبخـور؛ يمكنـه تطهيـر المنـازل مـن الروائـح الكريهـة، وطـرد الهوام. أمـا الرنـد: فهـو الغار؛ كمـا يسـمى عنـد بعضهـم. ويتواجـد في آسيـا الصغرى، وشمـال إفريقيـا، وجنـوب أوروبـا. ولـه استعمـالات طبيـة. ويتخـذ في الطبيـخ كتابـل.

[2] في الزيتونـة: ((أجلهـم)).

[3] نفسـه: ((ورخـد ونـدى)).

[4] هـاذان البيتـان المحصـوران بيـن حاصرتيـن سقطـا في الإسكوريـال؛ ووردا في ج، وفي الزيتونـة.

فلـــه الحمـــد إذ حبـــاني بلطف

عنـــده قل كـــل شكـــر وحمـــد

[قال شيخنا **أبـو بكـر؛** ولده: وجدت بخطه رحمة الله عليه؛ رسالة خاطب بها أخاه **أبا إسحاق إبراهيـم**؛ افتتحها بقصيدة أولها][1]:

ذكر اللوى شوقـــاً إلى أقمـــاره

فقضى أسى أو كاد من تذكـــاره

وعلا زفيـــر حريق[2] نار ضلوعه

فرمى على وجناتنـــه بشـــراره

لو كنـــت تبصـــر خطه في خدّه

لقرأت سرّ الوجد من أسطـــاره

يا عاذليـــه أقصـــروا فلربمـــــا[3]

أفـــضى عتابكـــم إلى إضـــراره

---

[1] **هذه الفقرة المحصور بين حاصرتين؛ وردت هكذا في الإسكوريـال؛ بينمـا كتبت في ج، والزيتونـة كمـا يلي: ((وافتتـح مخاطبتـه لأخيـه الأكبـر أبي إسحـاق إبراهيم بقصيـدة أولـهـا)). ولـم تـرد هذه القصيـدة في الزيتونـة؛ بينمـا هي موجـودة في نفـح الطيـب؛ وهي مـن بحـر الكامـل.**

[2] **في الإسكوريـال: ((رحيـق)).**

[3] **في الإسكوريـال، والنفـح: ((فلشـد مـا)).**

إن لم تعينـــوه عـــليّ برجائـــه[1]
لا تنكروا باللـــه خلـــع عـــذاره
ما كـــان أكتمـــه لأسرار الهوى
لو أن جند الصبر من أنصـــاره
ما ذنبـــه والبيـــن قطـــع قلبـــه
أسفـــاً وأذكى النار في أعشـــاره
بخل اللوى بالساكنيـــه وطيفهـــم
وحديثـــه ونسيمـــــه[2] ومـــزاره
يا برق خذ دمعي وعرج باللوى
فاسفحـــه في باناتـــه وعـــراره
وإذا لقيـــت بها الـــذي بإخائـــه
ألقى خطوب الدهر أو بجـــواره
فاقرّ السّلام عليه قـــدر محبـــتي
فيـــه وترفيـــعي إلـــى مقـــداره

[1] في النفـح: ((عَلَى بُرَحَائِـهِ))؛ وهـو أسلـم.
[2] في ج: ((ونسيبـه)).

وَالْمُـــمْ بسائر أخـــوتي وقرابتي
من لم أكـــن لجوارهم بالكـــاره
مـــا منهـــم إلا أخ أو سيـــــد
أبـــداً أرى دأبـــي على إكبـــاره
فاثبت[1] لذاك الـــحي أن أخاهـــم
في حفظ عهدهم على استبصاره
ما منـــزل اللـــذات في أوطانـــه
كلا ولا السلـــوان من أوطـــاره[2]

وقال رحمه الله في غرض كلّفه سلطانه القول فيه[3]:

ألا وأصِـــلْ مواصلـــة العقـــار
ودع عنـــك التخلـــق بالوقـــــار
وقم واخلع عـــذارك في غـــزال
يحـــق لمثلـــه خلـــــع العـــذار
قضيب مائس من فوق دعـــص
تعمـــم بالـــدجى فـــوق النهـــار

[1] في النفـح: ((فابثـث)).
[2] أضيـف هـذا البيـت مـن الإسكوريـال. ولـم يـرد في النفـح أيضـاً.
[3] توجـد هـذه الأبيـات أيضـاً في نفـح الطيـب؛ وهـي مـن البحـر الوافـر.

ولاح بخـــــده ألـــــــف ولام

فصار معرفـــاً بيـــن الـــدراري[1]

رماني قاســـم والسيـــن صـــاد

بأشفـــار تتـــوب عـــن الشفـــار

وقد قسمـــت محاســـن وجنتيـــه

على ضدّيـــن مـــن مـــاء ونار

فذاك المـــاء من دمـــعي عليـــه

وتلـــك النـــار من فرط استعـــار[2]

عجبـــت له أقام بربـــع قلـــبي

عـــلى ما شـــبّ فيـــه من الأوار

ألفت الحـــب حتى صار طبعـــاً

فما أحتـــاج فيـــه إلـــى ادكـــار

فمـــالي عـــن مذاهبـــه ذهـــاب

وهـــذا فيـــه أشعـــاري شعـــار[3]

---

[1] في الإسكوريـال: ((الـدرار)).

[2] في النفـح: ((استعـاري)).

[3] نفسـه: ((شعـاري)).

وقال العلامة **ابنُ رُشَيْد** في ((**ملء العيبة**))[1]: لما قدمنا **المدينة** سنة 684 للهجرة[2]؛ كان معي رفيقي الوزير **أبو عبد الله بن أبي القاسم الحكيم**، وكان أرْمَد[3]، فلما دخلنا **ذا الحليفة**[4] أو نحوها، نزلنا عن الأكوار، وقوي الشوق لقرب المزار، فنزل وبادر إلى المشي على قدميه احتساباً لتلك الآثار، وإعظاماً لمن حل في[5] تلك الديار، فأحسّ بالشفاء؛ فأنشد لنفسه في وصف الحال قوله[6]:

---

[1] **وهذا الكتاب يسجل رحلة؛ عنوانها بالكامل هو: ((ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة؛ للحافظ أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن رُشَيْد الفهري السبتي؛ المولود بسبتة سنة 657هـ/1258م وتوفي بفاس سنة 721هـ/1321م.**

[2] **الموافق لـ 1285م.**

[3] **أي مصاب بداء الرمد في عينيه.**

[4] **تسمى أيضاً ((أبيار علي)). وهي ميقات أهل المدينة وبلاد الشام؛ وحدود الحرم المدني الشريف. وتقع على ضفاف وادي العقيق، وعلى سفح جبل عير الغربي؛ وتبعد عن المدينة المنورة بعشر كلم تقريباً. بها آبار؛ تستعمل للسقي والوضوء. ولها مسجد يسمى مسجد الشجرة؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس تحت ظل شجرة في ذلك الموضع، ويبتهل؛ محرماً للحج أو للعمرة.**

[5] **سقطت كلمة ((في)) في النفح.**

[6] **لم ترد هذه القصيدة الوالية في مخطوط الزيتونة، ولا في مخطوط الإسكوريال. وهي من البحر الطويل.**

ولما رأينـــا من ربـــوع حبيبنـــا
بيثرب أعلامـــاً أثرن لنا الحبّـــا

وبالتّرب منها إذ كحلنـــا جفوننـــا
شفينا فلا بأساً نخاف ولا كربـــا

وحين تبـــدّى للعيـــون جمالهـــا
ومن بعدهـــا عنّا أديلت لنا قربا

نزلنا من[1] الأكوار[2] نمشي كرامة
لمن حل فيهـــا أن نلم به ركبـــا

نُسحُّ سجال الدمع في عرصاتها
ونلثـــم من حبّ لواطئـــه التّربا

وإن بقـــائـــي دونـــه لخســـارة
ولو أن كفي تملأ الشَّرق والغربا

فيا عجباً ممن يحـــبّ بزعمـــه
يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبـــا

---

[1] في النفـح: ((عـن)).

[2] الأكـوار هنـا مفردهـا الكُـور؛ وهو: الرَّحـل: وفـي ذلك يقـول الشاعـر العـربي:

أنـاخَ برَمْـلِ الكَوْمَحَيْـن إناخـة الـ * يماني قلاصاً حـط عنـهنَّ أكـوارا

وزلات مثـــلي لا تعـــد كثيـــرة[1]
وبعدي عن المختار أعظمها ذنبا

ومـن شعـره قولـه[2]:

مـــا أحســـن العقـــل وآثــــــاره
لـــو لازم الإنســــــان إيثــــــاره
يصون بالعقل الفــتى نفســــه
كما يصـــون الحـــر أســــــراره
لا سيمــــا إن كــــان في غربـــة
يحتـــاج أن يعـــــرف مقــــداره

وقولـه رحمـه الله[3]:

إني لأعســـر أحيانـــاً فيلحقـــني
يسر من الله إن العســـر قد زالا[4]

---

[1] في النفـح: ((لا تُعَدَّدُ كثـرة)).
[2] لـم تـرد هـذه الأبيـات في الزيتونـة؛ بينمـا ذكـرت مرتيـن في نفـح الطيـب؛ بحيـث نسبـت في الأولى لابـن الحكيـم؛ وفي المـرة الثانيـة نسبـت لصالـح بـن شريـف. وهي مـن البحـر السريـع.
[3] هذان البيتان وردا في نفح الطيب؛ ولم يردا في الزيتونة؛ وهما من البحر البسيط.
[4] إحالـة إلى قولـه تعـالى: [لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِـهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْـهِ رِزْقُـهُ فَلْيُنْفِقْ مِمّـا آتَـاهُ اللّـهُ لاَ يُكَلّـفُ اللّـهُ نَفْسـاً إلاّ مَـا آتَاهَـا سَيَجْعَلُ اللّـهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْـراً]. سـورة الطـلاق؛ الآيـة: 7. وقولـه سبحانـه: [فَـإِنَّ مَـعَ العُسْرِ يُسْـراً * إنَّ مَـعَ العُسْرِ يُسْراً]. سـورة الشـرح؛ الآيـة: 5. 6.

يقول خير الورى في سنة ثبتت

(أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا)[1]

وهو من أحسن ما قاله رحمه الله. ومن شعره قوله[2]:

فقدت حياتي بالفراق[3] ومن غــدا

بحال نوى عمن يحب فقد فُقِــدْ

ومن أجل بعدي من[4] ديار ألفتهــا

جحيــم فؤادي قد تلظى وقد وَقَدْ

وحكي أن **ذا الوزارتين** المترجم، لما اجتمع مع الفقيه الكاتب **ابن أبي مدين**؛ أنشده **ابن أبي مدين**[5]:

---

[1] عجز هذا البيت ورد مثله في الأشعار؛ وهو مقتبس من حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وجاء في هذا الحديث: وروى البزَّار بإسناد حسن، والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم على بلال رضي الله عنه؛ وعنده صُبَر (كومات) من تمر؛ فقال: ((ما هذا يا بلال؟)). قال: أعدٌّ ذلك (أي أدَّخره) لأضيافك. قال: ((أما تخشى أن يكون له دخان في نار جهنم. أنفق يا بلال؛ ولا تخشَ من ذي العرش إقلالا)). روى هذا الحديث أيضاً أبو هريرة.

[2] وهذان البيتان موجودان في نفح الطيب؛ وهما من البحر الطويل.

[3] في ج، والنفح: ((بالعراق)).

[4] في النفح: ((عن)).

[5] هاذان البيتان لم يردا في الزيتونة؛ بينما وردا في النفح؛ وهما من البحر الطويل.

عشقتكمـــو بالسمـــع قبل لقاكـــم

وسمع الفتى يهوى لعمرٍ[1] كطرفه

وحببـــني ذكر الجليـــس إليكـــمُ

فلما التقينـــا كنتـــم فوق وصفـــه

فأنشده **ذو الوزارتين ابن الحكيم** قوله[2]:

ما زلت أسمع عن عَلْياك كل سَنـــا

أبهى من الشمس أو أجلى من القمر

حتى رأى بصري فوق الذي سمعت

أذني فوفّق بين السمـــع والبصر

ومن نظمه مما يكتب على قوس[3]:

أنا عـــدة للديـــن في يَدِ مَنْ غدَا

للـــه منتصـــراً عـــلى أعدائـــه

أحكي الهلال وَأسْهُمِي في رَجْمِها

لمن اعتدى تحكي رجوم[4] سمائه[5]

---

[1] في النفـح: ((لعمـري)).

[2] لم يد هذان البيتان في الزيتونة؛ ووردا في نفح الطيب؛ وهما من البحر البسيط.

[3] وردت هذه الأبيـات في نفـح الطيـب؛ وهي مـن البحـر الكامـل.

[4] في النفـح: ((نجـوم)).

[5] في ج، والزيتونـة والنفـح: ((نجـوم سمائـه)).

قد جـــاء في القـــرآن أني عُـــدَّةٌ[1]

إذْ نَصَّ خيـــر الخلق محكم آيــــه[2]

وإذا العـــدوّ أصابه سهمي فقـــد

سبـــق القضاء بهلكـــه وفنائـــه

ومن توقيعه ما نقلته من خط ولده **أبي بكر**؛ في كتابه المسمى **بالموارد المستعذبة**، وكان [**بمدينة وادي آش**][3] الفقيه [الكذا **أبو عبد الله محمد بن غالب**][4] **الطريفي**، فكتب يوماً إلى [الشيخ][5]؛ خاصة والدي [وخلاصته] **أبي جعفر**[6] **بن داود** قصيدة [طويلة] على روي السين يشتكي[7] يشتكي[7] فيها من [جَوْر][1] مشرف بلدهم ـ إذ ذاك ـ **أبي القاسم بن حسان**؛ منها[2]:

---

[1] **إحالة إلى قوله سبحانه وتعالى: [وَأَعِدّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوّ اللّهِ وَعَدُوّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ). سورة الأنفال؛ الآية: 60.**

[2] **سقط هذا البيت في الزيتونة.**

[3] **في ج: ((بوادي آشي)). وفي النفح: ((وكان بوادي آش الفقيه الطريقي)).**

[4] **ما بين الحاصرتين أضيف من الزيتونة، والإسكوريال.**

[5] **هذه الكلمة أضيفت من الزيتونة والإسكوريال.**

[6] **وردت العبارة السابقة كلها في نفح الطيب هكذا: ((فكتب إلى خاصة والدي أبي جعفر...)).**

[7] **في النفح: ((يتشكى)).**

فيا صفيّ أبي العباس كيف ترى
وأنت كيِّس[3] من فيها من أكياس[4]
ولُّوه إن كان ممن ترتضون بـه
فقد دنا الفتح للأشراف في فـاس[5]

ومنها يستطر ذكر ذي الوزارتين [رحمه الله][6]:

للشرق فضل منه أشرقت شهب
من نورهم اقبسونا كل مقبـاس[7]

فوقع عليها رحمة الله تعالى عليه [ورضوانه][8]:

---

[1] هذه الكلمة المحصورة بين حاصرتين؛ مع الكلمات الثلاث السابقة المحصورة أيضاً بحاصرتين؛ كلها إضافات من الزيتونة، والإسكوريال. وكلمة ((جور)) غير واردة في النفح.
[2] البحر البسيط.
[3] في الإسكوريال، والنفح: ((أكيس)).
[4] سقط هذا البيت في الزيتونة.
[5] في الزيتونة: ((جلاس)).
[6] أضيفت هذه العبارة من الإسكوريال.
[7] في الزيتونة، والإسكوريال: ((أقباس)).
[8] أضيفت هذه الكلمة من الزيتونة. وهي غير واردة في النفح. والأبيات من البحر البسيط.

إن أفرطـــت بابن حسان غوائله
فالأمر يكسوه ثوب الذل واليـــاس[1]
وإن تَزِلَّ بـــه في جـــوره قـــدم
كان الجزاء له ضربـــاً على الراس
فقـــد أقامـــني المـــولى بنعمتـــه
لبث أحكامـــه بالعدل في النـــاس

كتابتـه

وهـي مرتفعـة عـن نمـط شعـره[2]. فمـن ذلـك رسالـة كتبهـا كتبهـا عـن سلطانه فـي فتـح مدينـة **قيجاطة**[3]: ((مـن الأمير فـلان، أيـده اللـه ونصـره، [ووفقـه لمـا يحـب، حتـى يكـون ممـن قـام بفـرض الجهـاد ونشـره][4]. إلـى ابننـا الـذي نمنحـه الحـبّ الحـبّ والـرّضى، [ونسـأل اللـه أن يهبـه الخـلال الـتي

[1] في النفـح: ((ثـوب الذكـر والبـاس)).
[2] في الإسكوريـال: ((تطمـه)).
[3] تسـمى بالإسبانيـة Quesada؛ وتدخـل في أعمـال ولايـة جيـان؛ وهـي علـى مقربـة مـن نـهـر الـوادي الكبيـر؛ في شمـال مدينـة جيـان.
[4] وردت هـذه العبـارة في الإسكوريـال هكـذا: ((وكافـأ سعيـه الـذي وقفـه علـى إقامـة فـرض الجهـاد ونصـره)).

تستحسن][1]، والشيم التي ترتضى، الولد الأنجب[2]، الأرضى، الأنجد، الأرشد، الأسعد، **محمد**، وإلى الله تعالى إسعاده، وتولى بالتوفيق والإرشاد سداده[3]؛ وأطلع عليه من أنباء الفتوح المبشرة بالنصر الممنوح، ما يكمل من بغيته في نصر دين الإسلام [ويُسني][4] مراده.

أما بعد؛ حمد الله، الذي جعل الجهاد في سبيله أفضل الأعمال؛ [الذي يقربه إلى رضاه][5]، وندب إليه بما وعد من الثواب عليه، فقال: ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ حَرِضْ المُؤْمِنِينَ عَلَى القِتَالِ﴾[6]؛ تنبيهاً على محل الثقة، بأن الفئة القليلة من أوليائه، تغلب الفئة الكثيرة من أعدائه[7]،

---

[1] وردت هذه العبارة في الإسكوريال هكذا: ((ونشكر الله على ما وهبنا من الخلال)).
[2] في الزيتونة، والإسكوريال: ((الأحب)).
[3] في الزيتونة، والإسكوريال: ((مراده)).
[4] أضيفت هذه الكلمة من الإسكوريال؛ أما الزيتونة؛ فقد ورد فيها: ((وينهي)).
[5] أضيفت هذه العبارة من الزيتونة.
[6] الآية كاملة هكذا: [يَا أيّهَا النّبيُّ حَرِضْ المُؤْمِنِينَ عَلَى القِتَالِ إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الذِينَ كَفَرُوا بِأَنّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ). سورة الأنفال؛ الآية: 65.
[7] إحالة إلى قوله تعالى: [فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إنّ اللّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإنّهُ مِنّي إلاّ مَن اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إلاّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمّا جَاوَزُوهُ هُوَ وَالذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لاَ طَاقَةَ لَنَا اليَومَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الذِينَ يَظُنّونَ أَنّهُمْ مُلاَقُوا اللّهَ

وتدارك دين الإسلام بإنجاز وعده في قوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾[1]؛ على رغم أنف من ظن [أنه خاذله ؛ تعالى الله عن خذلان جنده][2]، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله ومجتباه، لهداية الخلق لسلوك سبيل الحق، والعمل بمقتضاه. قال تعالى فيما أنزل: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾[3]، تحريضاً على أن يمحوا ظلام ضلالهم بنور هداه. صلى الله عليه وسلم؛ وعلى آله الأبرار، وأصحابه الأشداء على الكفار[4]، الذين جردوا في نصرة

كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ). سورة البقرة؛ الآية: 249.

[1] الآية كاملة هكذا: [الذِينَ أخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغَيْرِ حَقّ إلاّ أنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضُهُمْ ببَعْضٍ لَهُدّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنّ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إنّ اللّهَ لَقَوِيّ عَزِيزٌ). سورة الحج؛ الآية 40.

[2] في الزيتونة، والإسكوريال؛ كتب بدل هذا: ((إنه إن خذله أفاض الكفر دماء)).

[3] الآية كاملة هكذا: [يَا أيّهَا الذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أنّ اللّهَ مَعَ المُتّقِينَ). سورة التوبة؛ الآية: 123.

[4] إحالة إلى قوله تعالى: [مُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ وَالذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الكُفّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكّعاً سُجّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ في التّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإنْجِيلِ كَزَرْعٍ أخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزّرّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ الكُفّارَ وَعَدَ اللّهُ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأجْراً عَظِيماً). سورة الفتح؛ الآية: 29.

دينه صوارم[1] العزم، وأمضوا ظباه، وفتحوا ما زوَّى له من مشارق الأرض ومغاربها، حتى عمَّ الإسلام حدّ المعمور ومنتهاه.

فإنا كتبنا لكم. كتب الله لكم من سماع البشائر ما يعود بتحويل[2] الأحوال، وأطلع عليكم من أنباء الفتوح ما يلوح بآفاق الآمال[3]، مبشراً باليمن والإقبال. من **قيجاطة**، وبركات ثقتنا بالله وحده، تظهر لنا عجائب مكنونات ألطافه، وتجنينا ثمار النصر في إبّان قطافه، وتسخر[4] لنا ورْد مشرع الفتح فترد عذب نطافه، والحمد لله الذي هدانا لأن نتقلد نجادها، ونمتطي جوادها، ونستوري زنادها، ونستفتح بها[5] مغالق المآرب، [ولطائف المطالب][6]؛ حتى دخلت الملة الحنيفية في هذه **الجزيرة الأندلسية**، أغوارها وأنجادها. وقد[7] تقرر عند الخاص

[1] في ج: ((صارم)).
[2] في الإسكوريال: ((بتمهيد)).
[3] في الإسكوريال، والزيتونة: ((الإيمان)).
[4] نفسهما: ((وتسجل)).
[5] أضيفت هذه الكلمة من الإسكوريال.
[6] في الإسكوريال: ((ونستسهل مصاعب المطالب)).
[7] اعتباراً من كلمة ((وقد)) هذه؛ وحتى عبارة ((إلى بلوغ الأمنة والمأمول)) هو كل ما ورد في نفح الطيب.

والعام من أهل الإسلام، واشتهر في جميع[1] الأقطار اشتهار الصبح في سواد الظلام؛ أنا لم نزل نبذل جهدنا في أن تكون كلمة الله هي العليا، ونسمح في ذلك بالنفوس والأموال رجاء ثواب الله؛ لا لغرض[2] دنيا. أنا ما قصرنا في الاستنصار والاستنفار[3] [ولا قصرنا[4] عن الاعتضاد لكل من أملنا معونته[5] والاستظهار][6]، ولا اكتفينا بمطولات بمطولات الرسائل وبنات الأفكار، حتى اقتحمنا بنفوسنا لجج البحار، وسمحنا بالطارف من أموالنا والتلاد، وأعطينا رجاء [نصرة الإسلام][7] موفور الأموال والبلاد، واشترينا بما أنعم الله به علينا، ما فرض الله على كافة أهل الإسلام من الجهاد؛ فلم يكن بين تلبية المدعو وزهده، وبين قبوله ورده؛ إلا كما يحسو الطائر ماء

---

[1] في النفح: ((آفاق)).
[2] في ج، والنفح: ((لا لعرض الدنيا)).
[3] في النفح: ((في الاستنفار والاستنصار)).
[4] نفسه: ((ولا أقصرنا)).
[5] في ج، والنفح: ((معاملته)).
[6] ما بين الحاصرتين ساقط في الإسكوريال.
[7] في الإسكوريال، والزيتونة: ((نصرة الله)).

الثماد[1]، ويأبى الله أن يكل نصر[2] هذه **الجزيرة** إلى سواه، وأن يجعل فيها سبباً إلاَّ لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته ونجواه.

ولما أسلم الإسلام بهذه **الجزيرة** الغريبة[3] إلى مثاويه[4]، وبقي المسلمون يتوقعون حادثاً ساءت ظنونهم لباديه؛ ألقينا إلى الثقة بالله تعالى [وحده][5] يد الاستسلام، وشمرنا عن ساعد الجد والاجتهاد[6] في جهاد جهاد عبدة الأصنام، وأخذنا بمقتضى قوله التعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[7] أخذ الاعتزام، فأمدنا الله تعالى تعالى بتوالي البشائر، ونصرنا بألطاف أغنى فيها خلوص الضمائر عن قواد[8] العساكر، ونقلنا[1] على أيدي قوادنا

---

[1] يقصد قليلاً قليلاً؛ تشبيهاً بتناول الطائر لماء الثماد؛ أي القليل الذي ينضب صيفاً. وقد سبق لأعراب أن قال في هذا:

لا أذوق النوم إلا غراراً * مثل حسو الطير ماء الثماد

[2] في النفح: ((نصرة الإسلام بهذه الجزيرة إلى سواه؛ ولا يجعل فيها شيئاً إلاّ لمن...)).

[3] في ج: ((الغربية))، وفي الزيتونة: ((العربية)).

[4] في النفح: (مناويه)).

[5] أضيفت هذه الكلمة من الإسكوريال.

[6] كلمة ((الاجتهاد))؛ غير واردة في النفح.

[7] الآية كاملة هكذا: [وَأَنْفِقُوا فِي سَبْيِلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُوا بأيْدِيكُمْ إلَى التّهْلُكَةِ وَأحْسِنُوا إنّ اللّهَ يُحِبّ المُحْسِنِينَ). سورة البقرة؛ الآية: 195.

[8] في الإسكوريال، والزيتونة، والنفح: ((قود)).

ورجالنا من السبايا والغنائم، ما عُدَّ[2] ذكره في الآفاق كالمثل السائر: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾[3]، وكيف يحصيها المحصي أو يحصرها الحاصر. وحين أبدت لنا العناية الربانية وجوه الفتوح[4] سافرة المحيا، وانتشقنا [نسيم][5] النصر الممنوح عبق الريًّا، استخرنا الله تعالى في الغزو بأنفسنا[6]، ونعم المستخار، وكتبنا إلى من قرب من عمّالنا[7] بالحضّ على الجهاد والاستنفار.

وحين وافى من خف للجهاد من الأجناد والمطوعين، وغدوا بحكم رغبتهم في الثواب على طاعة الله مجتمعين، خرجنا بهم، ونصر الله تعالى أهدى دليل، وعناية الله بهذه الفئة المفردة من المسلمين، تقضي[8] بتقريب البعيد من آمالنا، وتكثير القليل. ونحن نسأل الله

---

[1] **في النفح: ((ونفلنا))؛ أي منحنا ماغنمناه.**
[2] **نفسه: ((ما غدا)).**
[3] **الآية كاملة هكذا: [وَآتَاكُمْ مِنْ كُلّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدّوا نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إنّ الإنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ). سورة إبراهيم؛ الآية: 34.**
[4] **في ج، والنفح: ((الفتح)).**
[5] **أضيفت هذه الكلمة من الإسكوريال. وكتبت في النفح: ((نسائم)).**
[6] **في النفح: ((بنفسنا)).**
[7] **نفسه: ((من أعمالنا)).**
[8] **في الزيتونة: ((تقتضي)).**

تعالى أن يحملنا على جادة الرّضا والقبول، وأن يرشدنا إلى طريق يفضي[1] إلى بلوغ الأمنية والمأمول[2]؛ إلى أن حللنا عشية يوم الأحد ثاني يوم خروجنا بمقربة[3] **حصن اللقوة**[4]، **اللقوة**[4]، فأدرنا به التدبير، واستشرنا من أوليائنا من تحققنا تحققنا نصحه فيما يشير، فاقتضى الرأي المقترن بالرشاد، المؤذن بالإسعاد، قصد **قيجاطة**؛ [لما رجى من][5] تيسير فتحها، وأملا في إضاءة فجر الأماني لديها، وبيان صبحها. فسرنا [نحوها][6] في جيش، يجر على المجرة ذيل النقع المثار، ويضيق عن كثرته واسع[7] الأقطار، ويقر عين عين الإسلام، بما اشتمل عليه من الحماة والأنصار [تطير بهم نياتهم][8] بأجنحة العزم إلى قبض أرواح الكفار. فلما وصلنا إلى **وادي يانه**[9]؛ على مقربة منها. نزلنا به نريح

---

[1] في النفح: ((تفضي)).
[2] هنا ينتهي النص الوارد في النفح؛ والذي بدأ بعبارة: ((وقد تقرر)).
[3] في ج، والزيتونة: ((بمقبرة)).
[4] في الإسكوريال: ((اللقون)).
[5] في ج: ((رغبة في تيسير))، وفي الزيتونة: ((من تيسير)).
[6] أضيفت هذه الكلمة من الإسكوريال.
[7] في الزيتونة: ((واسعة))، وفي الإسكوريال: ((واسعات)).
[8] في ج: ((يطير بهم ثباتهم))، وفي الزيتونة: ((يطير بهم ثيابهم)).
[9] هو نهر بالقرب من قيجاطة؛ وإلى الشرق منه؛ ويسمى بالإسبانية **Guadiana**.

الجياد، ونكمل التأهب للقتال الاستعداد. وبات المسلمون ليلتهم يسألون الله تعالى بأن يمنحهم[1] الإعانة بتأييده والإمداد.

وحين فجر الفجر وأنار النهار، وقدحت به الأصباح زند الأنوار، ركبنا إليها والعساكر قد انتظمت عقودها والسيوف قد كادت تلفظها غمودها، وبصاير الأولياء المجاهدين قد لاح من نصر الله تعالى معهودها. فلما وصلناها، وجدنا ناسنا قد سبقوا إليها بالبُوس، وهتكوا ستر عِصْمَتَها المحروس، [وأذن لها][2] بزوال النعم، وذهاب وذهاب النفوس، فعاجلها الأولياء بالقتال، وأهدوا إليها حمر المنايا من زرق النصال، [ورشقوا جنودها بالنبال، وجدوا بنات الآجال][3]، فلما رأوا ما لا طاقة لهم به، لاذوا لاذوا بالفرار من الأسوار، وولوا الأدبار، وودعوا الديار وما فيها من الآثار. وتسنّم المسلمون ذروة البلد الأول

[1] في الزيتونة: ((يلهم))، وفي الإسكوريال: ((يلهمهم)).
[2] في ج: ((وخذلوها))، وفي الزيتونة: ((وأخرجها))؛ وصوبت من الإسكوريال. الإسكوريال.
[3] وردت بدل هذه العبارة في الإسكوريال والزيتونة؛ عبارة أخرى هي: ((ورشقو جردها بمدنيات من الآجال)).

فملكوه، وخرقوا حجاب الستر المسدول عليه وهتكوه، وتسرعوا إلى البلد الثاني، [وقد ملأ **النصارى** أسواره][1] من حماة رجالهم، وانتقوهم من متخيري أبطالهم، ممن وثقوا بإقدامه في حماية ضلالهم، فحمل عليهم[2] المسلمون حملة عرفوهم بها كيف يكون اللّقاء، [وصرفوهم إلى ما تنصرف إليه أرواحهم من الشقاء][3]، وأظهروا لهم [من صدق العزايم][4] ما علموا به أن لدين الإسلام أنصاراً؛ لا يرغبون بأنفسهم عن الذب عنه وحماية راياته، ولا يصدرون إلاّ إلى طاعة الله ابتغاء مرضاته.

وبادر جماعة إلى إضرام باب المدينة بالنّيران، وعقدوا تحت سماء العجاج منها سماء الدخان، ورموا **النصارى** [من النبال][5] بشهب تتبع منهم كل شيطان. فهزم الله **النّصارى**؛ وولوا أدبارهم، وقذف الله في قلوبهم

---

[1] في ج: ((وقد ملئوا أسواره))، وفي الزيتونة: ((القصر إلى)).
[2] في ج: ((عليه))؛ وصوبت من الزيتونة، والإسكوريال.
[3] في الإسكوريال، والزيتونة: ((وأعلموهم بصدقها أن أقرب الأحوال إليهم الشقاء)).
[4] في ج: ((وأظهروا لهم من الصدف عن الغنايم)).
[5] أضيفت هذه العبارة من الإسكوريال.

الرعب[1]، فأخلوا بروجهم وأسوارهم، وتسنّمها المسلمون معلنين شعار الإسلام، رافعين من الرايات الحمر كواكب في سماء السعادة تبشر بتيسير كل مرام[2]، ودخلوا المدينة، فألفوا بها من القوت والعتاد، والمتاع الفاخر، الذي يربو على العتداد؛ [ما ملأ][3] كل يمين وشمال، وظهروا عليها بعد بلوغ الأماني على الكمال، [وقتلوا بها من الحماة أعداء؛ أبدوا في حماية ضلالهم ماضي الفنا والاعتزام][4] وأعملوا فيهم ماضي العوامل وشبا الإضرام. وارتفع **النصارى** إلى **القصبة** لائذين بامتناعها، معتصمين بعلوها وارتفاعها، متخيِّلين [لضلالهم، وعدم استبصارهم][5]؛ أن نور الهدى لا يحل بديارهم؛ فرأينا أن نُرقي الرجال إلى أبراج البلد وأسواره، وأمرناهم أن يبيتوا طول ليلتهم مضيقين على من اعتصم **بالقصبة** في حصاره، وعمدنا

[1] إشارة إلى قوله تعالى: [وَأَنْزَلَ الذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً). سورة الأحزاب؛ الآية: 26.

[2] في الزيتونة: ((مراد)).

[3] في ج: ((فملئوا)).

[4] في ج: ((وقتلوا من بها من أهل الضلال والظلام)).

[5] جاءت هذه العبارة في الإسكوريال والزيتونة هكذا: ((متخيلين لاستبصارهم في ضلالهم)).

بالعسكر المظفر إلى موضع استيطانه من المحلة المنصورة واستقراره.

فلما بدا ضوء الصباح بنور الإشراق، ولاح وجه[1] الغزالة طارحاً شعاعه على الآفاق، أمرنا بترتيب العساكر على **القصبة** للحصار، وعينا لكل جماعة مهنهم جهة يبادرون إلى منازلتها بالقتال أشد[2] البدار، فانتهى المسلمون من ذلك [إلى غاية لم][3] تخطر للكافرين ببال، وجرعوهم كؤوس المنايا، وأداروا بها بنات الحنايا، [فأفضت السجال][4] وأظهر الكفار، مع وقوعهم في بحر الموت صبراً وطمعوا، أن يقيموا بذلك لصلبانهم عذراً.

فلما رأوا من عزمنا ما لم تتخيله ظنونهم وأوهامهم، وصابرهم المسلمون عند النزال مصابرة عظم فيها إقدامهم [وثبتت أقدامهم][5] ألقوا بأيديهم إلى

---

[1] في الزيتونة، والإسكوريال: ((قرن)).
[2] في الإسكوريال: ((أوفى)).
[3] في ج: ((الذي لم)).
[4] هذه العبارة أضيفت من الإسكوريال.
[5] أضيفت هذه العبارة من الإسكوريال.

التهلكة، إلقاء [من هاله لمعان الأسنة، واهتزاز رُدَيْنِيات القنا][1]، ولاذوا بطلب الأمان لياذ الغريق بالساحل، بعد ما أشرف على الفنا، وهبط زعيمهم، مقتحماً خطر تلك المسالك، متضرعاً تضرع من طمع في الحياة بعد ما أخذته أيدي المهالك، وشرط أن يملكنا القصبة. ويبقى خديماً لنا بما بيده من البلاد الكثيرة، [والكتيبة][2] المنتخبة، فلم نظهر له عند ذلك قبولاً، [ولم نجعل له][3] إلى تكميل ما رغب فيه سبلا، فقاده البأس الشديد إلى الإذعان، ورغب أن يكمل ما نريده على شرط[4] الأمان؛ فأسعفنا رغبته على شروط، بَعُدَ عهدُ المسلمين بمثلها، [وهيئت الأسباب بما نعتمده][5] من الثقة بالله وحده في أمورنا كلها، وذلك على كذا وكذا.

وحين كملت الشروط حق التكميل، وظهرت لنا [منه][6] أمارات الوفاء الجميل، دخلنا **القصبة** حماها

[1] هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال؛ بينما هي واردة في ج، والزيتونة.
[2] أضيفت هذه الكلمة من الإسكوريال.
[3] في الإسكوريال: ((ولا جعلنا له)).
[4] في ج، والزيتونة: ((شروطاً)).
[5] في الإسكوريال: ((وهيأت أسبابها ما يعتمد)).
[6] أضيفت هذه الكلمة من الإسكوريال.

الله، وقد أغنى [يوم][1] النصر عن شهر السلاح، كما أغنى ضوء الصبح [عن نور المصباح][2]، ورفعت على أبراجها حمر الأعلام، ناطقة عن الإسلام، بالتعريف والإعلام. وفي الحين وجهنا من يقبض تلك الحصون، ويزيل ما بها من جرم[3] الكفر المأفون أمناء رجالنا. فالحمد لله على هذه النعمة التي أحدثت للقلوب استبشاراً، وخفضت [علم التثليث][4]، ورفعت للتوحيد مناراً، وأظهرت للملة الحنيفية على أعدائها اعتلاء واستكباراً.

وهذا القدر من الفتح ؛ وإن كان سامي الفخر، باقي الذكر بقاء الدهر، فإننا لنرجو من فضل الله أن يُتْبِعه[5] بما هو أعلى منه متانة، وأعظم[6] في قلوب أهل الإيمان موقعاً موقعاً وأعز مكانة، وأن يرغم بما يظهر على أيدينا من عزّ الإسلام، أنف من أظهر له عناداً وخذلانا. فاستبشروا بهذا

[1] أضيفت هذه الكلمة من الزيتونة.
[2] في الإسكوريال: ((ما فعل المصباح)).
[3] في الزيتونة، والإسكوريال: ((حريم)).
[4] في الزيتونة: ((علما))، وفي الإسكوريال: ((للشرك علماً)).
[5] في الإسكوريال: ((يشفعه)).
[6] في الزيتونة: ((وأسنى)).

الفتح العظيم وبشروا، واشكروا الله عليه، فواجب أن تشكروا. وقد كتبنا هذا، ونحن على عزمنا في غزو بلاد الكفار، والسعي الحميد [إلى التنكيل بهم][1] والإضرار، والمسلمون أعزهم الله في أرضهم يشنون المغار[2]، ويمتلكون الأنجاد منها والأغوار، ويكثرون القتل والأسار، ويُحَكِّمون أينما نزلوا السيف والنار. [والسلام])) [3].

ومن نثر آخر إجازة ما صورته[4]

[وها أنا أجري منه[5] على حسن معتقده وأكله في هذا الغرض إلى ما رآه بمقتضى توده، وأجيز له ولولديه، أقر الله بهما عينه، وجمع بينهما وبينه، رواية جميع ما نقلته وحملته[6]، وحسن اطلاعه يفصل من ذلك ما أجملته، فقد أطلقت لهم الإذن في جميعه، وأبحت لهم

[1] في الزيتونة، والإسكوريل: ((في القطع بهم)).
[2] في الزيتونة: ((الغارات))، وفي الإسكوريال: ((المغوار)).
[3] سقطت هذه الكلمة في ج.
[4] ورد هذا النص في نفح الطيب، وأزهار الرياض؛ الذي كتب فيه: ((يخاطب ابن الجياب الشيخ أبا علي عمر الجراوي)).
[5] في النفح، والأزهار: ((معه)).
[6] في الأزهار: ((ما حملته ونقلته)).

الحمل عني، ولهم الاختيار في تنويعه. والله سبحانه وتعالى يخلص[1] أعمالنا لذاته، ويجعلها في ابتغاء مرضاته. قال هذا **محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم**[2] حامداً لله عز وجل، ومصلياً ومسلماً] [3].

وفاتـه

قُتل رحمه الله صبيحة عيد الفطر؛ من عام ثمانية وسبعمائة[4]، وذلك لتاريخ خلع سلطانه. واستولت يد الغوغاء على منازله، شغلهم بها مدبر الفتنة، خيفة من أن يعاجلوه قبل تمام أمره. فضاع بها مال لا يكتب، وعروض لا يعلم لها قيمة من: الكتب، والذخيرة والفرش، والآنية، والسلاح، والمتاع، والخُرْثي؛ وأخفرت ذمته[5]،

---

[1] في الأزهار: ((والله عز وجل يخلص...)).

[2] جاء في أزهار الرياض: ((قال هذا وكتبه محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد اللخمي بن الحكيم؛ عفا الله عنه؛ حامداً الله عز وجل، ومصلياً على رسوله المصطفى، ومسلماً عليه وعلى آله. منتصف جمادى الآخرة عام ثلاثة وسبعمائة)).

[3] لم ترد هذه الفقرة كلها؛ المحصورة بين حاصرتين في الزيتونة، ولا في الإسكوريال؛ بينما وردت في ج.

[4] الموافق لـ 1308م.

[5] أي نقضت عهوده، وانتهكت حرمته.

وتُعُدِّي به عُدوة القتل إلى المُثْلة[1]. وقانا الله مصارع السوء؛ فطيف بشلوه، وانتهب؛ فضاع [ولم يقبر][2]. وجرت فيه شناعة كبيرة، رحمه الله تعالى.

مولـده

برُنْدة ظهر يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الأول المبارك؛ من عام ستين وستمائة[3]. وممن رثاه شيخنا **أبو بكر بن شبرين** رحمه الله تعالى بقوله[4]:

[سقى الله أشلاء كرُمْن على البلى
وما غــض من مقدارها حادث البلا
ومما شجـــاني أن أهين مكانهـــا
وأهمل قدر ما عهدنـــاه مهمـــلا
ألا اصنع بها يا دهر ما أنت صانع
فما كنـــت إلا عبدهـــا المتذلـــلا][5]

---

[1] أي التمثيل والتنكيل قبل وبعد القتل.
[2] في الزيتونة والإسكوريال: ((فلم يجبر)).
[3] الموافق لـ 1261م.
[4] توجد هذه القصيدة أيضاً في نفح الطيب. وهي من البحر الطويل.
[5] لم يرد من هذه القصيدة في الزيتونة سوى هذه الأبيات الثلاثة الواردة بين حاصرتين.

سفكت وما كان الرقـــوء نوالــــه

لقد جئتها[1] شنعاء فاضحة المـــلا

(يكفي سبنتي أزرق العين مطرق)[2]

عدا فغـــدا في غيـــه متوغـــلا

لنعم قتيـــل القوم في يوم عيـــده

قتيل تبكيـــه المكـــارم والعـــــلا

ألا إن يـــوم ابن الحكيم لمثكـــل

فؤادي فما ينفك ما عشت مثكـــلا

فقدنـــاه في يوم أغـــر محجـــل

ففي الحشـــر نلقـــاه أغرّ محجلا

سمت نحـــوه الأيام وهو عميدها

فلم تشكر النعمى ولم تحفظ الولا

تعاورت الأسيـــاف منه ممدحـــاً

كريما سما فوق السماكين منزلا[3]

---

[1] في النفـح: ((جئتمـا)).

[2] هـذا الشطـر؛ هـو عجـز بيـت مـن قصيـدة قالـهـا جـزء بـن ضـرار أخـو الشمـاخ في عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنـه. ويقـول في ذلـك البيـت:

وما كنـت أخشى أن تكـون وفاتـه * وبكفَّيْ سبنـتى أزرق العيـن مطـرق

[3] في ج، والنفـح: ((مرحـلا)).

وخانته رجل في الطواف به سعــت

فنـــاء بصـــدر للعلـــوم تحمـــلا

وجدل لم يحضره في الحي ناصر

فمن مبلـــغ الأحيـــاء أن مهلهلا[1]

يد الله في ذاك الأديـــم ممزقـــاً[2]

تبارك ما هبـــت جنوباً وشمـــألا

ومِنْ حزني أنْ لسـت أعرف ملحداً

له فـــأرى للتـــرب منه مقبـــلا

رويـــدك يا من قد غدا شامتاً به

فبالأمـــس ما كان العماد المؤملا

وكنا نغـــادي أو نـــراوح بابـــه

وقد ظل في أوج العلا متوقـــلا

ذكرناه يوماً فاستهلـــت جفوننـــا

بدمع إذا ما أمحل العـــام أخضلا

---

[1] **أشـار هنـا إلى قـول الشاعـر في مهلهـل بـني ربيعـة:**
مـن مبلـغ الحيين أن مهلهـلا * أضـحى قتيـلا في الفـلاة مجنـدلا
[2] **وهنـا أيضـاً إشـارة إلى قـول ابـن ضـرار:**
عليـك سـلام من أميـر وباركـت * يـد الله في ذاك الأديـم الممـزق

ومازَجَ منه الحزن طول اعتبارنـــا
ولم ندر ماذا منهما كان أطـــولا
وهاج لنا شجـــواً تذكر مجلـــس
له كان يُهدي الحي والملأ الألى
به كانـــت الدنيـــا تؤخر مدبـــراً
من الناس حتماً أو تقـــدم مقبلا
لتبك عيـــون الباكيات على فتى
كريم إذا ما أسبغ العرف أجـــزلا
على خادم الآثار تتلى صحائحـــا
على حامل القرآن يتلى مفصـــلا
على عضـــد الملك الذي قد تضوعـــت
مكارمه في الأرض مسكاً ومنْدَلا
على قاسم الأموال فينا على الذي
وضعنا لديه كل إصر على علا
وأنَّـــى لنـــا من بعـــده متعلـــل
وما كـــان في حاجاتنا متعلـــلا

ألا يا قصير العمر يا كامل العلا

يميناً لقد غـــادرت حزناً مؤثـــلا

يسوء المصلى أن هلكت ولم تقم

عليك صلاة فيـــه يشهدها المـــلا

وذاك لأن الأمر فيـــه شهـــادة

وسنتهـــا محفوظـــة لن تبـــدلا

فيا أيها الميت الكريم الذي قضى

سعيداً حميـــداً فاضلاً ومفضـــلا

لتنهل[1] من رب السمـــاء شهـــادة

تلاقي ببشرى وجهـــك المتهلـــلا

رثيتـــك عن حب ثوى في جوانحي

فما ودع القلب العميد [وما قـــلا][2]

ويا رب من أوليته منك نعمـــة

وكنت له ذخراً عتيـــداً وموئـــلا

---

[1] في النفـح: ((لتهنـك)).

[2] في الإسكوريـال: ((ولا قـلا)). وقـد اقتبسهـا مـن قولـه سبحانـه وتعـالى: [مَـا وَدّعَـكَ رَبّـكَ وَمَـا قـلَى]. سـورة الضـحى؛ الآيــة: 3.

تناســـاك حتى ما تمـــر ببالـــه
ولم يدَّكِـــر ذاك الندى والتفضلا
يرابض في مثواك كـــل عشيـــة
صفيف شواء أو قديـــداً معجـــلا[1]
لَحَى الله من ينسى الأذمة رافضاً
ويذهل مهما أصبح الأمر مشكلا
حمانيك يا بدر الهدى فلشد مـــا
تركت بـــدور الأفـــق بعد[2] أُفَّـــلا
وكنت لآمـــالي حيـــاة هنيئـــة
فغادرت مني اليوم قلبـــاً مقتـــلا
فلا وأبيـــك الخيـــر ما أنا بالذي
على البعد يشسي[3] من ذمامك ما خلا
فأنـــت الذي آويتـــني متغربـــاً
وأنـــت الذي أكرمتـــني متطفلا

[1] **في النفح ((قديراً معجلا)). وهي مأخوذة من قول امرئ القيس في معلقته:**
ظل طهاة اللحم من بين منضج * صفيف شواء أو قدير معجل
[2] **في النفح: ((بعدك)).**
[3] **هكذا في النص الأصلي؛ وكتبت في النفح: ((ينْسي))؛ وهو أصوب.**

فإن لم أنل منك الذي كنت آملاً

فما كنت إلا المحسن المتفضــــلا[1]

فآليت لا ينفك قلـــبي مكمـــداً

عليك ولا ينفك دمـــعي مسبـــلا

***

[1] أضيف هذا البيت من الإسكوريال. وهو غير وارد أيضاً في نفح الطيب.

محمد بن عبد الرحمن

العقيلي الجراوي[1]؛ من أهل وادي آش؛ وسكن غرناطة.

حالـه

فقيه أديب متطبب، متفنن في علوم جمة، شاعر مطبوع؛ **يكنى أبا بكر**. مدح الأمير **علي بن يوسف اللمتوني** بقوله[2]:

رحلــوا الرّكايب موهنــاً
فــأذاع عرفهــم السّنــا
والحَــلْي قــد أغرَى بهــم
لمــا ترنّـــم معلنــــا
كم حــفّ حــول حماهــم
من كــل خطّــار القنــا

[1] وردت هذه الترجمة في مخطوط الإسكوريال فقط.
[2] مجزوء الكامل.

قال **أبو جعفر بن الزبير**: ينفك منها قصايد[1]:

رحلـــوا الركاب موهناً ليكتمـــوا

ظعن الحمول وهل توارى الأنجم

فأذاع سرهم السنـــا ورمى بهـــمَّ

فـــلُّ الذميـــل شذاهـــم المتنســـم

كـــم حف حمل قبابهم وركابهـــم

من ليث غاب في براثنـــه الـــدم

من كل خطـــار القنـــاة ممـــوه

بين الرحيـــل نصبـــه يستسلـــم

وهي طويلة، خاطب بها أمير المسلمين **علي بن يوسف بن تاشفين**. وقال في وصف القصيدة[2]:

أيا ملكـــاً يسمـــو بسعد مساعـــد

وقدْرٍ على علو الكواكب صاعـــد

---

[1] **البحر الكامـل.**

[2] **البحر الطويـل.**

نظمت قصيداً في علاك مضمناً

ثلاث قواف في ثـــلاث قصايـــد

إذا فصلت أغنى عن البعض بعضها

وإن وصلت كانت ككعب وساعد

فأجـازه بظهير كريـم ؛ بتحريـر مالـه وتنويهـه.

***

محمد بن عبد الرحمن[1]

المُتأهل؛ من أهل وادي آش؛ يعرف[2] بعمامتي.

حاله

من التاج: ناظم أبيات، وموضح غرر وشيات، وصاحب توقيعات رفيعات، وإشارات ذوات شارات، وكان شاعراً مكثاراً، وجواداً لا يخاف[3] عثاراً. أدخل على أمير بلده المخلوع عن ملكه، بعد انتشار[4] سلكه، وخروج الحضرة عن ملكه، واستقراره **بوادي آش**، مروع[5] البال، معللا بالآمال، وقد بلغه دخول **طبرنش** في طاعته، فأنشده من ساعته[6]:

خذهـــا إليـــك طبرنشـــا

شفـــع بهـــا وادي الأشـــا[7]

[1] هكذا في مخطوط الزيتونة؛ وبالتحديد في آخر جزئه الأول. بينما جاء الاسم في الإسكوريال: ((عبد الرحيم)).
[2] في الزيتونة: ((المعروف)).
[3] نفسه: ((يخلف)).
[4] نفسه: ((استنثار)).
[5] نفسه: ((موروع)).
[6] مجزوء الكامل.
[7] يقصد وادي آشي.

والأم تتبـــــع بنتهـــــا
والـلــه يفعــل مــا يشــا

ومن نوادره العذبة يطلب خطة الحسبة[1]:

أنلـــنيّ يا خيـــر البريـــة خطـــة
ترفعـــني قدراً وتكسبـــني عـــزاً
فأعتز في أهلي كما اعتزّ بيدق[2]
على سفرة الشطرنج لما انثنى فرزاً

فوقع الأمر بظهر رقعته، ما ثبت في حرف النون عند ذكره؛ والاحتجاج بفضله.

وفاته

كان حياً بعد سنة سبع عشرة وسبعمائة[3]. وفد على الحضرة مرات كثيرة.

***

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **البيدق:** هو **الجندي في لعبة الشطرنج؛ ويعتبر البيدق أضعف قطعة في تلك اللعبة واكثرها عدداً.**
[3] **الموافق لـ 1317م.**

محمد

ابن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طُفَيل القيسي[1]؛
من أهل وادي آش، يكنى أبا بكر.

حالـه[2]

كـان عالماً، صـدراً، حكيمـاً، فيلسوفاً، عارفاً بالمقـالات والآراء، كلفـاً بالحكمـة المشرقيـة، محققـاً، متصوفـاً، طبيبـاً ماهـراً، فقيهـاً بـارع الأدب، ناظمـاً، ناثـراً، مشاركـاً فـي جملـة مـن الفنـون[3].

---

[1] توجـد ترجمـة محمـد بـن طفيـل فـي: المعجـب، والمقتضـب مـن كتـاب تحفـة القـادم، وعيـون الأنبـاء فـي طبقـات الأطبـاء؛ وضمـن ترجمـة أبـي الوليـد بـن رشـد. والأعـلام للزركـلي. ودائـرة المعـارف الإسلاميـة، ومعجـم المطبوعـات.
[2] سقطـت في الإسكوريـال.
[3] كـان ابـن طفيـل فيلسوفـاً ومفكـراً وقاضياً وطبيباً وفلكياً. ويعتبر بمثابة الأب الروحي للنزعة الطبعية في التربية؛ وذلك من خلال كتابه "حي بن يقظان"؛ الذي سعى فيه للتوفيق فلسفياً بين المعرفة العقلية، والمعرفة الدينية.

مشيختـه

روى عـن **أبـي محمـد الرُّشـاطي**، **وعبـد الحـق بـن عطيـة**، وغيرهمـا[1].

حُظْوتـه ودخولـه غرناطـة

اختص بالريس[2] **أبـي جعفـر**، **وأبـي الحسـن بـن مَلْحـان**.

قـال **ابـن الأبـار فـي تحفتـه**[3]: وكتـب لـوالي **غرناطـة** وقتـاً[4].

---

[1] مـن بيـن شيوخـه أيضـاً أبـو بكـر محمـد بـن يحيـى بـن الصائـغ السرقسـطي المعروف بابـن باجـة.

[2] هكـذا.

[3] هـو أبـو عبـد محمـد بـن عبـد اللـه بـن الأبـار القضـاعي؛ وكتابـه هـو المقتضـب مـن تحفـة القـادم.

[4] بعدهـا؛ أصبـح طبيبـاً خاصـاً للخليفـة الموحـدي أبـي يعقـوب يوسـف؛ وذلـك سنـة 558هـ/1162م. وبـقي علـى ذلـك إلـى يـوم وفاتـه بمراكـش 581هـ/1185. وكـان محبوبـاً لديـه، شغوفـاً بأعمالـه وأقوالـه؛ حـتى أنـه كـان يقيـم عنـده أيامـاً؛ ليـلاً ونـهـاراً؛ فـلا يظهـر. وكان لـه الفضل في استقدام بعض العلماء إلى بلاط الدولـة الموحدية بمراكش؛ مثل تلميذه وخليفته ابن رشد.

توالیفـه

رسالـة حيّ بـن يقظـان[1]**، والأرجوزة الطبيَّة المجهولـة**[2]**،** وغيـر ذلـك[3].

شعــره

قـــال: وهـــو القايـــل مـــن قصيـــدة في فتـــح **قفصـــة**[4] سنـــة ســـت وتسعيـــن[5]؛ وأنفـــذت إلـى البـــلاد:

---

[1] **حي بـن يقظـان: حكايـة أسطوريـة؛ ذات معزى فلسـفي؛ تسـرد قصـة المدعو حي بـن يقظـان؛ الـذي نشـأ في جزيـرة خاليـة وحيـداً. وهـذه القصـة ترمـز للإنسـان ككـل، وعلاقتـه بالكـون والديـن. وأول مـن شـرع في نسـج هـذه الأسطـورة هـو الفيلسـوف ابـن سينـا؛ ثـم واصـل ذلـك العمـل شهـاب الديـن السهـروردي؛ وبعدهـا تـولى كتابتهـا الفيلسـوف الأندلسـي ابـن طفيـل. وفي الأخيـر عمـل ابـن النفيـس علـى مواصلـة روايـة هـذه القصـة. غيـر أن أشهـر هـذه الأعمـال الأربعـة هي قصـة ابـن طفيـل؛ الـتي التصقـت بـه وعرفـت باسمـه. وقـد تأثـرت الآداب الغربيـة بقصـة ابـن طفيـل هـذه؛ فترجمـت إلى لغـات عديـدة؛ مثـل: اللاتينيـة، والعبريـة، والإنجليزيـة، والفرنسيـة، والألمانيـة، والهولنديـة. وكتب على غرارها قصـة روبنسون كروز، وقصـة طرزان.**

[2] **عدد أبيـات هـذه الأرجـوزة 7700.**

[3] **عقـدت بينـه وبيـن الفيلسـوف ابـن رشـد مباحـث ومراجعـات في ((رسـم الـدواء))؛ جمعهـا ابـن رشـد في كتـاب الكليـات. ولابـن طفيـل أيضـاً رسالـة في النفـس؛ وهـي رسالـة فلسفيـة.**

[4] **قفصـة: مدينـة في الجنـوب الغربي التونـسي الأن. وهي مقـر ولايـة.**

[5] **صحـح عنـان هـذا التاريـخ بـ: 576هـ/1180م. وهـو التاريـخ الـذي فتـح فيـه أبـو يعقـوب الخليفـة الموحـدي مدينـة قفصـة بإفريقيـة؛ بعـد عصيانهـا؛ ونبذهـا للطاعـة. وكـان رفقـة الخليفـة ـ في هـذا الفتـح ـ ابـن طفيـل. وهـذا التاريـخ يتطابـق مـع مـا جـاء في البيـان المغـرب.**

ولما انقضى الفتح الذي كان يرتجى

وأصبح حزب الله أغلب غالـــب

وانجزنا وعــد من الله صـــادق

كفيل بإبطال الظنون الكـــواذب

وساعدنا التوفيــق حتى بينــت

مقاصدنـــا مشروحة بالعواقــب

وأذعن من عليا هلال بن عامــر[1]

أبي ولـــبّى الأمر كل مجانــب

وهبوا إذا[2] هب النسيم كما[3] سرى

ولم يتركوا بالشرق علقة آيــب

يغص بهم عرض الفلا وهو واســع[4]

وقد زاحموا الآفاق من كل جانب

---

[1] هم بنـو هـلال بـن عامـر بـن صعصعـة بن معاويـة بـن بكـر بـن هـوازن بـن منصـور بـن عكرمـة بـن خصفـة بـن قيـس عيـلان بـن مضـر بـن نـزار بـن معد بـن عدنــان. استعانت بهم الدولة الموحدية أثناء حروبها مع أعدائها.

[2] في البيـان المغـرب: ((كمــا)).

[3] نفسـه: ((إذا)).

[4] في البيـان المغـرب: ((يغـض بهـم عـرض الفيـافي وطولهـا)).

كأن بسيط الأرض حلقة خاتـــم

بهم وخضم البحر بعض المذانب

ومَدَّ على حكم[1] الصغار لسلمنـــا

يديه عظيم الروم في حال راغب

يصرح بالرويا[2] وبين ضلوعـــه

نفس مذعــور ونفــرة راهـــب

وعَيٌّ[3] من لسان الحال أفصح خطبة

ما وضحت[4] عنه فصاح القواضب

وأبصر مَتْن الأرض كفة حامـــل

عليه وإصراه في كـــف حالـــب

أشرنا بأعنـــاق الجيـــاد إليكـــم

وعجباً عليكم من صدور الركايـــب

---

[1] في البيـان المغـرب: ((رغـم)).
[2] وذلـك بتخفيـف الهمـزة. بينمـا كتبـت في البيـان المغـرب: ((بالرغبى)).
[3] في البيـان المغـرب: ((وعى)).
[4] نفسـه: ((ومـا صمتـت))؛ وهـذا أسلـم.

إلى بقعـــة قـــد بين[1] الله فضلهـــا

بمن حل فيها من ولـي[2] وصـاحب

على الصفوة الأدنين منا تحيـــة

توافيهم بين الصبــا والجنايـــب

ولـه أيضـاً[3]:

ألمت وقد نام الرقيـــب[4] وهوَّمـــا

وأسرت الوادي[5] العقيق من الحما

وراح[6] إلى نجد فرحـــت منجـــدا

ومرت بنعمان فأضحى مُنَعَّمـــا

وجرت على تـــرب المخصّب[7] ذيلها

فما زال ذاك الترب نهباً مقسما

---

[1] في البيـان المغـرب: ((يمـن)).
[2] نفسـه: ((إمـام)).
[3] هذه القصيـدة واردة في الإسكوريـال؛ بينمـا سقطت في الزيتونـة. وموجـودة أيضـاً في كتـاب المعجب. وهي مـن البحـر الطويـل.
[4] في كتـاب المعجـب لعبـد الواحـد المراكـشي: ((المشيـخ)).
[5] نفسـه: ((إلى وادي العقيـق)).
[6] في المقتضـب: ((وراحـت)).
[7] في المقتضب، والمعجب: ((المحصَّب)). والمحصَّب موضع يقع بين منى ومكة.

تناقلـــه[1] أيـــدي التجار[2] لطيمـــة

ويحمله الداريـــن[3] أيـــان يممـــا

ولمـــا رأت أن لا ظـــلام يجنها

وأن سراهـــا فيـــه لـــن يتكتمـــا

سرت[4] عذبات الريط عن حر وجهها

فأبدت شعاعاً يرفع اليوم مظلمـــا[5]

فكان تجليهـــا حجـــاب جمالهـــا

كشمس الضحى يعشى بها الطرف كلمـــا

ولمـــا رأت زهر الكواكب أنهـــا

هي النير الأسمى وإن كان باسما

بكت أسفاً أن لم تَفُـــزْ بجوارهـــا

وأسعدها صوب الغمام فأسجمـــا

فجلت يمج القطر ريان بردهـــا

فتنفضـــه كالـــدر فـــذاً وتوأمـــا

---

[1] في المعجب: ((تناولـه)).

[2] في المقتضب: ((الرجـال لطيِّـة)).

[3] في المعجب والمقتضب: ((الـداريُّ)).

[4] في المعجب: ((نضت)).

[5] جـاء هـذا الشطر في المعجب هكـذا: ((فأبـدت محيـا يدهـش المتوسّمـا)).

يضم علينا الماء فضل زكاتهــا
كما بل سقط الطل نوراً مكممــاً
ويفتق نضح الغيث طيب عرفها
نسيم الصبا بين العرار منسمــا
وجلت عن ثناياها وأومض برقها[1]
فلم أدر من شق الدجنـــة منهمــا
وساعدني جفن الغمام على البكا
فلم أدر وجداً[2] أينـــا كان أسجمـــا
ونظم سمطي ثغرها ووشاحهــا
فأبصرت در الثغر أحلى وأنظما
تقول وقد ألمَمَتْ أطراف كمهـــا
يدي وقد أنعلـــتْ أخمصها الفمـــا
نشدتك لا يذهب بك الشوق مذهباً
يُسَهِّلُ صعبـــاً أو يُرخِّص مأثما

[1] في المعجب: ((بـارق)).
[2] نفسـه: ((دمعاً)).

فأقصـــرت[1] لا مستغنياً عن نوالها

ولكن رأيت الصبر أوفى وأكرما

وقال[2]:

أتذكـــر إذ مسحت بفيك عيـــني[3]

وقــد حــلَّ البكـــا فيها عقـــوده

ذكـــرت بـــأن ريقـــك ماء ورد

فقابلـــت الحـــرارة بالبـــرودة

وقال[4]:

سألـــت من المليحة بـــرء دايي

برشف برودها العذب المـــزاج

فما زالـــت تقبـــل في جفـــوني

وتبهـــرني بأصنـــاف الحجـــاج

---

[1] **في المعجب: ((فأمسكت)).**
[2] **البحـر الوافـر.**
[3] **في المقتضب: ((دمـعي)).**
[4] **البحـر الوافـر.**

وقالت إن طرفك أصلاً لدايــك[1]
فليقـــــــدَّم فــــي العــــــلاج

وفاتـه

تـوفي: **بمراكش** سنة إحدى وثمانيـن وخمسماية[2]. وحضـر السلطـان[3] جنازتـه.

***

[1] أضـاف د. طويـل كلمـة: ((كـان)) قبـل ((أصـلا))؛ فأضـحى البيـت هكـذا: ((وقالت إن طرفك كان أصلاً * لدايك فليقـدَّم فـي العلاج)).

[2] الموافـق لـ 1185م.

[3] يقصـد الخليفـة الموحـدي المنصـور أبـو يوسـف يعقـوب بـن يوسـف بـن عبـد المؤمـن بـن علـي؛ الـذي حكـم بـلاد المغرب والأندلـس مـن سنـة 580هـ/1184م إلى سنـة 595هـ/1198م. وكـان الفيلسـوف ابـن طفيـل طبيبـه الخـاص؛ وصديقـة المقـرب.

محمد بن عبد العزيز

ابن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عياش التجيبي البُرشاني[1]،
من أهل حصن برشانة المجسوب في هذه العمالة،
يكنى أبا عبد الله؛ كاتب الخلافة.

حالـه

قال القاضي **أبو عبد الله بن عبد الملك**[2]: كان كاتباً بارعاً، فصيحاً، مشرفاً على علوم اللسان، حافظاً للغات والآداب، جزلاً، سري الهمة، كبير المقدار، حسن الخلق، كريم الطباع[3]، نفاعاً بجاهه وماله، كثير الاعتناء[4] بطلبة العلم، والسعي الجميل لهم، وإفاضة المعروف على قصاده، مستعيناً على ذلك بما نال من الثّروة والحظوة والجاه، عند الأمراء من **بني عبد المؤمن**؛ إذ كان صاحب

---

[1] توجد ترجمة محمد بن عبد العزيز بن عياش البرشاني في التكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة. واسم البُرشاني نسبة إلى حصن برشانة Purchena؛ التابع لعمل ألمرية. ويعتبر هذا الحصن من أمنع الحصون؛ إذ يقع على مجتمع نهرين.
[2] صاحب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة.
[3] في الذيل والتكملة: ((الطبع)).
[4] نفسه: ((الاعتبار)).

القلم الأعلى[1]، على عهد **المنصور** وابنه، رفيع المنزلة والمكانة لديهم، قاصداً[2] الإعراب في كلامه، لا يخاطب أحداً [3] في كلامه من الناس، على تفاريق أحوالهم، إلا بكلام معرب، وربما استعمله[4] في مخاطبة قدمته[5] وأمته، من حوشي الألفاظ، ما لا يكاد يستعمله[6]، ولا يفهمه إلا حفاظ اللغة من أهل العلم، عادة ألفها واستمرت حاله عليها.

مشيخته

روى عن **أبي عبد الله بن حميد** ، **وابن أبي القاسم السُّهَيْلي**[7]، **وابن حبيش**، [وروى عنه بنوه: **أبو جعفر،**

[1] في الذيل: ((الأعلى عند المنصور منهم، فابنه الناصر، فابنه المستنصر؛ رفيع المنزلة...))
[2] في الذيل: ((عامدا)).
[3] نفسه: ((أحداً من أصناف الناس...)).
[4] نفسه: ((استعمل)).
[5] نفسه: ((خدمته)).
[6] نفسه: ((يستعمل)).
[7] كلمة ((السُّهَيْلِي)) سقطت في الإسكوريال؛ بينما وردت في الزيتونة.

وأبو القاسم[1]، و عبد الرحمن، وأبو جعفر بن عثمان، وأبو القاسم البلوي][2].

تواليفه

له اختصار حسن في **إصلاح المنطق**، ورسايل مشهورة، تناقلها الناس، وشعره يحسن في بعضه.

جاهه

حدث الشيخ **أبو القاسم البلوي**، قال: كنت أخِفُّ إليه[3]، وأشفع عنده في كبار المسايل، فيسرع في قضايها. ولقد عرضت لبعض أصحابي من أهل **بلاد الأندلس** حاجة مهمة كبيرة، وجب علي السعي فيها، ورجوته من جميل أثره في تيسير أمرها، وكان قد أصابه حينئذ التياث لزم من أجله داره، ودخلت[4] عليه عايداً، فأطال السؤال عن حالي، وتبسط معي في الكلام ، مبالغة في تأنيسي، فأجّلت ذكر الحاجة[5]، ورغبت منه في الشفاعة عند

---

[1] **في الذيل: عبد الرحمن فقد؛ بدون ((واو العطف)).**
[2] **ما بين الحاصرتين؛ سقط في الإسكوريال؛ بينما ورد في الزيتونة.**
[3] **في الذيل: ((عليه)).**
[4] **نفسه: ((فدخلت)).**
[5] **نفسه: ((ذكر تلك الحاجة)).**

السلطان في شأنها، وكان مضطجعاً، فاستوى جالساً، وقال لي، جهل الناس قدري، وكررها ثلاثاً، في[1] مثل هذا أشفع إلى أمير المؤمنين، هات الدواة والقرطاس، فناولته إياهما، فكتب برغبتي، ورفعه إلى السلطان، فصرف في الحين معلماً، فاستدعاني، ودفعه إلي، وقال: يا **أبا القاسم**، لا أرضى منك أن تحجم عني في التماس قضاء حاجة تعرضت لك خاصة ، وإن كانت لأحد من معارفك عامة، كبرت أو صغرت؛ فألتزم قضاءها، وعلي الوفا، فإن لكل مكتسب[2] زكاة، وزكاة الجاه بذله.

وحدثني شيخي **أبو الحسن بن الجياب**، عمن حدثه من أشياخه، قال: عرض **أبو عبد الله بن عياش** والكاتب **ابن القالمي**[3] **على المنصور** كتابين، وهو في بعض الغزوات، في كلب البرد[4]، وبين يديه كانون جمر. وكان **ابن عياش** بارع الخط، **وابن القالمي** ركيكه، ويفضله في البلاغة، أو بالعكس؛ الشكّ منّي. وقال

[1] في الذيل: ((أفي)).
[2] في الذيل: ((مكتسب)).
[3] في الإسكوريال: ((ابن القالي)).
[4] أي: عند استعاره وشدته.

المنصور: أي كتب لو كان بهذا الخط، وأي خط لو كان بهذا الكتب، فرضي **ابن القالمي**، وسخط **ابن عياش**. فانتزع الكتاب من يد **المنصور**، وطرحه في النّار، وانصرف. قال: فتغير وجه **المنصور**، وابتدر أحد الأشياخ؛ فقال: يا أمير المؤمنين، طَعَنْتُم له في الوسيلة التي عرفته ببابكم، فعظمت غيرته لمعرفته بقدر السبب الموصل إليكم. فسرى عن **المنصور**، وقال لأحد خدامه: إذهب إلى السبي، فاختر أجمل نساء الأبكار؛ وأتِ **بابن عياش**؛ فقل له: هذه تُطفي من خلقك. قال: **ابن عياش** يخاطب ولده، وقد حدّث الحديث: هي أمّك يا **محمد** أو فلان.

بعض أخباره مع المنصور ومحاورته الدالة على جلالة قدره.

قال **ابن خميس**: حدثني خالي **أبو عبد الله بن عسكر**: أن الكاتب **أبا عبد الله بن عياش**، كتب يوماً كتاباً **ليهودي**؛ فكتب فيه: ويحمل على البرّ والكرامة.

فقال له **المنصور**[1]: من أين لك أن تقول في كافر: ويحمل على البرّ والكرامة؟ فقال: ففكرت ساعة؛ وقد علمت أن الاعتراض يلزمني. فقلت: قال **رسول الله** صلى الله عليه وسلم: ((إذا أتاكم كريم قوم، فأكرموه))؛ وهذا عام في الكافر، وغيره. فقال نعم هذه الكرامة؛ فالمبرّة أين أخذتها؛ قال: فسكت ولم أجد جواباً؛ قال: فقرأ **المنصور**: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[2]. قال: فشهدت بذلك؛ وشكرته.

---

[1] **جاء في الإسكوريال؛ بعد هذه الكلمة: ((ففكرت ساعة ؛ وقد علمت)). وقد تكررت هذه العبارة.**

[2] **نقل الناسخ هذه الآية بالأخطاء؛ فتم تصحيحها. وهي من سورة الممتحنة؛ الآية: 8.**

شعــره

مـن شعـره[1]:

بلنسيـــة بيـــني عن العلياء[2] سلوة
فإنـــك روض لا أحـــن لزهرك
وكيف يجب المرء داراً تقسمـــت
على صارمي[3] جذع[4] وفتنة مشرك

وذكره الأديب **أبو بحر صفوان بن إدريس** في **زاد المسافر**؛ عند اسم **ابن عياش**؛ قال: اجتمعنا في ليلة **بمراكش**، فقال **أبو عبد الله بن عياش**[5]:

وليلة من ليالي الصفح قد جمعت
إخوان صدق ووصل للدهر غير مختلس[6]

---

[1] ورد هذان البيتـان في نفـح الطيـب، والـروض المعطـار، ومعجـم البلـدان؛ وقد نسبهما صاحب الكتاب الأخير إلى ابن حريق وهما من البحر الطويل.
[2] في نفـح الطيـب، والـروض المعطـار، ومعجـم البلـدان: ((عن القلـب)).
[3] في معجـم البلـدان: ((علـى ضـاربي)).
[4] في الإسكوريـال، نفـح الطيـب، والـروض المعطـار، ومعجـم البلـدان: ((جـوع)). وصوبـت مـن الزيتونـة.
[5] البحـر البسيـط.
[6] حـذف د. طويـل كلمـة ((غيـر)) مـن أجـل سلامـة الـوزن.

كانوا على سنة الأيام قد بعــدوا

فألفت بينهــم لــو ساعــد الغلــس

وقـال مـن قصيـدة[1]:

أشفارهــا[2] أم صـــارم الحجـــاج

وجفونهـــا أم فتنـــة الحـــــلاج

فإذا نظرت لأرضها وسمائهـــا

لم تلــف غير أسنـــة وزجـــاج

وقـال فـي المصحـف (الإمـام)، المنسـوب إلـى **عثمـان بـن عفـان**، لما أمر **المنصـور** بتحليته بنفيس الـدُّرِّ مـن قصيـدة[3]:

ونقلـــت[4] من كل ملـــك ذخيـــرة

كأنهـــم كانـــوا برســـم مكاسبـــه

فإن ورث الأملاك شرقاً ومغرباً

فكم قد أخلـــوا جاهلين بواجبـــه

---

[1] **بحـر الكامـل.**

[2] **في الزيتونـة: ((بأشفارهـا)).**

[3] **الأبيـات الموالية موجـودة في التكملـة لكتـاب الصلـة، الذيـل والتكملـة.**

[4] **في الذيـل والتكملـة: ((ونقلتـه))؛ وهـذا أسلـم.**

وألبستـــه الدّر[1] والياقـــوت حلية
وغيرك قد رواه من دم صاحبـــه

كتابتـه

قال **ابن سعيد**[2] في **المرقصات والمطربات**[3]: **أبو عبد الله بن عياش**، كاتب **الناصر** وغيره، من **بني عبد المؤمن** وواسطة عقد ترسيله، قوله في رسالة كتبها في نزول **الناصر** على **المهدية**[4] بحراً وبراً، واسترجاعها من أيدي

---

[1] جاء هذا الشطر في التكملة، والذيل والتكملة هكذا: ((وألبسته الياقوت والدّرّ حلية)). وهو اسلم.

[2] هو علي بن موسى بن سعيد الأندلسي؛ المعروف بابن سعيد الأندلسي. ينتمي إلى أسرة عريقة وذات أثر محمود في فنون الأدب وتاريخه وعلمي التاريخ والجغرافية. تعاقب غرر أفرادها في تصنيف مؤلفات في غاية الأهمية؛ منها: ((المُشرق في حلى المَشرق))، و((المُغرب في حلى المَغرب))، و((عنوان المرقص والمطربات))، و((الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد))، و((ملوك الشعر))، و((القدح المعلى في التاريخ المحلى))، و((رايات المبرزين وغايات المميزين))؛ وكتاب الجغرافيا؛ وغيرها من المؤلفات التاريخية، والجغرافية. وثمة ترجمة لعلي بن سعيد في الإحاطة. وقد ترجم له عدد من الكتاب؛ وقد اختلفت المصادر في تاريخ وفاته؛ غير أن أشهرها أنه ولد في قلعة يحصب القريبة من غرناطة؛ سنة 610هـ/1213م. وتوفي بدمشق سنة 673هـ/1274م.

[3] عنوان هذا الكتاب هو: ((عنوان المرقصات والمطربات)). ويبدو أن النسخة التي اطلع عليها الخطيب من هذا الكتاب؛ مخافة لما هو موجود حالياً.

[4] مدينة بإفريقية كانت حاضرة للفاطميين.

الملثمين[1]: ((ولما حللنا عرى السفر، بأن حللنا حمى **المهدية**، تفاءلنا بأن تكون لمن حل بساحتها هدية، فأحدقنا بها إحداق الهدب بالعين، وأطرنا لمختلس وصالها غربان البين؛ فبانت بليلة باسنيّة[2]، وصابح يوماً صافحته فيه يد المنية[3]. ولما اجتلينا منها عروساً، قد مدّ بين يديها بساط الماء، وتوجهت بالهلال، وقرطته بالثريا، ووشجت[4] بنجوم السماء، والسحب تسحب عليها أردانها، فترتديها تارة متلثمة، وطوراً سافرة، وكأنما شرفاتها المشرفة أنامل مخضبة بالدياجي، مختتمة بالكواكب الزاهرة، تضحي عن شنب لا تزال تقبله أفواه المجانيق، وتمسي باسمة عن لعس، لا تبرح ترشفه شفاه سهام الحريق، خطبناها. فأرادت التنبيه على قدرها، والتوفير في إعلاء مهرها، ومن خطب الحسناء، لم يغله المهر، فتمنعت تمنع المقصورات في الخيام، وأطالت إعمال العامل في

---

[1] من بني غانية؛ وهم الأمراء السابقون لجزيرة مايورقة. إذ انتقلوا إلى إفريقية بعد سقوط جزيرتهم في أيدي النصارى؛ وشنوا حرباً مضنية ضد الموحدين في تلك الديار.

[2] هكذا وردت في الزيتونة؛ بينما حرفت في الإسكوريال فكتبت: ((ما بغية)).

[3] أي توفي.

[4] أي اشتبكت.

خدمتها، وتجريد الحسام، إلى أن تحققت عظم موقعها في النفوس، ورأت[1] كثرة ما ألقي لها من نثار الرؤوس، جنحت إلى الإحصان بعد النشوز، ورأت اللجاج في الامتناع من قبول الإحسان لا يجوز، فأمكنت زمامها من يد خاطبها، بعد مطاولة خطبها وخطابها، وامتنعت على رغم رقيها بعناقها، ورشف رضابها، فبانت معرساً، حيث لا حجال إلا من البنود، ولا خلوق إلا من دماء[2] أبطال الجنود، فأصبح وقد تلألأت بهذه البشاير وجوه الأفكار؛ وطارت بمسارها سوايح البراري، وسوانح البحار. فالحمد لله الذي أقر الحق في نصابه، واسترجعه من أيدي غصابه، حمداً يجمع شمل النعم، ويلقحها كما تلقح الرياح الديم فشنفوا الأسماع بهذه البشاير، واملئوا الصدور بما يرويه لكم من أحاديثها كل وارد وصادر، فهو الفتح الذي تفتحت له أبواب السماء [وعم الخير واليمن

[1] هكذا وردت في الزيتونة؛ بينما كتبت في الإسكوريال: ((وزادت)).
[2] كلمة ((دماء)) سقطت في الزيتونة؛ بينما ذكرت في الإسكوريال.

به][1] بسيطي الشرق والماء؛ فشكر الله عليه فرض، في كل قطر من أقطار الأرض.

دخل غرناطـة

مرتاداً، ومتعلماً، ومجتازاً.

مولـده

ببرشانة بلده، عام خمسين وخمسماية[2].

وفاتـه

توفي **بمراكش**؛ في شهر رجب[3] الفرد؛ من عام ثمانية عشرة وستماية[4]، رحمه الله.

***

---

[1] ما بين حاصرتين؛ وراد في الإسكوريال، وساقط في الزيتونة.

[2] الموافق لـ 1155م.

[3] جاء في الذيل والتكملة: ((وتوفي بمراكش لخمس بقين من جمادى الآخرة...)). أما في التكملة لكتاب الصلة؛ فقد كتب: ((توفي بمراكش في العشر الأواخر من جمادى الآخرة...)).

[4] الموافق لـ 1221م.

محمد بن علي

ابن محمد بن إبراهيم بن محمد الهَمْداني؛ من أهل وادي آش؛ يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن البراق[1].

حالـه

قال **ابن عبد الملك**[2]**:** كان محدثاً حافظاً، راوية مكثراً، ثقة ضابطاً[3]، شهر بحفظ كتب كثيرة، من الحديث، وغيره، ذا نظر صالح في الطلب[4]، أديباً بارعاً، كاتباً بليغاً، مكثراً لجيده[5]، سريع البديهة في النظم والنثر، والأدب أغلب عليه. قال **أبو القاسم بن المواعيني:** ما رأيت في عباد الله، أسرع ارتجالاً منه.

---

[1] وردت هذه الترجمة في الإسكوريال فقط؛ إذ سقطت في الزيتونة، و ج. وتوجد ترجمة محمد بن علي الهمداني بن البراق أيضاً في روايات المبرزين، والمقتضب من كتاب تحفة القادم، وزاد المسافر، والمطرب، والتكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة، وبغية الملتمس، ونفح الطيب، والمغرب في حلى المغرب؛ حيث كني فيه ((أبو عمرو)).
[2] صاحب كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة.
[3] في الذيل والتكملة: ((ضابطاً ثقة)).
[4] نفسه: ((في الطب)).
[5] نفسه: ((مكثراً مجيداً)).

مشيختـه

روى عن **أبي بحر يوسف بن أحمد بن أبي عيشون، وأبي بكر بن زرقون، وابن قيد**[1]**، وابن إبراهيم بن الملى، وابن النعمة** وصَحْبه[2]، ولقيه **بمراكش، ووليد بن موفق، وأبي عبد الله بن يوسف بن سعادة،** ولازمه أزيد من ست سنين، وأكثر عنه، **وابن العمرسي**، **وأبي العباس بن إدريس، والخروبي،** وتلا عليه بالسبع، وأكثر عنه، وعرض عليه من حفظه كثيراً، **وابن مضاء**، **وأبي علي ابن عرب**[3]**، وأبي القاسم بن حبيش، وابن عبد الجبار، وأبي محمد بن سهل الضرير، وعاشر وقاسم بن دحمان، وأبي يوسف بن طلحة.** وأجاز له **أبو بكر بن العربي، وابن خير، وابن مندلة**[4]**. وابن تمارة**[5]**، وأبو الحسن شريح، شريح، وابن هذيل، ويونس بن مغيث، وأبو الجليل**[6]

---

[1] في الذيل والتكملة: ((وابن فيد)).
[2] في الإسكوريال: ((ونحبه)) وفي الذيل والتكملة: ((ونجبة)).
[3] نفسه: ((عريب)).
[4] في الذيل والتكملة: ((وابن فندلة)).
[5] نفسه: ((وابن نمارة)).
[6] نفسه وأبو الخليل.

مفرج بن سلمة، وأبو عبد الله حفيد **مكي، وأبو عبد الرحمن بن مساعد، وأبو عامر محمد بن أحمد السالمي، أبو القاسم ابن بشكوال، وأبو محمد بن عبيد الله، وأبو مروان البياضي، وابن قزمان، وأبو الوليد بن حجاج.**

من روى عنه

روى عنه **ابنه أبو القاسم**، **وأبو الحسن بن محمد بن بقي الغساني، وأبو عبد الله محمد[1] بن يحيى السكري، وأبو العباس النباتي، وأبو عمرو بن عياد،** وهو أسن منه **وأبو الكرم جودى.**

تواليفه

صنف في الأدب[2] مصنفات منها: ((**بهجة الأفكار وفرصة[3] التذكار في مختار الأشعار**))، و((**مباشرة ليلة السفح [4]**))، و((**مقاله في الإخوان**))، خرجها من شواهد شواهد الحكم، و((**مصنف في أخبار معاوية**))، و((**الدر**

[1] سقطت كلمة ((محمد)) في الذيل والتكملة.
[2] في الذيل والتكملة: ((في الآداب)).
[3] نفسه: ((وفرجة)).
[4] نفسه: ((ومباشرة ليلة السفح من خبر أبي الأصبغ عبد العزيز بن أبي الفتح)).

المنظم في الإحسار[1] **المعظم**))، و((**مجموع في الألغاز**[2]))، و((**رضة الحدائق في تأليف الكلام الرائق**))، ((**مجموع نظمه ونثره**))، و((**ملقى**[3] **السبل في فضل رمضان**))، و((**قصيدته في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم**))، و((**خطرات الواجد في رثاء الواحد**))، و((**رجوم**[4] **الإنذار بهجوم العذار**))، إلى غير ذلك.

محنته

غربه الأمير **ابن سعد**[5] من وطنه، وألزمه سكنى **مرسية**، ثم **بلنسية**. ولما مات **ابن سعد**؛ آخر يوم من رجب؛ سبع وستين وخمسماية[6]، عاد إلى وطنه، واستقر واستقر به يفيده الديّة، إلى آخر عمره.

---

[1] في الذيل: ((الاختيار)).
[2] نفسه: ((في ألغاز)).
[3] نفسه: ((ملتقى السبيل...)).
[4] نفسه: ((ورجوم)).
[5] هو أمير بلنسية؛ محمد بن سعد بن مردنيش الجذامي. له ترجمة في الإحاطة.
[6] الموافق لـ 1171م.

شعـره

وشعره كثير. فمن ذلك القصيدة الشهيرة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]، وذكر صحابته[2]:

بالهَضْبِ هَضْبِ زرودَ أو تلعاتها
ساقتــك[3] هاتفـــة عـــلى نغماتهـــا
مصـــدورة تفتـــن فـــي جيعهـــا[4]
فيبين نفث السحـــر في نفثاتهـــا
إن راغها[5] رأد الضحى أو راعها
جنح الدجا سيـــان في ذكراتهـــا
هـــذا يمتعهـــا وذاك يشـــوقهـــا
والمـــوت[6] في يقظاتها وسناتهـــا

[1] وردت كاملـة في الذيـل والتكملـة. وهي طويلـة ومخمسـة؛ ومطلعهـا:
يـا مسبـلا مـن عبراتهـا * أشجتـك هاتفـة على أثلاتهـا
أم شمت بارقة بعرض فلاتها * بالهضب هضب زرود أو تلعاتها
[2] البحـر الكامـل.
[3] في الذيـل: ((شاقتـك)).
[4] نفسـه: ((ترجيعهـا)).
[5] نفسـه: ((إن راقهـا)).
[6] نفسـه: ((فالمـوت)).

ولــولا[1] التعلــل بالكرى ينتابهــا
نضحت فزَوْر[2] الطيف برح شكاتهــا
لكــن بيــن جفونهــا وهنامهــا[3]
خــرزاً[4] تثير النَّهْب في كــراتها
ولئن نطقت لها به فتقول مــن
يَلْــقى الرياح بملتــقى هباتهــا[5]
مطلولة الفرعين يلحفها الــربى
كتفاً ويلثمهــا المــنى زهراتهــا[6]
وتسيغهــا[7] ماء النخيلــة جرعــة
لغياضها من مجتــنى نجلاتهــا[8]

---

[1] في الذيـل: ((ولـوِ)).
[2] نفســه: ((بـزَوْرِ)).
[3] نفســه: ((ومنامهـا)).
[4] نفســه: ((حربـاً)).
[5] جـاء هـذا البيـت في الذيـل والتكملـة هكـذا:
((ولئن نطقـت لـها به فتقـول * من للريـاح بملتـقى هباتهـا))
[6] جـاء هـذا البيـت في الذيـل والتكملـة هكـذا:
((مطلولة الفرعين تلحفها الـربى * كنفـاً وتُلثمهـا لـمَى زهراتهـا))
[7] في الذيـل: ((ويسيغهـا)).
[8] جـاء هـذا الشطـر في الذيـل هكـذا: ((تعتاضهـا مـن مجتـنى نخلاتهـا)).

منهـا :

يا مـــن تبلـــج نوره عن صادع
بالواضحـــات الغر من آياتهـــا
يا شارعـــاً في أمـــة جعلـــت به
وسطاً فغالـــت[1] مستدام حياتهـــا
في دار خلد لا يشيـــب وليدهـــا
حيث الشبـــاب يرف في وجناتها
وتنســـم[2] الرضوان في أكنافهـــا
وشيـــم[3] الريحـــان من جنباتهـــا
يا مصطفاهـــا مرفـــع قدرهـــا
بأكنفهـــا يـــا منتـــهى علياتهـــا[4]

---

[1] في الذيـل: ((نالـت)).
[2] نفسـه: ((وتسنّـم)).
[3] نفسـه: ((وتنسـم)).
[4] جـاء هـذا البيـت في الذيـل والتكملـة هكـذا
((يا مصطفاهـا يـا مرفـع قدرهـا * يا كهفهـا يا منتـهى غاياتهـا))

يا منتقاهــا مــن أرومة هاشــم

يا هاشم الصلبـــان في نزواتهـــا

يا خاضداً للشـــرك شوكة حزبه

قلت: نقل الشيخ[1] أزيد من ذلك أو ضعفه أو نحوه. إلى أن قال: وهي طويلة، قلت: وثقيلة الروح. ولقد صدق في قوله. ومن شعره[2]:

يا بــدر تم طالعــاً في الحشــا

بَــرَّح بي منــك أوان المغيــبْ

حظــك مــن قلــبي تعــذيبــه

وحظه منك الأســى والوجيــبْ

فمن يكن يــزهى بلبس المــنى

فإن زَهــوي بلحــاس النَّحيــب

فـــي ساعــة قصــر أنيابهـــا

غيبتـــه لـــي وحضـــور الرقيب

---

[1] الشيخ أبو الحسن الرّعيني.
[2] البحر السريع.

لعــلّ مــن باعــد مــا بيننــا

يفــرج الكربــة عمــا قريــب

وقال[1]:

رثــوا[2] القباب بأدمع مفضوضة

ذوى للفــراق وأكبــد تتصــرم

فللنفس في تلــك الربوع حبيبــة

والقلــب في إثر الوداع مقســم

هل لي بهاتيك الظبــا إلماعــة

أم هل لذاك السرب شمل ينظــم

حقاً فقــدت الذات عند فراقهــم

فالشخــص يوجد والحقيقة تعدم

---

[1] كلمـة: ((وقـال)) وضعهـا عنـان؛ للتميـز بيـن الأبيـات الشعريـة. والأبيـات مـن بحـر الكامـل.

[2] جعلهـا د. طويـل ((رشُّـوا))؛ بالشيـن.

وفاتـه

تـوفي ببلـده ؛ لثلاث بقيـن مـن رمضـان ؛ سـت وتسعيـن وخمسماية[1]. قال **أبـو القاسـم المواعيـني**: عثر في مشيـه فسقـط ؛ فكـان سبـب منيته، ودخـل **غرناطـة**، في غيـر ما وجهـة منهـا، راويـا عـن **أبي القاسـم بـن الفـرس**. ومـع ذلـك فهـو مـن أحوازهـا وبنياتهـا.

***

[1] الموافـق لـ 1199م. ورد في بغيـة الملتمـس؛ أنـه تـوفي سنـة 595هـ؛ بينمـا ذكـر في المصـادر أنـه ولـد سنـة 529هـ.

محمد بن علي

ابن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري[1]؛
من أهل ألمرية، يكنى أبا عبد الله.

حاله

من **كتاب الإكليل** ما نصه: ممن ثكلته اليراعة، وفقدته البراعة، تأدّب بأخيه[2]، وتهذّب؛ وأراه في النظم المذهّب، وكساه من التفهم والتعليم البُرْد[3] المذهب، فاقتفى واقتدى، وراح في الحلبة واغتدى، حتى نبل وشدا. ولو أمهله الدهر لبلغ المدا. وأما خطه فقيد الأبصار، وطرفة من طرف الأمصار، واعْتُبط[4] يانع الشبيبة، مخضر الكتيبة.

---

[1] **كل ما ورد في الزيتونة من ترجمة محمد بن خاتمة؛ لا يتجاوز أربعة عشر سطراً. وقد وردت ترجمته أيضاً في الدرر الكامنة، ونفح الطيب.**
[2] **ترجمة أخيه؛ وهو أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد المعروف أيضاً بابن خاتمة؛ الذي توفي سنة 770هـ/1368م؛ وردت في الإحاطة؛ قبل هذه الترجمة. كما طبع ديوانه بتحقيق د. محمد رضوان الداية.**
[3] **في النفح: ((الرداء)).**
[4] **أي توفي في شبابه.**

شعـره[1]

كفـــوا الملام فلا أصغي إلى العَــذَل
عقلي وسمعي عن العذال في شغـــل

[[2] يقـول في هـذه القصيـدة:

هَــزْلُ المحبَّة جـــدٌّ والهوان هـــوًى
والصبّ يتلـــف بين الجـــدّ والهـــزل
من مسعـــدي وفؤادي لا يساعـــدني
أو من شفيعي وذلي ليس يشفـــع لي
أعلّــلُ النّفْــس بالآمـــال أُطْمعهـــا
حتى وقعـــت من التعليل في علـــل
لئن كنت تجهل ما في الحبّ من مِحَـــنٍ
أنا الخبيـــر فغيـــري اليوم لا تســـل

[1] هذا البيت، والأبيات الماليـة لـه؛ مـن بحـر البسيـط.
[2] اعتبـاراً مـن هـذه الحاصرة وحـتى تقفـل الحاصـرة بعد عبـارة ((ولا ظـل))؛ ساقط في الزيتونـة؛ ووارد في الإسكويـال.

أنا الذي قد حَلَبْتُ الحـــبّ أشْطُــرَهُ
فلـــم يفـــدني لا حـــولي[1] ولا حيـــل[2]
لا أشرب الرّاح كي أحلو براحَتِهــا
لكن لأدفـــع ما بالنفـــس من كســـل
ولا أجول بطرفي في الرّياض سوَى
ذكـــري لأيامنـــا فـــي ظلهـــا الأول
أنـــا العهـــد مضى ما كان أعْذَبُـــه
لم يبـــق لي غيـــر آيات من الخبـــل
كم فديتـــك يا قلـــبي وأنـــت عـــلى
تلـــك الغوايـــة لم تبـــرح ولم تـــزل
فاختـــر لنفســـك إما أن تُصاحِبَـــني
حلـــواً وإلاّ فدعني منـــك وارتحـــل
فقد تبعتـــك حتى ســـرت من شَغَفي
ولوعتي في الهوى أعجوبـــة المثـــل

[1] أي لا حذقي ولا جودة نظري.
[2] أي ولا قدرة على التصرف.

ومن شعره[1]:

ومَــضَ البَــرْقُ فثــارَ القَلَــقُ
ومــضَى النَّــومُ وحَــلَّ الأرَقُ
وينعاني من غرامي قــد شكــا
ودمــوعي من ولوعي تَنْطِــقُ[2]
ودليــلي فــي غليــلي زفــرتي
وعــذابي بانتحــابي أصــدق
وحســودي من وقودي رق لي[3]
ضَمَّنَــا فيهــا الحِمَى والأيفــق[4]
وعشيــات تقضــت باللِّــوى
في مَخْيَلي[5] الدهــر منها رَوْنَــقُ
إذ شبــابي والتَّصــابي جُمِعــا
ورِيــاضُ الأنْسِ غَضٌّ مُونَــقُ[6]

---

[1] الأبيـات التاليـة مـن بحـر الرمـل.
[2] هـذا البيـت، والبيـت المـوالي لـه لـم يـردا في نفـح الطيـب.
[3] ورد هـذا الشطـر في نفـح الطيـب هكـذا: ((مـذ تذكـرت لأيـام خلـت)).
[4] في نفـح الطيـب: ((والأبـرق))؛ أرض فيهـا حجـارة وطيـن ورمـل.
[5] نفسـه: ((في مُحَيّـا)). وهـذا أسلـم.
[6] نفسـه: ((مُـورق)).

شـــتَّ[1] يَومُ البَيْنِ شَمْـــلي ليت ما
خُلِــقَ البَيْــنُ لِقَلْــبٍ يَعْشَــقُ
آهِ من يـــومٍ قَــضَى لي فُرقـــة
شـــاب منّي يوم حُلَّــتْ مَفْــرِقُ

ومن ذلك[2]:

أيـــا جيــرَةَ الحَيِّ المُمَنَّـــع جَـــارُهُ
سَقَى ريقُكُمْ دَمْعي إذا بَخــلَ الوابْــلُ
متَى غِبْتُــمُ عَنِّي فأنتــم بخاطـــري
وإن تقصــــدوا ذلِّي فقــد لذَّني الـــذُّلُّ
عَذابُكُـــمُ قُــرْبٌ وبُخْلُكُـــم نَـــدى
وإذلاكـــم عـــزٌّ وهجْرانُكُـــمْ وصْــلُ
وأنتـــم نعيمي لا نَعِمْــتُ بغريكـــم
ورَوْضِيَ لا مـــا[3] أريـــد ولا ظـــل[4]]

---

[1] أي فرّق.
[2] البحر الطويل.
[3] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((لا ماء)).
[4] إلى هنا ينتهي ما هو وارد في الإسكويال، وساقط في الزيتونة.

ومــن ظريــف نزعاتــه قولــه[1]:

الرَّفْــعُ نَعْتُكُــمُ لا خابكــم[2] أمــل
والخفــض شيمة شأني[3] والهوى دول
هل منكــم لي عطــف بعد بعدكــم
إذ ليــس لي منكــم يا سادتي بــدل

وفاتـه

اعتبـط فـي **الطاعـون**؛ فـي أوايـل ربيـع الأول؛ عـام خمسين وسبعماية[4]. ورد إلى الحضرة غير ما مرة.

***

[1] هذان البيتـان مـن بحـر البسيـط.
[2] في النفـح: ((لا خانكـم)).
[3] نفسـه: ((مثـلي)).
[4] الموافـق لـ 1349م.

محمد بن عيسى

ابن عبد الملك بن قُزْمان[1] الزُّهري[2]؛ من أهل قرطبة؛ يكنى أبا بكر

حالـه

نسيج وحده، أدباً وظرفاً ولوذعية وشهرة. قال **ابن عبد الملك**: كان أديباً بارعاً، محسناً، شاعراً حلو الكلام، مليح التندير، مبرزاً في نظم الطريقة الهزلية، بلسان عوام **الأندلس**، الملقب بالزجل. قلت[3] وهذه الطريقة بديعة يتحكم فيها ألقاب البديع، وتنفسخ لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر. وبلغ فيها **أبو بكر** مبلغاً حجره الله عن سواه. فهو آيتها المعجزة، وحجتها البالغة، وفارسها

[1] علق عنان على هذه الترجمة بإسهاب في آخر المجلد الثاني؛ حيث سلط الضوء على الالتباس الذي وقع فيه ابن الخطيب؛ حيث خلط بين شخصيتين: الأولى هي شخصية ابن قزمان الأكبر؛ وهو عمّ ابن قزمان الزجّال؛ ويسمى أبو بكر محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان القرطبي؛ ذكره ابن بشكوال في الصلة؛ وقال عنه: أنه كان ((من أهل العلم والذكاء والفهم، وكانت عنده دراية ورواية ولغة وأدب وافر))؛ وكانت وفاته سنة 508هـ/1114م. وبذلك يكون هو غير ابن قزمان أمير الزجـل؛ الذي توفي سنة 555هـ/1160م.

[2] توجد ترجمة محمد بن عيسى بن قزمان أيضاً في: الغرب في حلى المغرب، والمقتضب من كتاب تحفة القادم، ورايات المبرزين، والوافي بالوفيات، ونفح الطيب.

[3] هذا قول ابن الخطيب؛ يعلق به على ما قاله ابن عبد الملك المراكشي.

العلم، والمبتدي فيها والمتمم، رحمه الله. وقال **الفتح**[1] فيه: ((مُبَرِّزٌ في البيان، ومحرز السبق[2] عند تسابق الأعيان، اشتمل عليه **المتوكل**[3] **على الله** اشتمالاً رقاه[4] إلى مجالس، وكساه ملابس، واقتطع[5] أسمى الرتب وتبوأها، ونال أسنى الخطط[6] وما تمالأها)).

شعره

قال **الفتح**[7]: وقد أثبت له ما يعلم[8] به رفيع رفيع قدره، ويعرف كيف أساء الزمن[9] بغدره، قوله[10]:

---

[1] هو الفتح بن خاقان؛ توفي سنة 535هـ/1140م؛ وهو مؤلف كتاب قلائد العقين.

[2] في القلائد: ((الخصل)).

[3] ابن الأفطس المتغلب على بطليوس أيام الطوائف؛ لقب نفسه بلقب المتوكل على الله. ولكنه قتل من قبل المرابطين سنة 488هـ/1095م.

[4] في القلائد: ((أرقاه)).

[5] نفسه: ((فاقتطع)).

[6] نفسه: ((الحظوظ)).

[7] في كتابه قلائد العقيان.

[8] في القلائد: ((ما تعلم به حقيقة قدره، وتعرف كيف...)).

[9] نفسه: ((الزّمان)).

[10] نفسه: ((فمن ذلك قوله)). وهذان البيتان من بحر الكامل؛ يوجدان في المغرب؛ إذ نسبا فيه إلى أبي بكر محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان؛ عمّ صاحب الترجمة.

ركِبوا السُّيول[1] من الخيول وركَّبـــوا
فوق العَوالي السُّمْرِ زُرْقَ قِطــافِ[2]
وتجلَّلُـــوا الغــدران مـــن ماذِيِّهِـــمْ
مُرتَجَّـــةً إلاّ عـــلى الأكْتـــــاف

[3] وكتـب إليـه **ذو الوزارتيـن أبـو عبـد اللـه بـن أبـي الخصـال**[4] يستدعيه إلى مجلس أنس[5]:

أني أهـــزك هـــز الصارم الخــــذم
وبيننـــا كل مـــا تدريـــه من ذمـــم
ذاك شاك[6] من قطع أنس أنت واصله
بمـــا لديـــك مـــن الآداب والحكـــم
وشـــت شمل كـــرام أنـــت ناظمـــه
ورد دعـــوة أهـــل المجـــد والكـــرم

[1] كتبت في الإسكوريـال: ((الخيـول)). ومـا جـاء في أصـل النـص مستمـد مـن قلائد العقيـان.

[2] في القلائد والمغرب: ((نِطـاف)).

[3] اعتبـاراً مـن هذه الحاصـرة؛ وحـتى تقفـل بحاصـرة أخـرى بعد كلمـة ((الدِّيـم))؛ غيـر وارد في الزيتونـة.

[4] وردت مـن قبـل ترجمـة في الإحاطـة لابـن أبي الخصـال.

[5] الأبيـات التاليـة مـن بحـر البسيـط.

[6] جعلهـا د. طويـل: ((ذا شـاكٍ))؛ مـن أجـل الـوزن.

ولــو دعيتــت إلى أمثالها لسعــت

إليــك ســعي مشــوق هائــم قــدم

وإن نشطت لتصريفي صرفت لـــه

وجهي وكنت من الأعوان والخــدم

وما أريـــد سوى عفــو تجــود بــه

وفي حديثــك مـــا يشفي من الألـــم

أنـــت المقــدم فـــي فخـــر وفي أدب

فاطلع علينـــا طلوع السيــد العمــم

فأجابه رحمه الله[1]:

أتى من المجــد أمــر لا مــرد لـــه

نمشي على الرأس فيه لا على القدم

لبيـــك لبيـــك أضعافـــاً مضاعفـــة

إنـــي أجبــت ولكن داعي الكـــرم

لي همـــة ولأهـــل العــز مطمحهـــا

لا زلت في كل مجد مطمح الهمـــم

[1] البحر البسيط.

وإن حقـك معـروف وملتــزم
وكيف يوجـد عندي غيـر ملتـزم
زَفْنٌ[1] ورقص وما أحببت من ملـح
عندي وأكثـر ما تدريـه من شيـم
حتى يكون كـلام الحاضريـن بهـا
عند الصبـاح وما بالعهـد من قـدم
يا ليلـة السفـح هـلا عدت ثانيـة
سـقى زمانـك هطـال من الديـم][2]

وقال في غرض النسيب[3]:

يـا رُبَّ يـوم زادني[4] فيـه مَـنْ
أطلـع مـن غربـه[5] كوكبـا
ذو شفـة لميـاء معسولـة
ينشـع مـن خديـه مـاء الصبـا

---

[1] أي طرب.
[2] كل ما سبق؛ وإلى بعد فتح الحاصرة الأولى؛ وحتى هنا سقط في الزيتونة.
[3] هذه الأبيات موجودة في المقتضب، ونفح الطيب؛ وهي من البحر السريع.
[4] في المقتضب والنفح: ((زارني)).
[5] نفسهما: ((غُرَّتـِهِ))؛ وهو أسلم.

قلـــت لـــه وهَـــبْ[1] لي بهـــا قبلـــة

فقـــال لـي مبتسمـــــا مرحبـــــا

فذقـــت شيئـــاً لـــــم أذق مثلـــه

للـــه مـــا أحـــلى ومـــــا أعذبـــــا

أسعـــــدني اللـــــه بإسعـــــــاده

يا شقـــوتي[2] يـــا شقـــوتي لـــو أبى

وقـال[3]:

جئـــت لتوديعـــــه وقـــــد ذرفـــت

عينـــاي مـــن حســـرة وعينـــــاه

في موكـــب البيـــن باكيــــــن[4] ولا

أصعـــب مـــن مـــوقـــــف وقفنـــاه

معانقـــاً جيـــــده عـــلى حـــــذر

فمـــــن رآنـــي مقبـــــلاً فـــــــاه

---

[1] في المقتضب والنفح: ((هَبْ))؛ بدون واو العطف.
[2] أي يا شقائي.
[3] بحر المنسرح.
[4] جعلها د. طويل: ((باكِيَيْن)). بيائين؛ من أجل الوزن.

نغـــص توديعـــــه لعاشقـــه

مـــا كـــان مـــن قبـــل قـــد تمنـــاه

وقال يعتذر ارتجالاً وأحسن ما أراد[1]:

يا أهل ذا المجلس السامي سراوتـــه[2]

ما ملـــت لكنني مالـــت بي الـــراح

وإن[3] أكـــن مظعنـــاً[4] مصباح بيتكـــم

فكل من فيكم[5] في البيـــت مصبـــاح

وقال يهنئ بعرس[6]:

صرفت إليـــك وجوههـــا الأفـــراح

وتكنفتـــك سعـــــادة ونجـــــــاح

فاقـــض المـــآرب في زمان صالـــح

لا ســـد عنـــك من الزمان صـــلاح

---

[1] هذان البيتـان موجـودان في كتـاب المغرب في حلى المغرب. وورد فيـه أنـه قالهمـا؛ بعد أن رقص في مجلس شرب؛ فأطفأ المصبـاح بأكمامـه.

[2] في المغرب: ((سرارتـه)).

[3] نفسـه: ((فـإن)).

[4] نفسـه: ((مُطْفِئـاً)).

[5] ورد هـذا الشطر في المغرب هكـذا: ((فكـل مـن قد حـواه البيـت مصبـاح)).

[6] هـذه القصيـدة مـن البحـر الكامـل.

إن كان كالشمس المنيـــرة حسنهـــا
فالبـــدر أنـــت ومـــا عليـــك جنـــاح
لا فتـــرق بينكمـــا لـــرأي فاستـــوى
زي النســـــاء قـــــلادة ووشـــــاح
هل يوقد المصباح عندكمـــا مهجـــاً
وكلاكمـــــا ببهائـــــه مصبـــــاح
[أحرزت يا عبد العزيـــز محاسنـــا
كثـــرت فلـــم تستوفهـــا الأمـــداح
يا من لـــه كـــفٌّ تجـــود وأضلـــعٌ
مَطْـــوِي على حِفْظِ الـــوِدادِ شجـــاح[1]
ما ألقـــت الحاجـــات دوني قفلهـــا
إلا ويمـــــن يمينـــــك المفـــتـــاح
في كـــل ما تنحـــو إليـــه ملاحـــة
وكـــذاك أفعـــــال المليـــح مـــلاح][2]

---

[1] جعلها د. طويل: ((سجاح))؛ أي الذي لا يحسن العفو. وهذا أفضل.
[2] الشعر المحصور ما بين حاصرتين سقط في الزيتونة.

ومن الحكمة قوله[1]:

كثيـــــر المـــــال تبذلـــه فيبـــقى
ولا يبـــقى مـــع البخـــل القليـــــل[2]

ومن غرســـت يـــداه ثمـــار جـــود
فـــفي ظـــل الثنـــــاء لـــه مقيـــــل

وقال رحمه الله[3]:

وعهـــدي بالشَّبـــاب وحُسْـــن قـــدِّي
حكى أَلِفَ ابْـــنِ مُقْلَةَ فـــي الكتـــاب[4]

---

[1] هذان البيتان موجودان في المقتضب، وتحفة القادم، ونفح الطيب. وهما من بحر الوافر.

[2] ورد هذا الشطر في المقتضب هكذا: ((وقد يبقى من الذكر القليل)).

[3] نسبت بعض المصادر المشرقية هذين البيتين إلى أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي البغدادي؛ (ولد سنة 494هـ؛ وتوفي سنة 569هـ). البيتان يوجدان في المقتضب، ونفح الطيب. وهما من بحر الوافر. وإذا علم أن صاحب هذه الترجمة (ابن قزمان) قد توفي سنة 555هـ؛ اتضح أنهما عاشا في زمن واحد تقريباً؛ حتى وإن كان ابن قزمان قد توفي قبل ابن الدهان بسنوات. وعليه؛ فلا يعرف بالضبط صاحب هذين البيتين.

[4] ابن مُقْلة: هو أبو علي محمد بن الحسين بن مقلة؛ أحد وزراء وكتاب الدولة العباسية. اشتهر بخطه البارع؛ وهو من مدينة بغداد؛ يعتبر بمثابة المهندس للخط العربي. ولد في بيت علم وفن سنة 272 - 886/ م، وتوفي في عام 328هـ/ 940 م. تعلم الخط عن أبيه أولاً، ثم عن إسحاق ابن إبراهيم البربري. والبيتان المنسوبان لابن الدهان النحوي؛ وردا هكذا:

وعهدي بالصبا زمناص وقدي * حكى ألف ابن مقلة في الكتاب
فصرت الآن منحنياً كأني * أفتش في التراب على شبابي

فصــرت اليــوم منحنيــاً كــأني
أفتِّــش في التُّــراب على الشبــاب[1]

وقال رحمه الله[2]:

يُمْسِــــكُ الفــــــارسُ رُمْحــــــاً[3]
وأنـــا أمْســكُ فيهـــا قَصَبَـــهْ[4]
وكِلانــــا[5] بَطَـــلٌ فـــي حَرْبِـــهِ
إنْ الاَقْـــلام رمــاحُ الكَتَبَـــهْ

قال **ابن عبد الملك**: أنشدت على شيخنا **أبي الحسن الرُّعَيْني**، قال: أخبرنا الراوية **أبو القاسم بن الطَّيْلسان**؛ قال سألته؛ يعني **أبا القاسم أحمد بن أبي بكر** هذا، أن ينشد شيئاً من شعر أبيه المُغْرب[6]، فأخرج لي قطعة بخط أبيه وأنشده. وقال: أنشدني أبي رحمه الله لنفسه[7]:

---

[1] **في المقتضب، ونفح الطيب: ((على شبابي)).**
[2] **هذان البيتان وردا في المقتضب. وهما من بحر الرمل.**
[3] **جاء هذا الشطر في المقتضب هكذا: ((يمسك الفارس رمحاً بيد)). وهذا أصح وأسلم.**
[4] **في الزيتونة: ((القصبة)).**
[5] **في المقتضب: ((فكلانا)).**
[6] **في الإسكوريال: ((المعرب)).**
[7] **هذه القصيدة من بحر المنسرح.**

أحســـن ما نيـــط في الدعـــا[1] لمـــن
رتـــب في خطـــة مـــن الخطـــط
خَلَّصَـــكَ اللـــــــهُ مـــن عوايقهـــا
ودمـــت في عصمـــة مـــن الغلـــط
مقربـــاً منـــك مـــا تُسَـــــرُّ بـــــه
وكـــل مكروهـــة على شحـــــط
الكـــل بالعـــدل منـــك مغتبــــط
وليـــس في النـــاس غيـــر مغتبـــط
وليـــس يخليـــك مـــن أنـــا لَكَهَـــا[2]
مـــن عمـــل بالنجـــاة مـــرتبـــط
فانفـــذ بعـــون اللــــــه مجتهـــــدا
بقلـــبٍ [صَفِيٍّ بالضَّميـــر][3] مرتبـــط
يا صاحـــب الأمـــر والـــذي[4] يـــده
نايلهـــــا للعفـــــاة غيـــر بـــــط[5]

[1] جعلها د. طويل: ((الدعاء)). من أجل الوزن.
[2] في الزيتونة: ((أما لكيها)).
[3] في الإسكوريال: ((صافي الضمير)).
[4] في الزيتونة: ((التي)).
[5] جعلها د. طويل: ((بَطي)).

رفعتــم يــا بــني رفاعــة مــا
كــان مــن المُعلُوّات [في هبــط][1]
ومنبــر الحــق مــن ســواه بكــم
فهــا هـــو الآن غيــر مختلـــط
وانضبــط الأمــر واستقــام لكــم
ولــم يكــن من قبــل ذا بمنضبــط[2]
أتيــت في كــل مــا أتيــت بــه
فالغيــث بعــد الرجـــا[3] والقنــط
جللــت عمــن ســواك منزلـــة
فلســت ممــن ســواك في نمـــط
أنــت من المجــد والعــلا طــرف
وكلهــم في العــلا مــن الوســط

---

[1] في الزيتونـة: ((منهبـط)).
[2] تصرف د. طويل في هذا الشطر؛ فجعله هكذا: ((ولـم يكـن قبـل ذا بمُنْضَبـط)).
[3] جعلهـا د. طويـل: ((الرجـاء)).

كتابتـه

وقفت من ذلك على أفانين. منها في استهلال شهر رمضان قوله: ((سلام على أُنْسِ المجتهدين[1]، وراحة المُتَهجدين[2]، وقرّة أعين[3] المهتدين، والذي زين الله به الدّنيا، وأعز به الدّين. شرّف الله به الإسلام، وجعل أيّامه رقوماً في عواتق الأيام وشهوره غرراً في جباه الأعلام، وحلّ به عن رقاب الأمّة قلايد الآثام[4]، ونزّه فيه الأسماع عن المكاره، وصان الأفواه من رفث الكلام[5]. أشهد أنّ اللّه أثنى عليك، وأدخل من شاء الجنّة

[1] أضحت هذه العبارة شائعة الاستعمال، وعرضة للاقتباس من قبل الخطباء والدعاة.

[2] المتجهدون: هم الذين يصلون صلاة التجهد؛ وهي مستحبة. وتكون بعد منتصف الليل. والأفضل أن تُصلى مثنى مثنى. ولصلاة التجهد أفضلية تلي صلاة الفرض مباشرة؛ لأن مؤديها قريب من الله؛ كما جاء في الحديث الشريف: إذ روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ)).

[3] أي ما تُسَر به أعين المهتدين الراشدين.

[4] إشارة إلى حديث شريف جاء فيه: عن أبي هريرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه. ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)).

[5] إشارة إلى الحديث الشريف: إذ قال عليه الصلاة والسلام: ((من لم يدع قول الزور والعمل به، والجهل؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه

على يديك، وخصّك من الفضايل بما يمشي فيه التّفسير حتّى يكل، ويسأم ذلك اللّسان ويمل، وأبادت ذنوب الأمة بمثل ما أبادت الشمس الظل، ذلك الذي يتهلل للسّماء هلاله، ويهتزّ العرش لجلاله، وترتج الملايكة في حين إقباله، وتدخل الحُور العين في زينتها تكريماً، وتلتزم إجلاله وتعظيماً، ويهتدي فيه الناس إلى دينهم صراطاً مستقيماً، وتغل الشياطين[1] على ما خليت، وتذوق وبال ما كادت به وتخيلت، ويشمّر التقيّ لعبادة ربه ذيلاً، وتهبط الملايكة إلى سماء [2] الدنيا ليلاً[3]، وينتظم المتقون في ديوانه انتظام السلك، ويكون خلوف فم الصّايم عند الله أطيب من ريح المسك[4]، وتفتح الجنة أبواباً، ويغفر لمن

وشرابه)). متفق عليه. وقال أيضاً: ((الصِّيام جُنَّة؛ فإذا كان يوم صوم أحدكم؛ فلا يرفث، ولا يصخب، ولا يجهل؛ فإن شاتمه أحد أو قاتله؛ فليقل إنّي صائم، إنّي صائم)). (أخرجه أحمد ومسلم والنَّسَائي).

[1] إشارة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ جاء فيه: عن أبي سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا جاء رمضان؛ فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين. رواه مسلم.

[2] في الإسكوريال: ((السماء))؛ وصوبت من الزيتونة.

[3] في قوله تعالى: [تَنَزّلُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإذْنِ رَبّهِمْ مِنْ كُلّ أمْرٍ * سَلاَمٌ هِيَ حَتّى مَطْلَعِ الفَجْرِ]. سورة القدر؛ الآية: 4 - 5.

[4] وهذا قول؛ إشارة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال فيه: ((كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلي سبعمائة

صامه إيماناً واحتساباً: ﴿ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾[1]، وبما فضلك الله على سائر الشهور، وقضى لك بالشرف والفضل المشهور؛ فرضك في كتابه، ومدحك في خطابه، حيث قال: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ، وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ﴾[2]. يعني تكبير الناس عليك، وتقليب أحداقهم بالنظر إليك؛ حين لثمت بالسحاب، ونظرت من تحت ذلك النقاب، وقد يمتاز الشيب وإن استتر بالخضاب. حتى إذا وقف الأيمة منك على الصحيح، وصرحوا برؤيتك[3] كل التصريح، نظرت كل جماعة في اجتماعها، وتأهبت القراء لإشفاعها[4]،

ضعف. قال الله عز وجل "إلاّ الصوم فإنه لي؛ وأنا أجزي به. يدع شهوته وطعامه من أجلي. للصايم فرحتان. فرحه عند فطره. وفرحه عند لقاء ربه. ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك)). حديث لأبي هريرة؛ متفق عليه.

[1] **سورة النبأ؛ الآية: 36.**

[2] **الآية كاملة هكذا: [شَهْرُ رَمَضَانَ الذِي أَنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِلنّاسِ، وَبَيّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدّةٌ مِنْ أَيّامٍ أخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمْ اليُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا العِدّةَ وَلِتُكَبّرُوا اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ). سورة البقرة؛ الآية: 185.**

[3] **الحديث هنا عن هلال شهر رمضان.**

[4] **أي في صلاة الشفع.**

واندفعت الأصوات باختلاف أنواعها، وتضرعت[1] الألباب، وطلبت المواقف أواخر العشار والأحزاب، وابْتُدِيَتْ[2]: ﴿الم[3] ذَلِكَ الكِتَابُ ﴾[4]، عندما أوقدت قناديل كأنّما قد بدت من الصّباح، ورقصت رقص النواهد عند هبوب الرّياح: ﴿ وَاللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾[5]. فأملك المسلمون في سرّ وجهر، وحطت أثقال السيئات عن كل ظهر، والتمست الليلة التي هي خير من ألف شهر[6]، فنشط الصالحون بك صوماً، وهجر المتهجدون في ليلك نوماً، وأكملناك إن أذن الله ثلاثين يوماً. فيا أيها الذي رحل، رحل[7] بعد مقامة،

---

[1] في الإسكوريال: ((واصطرعت)).
[2] هكذا بتخفيف الهمزة؛ لأنها بالرسم المشرقي: (وابْتُدِئَت)).
[3] في الإسكوريال: ((أ. ل. م)).
[4] يقصد صلاة الشفع التي تستهل بسورة البقرة؛ التي تبدأ بـ: [الم * ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ). سورة البقرة؛ الآيتان: 1 - 2.
[5] الآية كاملة هكذا: [وَاللّهُ نُورُ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَة كَأَنّهَا كَوْكَبٌ دُرِيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيّةٍ وَلاَ غَرْبِيّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنّاسِ وَاللّهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). سورة النور؛ الآية: 35.
[6] إشارة إلى قوله تعالى: [لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ). سورة القدر؛ الآية: 3.
[7] تكررت هذه الكلمة هكذا في الإسكوريال؛ بينما لم تتكرر في الزيتونة.

وقام للسّفر من مقامه، ورأى من قضى حقه، ومن قصر في صيامه، فمشى الناس إلى تشييعه، وبكوا لفراقه وتوديعه، وندم المضيع على ما كان من تضييعه، ولم يثق بدوام العيش إلى وقت رجوعه، فعضّ على كفّه ندماً، وبكت عينه ماء وكبده دماً؛ رويداً حتى أمرح في ميدان فراتك، وأتضرع إلى حنانك وإشفاقك، وأتشفى من تقبيلك وعناقك، وأسل منك حاجة إن أراد الله قضاها، وشاء نفوذها وإمضاها، إذا أنت وقفت لربّ العالمين، فقبلك من قوم، وردك في وجوه آخرين. إن تثني جميلاً، فعسى يصفح لعهده وإن أسا، فعلم الله أني نويت التوبة أولاً وآخراً، وأملْت الأداء باطناً وظاهراً، وكنت على ذلك لو هدى الله قادراً، وإنّما علم، من تقصير الإنسان ما علم، وللمرء ما قضي عليه به وحكم، و﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ، فإن﴾؛[1] فإن غفر فبطوله وإحسانه، وإن عاقب فيما قدمت يد العبد من عصيانه،

[1] الآية كاملة هكذا: [وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنّ النَّفْسَ لأَمّارَةٌ بِالسّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنّ رَبّي غَفُورٌ رّحِيمٌ]. سورة يوسف؛ الآية: 53.

فيا وحشة لهذه الفرقة، ويا أسفاً على بعد الشقة[1]، ويا شدّ ما خلفته لنا بفراقك من الجهد والمشقة، ولطالما هجر الإنسان بك ذنبه، وراقب إعظاماً لكربه، وشرحت إلى أعمال البر قلبه. ومع هذا أتراك ترجع وترى، أم تضم علينا دونك أطباق الثرى. فيا ويلتا إن حل الأجل، ولم أقض دينك، ورجعت وقد حال الموت بيني وبينك. فأغرب، لا جعله الله آخر التوديع، وأي قلب يستطيع.

وقال في استهلال شوال: ((ولكل مقام مقال[2]. الله أكبر؛ هذا هلال شوال قد طلع، وكرّ في منازله وقطع، وغاب أحد عشر شهراً، ثم رجع؛ مالي أراه رقيق الاستهلال، خفي الهلال، وروحاً تردد في مثل الملال؟ ما باله أمسى الله رسمه، وصحح جسمه، ورفع في شهور العام اسمه، على وجهه صفرة بينة، ونار إشراقه لينة، وأرى السحاب تعتمده وتقف، وتغشاه سويعة

---

[1] في الزيتونة: ((ويا شر)).

[2] المقصود من هذا المثل: أن لكل أمر أو فعل أو قول موضعاً وحدوداً؛ لا يصح الخروج عنها أو تجاوزها. وفي هذا قال أبو عبد الله محمد بن زياد ابن الأعرابي الهاشمي (ت: بسامراء في 13 شعبان 231 هـ).

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هداك المليك * فإن لكل مقام مقالا

أي: أحسن إليّ كي أذكرك في كلّ مقام رداً على حسن أفعالك.

وتنصرف، ما أراه إلاّ بطول ذلك المقام، وتوالي الأهوال العظام. أصابه مرض في فصل من فصول العام، فعادته كما يعاد المريض، وبكته الأيام الغرّ والليالي البيض، وقلن كلأك الله وكفاك، وحاطك وشفاك. وقُلْ: كيف نجدك؟ لا فضّ فاك[1]. هذا على الظن؛ لا على التّحقيق، ومجاز لا يحكم التصديق. وإنه ليبعد مثل هذا المقدار، أن يقدح فيه طول الغيب، وتواتر الأسفار. أليس هو قد أَلِفَ مجالي الرياح، وصحب برد الصباح، وشاهد الأهوية مع الغدو والرواح، وطواها بتجربته طي الوشاح. ما ذاك إلاّ أنه رأى الشمس في بعض الأيام ماشية، والحسن يأخذ منها وسطاً وحاشية، ودلائل شبابها ظاهرة فاشية، فوقع

[1] الفضُّ لغة هو: الكسر. ومعنى لا فُضّ فوك أو لا يفضض الله فاك هو: لا كسّر الله أسنانك. وذلك بتسمية الشيء مجازاً؛ باسم محله؛ لأن للأسنان دوراً هاماً في التعبير وحسن الكلام؛ إذ يتعذّر على من كسرت أسنانه التعبير بفصاحة وطلاقة. فللأسنان دور في مخارج الحروف. من ذلك ما ورد في حديث النابغة الجعدي؛ الذي أنشد أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته الرائية التي يقول في مطلعها:

بلغنا السما مجداً وفخراً وسؤدداً * وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له عليه السلام: ((إلى أين يا أبا ليلى؟)). فقال: إلى الجنة يا رسول الله؛ فقال له: ((لا يفضض الله فاك)). فقيل: عاش النابغة مائة وعشرين سنة؛ لم تسقط له سن.

منهـا فـي نفسـه مـا وقـع، وثبـت عـلى قلبـه مـن النظـر مـا زرع، ووقـع في شركهـا، وحـق لـه أن يقـع. فرثـت هـي لحالـه وأشفقت، ونهجت بوصالها وتأنقـت، وقطعـت مـن معـدن نيلهـا وأنفقـت، ورأت أنّهـا لـه شاكلـة يبلـغ أملهـا، وتبلـغ مأمله، ولذلك ما مدت لذيذ السماح، فتعرضت بالعـشي، وارتصدهـا فـي الصبـاح، مـع مـا أيقنـا بـه مـن الانقطـاع، ويمسنا من الاجتماع، كما نَفِدَ القدر، وصـدر الخبـر. وقـال تعـالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾[1]، فوجـد لذلك وجداً شديداً[2]، وأذاقـه مـع الساعـات شوقـاً جديـداً، وأصبـح بهـا دنفـاً[3]، وأمـسى عميـداً [4]، حـتى سلـب ذلـك بهـاه، وأذهـب سنـاه، ورده النّحـول كمـا شـاه[5]، ولـقي منهـا مثـل مـا لـقي **غيـلان[6] مـن ميَّتـه، وجميـل**

---

[1] **الآيـة كاملـة هكـذا: [لاَ الشّمْسُ يَنْبَغِي لَهَـا أنْ تُـدْرِكَ القَمَـرَ وَلا اللّيْلُ سَابِقُ النّهَـارِ وَكُـلٌ فِي فَلَـكٍ يَسْبَحُـونَ). سـورة ياسيـن؛ الآيـة 40.**
[2] **أي حـزن حـزنـاً شديـداً**
[3] **أي مريضـاً.**
[4] **أي مريضـاً لا يقـدر عـلى الجلـوس؛ فتسنـد جوانبـه بالوسائـد.**
[5] **شـاه شوهـاً: قبـح. وشـاه شوهـاً وشوهـة الرجـل: حسـده، وأصابـه بالعيـن. وشـاه شوهـاً وشوهـة الرجـل: أفزعـه.**
[6] **هـو غيـلان بـن عقبـة بـن بُهيش؛ ويكنّى أبـا الحـارث؛ وهـو مـن بـني صعـب بـن مِلكـان بـن عـديّ بـن عبـد منـاة العدنانييـن. يلقـب بـذي الرمـة؛**

مـــن بثينتـــه[1]، وحـــنّ إليهـا حنيـن **عـروة** إلـى **عفـراء**[2]، وموعدهمـا يـوم وهـبّ ناقتـه الصفـراء. عـلى رسلـك أنـي وهمـت، وحسبت ذلك حقاً وتوهمت. والآن وقـد فطنـت، وأصبـت الفَـصَّ فيمـا ظننـت؛ إنـه لـقي رمضـان في إقبالـه، وضمـه نقصـان هلالـه، وصامـه فجـأة ولـم يـك فـي بالـه، فأثـر ذلـك فـي وجهـه الطلـق، وأضعفـه كمـا فعـل بسايـر الخلق. وها هو قد أقبل من سفـره البعيـد، فقـل هـو هـلال

لأسبـاب اختلفت فيهـا الآراء؛ كمـا اختلفت أيضـاً بخصـوص وفاتـه: مكانـاً وزمانـاً وسببـاً. وهـو شاعر عاصر الدولـة الأمويـة.

[1] سبقت الإشـارة إلى جميـل بـن عبد اللـه بـن معمـر (سالـم بـن بخيـت المعشني)؛ الشاعر العذري المحب لمن سماهـا بثينـة (بلخيلـر بنت سهيـل ارعبـوب). ويقـال بثينـة بنت يحيى؛ مـن بنـي ربيعـة أيضـاً. وفيهـا يقـول:

لقـد أورَثـتْ قلبـي وكـان مصححـا * بثينـةُ صدغا يـوم طار رداؤهـا
إذ خَطرَتْ من ذكـر بثنـة خطـرةٌ * عصتني شؤون العين فانهلّ ماؤها
فإن لم أزرها عادني الشوق والهوى * وعاود قلبـي من بثينـة داؤها

[2] قصـة عروة وعفـراء ذائعـة الصيت في الأدب العربي. وهمـا مـن قبيلـة عذرة الشهيـرة بحكايـات الحـب العذري الـروحي. وتقـول القصـة أن عـروة تـربى مـن صغره بعد مـوت أبيـه عنـد عمـه والـد عفـراء؛ فأحبهـا وأحبتـه. ولمـا كبـرا؛ خطبهـا مـن عمـه؛ ونظـراً لفقـره؛ فقد قبـل بعد مماطلـة؛ وطلـب منـه السعي لإحضـار مهرهـا الغـالي. ولمـا سافـر عـروة للعمـل علـى توفيـر المهـر؛ زوج عمـه عفـراء مـن غريـب في بـلاد الشـام. ولمـا عـاد عـروة؛ زعـم عمـه أن عفـراء ماتـت؛ وأراه قبـراً حديثـاً ادعى أنـه لهـا. ولكـن الكذبـة انكشفـت، وذهـب عـروة لرؤيـة حبيبتـه؛ وتأكـد مـن زواجهـا؛ فعـاد حزينـا إلى أهلـه؛ فاتشـد مرضـه ومـات؛ والتحقـت بـه عفـراء بعد فتـرة قصيـرة. والحكايـة طويلـة وشيقـة. ومـن شعـر عـروة في عفـراء:

واني لأهوى الحشر إن قيل أنني * وعفـراء يـوم الحشر ملتقيـان
فيا ليت محيانا جميعا وليتنـا * اذا نحـن متنـا ضمننـا كفنـان

الفطر أو قل هو هلال العيد ؛ فَلَقَه صباح مشى الناس فيه مَشْيَ الحباب[1]، ولبسوا أفضل الثياب، وبرزوا إلى مصلاّهم من كل باب. فارتفعت همّة الإسلام، وشرفت أمة **محمد** عليه السلام، وخطب بالناس ودعا للإمام، عندما طلعت الشمس بوجه كَدَوْر المرآة، ولون كصفا المهراة ؛ وخرج لا ينسيها ريم الفلاة ؛ وقضوا السنة، وبذلوا الجهد في ذلك والمنة، وسألوا من الله أن يدخلهم الجنّة، ثم خطبوا حمداً لله وشكراً، وذكروه كذكرهم آبائهم أو أشد ذكراً، ثم انصرفوا راشدين، وافترقوا حامدين. وشبك الشيخ بيديه، ونظر الشاب في كفيه ؛ ورجعوا على غير الطريق الذي أتوا عليه، فلقد استشفى من الرؤية ذو عينين، وتذكر العاشق موقف البين، وشق المتنزه بين الصفين، فنقل عينيه من الوشي إلى الديباج، ووجوه كضوء السّراج، وعيون أقتل من سيف **الحجاج**[2]،

---

[1] **أي الفقاقيع التي تعلوا الماء.**

[2] **هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن الحكم الثقفي؛ ولد بالطائف؛ أين ديار ثقيف سنة 41هـ/661م. اسمه في الحقيقة ((كليب))؛ ولكنه غيره واختار اسم الحجاج. عرف بقسوته وقهره لأعدائه بشتى الأساليب الدموية المريعة. ووصل به الفجور والطغيان إلى حد أنه قصف الكعبة الشريفة بالمنجنيق؛ فألحق بها الضرر. أما قولهم ((سيف**

ونظرات لا يدفع داؤها بالعلاج، وقد زينت العيون بالتكحيل، والشعور بالترجيل، وَكُرِّر السّواك على مواضع التقبيل، وطوقت الأعناق بالعقود، وضرب الفكر في صفحات الخدود، ومدّ بالغالية[1] على مواضع السجود، وأقبلت صنعاء بأوشيتها، وعنت بأرديتها، ودخلت العروس في حليتها، ورقمت الكفوف بالحناء، وأثني على الحسن وهو أحق بالثناء، وطلقت التوبة ثلاثاً بعد البناء، وغصّ الذراع بالسوار، وتختم في اليمين واليسار، وأمسكت الثياب بأيدي الأبكار، ومشت الإماء أمام الأحرار، وتقدمت الدايات بالأطفال الصغار، وامتلأت

الحجاج))؛ فمرده إلى سفكه للدماء دون حساب أو تقية؛ ثم قوله في خطبته الشهيرة في أهل العراق: ((أما والله فإني لأحمل الشّرّ بثقله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله، والله يا أهل العراق إني لأرى رؤوساً قد أينعت، وحان قطافها؛ وإني لصاحبها)). ثم أضاف: ((إنما هو انتضاء هذا السيف؛ ثم لا يغمد في الشتاء والصيف؛ حتى يذل الله لأمير المؤمنين صعبكم، ويقيم له أودكم، وصغركم)). ومن الطرائف التي تناقلها الرواة عنه: أنه طلب من امرأة خارجية أن تقرأ له شيئاً من القرآن؛ فقرآت: ((بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس... يخرجون من دين الله أفواجاً)). فصرخ الحجاج مقاطعاً إياها: ويحك يا امرأة.. [إِذَا جَاء نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ الناسَ يَدْخُلُونَ في دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً). فقالت له: لقد دخلوا؛ وأنت أخرجتهم.

[1] الغالية: ضرب من الطيب.

الدنيا سـرراً[1]، وانقلـب الكـل إلـى أهلـه مسـروراً. وبينما كانـت الحـال كمـا نصصـت، والحكايـة كمـا قصصـت، إذ تـلألأت الدنيا برقـاً، وامتـد مـع الأفقيـن غربـاً وشرقـاً، ورد لمعانه عيـون الناظريـن زرقـاً، ولـولا أنه جـرب حـتى يـدرى؛ لقيـل قد طلعت مع الشمـس شمـس أخـرى؛ حـتى أقبـل مـن شَرُفَـت **العـرب** بنسبـه، وفَخـر الإسـلام بسببـه، مـن انتسـب إلى **زَهْرَةٍ وقُـصَيْ**[2]، وازدانـت بـه **آل غَالِـبٍ وآلـي لُـؤي**[3]، مـن إذا ذكـر المجـد فهـو ممسـك بنـده[4]، أو الفضـل فهـو لابـس بـرده[5]، أو الفخـر فهـو واسطـة عقـده، أو

[1] جعلها د. طويل: ((سروراً)).

[2] بنو زهرة؛ هم أخوال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب. وهم أهل أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة. أما قصي فهو جدّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأبيه؛ إذ أنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (واسم عبد المطلب شيبة) بن هاشم. واسم هاشم (عمرو بن عبد مناف). واسم عبد مناف المغيرة بن قصي. (واسم قصي زيد).

[3] آل غالب وآل لؤي؛ حيان لهما صلة نسب برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ نسبه بالكامل هو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان؛ وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل. قال ابن إسحاق: فولد لؤي بن غالب أربعة نفر: كعب ابن لؤي، وعامر بن لؤي، وسامة بن لؤي، وعوف بن لؤي.

[4] تصرف د. طويل؛ فكتبها: ((بعده)).

[5] البرد واحدته بردة: وهو ثوب مخطط، أو كساء من الصوف الأسود؛ يلتحف به.

الحسن فهو نسيج وحده، الذي رفع لواء العليا، وعارضت مكارمه صوب الحيا، وحكت محاسنه زهرة الحياة الدنيا. فأما وجهه فكما شَرَقَت الشمس وأشْرَقَت، وغربت كواكب سمايها وشرقت، وتفتحت أطواق اللّيل عن غرر مجده وتشققت. ولولا حياً يغلب عليه، وخَفَرٌ يصحبه إذا نظرت إليه، لاستحال النهار، وغارت لنوره كواكب الأسحار، ولكاد: ﴿سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾[1]، لا يحفل بالصبح إذا انفلق، ولا بالفجر إذا عم آفاق الدجا وطبق، ولو بدا للمسافر في ليله لطرق، قد عجم الأبنوس على العاج، وأدار جفناً كما عطف على أطفالها النعاج، يضرب بها ضرب السيف، ويلم بالفؤاد إلمام الطيف، ويتلقاها السحر تلقي الكريم للضيف؛ لو جردها على الرّيم لوقف، أو على **فرعون**[2] ما صرف من

---

[1] **إحالة إلى قوله تعالى: [أَلَمْ تَرَ أَنّ اللّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمّ يُؤَلّفُ بَيْنَهُ ثُمّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزّلُ مِنَ السّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأبْصَارِ). سورة النور؛ الآية 43.**

[2] **فرعون: لقب يطلق على ملوك مصر؛ خاصة بعد ظهور النبي موسى عليه السلام.**

سحره ما صرف، أو على **بسطام بن قيس**[1] لألقى سلاحه وانصرف. وأما أدواته فكما انشقت الأرض عن نباتها، وأخذت زخرفها في إنباتها، ونفخ عرف النسيم في جنباتها، يتفنن أفانين الزهر، ويتقلب تقلب الدّهر، وتطلع له نوادر كالنجوم الزّهر، لو أبصره **مطرف**[2] ما شهر بخطه، ولا جرّ من العجب ذيل مرطه، ولا كان المخبر معه من شرطه. وأما أنه لو قري على سحبان كتابه، وانحدر على نهره عبابه، وملأت مسامعه أطنابه وأسبابه؛ ما قام في بيانه ولا قعد، ولنزل عن مقامه الذي إليه صعد، ولا خلف من بلاغته ما وعد. لعمرك ما كان **بشر بن المعتمر**[3] بتفنن للبلاغة فنوناً، ولا يتقبلها بطوناً ومتوناً، ولا **أبو العتاهية**[4] ليشرطها كلاماً موزوناً، ولا نَمَّقَ

---

[1] هو بسطام (الشيباني) ابن قيس بن مسعود بن خالد بن عبد الله ذي الجدين؛ من ولد همام بن مرة. اشتهر بالبطولة والفروسية.

[2] هو التابعي أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري الحرشي البصري. ولد في عهد النبي محمد عليه السلام، وتوفي سنة سبع وثمانين؛ في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي.

[3] هو أبو سهل بشر بن المعتمر الكوفي ثم البغدادي؛ من ابرز أئمة المعتزلة. كان أخبارياً وشاعراً وفيلسوفاً؛ توفي في سنة 220هـ/835م.

[4] هو الشاعر الفحل أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي؛ أي من قبيلة عنزة. ولد في عين التمر سنة 130هـ/747م،

الحسن بن سهل[1] الألفاظ، ولا رفع **قس بن ساعدة**[2] صوته **بعكاظ**[3]، ولا أغاظ **زيدُ بن علي**[4]، **هشاماً** بما أغاظ. وأما مكارمه فكما انسكب الغيث عن ظلاله وخرج الودق من غلاله، فتدارك النعمة عن فوتها، وأحيا

وتوفي سنة 221هـ/826م. وأبو العتاهية كنية اشتهر بها نظراً لما عرف عنه في شبابه من ميل للمجون، ومن انحراف. غير أنه ترك كل ذلك، وتحول إلى حياة الزّهد والتنسك. من أجمل ما قال:

أشَدُّ الجِهادِ جِهادُ الهوَى * وما كَرمَ المَرْءَ إلاّ التُّقى
وأخلاقُ ذي الفضْلِ مَعرُوفَةٌ * ببَذلِ الجَميلِ وكفّ الأذى
وكلُّ الفُكاهاتِ مَملُولَةٌ * وطولُ التّعاشُرِ فيهِ القِلَى
وكلُّ طَريفٍ لَهُ لَذّةٌ * وكلُّ تَليدٍ سَريعُ البِلَى
وَلا شيءَ إلاّ لَهُ آفَةٌ * وَلا شيءَ إلاّ لَهُ مُنتَهَى
ولَيسَ الغِنى نَشَبٌ في يدٍ * ولكنْ غِنى النّفس كلُّ الغِنى
وإنّا لَفي صُنُعِ ظاهِرٍ * يَدُلّ على صانعٍ لا يُرَى

[1] هو أبو محمد الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي؛ تولى وزارة المأمون؛ بعد أخيه ذي الرياستين الفضل؛ وحظي عنده، وتزوج المأمون ابنته بوران. وكان الحسن بن سهل عالي الهمة، كثير العطاء للشعراء وغيرهم. وفي سنة 203هـ اضطرب حاله، وتكدرت نفسه؛ فأصيب بمرض نفسي سموه السوداء؛ تدرج في الكآبة والاحباط؛ إلى أن أضحى مرضه لوثة في العقل. فهاج حتى شد في الحديد، وحبس في بيت. وكانت وفاته بمدينة سرخس في سنة 236هـ؛ وقيل 235هـ.

[2] هو قس بن ساعدة الإيادي (توفي في حدود سنة 600م. كان خطيباً وحكيماً وقساً بنجران. سبقت الإشارة إليه.

[3] عكاظ: سوق تجاري وإعلامي؛ كان يعقد أيام الجاهلية في موضع بالقرب من الطائف. سبق الحديث عنه.

[4] هو الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب. أعلن الدعوة لنفسه أيام هشام بن عبد الملك المرواني؛ الأمر الذي أغضبه؛ فجهر له جيشاً لحربه؛ فقتل زيد بسهم في جبهته. ومثل به بنو أمية.

الأرض بعد موتها. ذلك الشريف الأجل، الوزير الأفضل، **أبو طالب بن القرشي الزهري**، أدام الله اعتزازه، كما رقم في حلل الفخر طرازه، فاجتمعت به السيادة بعد افتراقها. وأشرق وجه الأرض لإشراقها، والتفت الثياب بالثياب، وضم الركاب بالركاب، ولا عهد كأيام الشباب، فوصل القريب البعيد، وهنوه كما جرت العادة بالعيد، فوقف مع ركابه وسلمت، وجرت كلاماً وبه تكلمت. فقلت تقبل الله سعيك، وزكى عملك، وبلغك فيما توده أملك، ولا تأملت وجهاً من السرور إلا تأملك، ونفعك بما أوليت، وأجزل حظك على ما صمت وصليت، ووافقتك لعل وساعدتك لَيْت، وهناك عيد الفطر وهنأته، وبداك بالمسرات وبدأته، وتبرأ لك الدهر مما تحسد وبرأته. وهكذا بحول الله أعياد واعتياد، وعمر في دوام، وعز في ازدياد، والسنة تفصح بفضلك إفصاح الخطباء من **إياد**[1]،

[1] **أي قبيلة إياد؛ التي ينتمي إليها قس بن ساعدة؛ أبلغ الخطباء في الجاهلية.**

وأقـرأ عليـك سـلام اللـه مـا أشـرق الضحـا، ودام الفطـر والأضحى[1].

دخولـه غرناطـة

دخـل **غرناطـة**، وتـردد إليهـا غيـر مـا مـرة، وأقـام بهـا؛ وامتـدح **ابـن أضـحى**[2]**، وابـن هـاني، وابـن سعيـد،** وغيرهـم مـن أهلهـا. قـال **ابـن سعيـد فـي طالعـه**[3]، وقـد وصـف وصـول **ابـن قزمـان** إلـى **غرناطـة**، واجتماعـه **بجنته بقريـة الزاويـة**[4] مـن خارجهـا، **بنزهـون القليعيـة** الأديبـة، ومـا جـرى بينهمـا، وأنهـا قالـت لـه بعقـب ارتجـال بديـع، وكـان لبـس غفـاره صفـراء: أحسنـت يـا بقـرة **بـني إسرائيـل**، إلاّ أنـك لا تسـر الناظريـن، فقـال لهـا: إن لـم أسـر الناظريـن، فأنـا أسـر السامعيـن، وإنمـا يطلـب سـرور الناظريـن منـك، يـا فاعلـة يـا

---

[1] قيلت هذه الرسالة؛ في استهلال شهر شوال. وقد وردت في مخطوط الإسكوريال فقط.

[2] هو أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى؛ رئيس من الرؤساء؛ ثار على المرابطين في غرناطة سنة 539هـ/1144م. ولكنه لم يصمد طويلاً؛ حيث توفي سنة 540هـ/1145م.

[3] عنوان هذا الكتاب بالكامل هو: الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد.

[4] هي بلدة صغيرة قريبة من غرناطة؛ وتسمى بالإسبانية La Zabia.

صانعة. وتمكن السكر من **ابن قزمان**، وآل الأمر إلى أن تدافعوا معه حتى رموه في البركة، فما خرج منها إلا وثيابه تقطر؛ وقد شرب كثيراً من الماء، فقال: إسمع يا وزير ثم أنشد[1]:

إيهٍ أبا بكر ولا حَولَ لي
بِدَفْعِ أعْيانٍ وَأنْذالِ

وذات جرح[2] واسع دافق
بالماء يحكي حال أذيال[3]

غرقتني في الماء يا سيدي
كَفِّرْهُ بالتغريق في المال

---

[1] هذه الأبيات منن البحر السريع.
[2] في النفح: ((فرج)).
[3] نفسه: ((أذيالي)).

فأمر بتجريده، وخلع عليه ما يليق به [ولم يمر][1] لهم بعد عهدهم بمثله. ولم ينتقل **ابن قزمان** من **غرناطة**، إلاّ بعد ما أجزل له من الإحسان، ومدحه بما هو في ديوان أزجاله.

محنته

جرت عليه **بابن حمدين**[2] محنة كبيرة، عظم لها نكاله، بسبب شكاسة أخلاق كان موصوفاً بها، وحدة شقي بسببها. وقد ألمّ **الفتح**[3] في **قلايده** بذلك، واختلت حاله بآخرة، واحتاج بعد انفصال أمر مخدومه الذي نوّه به.

---

[1] في الإسكوريال: ((ومرّ)).

[2] هو قاضي قرطبة؛ أبو جعفر بن حمدين؛ الذي ثار على المرابطين في قرطبة؛ وذلك عندما شعر في سلطتهم بعض الوهن والضعف؛ وقد تم هذا سنة 539هـ/1144م. ولما سيطر على قرطبة أعلن نفسه أميراً عليها. وقد استمرت رياسته نحو عام؛ ولكنه غلب أخيراً وانهزم أمام القائد المرابطي ابن غانية. وتوفي سنة 546هـ/1151م.

[3] أي الفتح بن خاقان.

وفاتـه

تـوفي: بقرطبـة؛ لليلـة بقيـت مـن رمضـان؛ سنـة خمـس وخمسيـن وخمسمايـة[1]، والأميـر **ابـن سعـد** يحاصـر **قرطبـة**. رحمـه اللـه.

***

[1] الموافق لـ 1160م.

محمد بن غالب

الرصافي[1] يكنى أبا عبد الله؛ بلنسي الأصل؛
سكن غرناطة مدة، ثم مالقة.

حالـه

قال الأستاذ[2]: كان فحلاً من فحول الشعراء، ورئيساً في الأدباء، عفيفاً، ساكناً، وقوراً، ذا سمت وعقل. وقال القاضي[3]: كان شاعراً مجيداً، رقيق الغزل، سلس الطبع، بارع التشبيهات، بديع الاستعارات، نبيل المقاصد والأغراض، كاتباً بليغاً، دَيِّناً، وقوراً، عفيفاً، متفقهاً، عالي الهمة، حسن الخَلْق والخُلُق والسّمت، تام العقل، مقبلاً على ما يعنيه من التعيش بصناعة الرَّفي[4] التي كان يعالجها بيده؛ لم يَبْتَذل نفسه في خدمة، ولا تعرض لانتجاع بقافية، خلا وقت سكناه **بغرناطة**، فإنه امتدح

---

[1] **توجد ترجمة محمد بن غالب الرصافي الرَّفَّاء في: التكملة لكتاب الصلة، ووفيات الأعيان، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب، وجذوة المقتبس، وكتاب الأعلام للزركلي.**

[2] **الأستاذ أبو جعفر بن الزبير؛ مؤلف كتاب صلة الصلة.**

[3] **هو القاضي ابن عبد الملك المراكشي مؤلف كتاب الذيل والتكملة.**

[4] **في الإسكوريال: ((الرفو)). والرفاء: هو الذي يرفأ الثياب؛ أي يصلح الثياب ويخيطها.**

واليها حينئذ، ثم نزع عن ذلك، راضياً بالخمول حالاً، والقناعة مالاً، على شدة الرغبة فيه، واغتنام ما يصدر عنه.

أخبار عقله وسكونه

قال الفقيه **أبو الحسن شاكر بن الفخار المالقي**: وكان خبيراً بأحواله: ما رأيت عمري رجلاً أحسن سمتاً، وأطول صمتاً، من **أبي عبد الله الرصافي**. وقال غيره من أصحابه: كان رفاءً؛ فما سمع له أحد من جيرانه كلمة في أحد. وقال **أبو عمرو بن سالم**: كان صاحباً لأبي، ولقيته غير ما مرة، وكان له موضع يخرج إليه في فصل العصير، فكنت أجتاز عليه مع أبي فألثم يده، فربما قبل رأسي، ودعا لي، وكان أبي يسأله الدعاء؛ فيخجل، ويقول أنا والله أصغر من ذلك. قال، وكان بإزايه **أبو جعفر البلنسي**. وكان متوقد الخاطر، فربما تكلم مع أحد التجار؛ فكان منه هفوة، فيقول له جلساؤه، شتان والله بينك وبين **أبي عبيد الله** في العقل والصَّمْت؛ فربما طالبه بأشياء ليجاوبه عليها، فما يزيد على التبسم. فلما كان

أحد الأيام، جاء **البلنسي** ليفتح دكانه. فتعمَّد إلقاء الغِلْق من يده؛ فوقع على رأس **أبي عبد الله**. وهو مقبل على شغله؛ فسال دمه؛ فما زاد على أن قام، ومسح الدّم، ثم ربط رأسه، وعاد إلى شغله. فلمّا رأى ذلك منه **أبو جعفر** ترامى عليه، وجعل يقبل يديه، ويقول: والله ما سمعت برجل أصبر منك، ولا أعقل.

شعره

وشعره لا نهاية فوقه رونقاً ومائية، وحلاوة وطلاوة، ورقة ديباجة، وتمكن ألفاظ، وتأصل معنى. وكان رحمه الله، قد خرج صغيراً من وطنه، فكان أبداً يكثر الحنين إليه، ويقصر أكثر منظومه عليه. ومحاسنه كثيرة فيه، فمن ذلك قوله[1]:

خليلي ما للبيد قد عبقت نشرا
وما لرؤوس الركب قد رجحت[2] سكرا

[1] البحر الطويل.
[2] في الديوان: ((رنّحت)).

هــل المسك مفتوتاً[1] بمدرجة الصبـــا
أم القـــوم أجروا من بلنسيـــة ذكـــرا
خليــليّ عُوجـــا بي قليـــلاً فإنـــه
حديث كبرد الماء في الكبد الحَـــرّى
قفـــا غيـــر مأموريـــن ولْتتصدّيـــا[2]
على ثقة للمزن[3] فاستسقيـــا القطـــرا
بجســـر معـــان والرصافـــة أنـــه
على القطر أن يسقي الرصافة والجسرا[4]
بلادي التي ريشـــت قويدمتى[5] بهـــا
فريخـــاً وأورثتني قرارتها وكـــــرا
فبادي[6] أنيق[7] العيش في رَيَّق الصبـــا
أبى الله أن أنسى اغتراري بها غُـــرّا[8]

---

[1] في الديـوان: ((مفتوقـاً)).
[2] نفسـه: ((ولتصديـا بهـا)).
[3] نفسـه: ((للغيـث)).
[4] الرصافـة موضـع جميـل للتنـزه في بلنسيـة.
[5] تصغيـر للقـوادم؛ وهي الريـش الأربعـة في مقدمـة جنـاح الطائـر.
[6] في الديـوان: ((مبـاديء)).
[7] نفسـه: ((ليـن)).
[8] ورد هـذا الشطـر في الديـوان هكـذا: ((أبى الله أن أنسى لهـا أبـداً ذكـراً)).

لبسنـــا بهـــا ثوب الشباب لباسهـــا
ولكـــن عرينـــا من حلاه ولم تعـــرا[1]
أمنزلنـــا عصر الشبيبـــة ما الـــذي
طوى دوننـــا تلك الشبيبة والعصـــرا
محـــل أغـــر العهد لم نبـــد ذكـــره
على كبد إلا امترى أدمعـــاً حمـــرا
أكل مكان كان[2] في الأرض مسقطـــاً
لرأس الفتى يهواه ما عاش مضطرا[3]
ولا مثل مدحُـــوّ من المســـك تربـــة
تملي الصَّبـــا فيه حيقتهـــا[4] عطـــرا
نبـــات كـــأن الخـــد يحمـــل نـــوره
تخـــال لجينـــاً في أعاليـــه أو تبـــرا

---

[1] هذا البيت والبيتان التاليان؛ لم يردا في الديوان.
[2] في الديوان: ((راح)).
[3] أي دون حاجة إلى سبل الإقناع.
[4] في الديوان: ((حقيبتها)).

ومـــا[1] كترصيـــع المجـــرة جللـــت

نواصيه[2] الأزهار واشتبكـــت[3] زهـــرا

أنيـــق كريـــان[4] الحيـــاة التي خلـــت[5]

طليـــق كريعان[6] الشباب الذي مـــرا

وقالوا هل الفردوس ما قد وَصَفْتَـــه

فقلت وما الفردوس في الجنة الأخرى[7]

بلنسيـــة تلـــــك الـــزمـــردة[8] الـــتي

تسيـــل عليهـــا كل لـــؤلـــؤة نهـــرا

كأن عروســـاً أبـــدع اللـــه حسنهـــا

فصير من شرخ الشباب لها عمـــرا

---

[1] في الديـوان: ((ومـاء)).
[2] نفسـه: ((نواحيـه)).
[3] نفسـه: ((فاشتبكـت)).
[4] نفسـه: ((كريعـان)).
[5] نفسـه: ((حلـت))؛ بالحـاء المهملـة.
[6] نفسـه: ((كريـان)).
[7] لـم يـرد هـذا البيـت في الديـوان.
[8] في الديـوان: ((الزبرجـدة)).

يويـــد منهـــا[1] شعشعانيـــة الضحى[2]
مضاحكة الشمس البحيـــرة والبحرا[3]
تراجـــم[4] أنفـــاس الريـــاح بزهرهـــا
نجوماً فلا شيطان يغربهـــا[5] ذعـــرا
وإن كـــان قد مدت يـــد البين بيننـــا
من الأرض ما يهوى المجِدُّ به شهرا[6]
هي الدرة البيضاء من حيث جدتهـــا[7]
أضاءت ومن للدر أن يشبـــه الـــدّرا[8]
خليلي أن أصـــدر لهـــا فإنهـــــا[9]
هي الوطن المحبوب أوْكَلَه الصدرا[10]

---

[1] في الديـوان: ((تؤبـد فيهـا)).
[2] أي أنـوار الضـحى الكمشعـة المتوهجـة.
[3] ورد هذا الشطر في الديوان هكذا: ((إذا ضاحك الشمس البحيرة والبحرا)).
[4] في الديـوان: تزاحـم)).
[5] نفسـه: ((يقربهـا)).
[6] لـم يـرد هـذا البيـت في الديـوان.
[7] في الديـوان: ((جئتهـا)). وهـذا أسلـم.
[8] نفسـه: ((البـدرا)). وهـذا أصـوب.
[9] هـذا الصـدر مختـل الـوزن.
[10] اعتبـارا مـن هـذا البيـت وحـتى آخـر الأبيـات؛ غيـر وارد في الديـوان.

لم أطــو عنها الخطــو هجراً لها إذاً
فــلا لثمــت نعلي مساكنها الخضرا
ولكـــــن إجــلالاً لتــربتهــا التي
تضم فتاها الندب أو كهلها الحــرّى
أكارم عاث الدهــر ما شـــاء فيهــم
فبادت لياليهــم فهل أشتكي الدهــرا
هجوع ببطن وأرض قد ضرب الردى
عليهم قبيبـــات فويــق الثرى غبــرا
تقضـــوا فمــن نجــم سالك ساقــط[1]
أبى الله أن يرعى السماك أو والنشرا
ومــن سابــق هذا إذا شـــاء غايــة
وغير محمود جيـــاد العلى خضــرا[2]
أنـــاس إذا لاقيــت من شيــت منهم
تلقوك لا غــث الحديث ولا غمــرا

[1] هذا الشطر مختل المعنى والوزن.
[2] هذا الشطر مختل المعنى والوزن.

وقـــد درجـــت أعمارهـــم فتطلعـــوا
هلال ثـــلاث لو شفـــا رق أو بـــدرا
ثـــلاثـــة أمجـــاد مـــن النفـــر الألى
زكـــوا خبراً بين الورى وزكوا خبرا
ثكلتهم[1] ثكـــلاً دهى العيـــن والحشـــا
فعجَّـــر ذا أمَّـــا وسجَّـــر ذا جمـــرا
كفى حزنـــاً أني تبـــاعدت عنهـــم
فلم ألـــق من سُـــرِّي منهـــا ولا سُرّا
وإلى متى أســـل بهـــم كل راكـــب[2]
ليظهـــر لي خيـــراً تأبـــط لي شرا
أباحثـــه عـــن صالحـــات عهدتهـــا
هنـــاك فيسبني[3] بما يقصـــم الظهـــرا
محيـــاً خليل غـــاض مـــاء حياتـــه
وساكن قصر أضـــر[4] مسكنه القبـــرا

---

[1] جعلها د. طويل: ((أتَكَّلْتَهُم))؛ من أجل الوزن.
[2] جعل د. طويل هذا الشطر هكذا: ((وإلاّ متى أسلو بهم كل راكب))؛ وذلك من أجل الوزن.
[3] جعلها د. طويل: فيسبيني)).
[4] جعلها د. طويل: ((ضرَّ)).

وأزهــر كالإصباح قد كنــت أجتلي
سنــاء كما يستقبــل الأرِقُ الفجــرا
فــتًى لم يكن خِلْوُ الصِّفات من النَّدى
ولم يتناس الجــود أصــرم أم أثــرا
يصــرف ما بين اليراعــة والقنــا
أنــاملــه لا بــل هواطلــه الغــرا
طويــل نجــاد السيــف لان كأنمــا
تخطَّى بــه في البرد خطيَّة سمــرا
سقتــه على ما فيــك من أريحيــة
خلايق هن الخمر أو تشبه الخمــرا
ونشــر محيــا للمكارم لــو سـرت
حُميَّاه في وجه الأصيل لما اصفــرَّا
[هل السعد إلا حيث حــط صعيــده
لمن بل في شفري ضريح له شفــرا
طــويــن الليــالي طيهــن وإنمــا
طويــن[1] عــني التجلــد والصبــرا

[1] جعلها د. طويل: ((أطوين))؛ من أجل الوزن.

فــلا حرمت سقيــاه أدمــع مزنـــة
تـــرى مبسم النوار عنبـــر معتـــرّا
وما دعوتي للمزن عــذراً لدعــوتي
إذا ما جعلت البعد عن قربه عــذرا][1]

وقال يرثي أبا محمد ابن أبي العباس بمالقة[2]:

أبنى البلاغـــة فيـــم حفــل النـــادي
هبهـــا عكـــاظ فأيـــن قـــس أيـــاد
أمـــا البيـــان فقــد أجــرَّ لسانـــه
فيكـــم بفتكتـــه الحمـــــام العــــاد
عـــرشت سمـــا علايكـــم ما أنتـــم[3]
مـــن بعـــد ذلكم الشهـــاب الهـــادي
حطوا على عمد الطريق فقد خبــت
لآلـــي[4] ذاك الكوكـــــب الـــوقـــاد

---

[1] الأبيات المحصورة بين حاصرتين وردت في الإسكوريال؛ وسقطت في الزيتونة
[2] هو الفقيه الأديب عبد الله بن أبي العباس الجذامي المالقي؛ له شهر في مدح سلطان الموحدين يوسف بن عبد المؤمن. وهذه القصيدة من البحر الكامل؛ توجد بعض أبياتها في ديوان الرصافي البلنسي؛ بينما لم في المغرب سوى البيت الأول منها.
[3] جعلها د. طويل هذا الشطر هكذا: ((عرشت سماء علاكم ما أنتم))؛ من أجل الوزن.
[4] جعلها د. طويل: ((لألاء))؛ من أجل الوزن.

ما فـــل لهزمـــه[1] الصقيـــل وإنمـــا

نثـــرت كعـــوب قناكـــــم المنـــــآد

إيـــه عميـــد الحي غيـــر مدافـــع

إيـــه فـــدى لـــك غابـــر الأمجـــاد

ما عذر سلـــك كنت عقـــد نظامـــه

إن لـــم يصـــر بـــرداً إلى الآبـــاد

حيـــث[2] الزمان عليك ثكلا أن يـــرى

من طـــول ليـــل في قميـــص حداد

يـــومي بأنجمـــه لمـــا قلدتـــــه

مـــن در ألفـــاظ وبيـــض أيـــاد

كشـــف الحجاب فما ترى متفضـــلا

فـــي ساعـــة تصغي بـــه وتنـــادي

ألمـــم بربعـــك غيـــر مأمـــور فقـــد

غـــــص الفنـــا بأرجـــل القصـــــاد

---

[1] جعلها د. طويل: (لَهْذَمُـهُ))؛ أي في حال اتحاد القاطع من الأسنة.
[2] في الديوان: ((حسب)).

خبــراً يبلغــه غيــر مأمــور فقــد

غـــــصَّ الفنــاء بأرجــل القصـــاد

خبـــــراً يبلغـــــه إليــك ودونـــــه

أمــن العــــــداة وراحــة الحســــــاد

قد طأطــأ الجبــل المنيــف قذالــه

للجــار بعــدك واقشعــر الــوادي

أعــد التفاتــك نحونـــا وأظنــــه

مثــل الحديث لديــك غيـــر معـــاد

وامسح لنا عن مقلتيــك من الكــرى

نومـــاً تكابــد مــن بكى وسهـــاد

هــذا الصبـــاح ولا تهــب إلى متى

طــال الرقــاد ولات حيــن رقـــاد

وكأنمـــا قـــال الـــردى نَـــمْ وادعـــاً

سبقــت إلى البشرى بحســن معـــاد

أمـــوســـداً تلــك الرخــام بمرقــد

أخشـــن بـــه مـــن مرقــد ووســـاد

خصبــت بقــدرك حفــرة فكأنهــا

من جوفها في مثل حــرف الصــاد

وثــر لجنبــك مــن أثــاث مخيــم

تــــرب نــــد[1] وصفايــح أنضــاد

يا ظاعنــاً ركــب السرى في ليلــة

طــار الدليــل بها وحــاد الحــادي

أعــزز علينــا إن حططت بمنــزل

تبــلى عــن الــزوار والعــــواد

جــار الأفــــراد هنالــك جيــــرة[2]

سقيــــاً لتلــك الجيــرة الأفــــراد

الساكنيــن إلى المعــاد قبابهــــم

منشــورة الأطنــــاب والأغمــــاد

من كل ملقيــة الجراب بمضــرب

نــاب البلى فيــه عــن الأوتــاد

[1] جعلها د. طويل: ((الندى)).

[2] هذا الشطر مختل الوزن.

بمعــرس السفر الألى ركبوا السرى
مجهولـــة الغايـــات والآمـــاد

سيـــان فيهـم ليلـة ونهارهـــا
مـا أشبـه التأويـب بالإسنــاد

لحق البطون من اللعب على الطوى[1]
وعلى الرواحـل عنفـوان الـزاد

لله هم فلشـد ما نفضـوا مـن اْمْـ
ـتعـة الحياة في[2] حقايب الأجسـاد

ياليت شعري والمنـا لـك جنـة
والحـال مؤذنـة بطـول بعـاد

هل للعـلا بك بعدهـا من نهضـة
أم لانقضـاء نـواك مـن ميعـاد

بـأبي وقـد ساروا بنعشك صـارم
كثـرت حمايلـه على الأكتـاد[3]

---

[1] هذا الشطر مختل.
[2] حذف د. طويل كلمة ((في)) ليستقيم الوزن.
[3] أي على الأكتاف.

ذلـــت عواتـــق حامليـــك فإنهـــــم
شامـــوك في غمـــد بغيـــر نجـــــاد
نعم الذمـــاء البـــر ما قـــد غـــوروا
جثمانـــــه بالأبــــرق المنقـــــاد
علياء خص بهـــا الضريـــح وإنمـــا
نعـــم الغويـــر بأبـــؤس الأنجـــــاد
أبـــني العبـــــاس أي حلاحــــل
سلبتكــــم الدنيـــــا وأي مصـــــاد
هل كان إلا العيـــن وافـــق سهمهـــا
قــــدراً فأقصـــد أيمـــا إقصـــــاد
أخلـــل بمجـــد لا يســـد مكانــــه
بالإخــــوة النجبـــــاء والأولاد
ولكم يرى بك من هضاب لم يكـــن
لــــولاك غيـــر دكـــادك ووهـــــاد
ما زلـــت تنعشهـــا بسيبـــك قابضـــاً
منها على الأضبـــاع والأعضـــــاد

حتى أراك أبـــا محمــد الـــــردى
كيــف انهــــداد بــواذخ الأطــواد
يـــا حرهـــا مـــن جمـــرة مشبوبـــة
يلقى لهـــا الأيـــدي على الأكتـــاد
كيـــــف العـــزاء وإنهـــــا لرزيـــة
خـــرج الأسى فيهـــا عـــن المعتـــاد
صـــدع النعـــاة بها فقلـــت لمدمعي
كيــف انسكابــك يـــا أبـــا الجــواد
لـــك من دمي ما شيت غير مُنَهْنَـــه
صبْ كيف شيـــت معصفـــر الأبراد
بقصيـــر مجتهـــد وحسبـــك غايـــة
لـــو قد بلغـــت بهـــا كبيـــر مـــراد
أمـــا الدموع فهي[1] أضعــف ناصـــر
لكنهـــــن كثيـــــــرة التعـــــداد[2]

[1] جعلها ذ. طويل: ((هنَّ)).
[2] في الديـوان: ((الأعداد)).

ثـــم السـلام ولا أغـــب قـــراره
وأرتـك صوب روايـح وغـــواد
تسقيـك ما سفحت عليـك يراعـة
في خـد قرطـاس دمـوع مـداد

ومـن غرامياتـه وإخوانياتـه قولـه مـن قصيـدة[1]:

عــاد الحديث إلى ما جــر أطيبـه
والشيء يبعث ذكر الشيء عن سبب
إيه عن الكديـة البيضـاء إن لهـا
هــوى يغلب[2] أخيك الواله الوصـب
راوح بها[3] السهل من أكنافها وأرح
ركابنـا ليلنـا[4] هـذا مـن التعـب

[1] القصيـدة التاليـة: وردت في الإسكوريـال، بينمـا سقطت في الزيتونـة. وموجـودة في ديـوان الرصـافي البلنـسي. وهي مـن البحـرالبسيـط.
[2] في الديـوان: ((بقلـب))؛ وهـذا اسلـم.
[3] نفسـه: ((بنـا)).
[4] نفسـه: ((ليلهـا)).

وانضح نواحيها[1] من مقلتيــك وســل
من[2] الكثيب الكريم العهد في الكتــب[3]
وقل لسرحتــه يا سرحــة كرمــت
على أبي عامــر عزي عن السحب
يا عذبة الماء والظل أنْعَمي طَفَــلاً
حييــت ممسيــة ميــادة الغضــب[4]
ماذا على ظلك الألمى وقد قلصــت
أفيــاؤه لــو ضفا شيــاً لمغتــرب
أهكــذا تنقضي نفسي لديــك ظمــا
الله في رمــق من جــارك الجنــب[5]
لولاك يا سرح لم يبق[6] الفلا عطــلا
من السرى والدجــا خفاقة الطنــب

[1] في الديـوان: ((جوانبهـا)).
[2] نفسـه: ((عـن)).
[3] نفسـه: ((الكثـب))؛ بالثـاء المثلثـة.
[4] نفسـه: ((القضـب)).
[5] أي جـار مـن الغربـاء.
[6] في الديـوان: ((لـم نبـق)).

ولـــم نبــت نتقاضى من مدامعنـــا

دينـــاً لتربـــك من رقراقها السَّـــرِبِ

إنا[1] إذا ما تصـــدى من هوى طلـــل

عجنـــا عليـــه فحييـنـــاه عن كثـــب

مستعطفين سخيـــات الشئـــون لـــه

حتى يحـــاك[2] عليه مموق[3] العشـــب

سلي خميلتـــك الريـــا بأيـــة[4] مـــا

كانـــت تـــرف بها ريحانـــة الأدب

عن فتيـــة نزلـــوا على[5] سرارتهـــا

عفـــت محاسنهـــم إلا مـــن الكتـــب

محافظيـــن على العليـــا وربتمـــــا

هـــزوا السجايا قليلاً بابنـــة العنـــب

---

[1] في الديـوان: ((أخـا)).
[2] نفسـه: ((تحـاك)).
[3] نفسـه: ((نمـرق))؛ وهـو أسلـم.
[4] نفسـه: ((لأيـة)).
[5] نفسـه: ((عليـا)).

حتى إذا ما قضوا من كأسها وطــراً
وضاحكوها لــدى جــد[1] من طــرب
راحوا رواحاً وقد زيــدت عمايمهــم
حلماً ودارت على أسفى من السبــب[2]
لا يظهــر الشكر[3] حــالاً في[4] ذوايبهم
إلا التفــات[5] الصبا في ألسن العــذب
المنزليــن القــوافي مــن معاقلهــا
والخاضدين لديها شوكــة العــرب

ومن مقطوعاته قوله[6]:

دعــاك خليــل والأصيــل كأنــه
عليــل يقضي مدة الزمــن البــاقي
إلى شــط منساب كأنــك مــاؤه
صفــاً ضميــراً وعذوبــة أخــلاق[7]

---

[1] في الديوان: ((إلى حد)).
[2] نفسه: ((أبهى من الشهب)).
[3] نفسه: ((السكر)).
[4] نفسه: ((من)).
[5] نفسه: ((التفاف)).
[6] لم يرد في الديوان من هذه القصيدة سوى البيت الثاني. وهي من البحر الطويل.
[7] ورد هذا الشطر في الديوان هكذا: ((صفاء ضمير أو عذوبة أخلاق)). وهو أسلم.
أسلم.

ومهوى جناح للصبـــا يمسح الربى

خـــفي الخـــوافي والقـــوادم خفـــاق

وفتيـــان صدقـــك كالنجـــوم تألفـــوا

على النأي من شـــتى بروج وآفـــاق

على حين راح البرق في الجو مغمداً

ظبـــاه ودمع المزن في جفنـــه راق

وجالـــت بعيني في الريـــاض التفاتة

حبست بها كأسي قليلاً عن الســـاقي

على سطـــر خيري ذكرتك فانثـــنى

يميـــل بأعنـــاق ويرنـــو بأحـــداق

وقـــف وقفـــة المحبوب منه فإنهـــا

شمايـــل مشغـــوف بمرآك مشتـــاق

وصـــل زهرات منه صفـــر كأنهـــا

وقد خضلت قطراً محاجـــر عشـــاق

وقال وكلفها في حايك[1] [وهو بديع][2]:

قالوا وقد أكثـــروا في حبـــه عـــذل[3]

لـــو لم تهـــم بمزال[4] القـــدر مبتـــذل

فقلـــت لو أن أمري في الصبابة لي

لاختـــرت ذاك ولكن ليـــس ذلك لِي

في كـــل قلـــب عزيـــزات مذللـــة

للحسن والحسن ملك حيث جـــل ولِي

علقتـــه حبيـــبي[5] الثغـــر عاطـــره

درِّي لـــون المحيـــا أحـــور المقـــل[6]

إذا تأملتـــــه أعـــطـــاك ملتفتـــاً

ما شيت من لحظات الشادن الوجـــل[7]

[1] وردت هذه العبارة في المغرب هكذا: ((وقوله في غلام حائك)).
[2] هاتان الكلمتان سقطتا في الزيتونة. وهذه الأبيات موجودة في ديوان الرصافي البلنسي. وهي من البحر البسيط.
[3] في الديوان: ((عذلي)).
[4] نفسه: ((بمذال))؛ أي بالممتهن المبتذل.
[5] جعلها د. طويل: ((حَبَبيّ))؛ وهذا أسلم.
[6] ورد هذا الشطر في الديوان هكذا: ((ألـمَى المُقبَّل أحوى ساحر المقل)).
[7] في الديوان: ((الغزل)).

هيهـــات أبغي به من غيـــره بـــدلا

أخرى الليالي وهل في الغير من بدل

غزيـــل لم تزل في الغـــزل جايلـــة

بنانـــه جـــولان الفكـــر في الغـــزل

جـــذلان تلعـــب بالمحـــراك[1] أنملـــه

على السّـــدى لعـــب الأيام بالأمـــل[2]

ما أن يَنِي تعب الأطراف مشتغـــلا

أفديـــه من تعب الأطراف مشتغـــل

ضربـــاً[3] بكفيه أو فحصاُ بأخمصـــه

تخبـــط الظبي في أشـــراك محتبـــل

وقـــال[4]:

ومهفهـــــف كالغصـــن إلا أنـــــه

سلـــب التثـــني النـــوم عن أثنايـــه

---

[1] في الديـوان: ((بالمحـواك)).
[2] نفسـه: ((بالـدول)).
[3] نفسـه: ((جذبـاً)).
[4] هذان البيتـان توجدان في ديوان الرصافي البلنسي، والمعجب؛ وهما من بحر الكامل.

أضحى ينـــام وقد تخـــدّد[1] خـــــده
عرقـــاً فقلـــت الـــورد رُشَّ بمايـــه

وقـال[2]:

أدرهـــا فالغمامـــة قـــد أجالـــت
سيـــوف البـــرق في لمـــم البطـــاح
وراق الـــروض طاووســـاً بهيـــــاً
تهـــــب عليـــــه أنفـــاس الريـــاح
تقـــول وقـــــد ثنى قـــزح عليـــه
ثيـــاب الغيـــــم معلمـــة النـــواح
خـــــذوا للصحـــو أهبتكـــم فـــإني
أعـــــرت المـــزن قادمتي جنـــاح

وقال[3]:

أدرها على أمـــر فمـــا ثم من بـــأس
وإن جـــــددت آذانهـــا ورق الآس

---

[1] في المعجـب، والديـوان: ((تحبـب)).
[2] هـذه الأبيـات مـن بحـر الوافـر.
[3] هـذه الأبيـات مـن البحـر الطويـل.

ومــــا هي إلا ضاحكـــات غمايــم
لواعب من ومض البروق بمقيـــاس
ووفــد ريـــاح زعزع النهر مــدة
كما وطيت درعاً سنابــك أفـــراس

وقال في وصف مغنٍ محسن[1]:

ومطـــارح ممـــا تحــس[2] بنانـــه
صوتـــاً[3] أفـــاض عليه مـــاء وقـــاره
يثني الحمام فـــلا يـــروح لوكـــره
طربـــاً ورزق بنيـــه في منقـــاره

وقال يصف جدول ماء عليه سَرْحة، ولها حكاية معروفة[4]:

ومُهَــدَّل الشطيــن تحســب أنــه
متسيـــــل[5] مـــن درة لصفايـــــه

---

[1] هذان البيتان يوجدان في ديوان الرصافي البلنسي؛ وهما من بحر الكامل.
[2] في الديوان: ((تجس)) بالجيم المعجمة التحتية.
[3] نفسه: ((لحناً)).
[4] هذه الأبيات توجد في المعجب، وديوان الرصافي البلنسي. وهي من بحر الكامل.
[5] في المعجب: ((متسايل)).

فاءت عليـــه مـــع العشيـــة[1] سرحـــة
صدئـــت لفيئتهـــا صفيحـــة مايـــه
فتـــراه أزرق في غلالـــة سمـــــرة
كالـــــدارع استلقى بظـــل لوايـــه[2]

نثـــره

قـال مـن مقامة يصف القلم[3]:

قصيـــــر كالأنابيـــب[4] لكنـــه
يطـــول مضـــاء طـــوال الرمـــاح
إذا عـــــبّ للنفـــــس في دامـــس
ودب مـــن الطـــرس فوق الصفاح
تجلـــت بـــه مشكـــلات الأمـــور
ولان لـــه الصعـــب بعـــد الجمـــاح

---

[1] في الديـوان، والمعجـب: (الهجيـرة)).
[2] سقـط هـذا البيـت في الزيتونـة.
[3] استهل هذه القطعة النثرية بأبيـات مـن الشعر. والأبيـات مـن بحـر المتقـارب.
[4] جعلهـا د. طويـل: ((قصيـر الأنـابيـب)). وهـذا أسلـم.

فلولا هو[1] لغدت أغصان الاكتساب ذاوية[2]، وبيوت الأموال خاوية، وأسرعت إليها البوسى، وأصبحت كفؤاد أم **موسى**[3]، فهو لا محالة تَجْرُها الأربح، وميزانها الأرجح. به تدر ألبانها، وتثمر أفنانها، وتستمر أفضالها وإحسانها، وهو رأس مالها، وقطب عمالها وأعمالها. وصاحب القلم قد حوى الملكة بأسرها، وتحكم في طيها ونشرها، وهو قطب مدارها، وجهينة[4] أخبارها، وسر اختيارها واختبارها، ومظهر مجدها وفخارها، يعقد الرايات لكل والٍ، ويمنحهم من المبرة كل صافية المقيل، ضافية السربال، يطفي جمرة [الحرب][5] العوان، ويكايد العدو بلا صارم ولا سنان، يقد المفاصل، ويتخلل الأباطح والمعاقل، ويقمع الحواسد والعواذل.

---

[1] هكذا كتبت في الإسكوريال والزيتونة؛ وتقابل ما اصطلح عليه حديثاً: ((فلولاه)).
[2] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((خاوية)).
[3] إشارة إلى قوله تعالى: [وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ]. سورة القصص؛ الآية: 10.
[4] إشارة إلى المثل القائل: ((عند جهينة الخبر اليقين)). ومفاده أن السر لا يعرفه إلاّ جهينة. أي صاحب السر.
[5] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

وفاتـه

تـوفي **بمالقـة** ؛ يـوم الثلاثـاء لإحـدى عشـرة بقيـت مـن رمضان ؛ سنة اثنين[1] وسبعين وخمسماية[2]؛ وقبره مشهور بها.

***

[1] صوبها د. طويل؛ فكتب: ((اثنتين))؛ وهذا أصح.
[2] الموافق لـ 1176م.

محمد بن قاسم

ابن أبي بكر القرشي المالقي؛ من أهل مالقة، وسكن غرناطة، وتردد إليها

حالـه

كـان لبيبـاً لوذعيـاً، جامعـاً لخصـال؛ مـن خـط بـارع وكتابة، ونظم، وشطرنـج، إلى نـادر حـار، وخاطـر ذكـي، وجرأة. توجه إلى **العدوة**، وارتسم بها طبيباً، وتولى النظر على المارستان **بفـاس** في ربيع الثاني؛ من عام أربعة وخمسين وسبعمائة[1].

شعـره

أنشدني **بمدينة فاس** عام ستة وخمسين[2]، في وجهتي رسولا إلى **المغرب**، قوله في رجل يقطع في الكاغد[3]:

أبـا عـلي حسينـا   أين الوفـا منك أينـا

---

[1] **الموافق لـ 1353م.**
[2] **756هـ/1355م.**
[3] **المجتث.**

قد بين الدمع وجـــدي وأنـــت تـــزداد بينـــا
بلـــت لحاظـــك قلـــبي تاللـــه ما قلـــت مينـــا
قـــط المقـــص لهـــذا سبـــب الصب مينـــا
بقيـــت تفتـــر حسنـــا ودمـــت تـــزداد زينـــا

وقـال أيضـاً[1]:

فضـــل التجـــارات بـــاد في الصناعـــات
لـــولا الـــذي هـــو فيها هاجـــر عـــات
حـــاز الجمـــال فأعيـــاني وأعجـــزني
وإن دعيـــــت بوصـــاف ونعـــــات

وكـان شديـد المغالطـة، ذاهبـاً أقـصى مذاهـب القحـة، يحـرك مـن لا يتحـرك، ويغضـب مـن لا يغضـب. عتـب يومـاً جدته على طعام طبخته له، ولـم يستطبه، وكـان بين يديـه القـط يصدعـه بصيـاح طلبـه، فقـال لـه ضجـراً، خمسمائـة سـوط، فقالـت لـه جدتـه لـم تعـط هـذه السيـاط للقـط، إنمـا عنيتـني بهـا، وأعطيتهـا باسـم القـط، فقـال لهـا حـاش للـه يـا مـولاتي، وبهـذا البخـل تدريـني أو الزحـام عليهـا، بـل ذلـك

[1] البسيط.

للقـط حـلالاً طيبـاً، ولـك أنـت ألـف مـن طيبـة قلـب، فأرسلها مثلاً، وما زلنا نتفكه بذلك، وكان في هذا البـاب لا يشق غباره.

مولـده

بمالقة؛ عام ثلاثة وسبعماية[1].

وفاتـه

بعث إليّ الفقيه **أبـو عبـد اللـه الشديـد**، يعرفني أنه توفي في أواسط عام سبعة وخمسين وسبعمائة[2].

***

[1] الموافق لـ 1303م.
[2] الموافق لـ 1356م.

محمد بن سليمان

ابن القصيرة[1]؛ أبو بكر، كاتب الدولة اللمتونية، وعلم وقته.

حالــه

قال **ابن الصيرفي[2]:** الوزير الكاتب، الناظم، الناثر، القايم بعمود الكتابة، والحامل للواء والبلاغة، والسابق الذي لا يشق غباره، ولا تخمد أبداً أنواره. اجتمع له براعة النثر، وجزالة النظم، رقيق النسيج، حصيف المتن، رقعته ماشيت في العين واليد. قال **ابن عبد الملك[3]:** وكان كاتباً مجيداً، بارع الخط، كتب عن يوسف بن تاشفين[4].

---

[1] توجد ترجمة محمد بن سليمان بن القصيرة أيضاً في: الذخيرة، والمغرب في حلى المغرب، والمطرب، والصلة، وقلائد العقيان، والبيان المغرب، والمعجب، والوافي بالوفيات، والمحمدون من الشعراء، والذيل والتكملة، ونفح الطيب.

[2] صاحب كتاب الأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية.

[3] صاحب الذيل والتكملة.

[4] في الذيل والتكملة: ((كتب عن أبي يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني)).

مشيختــه

روى عــن **أبــي الحجــاج الأعــلم، وأبــي الحســن بــن شريــح**[1]، وروى عنــه **أبــو الوليــد هشــام بــن يوســف بــن الملجـوم**، لقيه **بمراكـش**[2].

شعــره

وهــو عنــدي فــي نمــط دون مــا وصــف بــه. فمــن ذلــك قوله من قصيدة أنحى فيها على **ابـن ذي النون**، ومدح **ابـن عباد**، عند خلع **ابن جهور**، **أبي الوليد**، وتصيير **قرطبة** إليه[3]:

فسل عنه أحشاء ابن ذي النون هل سرى
إليهـــا سكـــون منـــذ زلزلهـــا الذعـــر
وهل قدرت مـــذ أوحشته طلايـــع الـــ
ـــظهـــور عليه أن[4] تؤنســـه الخمـــر

---

[1] في الذيـل: ((وأبي الحسـن شريـح)).
[2] نفسـه: ((لقيـه بمراكـش سنـة اثنتيـن وتسعيـن وأربعمائـة)).
[3] البحـر الطويـل.
[4] جعلهـا د. طويـل: ((أني))؛ مـن أجـل الـوزن.

[ألم يجن يحيى مـــن تعاطيـــك ظلـــه
سجـــا لك هيهات السهى منك يا بـــدر
لجـــاراك واستوفيـــت أبعـــد غايـــة
وآخـــره عن شـــأوك الكف والعثـــر
فأحرزت فضل السبق عفـــواً وكفـــه
عـــلى رغمـــه ممـــا توهمـــه صفـــر
ويا شـــد ما أغرتـــه قرطبـــة وقـــد
أبشرتهـــا خيلنـــا فكان لـــك الـــدر][1]

ومنها:

[أتتـــك وقد أزرى ببهجـــة حسنهـــا
ولا لأنها[2] من جـــور مالكها طمـــر
فألبستهـــا من سابـــغ العـــدل حلـــة
زهاهـــا بهـــا تيـــه وغازلهـــا كبـــر
وجاءتـــك متفـــالا فضمـــخ حيهـــا
وازدانهـــا من ذكرك المعتلي عطـــر

---

[1] **الأبيـات الـواردة بيـن حاصرتيـن؛ سقطت في مخطـوط الزيتونـة.**
[2] **جعلهـا د. طويـل: ((ولا أنهـا))؛ مـن أجـل الـوزن.**

وأجريت ماء الجــود في عرصاتهــا
فروَّض حتى كاد أن يورق الصخــر
وطــاب هــوا[1] أفقهـــا فكأنهـــا
تهب نسيمــاً فيه أخلاقــك الزهــر
ومـــا أدركتهــم في هــواك هــوادة
وما أئتمــروا إلا لمــا أمــر البــر
ومـــا قلــدوك لأمــر[2] إلا لواجــب
جئتــه[3] فيــه المجــرب والغمــر
وبــوّأهــم في ذروة المجــد معقــلا
حــرام على الأيــام إلمامــه حجــر
وأوردهم من فضل سيبــك مــورداً
على كثــرة الوارد مشرعــه غمــر
فلولاك لم تفصل عرى الإصر عنهم
ولا انفك من ربــق الأذى لهم أســر

---

[1] **جعلها د. طويل: ((هواء))؛ من أجل الوزن.**
[2] **جعلها د. طويل: ((قلدوك الأمر))؛ من أجل الوزن.**
[3] **أضاف د. طويل هنا كلمة: ((ما))؛ فأضحت هكذا: ((ما جئته)). وهذا التصرف من اجل الوزن.**

أعـــــدت نهـــار ليلهـــم ولطالمـــا
أراهم نجوم الليل في أفقـــه الظهـــر
ولا زلت تؤويهـــم إلى ظل دوحـــة
من العـــز في أرحابها النعم لخضـــر][1]

كتابته

وهي من قلـة التصنـع والإخشوشـان، بحيـث لا يخـفى غرضهـــا. ولكــل زمـــان رجالـــه. وهـــي مـــع ذلـــك تزينهـــا السذاجة، وتشفـع لها الغضاضـة. كتـب عـن الأميـر **يوسـف ابـن تاشفيـن** ولاية عهده لولـده: ((هـذا كتـاب توليـة عظيـم جسيـــم، وتوصيـــة حميـــم كريـــم، مهـــدت[2] عـــلى الرضـــا قواعـــده، وأكـــدت بيـــد[3] التقـــوى [مواعـــده][4] ومعاقـــده، وســـددت إلـــى الحســـنى مقاصـــده، وأبعـــدت عـــن [الهـــوادة والهـوى][5] مصـادره ومـوارده. أنفـذه أميـر المسلميـن، وناصـر

[1] سقطت هذه القصيدة في الزيتونـة؛ بينمـا وردت في الإسكوريـال.
[2] في الزيتونـة: ((بنيـت))،
[3] نفسـه: ((علـى)).
[4] هذه الكلمـة أضيفـت مـن الزيتونـة.
[5] كتب في الزيتونـة مكانهمـا: ((الحـوادث)).

الدين، **أبو يعقوب يوسف بن تاشفين**، أدام الله أمره، وأعز نصره، وأطال فيما يرضيه منه، ويرضى به عنه عمره، غير محاب، ولا تارك في النصيحة لله ولرسوله والمسلمين، وموضع ارتياب لمرتاب، للأمير الأجل **أبي الحسن علي** ابنه، المتقبل هممه وشيمه، المتأثل حلمه وتحلمه، الناشئ في حجر تقويمه وتأديبه، المتصرف بين يدي تخريجه، وتدريبه، أدام الله عزه وتوفيقه، ونهج إلى كل صالح من الأعمال طريقه. وقد تهمم بمن تحت عصاه من المسلمين، وهدى في انتقاء من يخلفه هدى [المتقين، ولم ير أن يتركهم بعد سدى غير مدينين][1] واعتام في النصاب الرفيع، واختار واستنصح أولي الرأي والدين؛ واستشار فلم يوقع[2] بعد طول تأمل؛ وتراخي مدة؛ وتمثل اخياره، واختبار من فاوضه في ذلك من أولي التقوى[3] والحنكة واستشارة الأعلية ولا صار بدونهم الارتياد والاجتهاد إلاّ إليه؛ ولا التقى روّاد الرَّأي والتشاور إلاَّ

---

[1] ما كتب ضمن الحاصرتين سقط في الزيتونة.
[2] في الزيتونة: ((يوافقه)).
[3] نفسه: ((التقى)).

لديه؛ فولاه عن استحكام بصيرة، وبعد طول مشورة، عهده، وأفضى إليه الأمر والنهي، والقبض والبسط عنده[1] بعده، وجعله خليفته الساد في رعاياه مسده، وأووطأ عقبه جماهير الرجال، وناط به مهمات الأمور والأعمال، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع، ولا يعدل عن سمت العدل وحكم الكتاب والسنة، في أحد عصا أو أطاع، ولا ينام عن حماه[2] الحيف والخوف بالاضطجاع، ولا يتلين دون معلن شكوى، ولا يتصام عن مستصرخ لذي بلوى، وأن ينظم أقصى البلاد وأدناها في سلك تدبيره، ولا يكون بين القريب والبعيد بون في إحصائه[3] وتقديره. ثم دعا أدام الله تأييده، لمبايعته، أدام الله عزه ونصره، من حضر ودنا من المسلمين، فلبوا مسرعين، وأتوا مهطعين، وأعطوا صفقة إيمانهم متبرعين متطوعين، وبايعوه على السمع والطاعة، والتزام سنن[4] الجماعة، وبذل النصيحة

---

[1] كلمة ((عنده)) أضيفت من الزيتونة.
[2] في الزيتونة: ((جملة)).
[3] نفسه: ((أحكامه)).
[4] نفسه: ((سنة)).

جهـد[1] الاستطاعـة، ومناصفـة مـن ناصفـه، ومحاربـة مـن حاربـه، ومكايـدة مـن كايـده، ومعانـدة مـن عانـده، لا يدخرون في ذلك على حال المنشط مقـدرة، ولا يحتجـون[2] فـي حالـتي الرضـا والسخـط إلـى معـذرة. ثـم أمـر بمخاطبـة سايـر أهـل البـلاد لمبايعتـه، كـل طائفـة منهـم فـي بلدهـا[3]، وتعطيه كما أعطاه من حضر، وصفقة يدها، حتى ينتظـم في التزام طاعته القريب والبعيـد، ويجتمـع عـلى الاعتصـام بحبـل دعوتـه، الغايـب والشهيـد، وتطمين مـن أعـلام النـاس وخيارهـم نفـوس قلقـة، وتنـام عيـون لـم تـزل مخافـة إقذئهـا مورقـة[4]، ويشمـل النـاس كافة السـرور والاستبشـار، وتتمكـن لديهـم الدعـة، ويتمهـد القـرار، وتنشـأ لهـم فـي الصـلاح آمـال، ويستقبلهـم جد صالـح وإقبـال. والله يبـارك لهـم بيعـة رضـوان، وصفقـة رجحـان، ودعـوة يمـن وأمـان، إنـه عـلى مـا يشـاء قدير، لا إلـه إلا هـو، نعـم المـولى ونعـم النصيـر. شهـد عـلى إشهـاد أمير المسلمين بكـل مـا ذكـر عنـه فـوق هـذا مـن

---

[1] في الزيتونـة: ((قـدر)).
[2] في الإسكوريـال: ((يحجـون)).
[3] في الزيتونـة: ((وطنهـا)).
[4] سقطت هـذه الكلمـة في الزيتونـة.

بيعته، ولقيه حَمْلة[1] عنه ممن التزم البيعة المنصوصة قبل، وأعطى صفقته طائعاً متبرعاً بها. وبالله التوفيق. وكتب بحضرة **قرطبة؛** في ذي الحجة؛ سنة ست وتسعين وأربعمائة[2].

دخل غرناطة

غير ما مرة، وحده، وفي ركاب أميره.

وفاته

توفي في جمادى الآخرة؛ من عام ثمانية وخمسمائة[3].

***

[1] في الزيتونة: ((جملة)).
[2] الموافق لـ 1102م.
[3] الموافق لـ1114م.

محمد بن يوسف

ابن عبد الله بن إبراهيم التميمي المازني؛ من أهل سرقسطة؛
ودخل غرناطة؛ وروى عن أبي الحسن بن الباذش بها؛
يكنى أبا الطاهر؛ وله المقامات اللزوميات المعروفة.

حاله

كان كاتباً لغوياً شاعراً، معتمداً في الأدب، فرداً، متقدماً في ذلك في وقته، وله المقامات المعروفة، وشعره كثير مدون.

مشيخته

روى عن **أبي علي الصدفي، وأبى محمد بن السيد، وأبي الحسن بن الأخضر، وأبي عبد الله بن سليمان** المعروف **بابن أخت غانم، وأبي محمد بن عتاب، وأبي الحسن بن الباذش. وأبي محمد عبد الله بن محمد التجيبي الدكلي، وأبي القاسم بن صوابه[1]، وأبي عمران بن أبي تليد،** وغيرهم. أخذ عنه القاضي **أبو العباس بن مضاء**، أخذ عنه **الكامل للمبرد**؛ قال: وعليه اعتمد في تقييده.

[1] في الزيتونة: ((صرافه)).

وروى عنه المقري المسن، الخطيب **أبو جعفر بن يحيى الكتامي**، وذكره هو **وابن مضاء**.

توفي بقرطبة

ظهر يوم الثلاثاء، الحادي والعشرين من جمادى الأولى؛ سنة ثمان وثلاثين وخمسماية[1]، بزمانة[2] لازمته نحوا من ثلاثة أعوام، نفعه الله.

شعره[3]

أيا قمر أتطلع من وشاح
على غصن فاخر من كل راح
أدار السحر من عينيه خمراً
معتقة فأسكر كل صاح
وأهدى إذ تهادى كل طيب
كخوط البان في أيدي الرياح
وأحيا حين حيا نفس صب
غدت في قبضة الحب المتاح

---

[1] **الموافق لـ 1143م.**
[2] **أي بعاهة.**
[3] **الأبيات الموالية من بحر الوافر.**

وســـوغ منـــه عتـــبي بعـــد عتـــب
وعللـــني بـــــراح فـــــوق راح
وأجنـــاني الأمـــاني فـــي أمـــــان
وجنـــح الليـــل مســـدول الجنـــاح

وقال أيضاً[1]:

ومنعـــم الأعطاف معســـول اللَّـــمَى
ما شيـــت من بـــدع المحاسن فيـــه
لمـــا ظفـــرت بليلـــة مـــن وصلـــه
والصـــب غيـــر الوصل لا يشفيـــه
أنضحـــت وردة خـــــده بنـــفسي
وظللـــت أشـــرب ماءهـــا من فيـــه

وقال أيضاً[2]:

حكـــت الســـلاف صفاتـــه بحبابهـــا
مـــن ثغـــره ومذاقهـــا من رشفـــه

[1] البحـر الكامـل.
[2] البحـر الكامـل.

وتــوردت فحكــت شقايــق خـــده
وتأرجــت فيسيمهـــا من عـــرفـــه
وصفـــت فـــوق أديمهـــا فكأنهـــا
من حسن رونـــق وجنتيـــه ولطفـــه
لعبـــت بألبـــاب الرجال وغـــادرت
أجسامهم صـــرعى كفعلـــة طرفـــه
***

***

محمد بن حسن

العُمـراني الشريف[1]؛ من أهل فاس

حالـه

كان جهوياً ساذجاً، خشن البزة، غير مرهف التجند، ينظم الشعر، ويذكر كثيراً من مسائل الفروع، ومعانات الفرائض، يجعجع بها في مجالس الدروس، تشقى به المدرسون، على وتيرة من صحة السجية وحسن العهد، وقلة التصنع.

وجرى ذكره في **الإكليل**: كريم الانتماء، مستظل[2] بأغصان الشجرة الشماء، من رجل، سليم الضمير، ذي باطن أصفى من الماء النمير، له في الشعر طبع يشهد

---

[1] **توجد ترجمة محمد حسن الشريف العمراني في: الدرر الكامنة، ونفح الطيب.**
[2] **في النفـح: ((متظلّـل)).**

بعروبية أصوله، ومضاء نصوله. فمن ذلك؛ قوله يخاطب السلطان أمير المسلمين؛ وقد أمر له بكسوة[1]:

منحت منحت النضر والعز والرضا
ولا زلت بالإحسان له مقرضاً
ولا زلت للعليا جنًى مكارماً[2]
وللإمر الملك[3] العزيز مقيضا
ولا زالت الأملاك باسمك تُتَّقَى
وجيشك وفراً يملأ الأرض والفضا
ولا زلت ميمون النقيبة ظافراً
مهيباً ووهاباً وسيفك منتضا
تقر به الدين الحنيف وأهله
وتقمع جباراً وتهلك مبغضا
وصلت شريف البيت من آل هاشم
وخولته أسنى مراد ومقتضا

[1] البحر الطويل.
[2] أضاف د. طويل ((الواو))؛ فغدت: ((ومكارماً))؛ من أجل الوزن.
[3] جعلها د. طويل: ((للملك))؛ من أجل الوزن.

وجـــدت بإعطـــاء اللجين وكســـوة
سَتُكْسَى ثوبــاً من النــور أبيضـــــا[1]
وما زالــت الأنصار تفعــل هكــذا
نـــال[2] علي في الزمان الذي مضـــا
هم نصروا الهـــادي وآووا وجَدَّلـــوا
بحد ذباب السيف من كان معرضـــا
فخـــذ ذا أبا الحجاج من خير مـــادح
لخيـــر مليـــك في البريـــة مرتضـــا
فقد كان قبل اليـــوم غاض قريضـــه
فلما رأى الإحســـان منـــك تفيضـــا
ونظـــم الفتى يسمو على قدر ما يرى
من الجود مهما ينقضي نيله انقضى
ومن حكم القول اللُّـــهى متح اللُّـــهى
ومن مدح الأملاك يرجو التعرضـــا

[1] أضـاف د. طويـل كلمة ((بهـا)) بعد كلمة ((سَتُكْسَى))؛ فأضـحى الشطر هكـذا: ((سَتُكْسَى بهـا ثوبـا مـن النـور أبيضـاً)). بحجـة سلامـة الـوزن.
[2] جعلهـا د. طويـل: ((فعـال))؛ لسلامـة الـوزن وصـواب المعنى.

فـــلا زال يهديك الشريـــف قصـــادا

ينـــال بها منـــك المودة والـــرضـــا

وقال يخاطب من أخلفته بوارق الأمل فيه، وخابت لديه وسائل قوافيه[1]:

الشعـــر أسنى كلام خص بالعـــرب

والجود في كل صنف خير مكتســـب

وأفضـــل الشعـــر أبيـــات يقدمهـــا

في صـــدر حاجتـــه من كان ذا أدب

فمـــا يـــوفي كريـــم حـــق مادحـــه

لو كـــان أولاه ما يحويه من نشـــب

المـــال يفنى إذا طـــال الثـــواء بـــه

والمدح يبقى مدى الأزمـــان والحقب

وقـــد مدحـــت لأقوام ذوي حســـب

فيمـــا ظننت وليسوا من ذوي حسب

---

1 **البحر البسيط.**

مدحتهــم بكــلام لــو مدحــت بــه
دهري أمنت من الإملاق والنصــب
فعــاد مدحي لهم هجــواً يصدقــه
من لؤمهــم عودتي عنهــم بلا أرب
فكان ما قلــت مــن مدحهــم كذبــاً
أستغفــر الله من زور ومن كــذب

وقال في غرض يظهر من الأبيات، يخاطب السلطان[1]:

مــالي أرى تاج الملــوك وحولــه
عبــــدان لا حلـــم ولا آداب
فكأنــه البــازي الصيــود وحولــه
نغـــر يقلــب ريشــه وغــراب
يــا أيهــا الملــك الكــرام جــدوده
أسنى المحافــل غيرهــا أتـــراب

---

[1] البحر الكامل.

أبدلهمـــا من[1] بالبيض من صفيهمـــا
إن العبيـــــد محلهـــــا الأبـــــواب

وفاته

توفي في حدود ثمانية وأربعين وسبعمائة[2]، أو بعد ذلك[3].

***

[1] حذف د. طويل كلمة: ((من))؛ من أجل الوزن.
[2] الموافق لـ 1347م.
[3] جاء في النفح: ((وذكر في الإحاطة أن الشريف المذكور توفي في حدود ثمانية وثلاثين وسبعمائة)).

محمد بن محمد

ابن إبراهيم بن المراوي بن العشاب[1] قرطبي الأصل؛ تونسي الولادة والمنشأ؛ ابن نعمة وغزى جاه وحرمة.

حاله

كان حيياً فاضلاً كريماً، سخياً. ورد على **الأندلس**، مفلتاً من نكبة أبيه، وقد عركته عرك الرحى لثقالها، على سنن من الوقار والديانة والحما، يقوم على بعض الأعمال النبيهة.

وجرى ذكره في **الإكليل** بما نصه: جواد لا يتعاطى طلقه، وصبح فضل لا يماثل فلقه. كانت لوالده[2] رحمه الله[3]، من **الدول الحفصية** منزلة لطيفة المحل، ومفاوضة في العقد والحل، ولم يزل يسمو[4] به قدم النجابة، من العمل إلى الحجابة. ونشأ ابنه هذا، مقضي الديون، مفدى

---

[1] توجد ترجمة محمد بن إبراهيم العشاب أيضاً في نفح الطيب؛ وقد وردت فيه مرتين: الأولى ذكر فيها أنه: (((أبو عبد الله العشاب)). بينما سمي وفي الثانية: ((محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم المرادي العشاب)).

[2] في النفح: ((لأبيه)).

[3] نفسه: ((رحمه الله تعالى)).

[4] نفسه: ((تسمو)).

بالأنفس والعيون. والدهر ذو ألوان، ومارق حرب عوان[1]، والأيام كرات تتلقف، وأهوال[2] لا تتوقف، فألوى بهم الدهر وأنحى[3]، وأغام جوهم بعقب ما أضحى[4]، فشملهم الاعتقال؛ وتعاورتهم النُّوَب[5] الثقال، واستقرت **بالمشرق** ركابه، وحطت به أقتابه؛ فحج واعتمر، واستوطن تلك المعاهد وعمّر، وعكف على كتاب الله[6]؛ فجوَّد الحروف، الحروف، وأحكم[7] الخلف المعروف وقيد وأسند، وتكرر إلى دور الحديث وتردد، وقدم على هذا الوطن قدوم النسيم البليل على كبد العليل. ولما استقر به قراره، واشتمل على جفنه غراره، بادرت الى مؤانسه، وثابرت على مجالسته. فاجتليت للسَّرْو[8] شخصاً، وطالعت ديوان الوفا مستقصا.

---

[1] أي الحرب الشديدة التي تكرر القتل فيها مرة بعد مرة..
[2] في النفح: ((وأحوال)).
[3] أي أهلكهم الدهر.
[4] في النفح: ((ما أصْحَى)).
[5] أي تداولت عليهم المصائب والنوازل.
[6] في النفح: ((الله تعالى)).
[7] نفسه : ((وقرأ المعروف)).
[8] نفسه: ((السِّرِّ)). أما معنى السَّرْو؛ فهو: الفضل.

شعـره

وشعـره ليـس بحايـد عـن الإحسـان، ولا غفـل مـن النكت الحسان. فمن ذلك ما خاطبني به[1]:

بِيُمْـن أبي عبـد اللــه[2] محمـــد
يُمَـن[3] هدأ القُطْـر وانسجم القَطْـرُ

أفـاض علينـا من جزيل عطايـه
بحـور الديـم[4] المدَّ ليس لها جـزر

وأنسنـا لمـا عـدمنـا مغانيـاً
إذا ذكرت في القلب من ذكرها عبر[5]

هنيئـاً بعيد الفطر يا خيـر ماجـد
كريـم بـه تسمـو السيادة والفخـر

ودمـت مدى الأيام في ظل نعمـة
تطيـع لك الدنيا ويعنو[6] لك الدهـر

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] في النفـح: ((بيُمْـن أبي عبـد الإلـه))؛ وهـذا أسلـم.
[3] نفسـه: ((تيَمَّـن))؛ وهـو أسلـم.
[4] نفسـه: ((بحـوراً تديـم))؛ وهـذا أسلـم.
[5] ورد هذا الشطر في النفح هكذا: ((إذا ذكرت في القلب ليس لها ذعر)).
[6] أي يخضع.

ومما خاطب به سلطانه في حال الاعتقال[1]:

لعــل عفــوك بعد السخط يغشــاني
يوماً فينعــش قلــب الوالــد العــان[2]

مــولاي رحماك إني قد عهدتــك ذا
حلــم وعفــو وإشفــاق وتحنــــان

فاصرف حنانك واعطف[3] علي وجد
برحمة منك تحــيي جســمي الفــان[4]

فقــد تناهى الأسى عندي وعذبني
وشــرد النــوم عن عيني وأعيــان[5]

وحق ألايك الحسنى وما لــك مــن
طــول وفضــل وإنعــام وإحســان

إني ولــو حلــت البلوى على كبدي
وأسبكــت فــوق خد دمعي القــان[6]

---

[1] البحـر البسيـط.
[2] أضـاف د. طويـل اليـاء؛ في آخـر الكلمـة؛ فأضحـت: ((العـاني)).
[3] جعلهـا د. طويـل: ((ثـم أعطـف)).
[4] جعلهـا د. طويـل: ((الفـاني)).
[5] جعلهـا د. طويـل: وأعيـاني)).
[6] جعلهـا د. طويـل: ((القـاني)).

لواثـــق بحنــــان منــــك يطرقـــني

عمـــا قريـــب وعفـــو عاجـــل دان

دامت سعودك في الدنيـــا مضاعفـــة

تـــــذل طوعــــاً كــل سلطـــــان[1]

***

[1] **تصرف د. طويل؛ فأضاف كلمة ((دان))**

محمد بن محمد

ابن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي[1]؛
يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن عبد الملك؛ من أهل مراكش،
وسكن غرناطة.

حالـه

مـن **عايـد الصلـة:** كـان رحمـه اللـه غريـب المنـزع، شديـد الانقبـاض، محجـوب المحاسـن، تنبـو العيـن عنـه جهامـة، وغرابـة شكـل، ووحشـة ظاهـر[2]، فـي طـيّ ذلـك أدب غـضّ، ونفـس حـرة، وحديـث ممتـع، وأبـوة كريمـة، أحد الصابرين على الجهد، المتمسكيـن[3] بأسبـاب الحشمـة، الراضين بالخصاصة. وأبـوه قـاضي القضـاة، نسيـج وحـده، الإمـام العالـم، التـاريخي، المتبحـر فـي الأدب[4]، تقلبـت بـه أيدي الدّهْر[5] بعد وفاته لتبعة سلطت عـلى نسبـه[6]، فاستقـر

---

[1] توجد ترجمة محمد بن محمد بن عبد الملك أيضاً في نفح الطيب.
[2] في النفح: ((ظاهرة)).
[3] نفسه: ((المستمسكين)).
[4] كتب في النفح: ((الآداب)). والمقصود هنا هو ولده القاضي ابن عبد الملك المراكشي؛ صاحب كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة.
[5] في النفح: ((الليالي)).
[6] نفسه: ((نشبه)).

بمالقة، متحارفاً مقدوراً عليه، لا يهتدي لمكان فضله، إلا من عثر عليه جزافا.

شعره[1]

مـن لـم يصـن في أمـل وجهـه
عنـك فصـن وجهـك عـن رده
واعـرف له الفضل وعـرف بـه[2]
حيـث أحـل النفـس من قصـده

ومما خاطبني به قوله[3]:

وليـت ولايـة أحسنـت فيهـا
ليعلـم أنهـا شرفـت بقـدرك
وكـم والٍ أسـاء فقيـل فيـه
دنـي القـدر ليـس لهـا بمـدرك

[1] هذان البيتـان يوجـدان في نفـح الطيـب؛ وهمـا مـن البحـر السريـع.
[2] في النفـح: ((لـه)).
[3] هذان البيتـان يوجـدان أيضـاً في نفـح الطيـب؛ وهمـا مـن البحـر الوافـر.

وأنشدني في ذلك أيضاً ؛ رحمة الله عليه[1]:

وليــت فقيــل أحــس خيــر والٍ
فعــاق[2] مــدى مداركهــا بفضلــه
وكــــم والٍ أســـــاء فقيـــــل[3]
دنـــا فمحـــا محاسنهـــا بفعلـــه

ومما خاطب به السلطان يستعديه عـلى مـن مطلـه مـن العمال، وعذر عليه واجبه من الطعام والمال[4]:

مولاي نصيراً[5] فكم يضـــام من ما له غيرك اعتصـــام
أمرت لي بالخلاص فمـــر[6] لي عنده المـــال والطعـــام
فقـــال ما اعتـــاده جوابـــاً وحســـبي اللــه والإمـــام
هـــذا مقـــام ولا فعـــال بغيـــر مـــولاي والســـلام

[1] هذان البيتـان موجـودان أيضـاً في نفـح الطيـب؛ وهمـا مـن البحـر الوافـر.
[2] في النفـح: ((ففـاق)).
[3] جاء هذا الشطر في نفح الطيـب هكذا: ((وكـم والٍ أسـاء فقيـل فيـه)).
[4] مخلـع البسيـط.
[5] جعلهـا د. طويـل: ((نصـراً))؛ مـن أجـل الـوزن.
[6] جعلهـا د. طويـل: ((فامـررْ))؛ مـن أجـل الـوزن.

وفاتـه

فقـد فـي وقيعـة علـى المسلميـن مـن جيـش **مالقـة** بأحــواز **إستّبـة**[1]؛ فـي ذي قعـدة ؛ مـن عـام ثلاثـة وأربعيـن وسبعمائـة[2].

***

[1] **يعتقـد عنــان أنـهـا إشتبونـة Estepona؛ المطلـة علـى البحـر الأبيـض المتوسـط؛ بيـن مربلـة وجبـل طـارق. وليسـت إستبـة المذكـورة؛ الـتي يقـول أنـهـا تقـع جنـوب شـرقي إستجـة القريبـة مـن قرطبـة.**

[2] **الموافـق لـ 1342م.**

محمد بن خميس[1]

ابن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن محمد بن خميس الحجري. حَجْرُ ذي رُعين. التِّلمساني[2]؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن خميس.

حالـه

من **عايد الصلة**: كان رحمه الله نسيج وحده زهداً وانقباضاً، وأدباً وهمة، حسن الشيبة، جميل الهيئة، سليم الصدر، قليل التصنع، بعيد عن الرِّيا والهوادة[3] عاملاً على السياحة والعزلة، عالما[4] بالمعارف القديمة. مضطلعاً بتفاريق النحل، قايماً على صناعة العربية والأصلين، طبقة الوقت في الشعر، وفحل الأوان في النظم المطول، أقدر الناس على اجتلاب الغريب، ومزج الجزالة بالسلاسة، ووضع الألفاظ البيانية مواضعها. شديد الانتقا والإرجا، خامد نار الروية، منافساً في الطريقة منافسة كبيرة. كتب **بتلمسان** عن ملوكها من **بني زيان**،

---

[1] ((ابن خميس)) هنا؛ أضيفت من الزيتونة.
[2] توجد ترجمة محمد بن خميس التلمساني أيضاً في بغية الوعاة، وأزهار الرياض، ونفح الطيب.
[3] في أزهار الرياض: ((والهوى)).
[4] في النفح وأزهار الرياض: ((عارفاً)).

ثم فرّ عنهم، وقد أوجس منهم خيفة. لبعض ما يجري بأبواب الملوك. وبعد ذلك بمدة، قدم **غرناطة**، فاهتز الوزير **ابن الحكيم** لتلقيه، ومتَّ إليه بالوسيلة العلمية، واجتذبه بخطبة[1] التلميذ، واستفزه[2] بتأنيسه وبره، وأقعده للإقراء بجواره. وكان يروم الرحلة، وينوي السفر، والقضاء يثبطه. حدثني شيخنا الرئيس **أبو الحسن بن الجياب**، قال: بلغ الوزير **أبا عبد الله[3] الحكيم** أنه يروم السفر؛ فشق ذلك عليه، وكلفنا[4] تحريك الحديث بحضرته. وجرى ذلك. فقال الشيخ أنا كالدم بطبعي، أتحرك في كل ربيع.

شعره

وشعره بديع. فمن ذلك قوله يمدح **أبا سعيد ابن عامر**، ويذكر الوحشة الواقعة بينه وبين **أبي بكر بن خَطَّاب**[5]:

---

[1] في الإسكوريال: ((بمخطفة)).
[2] في الإسكوريال غير واضحة؛ واعتقد عنان أنها ربما تكون: ((واستفسره)).
[3] في النفح، والأزهار: ((أبا عبد الله بن الحكيم)).
[4] نفسهما: ((وكلَّفه)).
[5] ورد في أزهار الرياض البيتان: الأول والثاني فقط من هذه القصيدة. وهي من البحر الوافر.

مَشُـــوقٌ زارَ رَبْعَـــكَ يا إمامـــا

محـــا آثـــارَ دِمْنَتِهـــا التثامـــا[1]

تَتَبَّـــعَ ريقَـــةَ الطَّـــلِّ ارتشافـــاً

فمـــا[2] نَفَعَـــتْ ولا نَقَعَتْ أُوَامـــا

وقَبَّـــلَ خَـــدَّ وَرْدَتِهـــا جِهـــاراً

وما راعَـــى لِضُرَّتِهـــا ذِمامـــا

ومـــا لِحَريـــمِ بَيْتِـــك أن يدانَى

ولا لعُـــلاً[3] قَـــدْرك أنْ يُسامـــا

ولكـــن عـــاش في رسم مغنًى[4]

تجشمـــه سلامـــــاً واستلامـــاً

تنفس روضة المطـــول وهنـــا

فحـــن وشـــمّ ريّـــاه فهـــامـــــا

تلقَّى طيبَ بـــ....تـــه[5] حديثـــا

روت مسنـــداً عنـــه النّعامـــــا

---

[1] في أزهـار الريـاض: ((الشآمـا)).
[2] نفسـه: ((فـلا)).
[3] جعلهـا د. طويـل: ((لِعَلـيّ))؛ مـن أجـل الـوزن.
[4] جعلهـا د. طويـل: ((لِمَغْنًى))؛ مـن أجـل الـوزن.
[5] كلمـة ممحـاة بعض أحرفهـا في الإسكوريـال.

فيا نفس الصبا إن جيت ساحـــا
ولـــم تعـــرف لساكنهـــا مقامـــا
وأخطأت الطريـــق إلى حماهـــا
فردتـــك العـــرادة والخزآمـــا
فلا تبصـــر بسرحتها قضيبـــاً
ولا تذعـــر بمسرحهـــا سوامـــا
وعانـــق قربانتهـــا ارتباطـــاً
وصافح كـــف سوسهنها التزاما
ونافـــح عـــرف زهرتهـــا كبـــاً
تعاطـــك مـــاء ريقتهـــا مدامـــا
ويـــا برقـــاً أضـــاء[1] على أوال
يمانيـــاً مـــتى جيـــت الشآمـــا
أثغـــر إمامـــة أنـــت ابتسامـــاً
أم الـــــدر الأوامى انتظامـــا
خفقـــت ببطـــن واديهـــا لـــواً
ولحت عـــلى ثنيتهـــا حسامـــا

[1] أشار عنان إلى نص لم يحدده؛ قال أنه كتب فيه: ((أطل))؛ بدلاً من ((أضاء)).

أمشبــه قلبي المضنى احتدامــا

على مَ ذدت عن عيني المنامــا

ولِمَ [أسهرتني وطــردت][1] عني

خيــالاً كــان يأتيــني لمامــا

وأبلــغ منــه تأريقــاً لجفني

كــلام أثخــن الأحشــا كلامــا

تعــرض لي فأيقظــت[2] القوافي

ولو تــرك القطــا يوماً لنامــا

وقيــل وما أرى يومي كأمسي

جدعت رواطبــا وقلبت هامــا

وجرعت العــدو سمــاً زعافــاً

فكــان لحســد موتــاً زوامــا

دعوت زعيمهــم ذاك ابتياســـا

ورعت خميسهــم ذاك اللمامــا

---

[1] أشار عنان أيضاً إلى نص لم يحدده؛ فقال أنه كتب فيه: ((أسكرتني وصددت))؛ بدل الذي حصر ما بين حاصرتين.

[2] في الإسكوريال: ((فأنبطت)).

نزعــت شــواه كبشهــم نطاحا

ولم أتــرك لقرمهــم سنامــا

أضـــام وفي يـــدي قلبي لمـــاذا

أضـــام أبـــا سعيــد[1] أو علامــا

بـــه وبمـــا أذلـــق مـــن لساني

أفــل الصارم العضب انهزامــا

وغـــرام الوزيـــر أبي سعيـــد

أصرفـــه إذا شيـــت انتقامـــا

بـــه وبنجله البـــر انتصـــاري

لمـــا أكلـــوه من لحمي حرامـــا

أعثمـــان بن عامـــر لا تكلـــني[2]

لدهـــر علـــم الشـــــح الغمـــام

وردت فلـــم أرد إلا سرابـــا

وشمـــت فلـــم أشـــم إلا جهاما

---

[1] هكذا في الإسكوريال؛ بينما أشار عنان أيضاً إلى نص لم يحدده؛ فقال أنه كتب فيه: ((بغير جرم)).

[2] ذكر عنن أنه كتب في نص آخر؛ لم يعرف به: ((خليلي إن قدرت فلا تكلني)).

قطعت الأرض طولاً ثم عرضاً
أزور بـــني ممالكهـــا الكرامـــا
وجا جانبي على كـــرم نداهـــم
وأعجلـــت الخـــوافي والقـــداما
وذللـــت المطامـــع مـــن إبايي
وقبلـــت البراجـــم والسلامـــا
ومـــن أدبي نصبت لهم حبـــالا
أصيـــد بها النعـــام ولا النعامـــا
فلـــم أر مثـــل ربعي دار أنـــس
ولـــم أر مثـــل عثمـــان إمامـــا
ولا كأبيـــه أو كـــنى أبيـــــه
أبـــي يحيى غيوثـــاً أو رهامـــا
كفاني بابن عامر خفض عيـــش
ورفـــع مكـــاتبي إلا أضامـــا

وإني مـــن ولايـــك في يفـــاع

أقابـــل منهـــم بدرهـــم التمـــام

ومـن شعـره رحمـه اللـه قولـه[1]:

تُراجِعُ من دُنْياكَ ما أنْتَ تـــاركُ

وتَسَلْها[2] العُتْـــبَي وها هي فارِكُ[3]

تؤمل بعد الترك رجع ودادهـــا

وشـــر وداد ما تـــود الترائـــك

حلالك منها ما خلا[4] لك في الصِّبا

فأنـــت على حلوايـــه متهالـــك

تظاهر بالسلوان عنهـــا تجمُّـــلاً

فقلبك محزون وثغرك ضاحـــك

تنزهت عنها نخـــوة لا زَهـــادَةً

وشعر عذاري أسود اللون حالك

---

[1] بعض الأبيات من هذه القصيدة؛ موجودة في نفح الطيب، وأزهار الرياض. وهي من البحر الطويل.

[2] في النفح: ((تسْألُها)). وهو أسلم.

[3] العُتْبَى: الاسترخاء. أما كلمة ((فارك))؛ فقد شرحت في مخطوط الإسكوريال؛ وبالتحديد في أسفل الصفحة؛ فكتب: ((الفرك: بغض المرأة زوجها. وقد فركته تفركه فهو فارك)).

[4] في نفح الطيب، وأزهار الرياض: ((ما حلا)).

ليالي تغري بي وإن هي أعْرَضَت

زنانـــب من ضواتها وعواتـــك

غصون قدود في حقاف رَوادِفٍ

تمايل من ثقـــل بين الأرايـــك

تطاعنني منهـــنَّ في كلّ ملْعبٍ

ثُدِيٌّ كأسنان الرمـــاح فواتـــك

وكـــم كلة فيها هتكت ودونهـــا

صدور العوالي والسيوف البواتـــك

ولا خدن إلا ما أعدت ردينـــه

لطالبهـــا أو ما تحيـــر هالـــك

تضل فواد المرء عن قصد رشده

فواتـــر ألحـــاظ للظبا الفواتـــك

وفي كل سن لابن آدم وإن تطل

سنـــوه طباع جمـــة وعوايـــك

وإلا فمالي بعد ما شاب مَفْــرِقي
وأعجز رأيي عجز من الركارك[1]
أجوب إليها كــل بيـــداء ممْلــقِ
ترافقني فيها الرجـــال الحواتــك[2]
واسترشد الشهب الشوابك جـــار
إذا اشتبهت فيها عليّ المسالــك
نهـــازز أمثال الجيـــاد تـــوودة
أغوارب أمثال الهضاب تَوامك
ظمـــا وما غير السماوة مـــورد
وينحى وما دون الصواة مبـــارك
ذواهل عن عض الرجـــال ظهورها
إذا ما اشتكت عــض السروج المــوارك
إذا ما نبا عن سنبك الأرض سنباك
هلعن فلانت تحتهـــن السنابـــك

---

[1] تصرف د. طويل؛ فصوب هذا الشطر؛ حيث أضحى هكذا:
((وَأعْجَز رأيي عَجْزُهُنّ الرَّكارِك)). وذلك بحجة سلامة الوزن.
[2] أي الرجال المسرعون في السير.

تقــد بنـــا في كل قـــاع وفدِفَدٍ

بوايكهـــا والمنغيات الدراهــك

فأمامها ري كالسحـــاب مَوالِـــع

وأمامها ركاً كالريـــاح بواشـــك

قـــلاص بأطواف الجديل بَوالِع

وجـــرد لأوساط الشكيم عوالـــك

ترامى بها ليد النوق كل مُرْتَمى

فهن نـــواح للردى أو هوالـــك

وكـــم منـــزل خليتـــه لطلابهـــا

تعفيه تعدي السافيات السواهــك

يمـــر بـــه زواره وعفـــاتـــه

وما إن به إلا لصوق الحبايــك

وآثارتنـــا تقــــادم عهدهــم

وهن عليـــه جاثيـــات بـــوارك

لوارب أفـــراس ونـــؤى حـــذاة

ثـــلاث أثاف كالحمام ســـوادك

تمـــر عليه نسمة الفجر مثلمـــا
تمر على طيب العروس المـــداوك
وأركب كالشهـــد ينفـــح بـــرده
لمجهول حسي ماله للدهر مبانك
يطلبهـــا مني غريم مماحـــك
ويمطلني منها عـــديم مماعـــك[1]
أحاول منها لما تعـــذر في الصبا
ومن دونه وقع الحمام المواشك
يسلي الفتى منها وإن راق حسنها
حسايـــف لا تحصى ومبـــارك
فمنهـــا مـــلال دايـــم لا تملّـــه
وتزور إفك عن رضى الحـــق آفـــك
تهاون بالإفـــك الرجال جهالـــة
وما أهلك الأحيـــاء إلا الأفايـــك

[1] كتب في هامش المخطوط: ((مماعك: (المماطل)، والمعك: (اللجاج)؛ وفي القامس: (معك): أي مطلـه، ودافعـه.

تزن طول تسهادي وقدري تَمَلْملي

طوال الليالي والنجوم النوابــك

تغير على الدهر منـــه جحافــل

كــأن مدوّم الرجم فيها نيـــازك

فليت الذي سودت فيها معـــوض

بما بيضت مني دجاها الحوالــك

ألا لا تذكِّريني تلمسان والهــوى

وما دهكت منا الخطـوب الدواهــك

فإن ادكار ما مضى من زمانهـــا

لجسمي وللصبر الجميل لناهــك

ولا تصفن أمواهها لي فإنهـــا

لنيـــران أشواقي إليها محـــارك

ومن حال عن عهد أو أخفر ذمة

فإني على تلك العهود لرامــك

سقى منزلي فيها وإن مح رسمه

عهاد الغوادي والدموع السوافك

وجادت ثرى قبر بمسجد صالح

رواعدهـــا والمدخمات الحواشك

ولا أقلعت عن دار يونس مزنـــة

يروي صداه لقطرها المتـــدارك

إلى أن يروق الناظرين رواؤهـــا

ويرضي الرعاوى نبتهـــا المتلاحـــك

ويصبح من حول الحيا في عراصها

زُرّاق تحكي[1] بسطها ودرانـــك[2]

ولا برحت منه ملايكة الـــرضى

تصلي على ذاك الصدى وتبـــارك

وطوبى لمن روى منازله الحيـــا

وبشرى لمن صلت عليـــه الملايـــك

ألا ليت شعري هل تقضى لبانتي

إذا ما انقضت عشر عليهـــا دكـــادك

---

[1] **كتبها د. طويل: ((تحاكي)).**

[2] **كتب في هامش المخطوط: ((الدرانك: ضرب من البسط)).**

وهل تمكن الطيف المغب زيارة
فيرقب أو تلقى إليـــه الروامـــك
وهل تغفل الأيام عنها بقـــدر ما
تـــودي إليهـــا بالعتاب الحالـــك
ويا ليت شعـــري أرض تقلـــني
إذا كل عن رحلي الجلال اللكالك
وأي غـــرار من صفاها يحثني
إذا فقدتـــني مسهـــا والدكـــادك
إذا جهل النـــاس الزمـــان فإنني
بدونهـــم دون الأنـــام لحاتـــك
تثبت إذا ما قمت تعمل خطـــوة
فإن بقاع الأرض طراً شوائـــك
ولا تبذل[1] وجهاً لصاحب نعمـــة
فما مثل بذل الوجه للستر هاتك

---

[1] جعلها د. طويل: ((تبذلن))؛ من أجل الوزن.

تَجَشَّمْ ما[1] استطعت واحذر أذاهم
ولا تلقهـــم إلا وهـــرك شانـــك
فكـــل على ما أنعـــم الله حاســـد
وكل إذا لم يعصـــم الله حاســـك
ولا تأنس[2] ريبـــة الزمان فإنـــه
بمن فات منا لا محالـــة فاتـــك
تمنى مصــــاب بربـــر وأعـــاره
وترضى ذكامي فـــارس والهنـــادك
وبَدَّرْت الليالي[3] الجون حوضي لجاجها
وتعرف إقدامي عليهـــا المهالك
فمـــا أذعنـــت إلا إلـــي عُشـــار
ولا أصفقت إلا علي الشكاشك
ولا قصــــدت إلا فنـــايي وقودها
ولن أملت إلا قتـــامي الضرارك

[1] استبدل د. طويل كلمة: ((ما))؛ فكتبها: ((إن)).
[2] جعلها د. طويل: ((ولا تأس))؛ من أجل الوزن.
[3] استبدل د. طويل كلمة: ((الليالي))؛ فكتبها: ((ليل))؛ من أجل الوزن.

بـــه شرفت أذواوهـــا وملوكهـــا

كما شرفت بالنويهار البرامـــك

فلا تدعون غيري لدفـــع ملمـــة

إذا ما دهى من حادث الدهر داهك[1]

فما إن لذاك الصوت غيري[2] سامع

وما إن لبيت المجد بعدي سامك[3]

يَغَصُّ ويَيَشْجَى نَهْشَلٌ وَمُجاشِـــعٌ[4]

بما أوْرَثْتَني حِمْيَرٌ وَالسَّكاسِـــكُ[5]

تفارقني روحي[6] التي لســـت غيرهـــا

وطيب ثنايي[7] لاصق بي صايك[8]

---

[1] في نفح الطيب: ((داعك)). والداهك: هو الكاسر الطاحن؛ من دهك الشيء؛ أي طحنه وكسره.

[2] في الإسكوريال: ((غير))؛ وصوبت من النفح.

[3] السَّامِك: هو الرافع لقواعد البناء. من ذلك؛ قوله تعالى: [أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا). سورة النازعات؛ الآيتان: 27 - 28.

[4] نهشل بن مُرْهِبَة: بطن من قبيلة همدان القحطانية. أما مُجاشع بن دارم: فبطن من قبيلة حنظلة العدنانية.

[5] حِمْيَر بن سبأ: قبيلة قحطانية عظيمة. أما السَّكاسك؛ فهم بطن من قبيلة حمير.

[6] في النفح وأزهار الرياض: ((الروح)).

[7] كتب في الإسكوريال هكذا؛ حسب الأسلوب المغربي في تخفيف الهمزة؛ بينما كتبت في نفح الطيب: ((ثنائي)).

[8] أي لاحق بي.

وماذا عسى ترجو لـــداتي وأرتـــجي

وقد شَمِطَت منا[1] اللِّحا والأفانك[2]

يعود لنا شرخ الشاب الـــذي مـــضى

إذا عاد للدنيا عقيـــل ومالـــك

ومـن شعـره أيضـاً قولـه[3]:

سحت بساحك يا محل الأدمـــع

وتصرمت سفاً عليك الأضلـــع

ولطالما جادت ثرى الأمال مـــن

جاوي مؤملك الغيـــوث الهمـــع

للـــه أيـــــام بهـــا قضيتهـــا

قد كنـــت أعلم أنها لا ترجـــع

فلقد رشفت بها رضاب مُدامـــةٍ

بنسيم أنفاس البديـــع تشعشـــع

---

[1] في النفـح والأزهـار: ((منـي)).

[2] الأفانك؛ مفردها إفنيك: وهو مجمع اللحيين. وقد كتبت هذه الكلمة في النفح: ((الأفائك)).

[3] البحـر الكامـل.

في روضة يرضيك منهـــا أنهـــا
مرعى لأفكار النِّدام[1] ومشـــرع
تجري بها فقر[2] سكنت رهانهـــا
أجـــدى بميـــدان الكلام وأسرع
فقـــر كريعان الشباب وعهدنـــا
بجنابهـــا وهو الجنـــاب الأمنـــع
نفاثـــة الأنواء في عقد الثـــرى
والنفث في عقد الثرى لا يمنـــع
حتى إذا حاك الربيـــع برودهـــا
وكســـا رباهـــا وشيـــه المتنوع
بدأت كمايم زهرها تبـــدي بهـــا
بدعـــاً تفـــرق تـــارة وتجمـــع
قد صمّ منهـــا ما تجمع مغلـــق
إذ بت منها ما تفـــرق مصقـــع

[1] أشـار عنـان إلى نـص لـم يحدده؛ قـال: كتـب فيـه: ((النـدامى)).
[2] أشـار عنـان أيضـاً إلى نـص قـال: كتـب فيـه: ((كميـت)).

وكلاهمــا مهمــا أردت مسالــم

ومحــارب ومؤمــن ومــروع

كل لــه شرع البيــان محلــل

المنكــر[1] في مثل هــذا مدفــع

حيث ازدهــت أنوار كل حديقــة

أدبــاً ينظــم تــارة ويسجــع

فمرجــل من رقمهــا ومهلــل

ومسمــط من نظمهــا ومصرع

أبدى البديع بها بدايــع صنعــه

فمجنــس ومبــدل ومرصــــع

وموشــح ومرشــح ومصــدر

ومكــرر ومفــــرع ومتــبــع

كل يــروق بها بحسن[2] روايــه

وإذا تزين به كلامــك تبــرع

---

[1] جعلها د. طويل: ((ومُنْكَرٌ)).

[2] في الإسكوريال: ((حسن)).

ولقد غدوت بهـــا وفي وكناتهـــا
طير لها فوق الغصون ترجـــع
بمطهـــم الفكـــر الذي ما إن له
إلا بمستـــن الأدلـــــة مرتـــع[1]
قيـــد المطالـــب لا يزال[2] نحبـــه
بيـــن الجياد لعتقـــه أو يوضـــع
أرمى بـــه الأمـــد البعيـــد وإنه
حمل يضل به الدليل الأصمـــع
من بعد ما عفت السواري سُبْلُهُ
ومحت معالمه الـــرياح الأربـــع
لكنني جـــددت داثـــر رسمـــه
فطريقه من بعـــد ذلـــك مهيـــع
أوضحت فهـــم حدوده وضُرُوبه
والكـــل في كل المسالك ينفـــع[3]

---

[1] هكذا وردت في الإسكوريال؛ بينما يشير عنان إلى نص آخر كتب فيه: ((مصرع)).
[2] جعلهـا د. طويـل: ((لا نـزال)).
[3] هكـذا في الإسكوريـال أيضـاً؛ بينمـا يشيـر عنـان إلى نـص ـ دون تحديـد ـ كتـب فيـه: ((يدفـع)).

حتى وردت من السماع مواردا ً

فيها لظمـــآن المباحث مكـــرع

مع كل مصقول الذكاء فحدســـه

لذكاء أســـرار الطبايع مطلـــع

يرتاد من نجع العناصر نجعـــة

فيها مصيف للعقـــول ومربـــع

لا شيء أبدع من تجاورها وما

يبتدى[1] بها ذاك التجـــاور أبـــدع

فإذا تشعشع مزجها أورى بهـــا

نار الحباحب مرجها المتشعشـــع

فمكيـــن ســـر حياته بحبابهـــا

من بعد قدح زنادهـــا مستـــودع

وهنا تفـــاض عليه صورته التي

لبهائها شـــم الطبايـــع تخضـــع

[1] **جعلها د. طويل: ((يُبْدَى)).**

من واهب الصور التي قد خصها[1]
ببديع حكمتـــه الحكيم المبـــدع
رب له في كـــل شيء حكمـــة
يقضي بها البَـــدْعِيّ والمتشـــرع
وحللت من أرض الرياضـــة أربعـــاً
نفسي الفداء لها وهذي الأربـــع
قامـــت زواياهـــا فما أوتادهـــا
إلا تقـــوم مـــا تقيـــم الأضلـــع
وتناســـب أقدارها نسبـــاً لهـــا
لو كنت تبصرهـــا فـــروع فرع
فأجـــل مـــا قد سمته بحلولهـــا
من بارق لجنـــاب رشدي يلمع
لا شـــك أن وراءه مطـــراً لـــه
في كل ضرب من قياسي موقع
بحـــر روي متـــرع ملاحـــه
من فيضه هذا الروي المتـــرع

---

[1] في الإسكوريـال: ((الـذي قـد خصـه)).

لم لا أضيع بها عهـــاد مدامعي
إنـي إذاً لعهوهـــا[1] لمضيـــــع

خِلَّيَّ لو لم تسعداني في البكـــا
لقطعت من حبليكما[2] ما يقطـــع

أرأيتما نفســـاً تفـــارق جسمهـــا
وبـــه تنعمهـــا ولا تتـــوجـــــع

عظمـــت رزيتهـــا وأي رزيـــة
ظلت لهـــا أكبـــادنـــا تتصـــدع[3]

هذي حمامك يا علي سواجـــع
وأخالهـــا أسفاً عليهـــا تسجـــع

إن طارحتني ورقهـــا فبأضلعي
شوق يطارحه ادكـــار موجـــع

آه على جسمي الـــذي فارقتـــه
لا كنت ممن جسمه لا يرجـــع

---

[1] سقـط حرف الدال المهملة؛ فأضافه د. طويل؛ فأضحت الكلمة: ((لعهودها)).
[2] في الإسكويـال: ((حبلكمـا))؛ فصوبهـا عنـان.
[3] هكذا وردت في الإسكوريال؛ بينما يشير عنان إلى نص لم يحدده؛ كتب فيه: ((تتقطع)).

ومن العجاب رجوع ما أودى[1] به
دهــر بتشتت[2] الأحبــة مولــع
الجــور منه إذا استمر طبيعــة
والعدل منه إذا استقــام تطبــع
هذي عقوبــة زلــة سلفت بهــا
من أكل طعمته التي لا تشبــع
قد كنت أمنع رسخ نفسي قبلهــا
واليــوم أوجب أنــه لا يمنــع
لم لا وقــد أصبحت بعد محلــة
فيهــا السحايب بالرغايب تهمع
دار يــدر الرزق من أخلاقهــا
ولكم دعا داع بها من يوضــع
وكأن مجلسهــا البهي بصدرهــا
ملــك بأعلى دستــه[3] متربــع

---

[1] هكذا كتبت في الإسكوريال؛ بينما كتب في نص أشار إليه عنان كتب: ((أردى)). أما د. طويل؛ فقد كتبها: ((بتشتيت))؛ وذلك من أجل الوزن.
[2] الشيء نفسه؛ في نص: ((بتشتيت)).
[3] في الإسكوريال؛ ((دستها)). فعدلها عنان.

وكأن مجمـــر عنبـــر بفنايهـــا
يذكي ما قد سيـــف[1] منه يسطع
وكأنهـــا المتوكليـــة بهجـــــة
وعلي بـــن الجهـــم فيها يبـــدع
في حجر ضب خافض بجواره
من كان قبل له العوامل ترفـــع
يا نفثة المصدور كم لك قبلهـــا
من زفـــرة بين الجوانح تسفـــع
وعساك تتقـــع غلـــة بك إنهـــا
بجحيـــم مـــا أسبلتـــه لا تنقـــع
للـــه أنـــت مذاعـــة أودعتهـــا
من كل ســـر بالضمائر يـــودع
بدويـــة في لفظهـــا ونظامهـــا
حضريـــة فيمـــا بـــه يترجـــع

[1] الشيء نفسه؛ إذ كتب في نص: ((ضاع)).

لم لا تشفع في الذي أشكو بهـــا
ومثـــالهـــا في مثلـــه يتشفـــع[1]
كملت وما افترعت فأي خريـــدة
لـــو كان يفرعها همـــام أروع
بـــارت علي فأصبحت لحيائهـــا
مـــني بضـــافي مرطهـــا تتلفـــع

ومـن شعـره قولـه يمـدح **ذا الوزارتيـن أبـا عبـد اللـه بـن الحكيـم**، وهـي من مشاهير أمداحه[2]:

سل الريح إن لم تسعد السفن أنواء
فعند صباها من تلمســـان أنبـــاء
وفي خفقان البرق منهـــا إشـــارة
إليـــك بما تنمي إليها[3] وإيمـــاء
تمـــر الليالي ليلـــة بعـــد ليلـــة
وللأذن إصغاء وللعيـــن إكـــلاء[4]

---

[1] **في الإسكوريـال: ((تشفـع))؛ فصوبهـا عنـان.**
[2] **توجد هذه القصيدة في نفح الطيب وأزهار الرياض. وهي من البحر الطويل.**
[3] **في أزهـار الريـاض: ((إليـك)).**
[4] **جـاء في القامـوس: وأكـلأ عينـه: أسـهرهـا. وأكـلأ إكـلاء بصـره في الـشيء: ردده فيـه مصوبـاً ومصعداً.**

وإني لأصبو للصبا كلمـــا سرت

وللنجم مهما كان للنجـــم أصبـــاء[1]

وأهدي إليهـــا كل حين[2] تحيـــة

وفي رد إهـــداء التحية إهـــداء

واستجلب النوم الغرار ومضجعي

قتاد كما شاءت نواهـــا وســـلاء[3]

لعـــل خيالاً من لدنهـــا يمر بي

ففي مره بي من جوى الشرق إبـــراء

وكيف خلوص الطيف منهـــا وحولهـــا[4]

عيـــون لها في كل طالعـــة راء

وإني لمشتـــاق إليهـــا ومنـــبئ

ببعض اشتياقي لو تمكن إنبـــاء

وكم قايـــل تفنى غراماً بحبهـــا

وقد أخلقت منها ملاء وإمـــلاء

---

[1] في أزهار الرياض: ((إسراء)).
[2] في النفح وأزهار الرياض: ((كل يوم)).
[3] القتاد: نبات على شكل أشجار صلبة؛ ذات أشواك حادة. والسُّلاء؛ مفردها سُلاءة: شوك النخل.
[4] في النفح وأزهار الرياض: ((ودونها)).

لعشـــرة أعوام عليها تجرمـــت

إذا مضى قيظ بها جـــاء إهـــراء

يطنب فيها عابثـــون[1] وحـــزب[2]

ويرحل عنها قاطنـــون وأحيـــاء[3]

كـــأن رماح الذاهبيـــن[4] لملكهـــا

قـــداح وأموال المنـــازل أبـــداء

فلا تبغيـــن فيها مناخاً لراكـــب

فقد قلصت منها ظلال وأفيـــاء

ومن عجبي[5] أن طال سقمي ونزعها

وقســـم إضناء علينا وإطنـــاء[6]

وكم أرجفوا غيظاً بها ثم أرجأوا

فيكذب إرجاف ويصدق إرجـــاء

---

[1] في النفـح، والأزهـار: ((عائثـون)).
[2] نفسهمـا: ((وَخُـرَّبٌ)).
[3] هكذا في النفـح؛ وفي أزهـار الريـاض: ((وثُنَّـاء))؛ بينمـا كتـب في الإسكوريـال: ((وثنـاء)).
[4] في النفـح، والأزهـار: ((الناهبيـن)).
[5] نفسهمـا: ((ومـن عَجَـبٍ)).
[6] أي استحيـاء وانقباضـاً.

يرددها عيـــاً بها[1] الدهر مثلمـــا

يردد حرف الفاء في النطق فأفاء

فيا منزلاً نال الردى منه ما اشتهى

ترى وهل لعمر الأنس بعدك إنساء[2]

وهل لِلَظَى الحرب التي فيك تلتظي

إذا ما انقضت أيام بوسك إطفاء

وهل لي زمان أرتجي فيه عودة

إليـــك ووجه البشر أزهر وضاء

فواسيئي حالي[3] إن هلكت ولم أقل

لصحبي بها الغر الكرام ألا هاؤا

---

[1] في النفـح، والأزهـار: ((عبَّابُهـا)).

[2] أي تأخيـراً.

[3] الـشيء نفسـه؛ إذ كتـب في نـص: ((فواجـر بـالي)). وفي أزهـار الريـاض: ((فيـا هيَّ مـالي)).

ولم أطرق الدير[1] الذي كنت طارقاً
كعادي[2] وبدر الأفق أسلغ مسناء[3]
أطيــف به حتى تهــر كلابــه
وقــد نام عساس وهــوم سبــاء
ولا صاحــب الأحسام[4] ولهــذم
وطرف لخد الليل مذ كان وطاء
وأسحم قاري كشعــري حلكــة
تلألأ فيه من سنى الصبح أضواء
فما لشرابي في سواك مــرارة[5]
ولا لطعامي دون بابك[6] إمراء

---

[1] في أزهار الرياض: ((الدرب)).
[2] هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتب في نص أشار إليه عنان: ((بليل)). وفي أزهار الرياض: ((لعاد)).
[3] في أزهار الرياض: ((أسلع مشناء)). و الأسلغ باغين المعمة، والأسلع بالعين المهملة: نعت للمصاب بالبرص؛ الأحمر اللون. أما المِشْنَاء: فهو الذي يبغضه الناس. والمنساء: المتباعد.
[4] في أزهار الرياض: ((إلا حُسامٌ)). وهذا أسلم وأصوب.
[5] نفسه: ((مزازة)).
[6] نفسه: ((مائك)).

وباداري الأولى بدربٍ حـــلاوة[1]
وقد جد عيث في بلاها وإرداء
أما آن أن يحمى حماك كعهـــده
وتجتاز أحماش[2] عليك وأحمـــاء
أما آن أن يعشو لنارك طـــارق
جنيـــب له رفـــع إليـــك ودأداء[3]
يرجي نوالا أو يؤمـــل دعـــوة
فما زال قار في ذراك وقراء
أحن لها ما أطَّتِ النِّيبُ[4] حولهـــا
وما عاقها عن مورد الماء إظـــاء[5]
فما فاتها مني نزاع على النَّـــوَى
ولا فاتني منها على القرب إجشاء[6]

---

[1] سقطت كلمة: ((حلاوة)) في الإسكوريال. بينما كتب في أزهار الرياض: ((مخيلة)).
[2] الشيء نفسه حسب عنان؛ كتب في نص: ((أصحاب)). بينما كتب في أزهار الرياض: ((ويجتال أحماس)).
[3] أي له سرعة فائقة، وعدو حثيث شديد.
[4] أي ما صوتت الإبل.
[5] الإظماء: هي المدة التي تنقطع فيها الإبل عن ورود الماء.
[6] أي شوقاً.

كذلك جدي في صحابي وأسرتي
ومن لي به من[1] أهل ودي إن فاؤوا
ولولا جوار ابن الحكيم محمـــد
لما فات نفسي من بني الدهر إقماء
حمـــاني فلم تنتب محلي نوايب
بسوء ولم تـــرزأ فؤادي أرزاء
وأكفـــاء بيتي في كفالة جاهـــه
فصاروا عبيداً لي وهم لي أكفاء
يؤمـــون قصدي طاعة ومحبـــة
فما عفته عافوا وما شئته شـــاء[2]
دعاني إلى المجد الذي كنت آملا
فلم يك لي عن دعوة المجد إبطاء
وبوأني من هضبة العـــز تلعـــة
يناجي السها منه[3] صعود وطأطاءُ[4]

[1] في النفـح: ((في)).
[2] نفسـه: ((شـاءوا)).
[3] في النفـح، والأزهـار: ((منهـا)).
[4] الطأطـأ: المنخفـض مـن الأرض.

يشايعني فيها[1] إذا سرت حافــظ

ويكـــلأني منها إذا نمت كـــلاّء[2]

ولا مثل نومي في كفالة غيـــره

وللذيـــب إلمام وللصل إلمـــاء

بغيضة ليث أو بمرقـــب خالـــب

تَنـــدُّ[3] كِساً فيه وتقطع أكســـاء

إذا كان لي من نايب الملك كافل

ففي حيثما هومت كِـــنّ وإدفـــاء

وإخوان صدق من صنايع جاهه

يبـــادرني منهم قيـــام وإيـــلاء

سراع لما يرجى من الخير عندهم

ومن كل ما يُخْشَى من الشَّرِّ إبراء[4]

إليك أبـــا عبد الإله صنعتهـــا

لزوميـــة فيهـــا لوجـــدي إفشـــاء

---

[1] في النفـح، والأزهـار: ((يشيعني منهـا)).
[2] أي الحافظ.
[3] في النفـح، والأزهـار: ((تُبَـزُّ)).
[4] أي في حكـم البـراءة.

مبــراة ممــا يعيب لزومهــا

إذا عاب إكفاء سواها وإيطــاء[1]

أذعت بها السر الذي كان قبلها

عليه لأحناء الجوانح إضنــاء

وإن لم يكمن كل الذي كنت[2] آمــاً

واعــوز إكلاء فما عــاز إكماء[3]

ومن يتكلف مفحما شكــر منــة

فما لي إلى ذاك التكلف إلجــاء

إذا منشــد لم يكن عنك ومنشئ

فلا كــان إنشاد ولا كــان إنشــاء

ومن شعره قوله[4]:

أطــار فــؤادي بــرق ألاحــا

قِمٌ ضم بعــد لو كــر جناحــا

[1] الإكفاء، والإيطاء: عيبان من عيوب القافية في علم العروض.
[2] كتب في الإسكوريال: ((أنت))؛ وصوبت من النفح.
[3] أكمأ إكماء المكان: كثر به الكمء. والكمأة ضرب من الفطر؛ يكمن تحت الأرض؛ فيستخرج في فصل الأمطار. يسمى بالعامية الجزائرية ((الترفاس)).
[4] هذه القصيدة من البحر المتقارب.

كـــأن تألقـــه فـــي الـــدجى

حسام جبـــان يهـــاب الكفاحـــا

أضـــــاء وللعيـــن إغفـــــاءة

تلـــذ إذا ما سنى الفجر لاحـــا

كمعـــنًى خـــفي بـــدا بعضـــه

وزيـــد بيانـــا فـــزاد اتضاحـــا

كـــأن النجـــوم وقـــد غربـــت

نواهـــل مـــاء صـــدرن قُماحـــا[1]

لـــواغب[1] باتـــت تجد الســـرى

فأدركها الصبح روحي طلاحـــا

وقـــد لبـــس الليـــل أسمالـــــه

فمحت[1] عليه بـــلاً وانصياحـــا[1]

وأيقـــظ روض الربـــا زهـــره

فحيـــا نسيـــم صبـــاه الصباحـــا

---

[1] كتب في هامش المخطوط: ((قمح البعير: إذا رفع رأسه وامتنع عن الشراب ريا ـ لواغب روحي طلاحا؛ كل ذلك بمعنى: أعيا ـ مح الثوب إذا بلي؛ وانصاح الثوب: إذا انشق.

كـــأن النهـــار وقـــد غالهـــــا
مبيـــت مـــال حـــواه اجتياحـــا
أتى يستفيض دمـــوعي امتياحـــا
ويلهـــب نار ضلوعي اقتداحـــا
فلم يلق دجـــن انتحابي شحيحـــا
ولم يلف زند اشتيـــاقي شحاحـــا
ولـــولا توقـــد نـــار الحشـــا
لانفـــدت مـــاء جفـــوني امتياحا
وممـــا يشـــرد عـــني الكـــرى
هديـــل حمـــام إذا نمت صاحـــا
ينـــوح عـــلي وأبـــكي لـــــه
فأقطـــع ليلـــي بكـــاً أو نياحـــا
أعيـــن أريـــحي أطلـــت الأسى
عليـــك وما زدت إلا انتزاحـــا
دعيـــني أرد مـــاء دمعي[1] فلـــم
أرد بعد مايـــك مـــاء قراحـــا

---

[1] الشيء نفسه؛ إذ كتب في نص: ((عيني)).

أحـــن إليـــك إذا سفـــت ريحـــا

وأبكي عليك إذا ذقـــت راحـــا

وأفـــنى التياحـــا إليـــك وكـــم

أشحـــت بوجـــهي عنك انتشاحا

ولـــولا سخايـــم قـــوم أبـــــوا

إيـــابي ركبـــت إليـــك الرياحـــا

أباحـــوا حمـــاي وكـــم مـــرة

حميت حمى عرضهم أن يباحـــا

ودافعت عنهم بشعري انتصـــارا

فكان الجـــزاء جـــلاي المتاحـــا

أباعـــــوا ودادي بخســـا فســـل

أكـــان سماحهـــم بي رباحـــــا

وأغـــروا بنفـــسي طلابهـــــا

ســـراراً فجـــاءوا لقتلي صراحا

وآلـــو يمينـــا على أن مـــــا

توهمـــت لم يـــك إلا مزاحـــا

فشـــاورت نفـــسي في ذا فمـــا
رأت لي بغيـــر الفـــلاة فلاحـــا
فبـــت أناغي نجـــوم الـــدُّجى
نجـــاء فلـــم ألـــق[1] إلا نجاحـــا
أجـــوب الدياجيـــر وحـــدي ولا
مؤانـــس إلا القطـــا والسِّراحـــا[2]
وإلا الثعـــالـــب تحتـــس في
مبيـــتي فتمـــلأ سمعي ضُباحـــا[3]
أجـــوز الأفاحيص[4] فيحاً قفـــارا
وأعـــرو الأداحيَّ[5] غبـــرا فساحا
فـــأعي شـــوارد هـــذي عـــداء
وأعلـــو لواغي تلـــك صياحـــا
وجـــواب بـــدو إذا استنبحـــوا
أجابـــوا عواء وأمـــوا النباحـــا

[1] هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتب في نص: ((ألف)).
[2] كتب في الهامش: ((جمع سرحان: وهو الذئب)).
[3] الضباح: هو صوت الثعلب.
[4] الأفاحيص؛ مفردها: أفحوص: وهو المكان الذي تبيض فيه القطا.
[5] الأداحيّ؛ مفردها أدحيّ: وهو المكان الذي تبيض فيه النعام.

يـــرون قتالي في الحجر حـــلاً

وإذهـــاب نفسي فيـــه مباحـــا

قصـــدت هناهـــم[1] فلـــم أخطهم

أعاجـــم شـــوس العيون قباحـــا

فســـل كيف كان خـــلاصي من

أسارهـــم أســـرى أم سراحـــا

ولا مثـــل بيـــت تيممتـــــه

فلـــم ألـــف إلا الغنا والسماحـــا

عيابـــاً[2] مـــلاء ونيبـــاً سمانـــاً[3]

وغيـــداً خـــدالا[4] وعوداً أقاحـــا

وإلا أعاريـــب شـــم الأنـــوف

كـــرام الجدود فصاحاً صباحـــا

وإلا يعافيـــر ســـود العيـــــون

يرين فســـاد المحـــب صلاحـــا

---

[1] **هكذا في الإسكوريـال؛ بينمـا كتـب في نـص: ((سناهـم)).**
[2] **العِيـاب؛ مفردهـا: عَيْبَـة؛ عبـارة عن وعـاء يوضـع فيـه الثيـاب.**
[3] **أي نـوق مسنـة وسمينـة.**
[4] **هكذا في الإسكوريـال؛ بينمـا كتـب أيضـاً في نـص لم يحـدده عنـان: ((حسانـاً)). وغيـداً خـدالاً: ممتـلآت ضخـام.**

يـــرددن فينـــا لحاظاً مراضـــا
يمرضن منا القلوب الصحاحـــا
وتحـــت الوجاج طـــلاً ربـــرب[1]
لَـــوَ أنْ القيـــان رفعـن الوجاحـــا
أراني محاســـن منـــه فلـــــم
أطق عن حماه بقلـــبي براحـــا
محيـــاً وسيمـــاً وفرعـــاً أثيثـــا
وقداً قويمـــاً وردفـــاً رداحـــا
وأبـــدى لعيـــني بدايـــع لـــم
يـــدع لي عقلاً بها حين راحـــا
إذا لـــم يـــرد غير سفك دمـــي
فَحِـــلٌ وَبِـــلٌ[2] لـــه ما استباحـــا
وما زلـــت سمحـــاً بنفسي كـــذا
متى ما رأيت الوجوه الملاحـــا

---

[1] **الربـرب: قطيـع مـن بقـر الوحـش.**
[2] **أي حـلال ومبـاح.**

وبابـــن رشيـــد تعـــوذت مـــن
هـــواه فقـــد زدت فيه افتضاحا
وقد ضــــاق صـــدري عن كتمه
وأودعته جفـــن عيني فباحـــا
وبابـــن رشيـــد تعـــوذت مـــن
خطـــوب أجلـــن علي القداحـــا
ألــــح الزمـــــان بأحداثـــــه
فألقيت طوعـــاً إليـــه السلاحـــا
أعـــاد شبـــابي مشيبـــاً كمـــا
سمعـــت وصير نسكي طَلاحـــا[1]
وفـــرق بيـــني وبيـــن الأهيـــل
ولـــم يـــر ذا عليه جنـــاحـــا
أخي وسمـــيى أصـــخ مسعـــداً[2]
لشجو حزين إليـــك استـــراحـــا

[1] في نص: ((صلاحـا)). والطـلاح: الفسـاد؛ وهـو ضـد الصـلاح.
[2] الـشيء نفسـه: في نـص: ((مسمعـاً)).

فقد جَـــبَّ[1] ظهري على ضعفه

كُداماً[2] وأدْهَى شـــواتي نطاحـــا

وطـــوَّح بي عـــن تلمســـان ما

ظننـــت فراقي لهـــا أن يتاحـــا

وأعجـــل سيـــري عنـــه ولـــم

يدعـــني أودع تلـــك البطاحـــا

نـــأى بصديقـــك عـــن ربعـــه

فكان له النأي موتـــاً صراحـــا[3]

وكـــان عزيـــزاً عـــلى قومـــه

إذا هـــاج خاضوا إليه الرماحـــا

فهـــا هـــو إن قـــال لـــم يلتفت

إليـــه امتهانـــاً لـــه واطراحـــا

عجبـــت لدهـــري هـــذا ومـــا

ألاقي مســـاء بـــه وصباحـــا

---

[1] أي قطع.
[2] أكدام: نبات في المراعي يتكسر على الأرض.
[3] أي موتاً خالصاً.

لقد هـــد مـــني ركنـــاً شديـــداً
وذلـــل مـــني حيـــاء لقـــاحـــا
وُقيتُ الرَّدَى مـــن أخٍ مخلـــصٍ
لو استطعت[1] طرت إليه ارتياحـــا
وإني على فيـــح مـــا بيننـــا
لأتبـــع ذاك الشـــذا حيث فاحـــا
أحـــن إليـــه حنيـــن الفحـــول[2]
ونوح الحمـــام إذا هـــو ناحـــا
وأســـأل عنـــه هبـــوب النسيـــم
وخفـــق الوميض إذا ما ألاحـــا
إن شيـــت عرفـــان حالي ومـــا
يعانيه جسمي ضنى أو صحاحا
فقلـــب يـــذوب إليـــك اشتياقـــا
وصـــدر يفاح إليـــك انشراحـــا

---

[1] جعلها د. طويل: ((لَـو أسْطَعْـتُ)). وذلـك مـن أجل الـوزن.
[2] في نـص: ((العجـول)).

وغــرس وداد أصاب فضــاء
ندياً وصــادف أرضــاً براحــا
كراســخ مجــد تأثلتــه
فلــم تخش بعد عليه امتصاحــا
وعليــاء بوئتهــا لــو بَــغَى
سمــواً إليهــا السماك لطاحــا
مكــارم جمعــت أفــذاذهــا
فكانــت لعطف[1] علاك وشاحــا
ودرس علــوم تهيــم بهــا
عمرت الغدو بــه والرواحــا
نشــأت عن الخيــر واعتدتــه
فلــم تــدر إلا التقى والصلاحــا
وقمــت لهــا أيمــا رحلــة
كسحــت المعارف فيها اكتساحا
بهرت رجــال الحديــث اقتداء
وفت رجــال الكمــال اقتراحــا

---

[1] في نص: ((العضب)).

فما [إن جليـــس][1] إذا قلت قـــال
أوَ أنَّ الخطيب إذا لحـــت لاحـــا
ولـــو لـــم تحـــج بهـــا مكـــة
لحج الملايـــك عنـــك صراحـــا
وأمـــا أنا بعـــد نـــهي النـــهى
فما زادني[2] الطبـــع إلا جماحـــا
أديـــر كؤوس هـــواي اغتباقـــا
وأشرب ماء دموعي اصطباحـــا
فبـــرد جـــواي بـــرد جـــواب
توبـــخ فيـــه مـــشي الوقاحـــا
وهـــن بنيـــات فكـــري وقـــد
أتينـــك فاخفـــض لهن الجناحـــا

[1] حرفت في الإسكوريـال؛ فكتبـت: ((ابـن حبيـش)).
[2] كتبـت في الإسكوريـال: ((زاد))؛ فصوبهـا عنـان.

ومن شعره رحمه الله قوله يمدح **ذا الوزارتين** المتقدم ذكره، ويذكر غفارة وجهها له مع هدية[1]:

كبـت العدى إنعامـك البغـت
فـلي الهنـا[2] وللعـدى الكبـت

يا مـن إلى جـدوى أناملـه
يزجى[3] للسفيـن[4] وتزجر البُخْتُ[5]

لولاك لـم يوصـل بناحيـة
وخـد ولـم يقطـع بها دَشْـتُ[6]

لـولاك لم يطلـع بهـا نشـر
منـه ولـم يهبـط بهـا خبـت

خولتـني مـا لـم تسعـه يدي
فأصابـني مـن كثـره غَمْـتُ[7]

---

[1] **هذه القصيدة من البحر الكامل.**
[2] **صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((الهناء)).**
[3] **في نص: ((يرجي)).**
[4] **كتبها د. طويل: ((السفين))؛ من أجل سلامة الوزن واستقامة المعنى. ويقصد بالسفين: المركب البحري.**
[5] **البُخْت: هي الإبل الخراسانية.**
[6] **الدشت هنا هي الصحراء.**
[7] **أي تخمة.**

شــتى أيــاد كلمــا عظمــت

عنــدي تلكأ خاطــري الْهَــتُّ[1]

يعــيا لســاني عــن إذاعتهــا

ويضيق عن شكري لها الوقــت

وطــأت لي الدنيا فــلا عــوج

فيمــا أرى منهــا ولا أمــت

أمكنتــني منهــا فمــا ليــــدي

ردء ولا لمقالــــتي عــت

بالغت فــي بــري ولا نســب

أدلــي إليــك بــه ولا حسب[2]

لكــن حســبي إن متــت بــه

يومــا إليــك ودادي البحــت

بوركت مــن رجــل برؤيتــه

يُوسَى الضنَّــا ويُعالِــجُ الغَــتُّ[3]

---

[1] أي خاطري المكسور.

[2] هذا البيت مختلف في رويه عن بقية أبيات القصيدة.

[3] أي يعالج الحزن والغم.

لـــو سار فـــي بهمـــاء مقفـــرة

فـــي حيـــث لا ماء ولا نبـــت

لتفجـــر المـــاء النميـــر بهـــا

ولأعشبت أرجاؤهـــا[1] المـــرت

لا تحسبن البخـــت نيـــل غـــنًى

نيـــل الرضـــا منه هو البخـــت

آلـــت جلالتـــه وحق لهـــــا

أن لا يحيـــط بكنههـــا نعـــت

أظهرت ديـــن الله في زمـــــن

مـــا زال يغلـــب حقـــه البهـــت

شيـــدتـــه وهـــددت ممتعضـــاً

لضياعـــه مـــا شيـــد الجِبْـــتُ[2]

أمنـــت أرض المسلمين فـــــلا

ذئب يخـــاف بهـــا ولا لِصْـــتُ[3]

---

[1] كلمة ((أرجاؤها))؛ نقلت من المنتخب النفيس.؛ لأن في موضعها بالمخطوط بياض.

[2] أي من لا خير فيه.

[3] أي: ولا لص.

وحفظتهـــا مـــن كـــل نايبـــة
تخشى فأنـــت حفيظها الثبـــت
ونهجت سبيـــل[1] المكرمات فمـــا
لمؤمـــل عـــن غايـــــه ألْـــتُ[2]
لم تبـــق غفلـــاً مـــن متالعهـــــا
إلا وفيـــــه لحايـــــر بُـــــرْتُ[3]
هادن ظغـــاة الكفـــر مـــا هدأت
حـــتى يجيء نهارهـــا المَحْـــتُ[4]
دعها تــــــودع في معاقلهـــا
ما لـــم تعـــد جفاتهـــا العَفْـــتُ[5]
كـــم ذدتهـــا عنـــا وقـــد هبرت
لهـــراشنـــا أشداقهـــا الهَـــرْتُ[6]

---

[1] جعلها د. طويل: ((سُبْلَ)). من أجل الوزن.
[2] الأَلْتُ، وألتَه: حبسه وصرفه.
[3] البُرْت: هو الدليل الماهر.
[4] أي: نهارها الحارّ.
[5] أي: في حال الالتواء والانكسار.
[6] أي: أشداقها الواسعة.

بوقــوف طرفك عنــد شدتــه

يبـــأى ويفخـــر ملكهـــا الـــرَّتُّ[1]

ويشكر[2] ما أظهـــرت من كـــرم

في ذاك تفصح عجمها المَـــرْتُ

لك من ممالكهـــا وإن رغمـــت

ما جـــال فيه جـــوادك الحَـــتُّ[3]

ولكـــل أصيـــد مـــن بطارقهـــا

فـــي كـــلِّ أري لـــــه دَعْـــتُ

لولا لبـــاك البيـــض ما أرقـــت

للقايهـــــا أفراسنـــا الكمـــــت

عنـــده[4] لمـــن ينتابـــه مَقَّـــــة

ولمن ينيـــب لغيـــره مقـــــت[5]

ولَوَ أنَّ بيضـــك لم تســـل لمـــا

ذلت أنـــوف طغاتهـــا السلـــت

[1] أي: ملكها الرئيس.
[2] جعلها د. طويل: ((والشكر)).
[3] أي: الساقط.
[4] جعلها د. طويل: ((عندي)).
[5] في نص: ((المقت). وهذا البيت كتب في هامش المخطوط.

يا ابن الحكيم أمنت صرف ردى
أبــداً لـــه في أثلـــتي نَحْــتُ[1]
وبيمنــــــه أنســـت مـــن أملي
ما لم يكـــن يومـــاً لـــه عَـــرْتُ[2]
مثَنى الـــوزارة موئـــلي ولـــه
ما دمـــت أملك قـــدرتي أقْـــتُ[3]
وببأســـه أطـــفي شـــرارة من
يعثو وأقدح أنـــف مـــن يَعْـــتُ[4]
عم الورى جوداً وفضل غـــنًى
حتى تســـاوى العَـــدُّ والغَلْـــتُ[5]
وهمّى عـــلى عـــال ومنخفـــض
لـــم يبـــق فـــوق لا ولا تحـــت

[1] أي: أبداً لـه في أصلي طعن.
[2] أي: شدة واضطراب.
[3] الأقت: الوقت المعين.
[4] جعلها د. طويل: ((يعتو)) بالواو.
[5] أي: غلط.

ظـــل إذا نصطـــاف معتـــدل
عطـــر الشذا وحيـــاً إذا نَشْـــتُ[1]
يتضـــاءل الصبـــح المنيـــر إذا
لاقـــى سنـــاه جبينـــك الصلت
حتى كـــأن شمس الضحى قمر
وكأن ضوء شعاعهـــا فَخْـــتُ[2]
وغريبـــة في لطف صنعتهـــا
يمضي الزمـــان وما لهـــا أخت
ينـــأى النـــدى بهـــا إذا لبســـت
ويتيـــه إن طويـــت بها التخـــت
زنجيـــة لكـــن لمحتدهـــا
في الروم يعنو القس والشنـــت[3]
مثـــل العـــروس على منصتهـــا
من شأنهـــا التزييـــن والـــزَّتُّ[4]

---

[1] كتبها د. طويل: ((نشتو))؛ بالواو.
[2] الفَخْت: ضوء القمر في أول مبدئه.
[3] كلمت ((شنت)) أو ((سنت))؛ ترمز إلى القداسة؛ مثل: شنت مرية. وبالإسبانية: **Santo**.
[4] زَتُّ العروس: تزيينها.

لأكون أنحــل ما أكــون هــدى

فيهـــا فيعبــل جســـمي الشخـــت

وبمثـــل شيـــبي فـــوق حلكتهـــا

يبدو الوقـــار ويحفظ السمـــت

تظهريـــني[1] بلباسهـــــا وبــــه

عنـــدي لها الإيثـــار ما عشـــت

لا زلـــت تؤثـــرني بهـــا أبـــداً

ولا تـــف من يشقَى[2] بذا السلت

وبقيـــت تـــدرك ما تريـــد وما

تهـــوى بقـــاء مـــا لـــه فـــت

ومـن شعـره أيضـاً فـي المـدح ؛ قولـه رحمـه اللـه مـن قصيدة ثبتت في ديوان مجموع من أمداحه منها قوله[3]:

طرقتـــك وهناً أخـــت آل علاج

والركـــب بين دكـــادك وحراج

---

[1] جعلها د. طويل: ((تظهرنني)).
[2] في نص: ((يشجى)).
[3] هذه القصيدة من البحر الكامل.

فـــي ليلـــة ليـــلاء لم ينبح بهـــا
كلب ولم يصرخ أذيـــن دجـــاج
أنى اهتـــدت لمضللين توهنـــوا
منها لهتـــك دياجـــر وديـــاج
متسربـــلي بـــرد الظلام كأنهـــم
فيـــه قـــداح في رمايـــة ســـاج
وثقوا بمحمود السرى وتسلمـــوا
لمخـــارم مجهولـــة وفجـــاج
ومنـــازل درس الرسوم بلاقـــع
أخوين[1] من هيج ومن هجهـــاج
محـــت معالمهـــن غيـــر مثلـــم
كســـوار تـــاج أو كدملـــج عاج
ومواثـــل مثل الحمـــام جواثـــم
ورق وأسمـــج دائـــم التشحـــاج
ومشجـــج ما زال منهل الحيـــا
يبكي صـــداه بدمعـــه الثجـــاج

---

[1] **في الإسكوريـال: ((أقويـن)).**

حـــتى أعـــاد لعـــوده أوراقـــه
خضـــر الظـــلال ذكيـــة الآراج
وكسا عراة عراصه من وشيـــه
حلـــلا تبـــور صنعـــة الديبـــاج
لا مثل ليلات [مضين سريعـــة][1]
بـــردت حرارة قلـــبي المهتـــاج
أدركت منها في صباي مطالبي
وقضيت منها في شبابي حـــاج[2]
كم ليلـــة مرت ولم يشعر بهـــا
غيري وغير منـــادمي وســـراج[3]
بتنا ندير إلى انبـــلاج صباحهـــا
كأس الهوى صرفاً بغير مـــزاج
وتدير أعيننـــا حديـــث غرامنـــا
بمرامـــز من فضهـــا[4] وأحـــاج

---

[1] **في الإسكوريـال: ((بنعب سويقـة)).؛ وصوبـت مـن المنتخـب.**
[2] **جعلهـا د. طويـل: ((حـاجي))؛ باليـاء.**
[3] **جعلهـا د. طويـل: ((وسـراجي))؛ باليـاء.**
[4] **في نـص: ((فضـة)).**

بمآرج[1] النفحات من داريـــن أو

بمــــدارج النسمـــات مـــن دراج

وخلـــوص ود في نقـــاء سريرة

كسلاف راح في صفاء زجـــاج

أمحضته حظي من الزمن الذي

أعيى مراسي أهلـــه وعـــلاج[2]

واخترت قرب جواره لخلوصـــه

وتركت كـــل ممـــاذق[3] مـــراج

ما في زمانك غيره فاخلص لــه

غيبـــاً وداهـــن من أردت وداج

لا تحلفـــن بغيـــره واستعفيـــن

بوقـــاره عن كل غمـــر مـــاج

أترك بني الدنيا وأعرض عنهـــم

فعســـاك[4] تطعم لـــذة الإثـــلاج

---

[1] في نص: ((بموءرج)).

[2] جعلها د. طويل: ((وعلاجي)؛ بالياء.

[3] أي غير مخلص.

[4] في الإسكوريال: ((بأساً)).

نزهت نفـــسي عنهـــم بنوالـــه

وحفظتهـــا مـــن جاهـــه بسياج

أصبحـــت من آلايـــه وولايـــه

في عـــزة ضحيـــا وعـــز داج

ولَوَ اَنَّني عجت الركاب ميممـــا

أحداً ســـواه ما حمـــدت معـــاج[1]

طلق إذا احتلك الزمان أنـــار في

ظلمائـــه كالكـــوكب الوهـــاج

طود الرصانة والرزانة والحجـــا

بحر النـــدى المتلاطم الأمـــواج

وغمامـــه الهامي على آمالـــه

من غيـــر إرعـــاد ولا إرعـــاج

وهزبر آجـــام القنى الضاري إذا

سقطت عواتمها[2] على الأزجاج

---

[1] **جعلها د. طويل: ((معاجي))؛ بالياء.**

[2] **في الإسكوريال: ((عواملها)).؛ وصوبت من المنتخب.**

ضمن الإله لــه عــلى أعدايــه
ما شاء من ظفــر ومن إفــلاج
أبقى أبــو عبــد الإلــه محمــد
ما شــاد والــده أبــو الحجــاج[1]
وبنى أبو إسحاق قبل وصنــوه
ركنا الضعيف ومعدنا[2] المحتاج
وجرى على آثار[3] أسلاف لهــم
درجــوا وكلهــم على منهــاج
ما منهــم إلا أعــــز مبــارك
مصباح ليل أو صباح عجــاج
بيت بنوه من ســراوة حميــر
في الذروة العلياء من صنهــاج
كم كان في الماضيــن من أسلافهــم
من رب إكليــل وصاحب تــاج

---

[1] هو الغني بالله محمد بن يوسف النصري؛ سبق ذكر ترجمته في الإحاطة. ووالده هو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج النصري. ستأتي ترجمته لاحقاً في الإحاطة.
[2] في نص: ((موئلا)).
[3] في الإسكوريال: ((أسال)).

أســاس كل رياســة ورؤس كلــ
ــل سياسة وليــوث كل هيــاج
أعيت نجوم الليل من سهر ومــا
أعيــا أبــو موسى من الإدلاج
حــتى أصارته لرحمــة ربــه
يوم العقاب وقيعــة الأعــلاج
وأقيم نجل أخيــه بعــد مقامــه
فيهــم يطاعــن مثلــه ويــواج
فــردا يلــف كتايبــاً بكتايــب
ويكــب أفواجــا على أفــواج
حتى تجلى دجــن كل عجاجــة
عنهــم وأمسك رعد كل ضجاج
من مثل يوسف في قراع[1] كتايب
ولقاء أعــداء وخــوض لجــاج
أو من يشــق من الأنام غبــاره
في رد آراء ونقــض حجــاج

---

[1] **في نص: ((نـزال)).**

إن خاض يوماً في بيان حقيقـــة

أنهى عن[1] الثـــوري[2] والحـــلاج[3]

وإذا تكلم في الغريب وضبطـــه

لم يعبـــأ بالعتـــبي[4] والزجـــاج[5]

أنســـت قصائد جرول[6] أشعاره

وأرازج العجـــلي[1] والعجـــاج[7]

جمع الفصاحة والصباحة والتقى

والجود في وجـــد وفي إحـــراج

تخشاه أسد الغاب في أجماتهـــا

والروم في الأســـوار والأبـــراج

---

[1] في نـص: ((أربى علـى)).
[2] هـو الإمـام المحـدث سفيـان بـن سعيـد الثـوري (تـوفي سنـة 161هـ/777م).
[3] في نـص: ((الحجـاج)). والحـلاج هـو الزاهـد المتصـوف الحسيـن ابـن منصـور. المتـوفي سنـة 309هـ/921م. وقـد سبـق التعريـف بـه.
[4] هـو محمـد بـن عبـد اللـه بـن عمـرو العتـبي؛ اشتهـر بفصحانـة اللسـان. تـوفي سنـة 228هـ/842م.
[5] هـو ابراهيـم بـن محمـد بـن السـري؛ نحـوي. تـوفي سنـة 310هـ/922م.
[6] كتـب في هامـش المخطـوط: ((جـرول: هـو الحطيئـة. والعجلـي: هـو أبـو النجـم)). واسـم الحطيئـة بالكامـل هـو جـرول بـن أوس بـن مالـك؛ شاعـر الهجـاء الشهيـر. تـوفي سنـة 30هـ/650م. أمـا العِجْيلـيّ فهـو الأغلـب بـن عمـرو بـن عبيـدة الشـاعر الراجـز. تـوفي سنـة 21هـ/641م.
[7] العجـاج: هـوعبـد اللـه بـن رؤبـة؛ راجـز. تـوفي في حـدود 590هـ/1193م.

إنـــا بني قحطان لم نخلق لغيـــ
ـــر غياث ملهوف ومنعـــة لاج
نُبْري طُلَى[1] الأعْراب في الهيجا وفي اللـــ
ـــأواء[2] سوف نماري[3] الأعــراج[4]
بسيوفنـــا البيض اليمانيـــة التي
طبعت لحـــز غلاصـــم ووداج
تأبى لنـــا الإحجام عن أعداينـــا
يوم اللقـــاء طهـــارة الأمشـــاج
أنصار [خير العالمين][5] وحزبـــه
وحماته في الجحفل الرجـــراج
وفداتـــه بنفوسهـــم ونفيسهـــم
من غـــدر مغتـــال وسبة هـــاج
هم صفوة الخلق التي اختيرت له
وسواهـــم همـــج من الأهمـــاج

[1] الطُّلى مفردها؛ طُلية: وهي العنق.
[2] الأواء: الشدة والمحنة.
[3] أي نجادل.
[4] جعلها د. طويل: ((الأعراجي))؛ بالياء.
[5] ورد في نص أشار إليه عنان دون تحديده: ((دين الهاشمي)).

إلا الألى سبقــوا بباهر فضلهــم
من سايــر الأصحاب والأزواج
وكــفى بحكمتنــا إقامة حجــة
وبركننــا من كعبــة الحجــاج
ولنا مفاخــر في القديم شهيــرة
كالصبــح في وضح وفي إبلاج
منــا التبابعــة الذيــن ببابهــم
كانت تنيــخ جبــاة كل خــراج
ولأمرهم كانت تدين ممالك الــ
ــدنيــا بلا قهــر ولا إحــراج
من يقتــدح زنداً فــإن زنادهــم
في الجود وارية بــلا إخــراج
أبوابهــم مفتوحــة لضيوفهــم
أبــداً بــلا قفــل ولا مــزلاج

ومما اشتهر من شعره قوله[1]:

أَرَقَّ عَيْني بـــارِقٌ مِـــنْ أَثَـــالْ
كَأَنَّـــهُ في جُنْـــحِ لَيْلي ذُبَـــالْ
أثار شوقـــاً في ضمير[2] الحشـــا[3]
وعبرتي في صحن خدي أســـال
حكى فـــؤادي قلقـــاً واشتعـــال
وجفـــن عيني أرقـــاً وانهمـــال
[جوانــــح تلفــح نيرانهـــا
وأدمـــع تنهــل مثــل العَــزال][4]
قولوا وشـــاة الحـــب ما شئتـــم
ما لـــذة الحب ســـوى أن يقـــال
عـــذراً لِلُوَّامِي[5] ولا عـــذر لــــي
فزلـــة العالـــم مـــا إن تقـــال

[1] هذه القصيدة توجد في النفح، والأزهار. وهي من البحر السريع.
[2] في أزهار الرياض: ((من صميم)).
[3] في النفح: ((الحشا)).
[4] ورد هذا البيت في النفح؛ بينما سقط في الإسكوريال. يقصد بكلمة ((العزالْ))؛ العَزالي: وهو مصب الماء من الراوية.
[5] في أزهار الرياض: ((أعْذِرُ لُوَّامي)).

قـــم نطـــرد الهـــم بمشمولـــة
تقصـــر الليل إذا الليـــل طـــال
وعاطهـــا صفـــراء ذميـــــة
تمنعهـــا الذمـــة مـــن أن تنـــال
كالمسك ريحاً واللمـــا مطعمـــا
والتبر لونـــاً والهـــوا في اعتدال
عتقهـــا فـــي الـــدن خمارهـــا
والبكر لا تعرف غير الحجـــال
لا تُثْقِـــبِ الْمِصْبَـــاحَ[1] لا واسقني
على سنى البرق وضوء الهلال
فالعيش نـــوم والـــردى يقظـــة
والمـــرء ما بينهمـــا كالخيـــال
خذهـــا على تَنْغيـــم مِسْطارهـــا[2]
بيـــن خوابيهـــا وبيـــن الـــدوال

[1] أي لا تجعل ضوء المصباح ساطعاً.
[2] أي خمرها المؤثرة؛ التي تصرع شاربها.

فـــي روضـــة باكـــر وسميهـــا[1]

أخمـــل داريـــن وأنـــسى أوال[2]

كـــأن فـــار المســـك مَغْبوقَـــةٌ[3]

فيها إذا هبت صبـــاً أو شمـــال

من كل[4] ساجي الطرف ألحاظــه

مفوقـــات أبـــــداً للنضـــال

من عـــاذري والكل لي عـــاذل[5]

من حسن الوجه قبيـــح الفعـــال

مـــن خـــلي الوعــــد كذابـــه

ليـــان لا يعرف غير المطـــال

كأنـــه الدهـــــر وأي امـــرئ

يبقى على حال[6] إذا الدهــر حـــال

---

[1] كتبت في الإسكوريال: ((وسميته))؛ وصوبت من النفح. والوسميّ: هي مطر الربيع الأول.

[2] أوال: هو الاسم القديم للبحرين.

[3] في النفح والأزهار: ((مفتوتة)).

[4] نفسهما: ((كَفّ)).

[5] نفسهما: ((عاذرٌ)).

[6] نفسهما: ((على الدَّهْر)).

أمـــا تـــراني آخــــذاً ناقضـــاً

عليـــه ما سوغــني[1] من محـــال

ولـــم أكـــن قـــط لـــه عائبـــاً

كمثـــل مـــا عابتـــه قبلي رجال

يأبى ثراء المـــال علمي وهـــل

يجتمـــع الضـــدان علـــم ومال

وتأنـــف الأرض مقـــامي بهـــا

حتى تهـــاداني ظهور الرجـــال[2]

لولا بنو زيـــان مَا لَـــذَّ لِي الـــ

ـــعَيْش ولا هانت عليّ الليـــال

هم خوفوا الدهـــر وهم خففـــوا

على بني الدَّهـــر[3] خطاه الثقال

ورثت[4] مـــن عامرهـــم سيـــداً

غَمْرَ رداء الحَمْدِ عَمْرْ[5] النـــوال

---

[1] في النفـح وألأزهـار: ((سوفـني)).
[2] نفسهمـا: ((الرِّحـال)).
[3] نفسهمـا: ((الدُّنيـا)).
[4] في النفـح: ((لقيـت))، وفي الأزهـار: ((ألفيـت)).
[5] في النفـح، والأزهـار: ((جَـمَّ)).

وكعبـــة للجـــود منصوبـــــة

يسعى إليها الناس من كل حـــال[1]

خذهـــا أبـــا زيـــان من شاعـــر

مستملح النزعة عـــذب المقـــال

يلتفـــظ الألفـــاظ لفـــظ النَّـــوَى

وينظـــم الآلاء نظـــــم الـــلآل

مجاريـــاً مهيـــار[2] في قولـــه

(ما كت لولا طمعي في الخيال)[3]

ومما قال أيضاً، واشتمل ذلك على شيء من نظمه ونثره؛ وهذا الرجل مغرب النزعة، في شفوف نظمه على نثره[4]:

---

[1] في النفح وألأزهار: ((بال)).

[2] هو أبو الحسن مهيار بن مروزيه الديلمي؛ كاتب وشاعر فارسي؛ كان مجوسياً فأسلم سنة 494هـ/1100م؛ على يد شيخه الشريف الرضي. ولد بموطنه الديلم في حدود 428هـ/1036م. وتوفي ببغداد.

[3] هذا الشطر هو صدر بيت لقصيدة مهيار الديلمي؛ من البحر السريع؛ يقول فيها:

((ما كنت لولا طمعي في الخيال * أنشد لَيْلي بين طول الليالْ))

[4] هذه القصيدة موجودة في النفح، والأزهار؛ وهي من البحر الكامل.

عجباً لها أيذوق طعم وصالهـــا

من ليس يطمأن [1] يمـــر ببالهـــا

وأنا الفقيـــر إلى تعلـــة ساعـــة

منها وتمنعـــني زكـــاة جمالهـــا

كم ذا وعن[2] عيني الكرى متأنِّف[3]

يبـــدو ويخفى في خفي مطالهـــا

يسمو لها بدر الدجـــا متضايـــلاً

كتضاءل الحسناء في أسمالهـــا[4]

وابن السبيل يجيء يقبس نارهـــا

ليـــلاً فتمنحـــه عقيلـــة مالهـــا[5]

يعتادني في النوم طيف خيالهـــا

فتصيبـــني ألحـــاظهـــا بنبالهـــا

---

[1] في النفـح، والأزهـار: ((يأمـل)).

[2] كتبـت في الإسكوريـال، ونفـح الطيـب، وأزهـار الريـاض: ((كـم ذاد عـن)).

[3] في الإسكوريـال: ((متألـق))؛ وصوبـت مـن النفـح.

[4] اقتبـس هـذا الشطـر بتصـرف عن أبي تمـام؛ الـذي قـال:

((كسيت سبائب لؤمـه فتضاءلـت * كتضاؤل الحسنـاء في الأطمـار)).

[5] عقيلـة المـال: أكرمـه.

كم ليلـــة جادت بـــه فكأنمـــا
زُفَّتْ عليّ ذُكاء[1] وقت زوالهـــا
أسْرى فَعِطْرُهَا وَعَطْلُ شُهْبِهَـــا
يَأْبَى شذا المعطـــار من معطالها[2]
وســـواد طرته كجنح ظلامهـــا
وبياض غرته كضوء هلالهـــا
دعني أشـــم بالوهم أدنى لمحـــة[3]
من ثغرها وأشـــم مسكة خالهـــا
ما راد طرفي في حديقة خدهـــا
إلا لفتنتـــه بحســـــن دلالهـــا
أنسيب شعري رق مثل نسيمهـــا
فشمول راحك مثل ريح شمالها
وانقل أحاديث الهوى وأشرح غريـــ
ـــبَ لغاتها وأذكر ثقـــات رجالهـــا

---

[1] ذكـاء: اسـم الشمـس.
[2] ورد هـذا البيـت في نفـح الطيـب وأزهـار الريـاض هكـذا:
((أسْرَى فَعَطَّلَهَـا وعَطَّـلَ شُهْبَهَـا * بأبي شذا المعطار من معطالهـا)).
[3] في النفـح والأزهـار: ((لمعـة)).

وإذا مررت برامة فتـــوق مـــن
أطلايهـــا[1] وتمـــش في أطلالهـــا
وانصب لمغزلها حبالة قـــانص
ودع الكرى شركا للصيد غزالها
وأسل جداولها بفيض دموعهـــا
وانضح جوانحها بفضل سجالها
أنا من بقيـــة معشـــر عَرَكَتْهُـــمُ
هذي النَّوَى عَرْكَ الرَّحَى بثقالها[2]
أكرم بها فئـــة أريـــق نجيعهـــا
بغياً فراق العين حسن جمالهـــا[3]
حلت مدامة وصلها وحلت لهـــم
فإن انتشـــوا فبحلوها وحلالهـــا
بلغت بهرمس غايـــة ما نالهـــا
أحـــد ونـــاء بها لبعـــد منالهـــا

---

[1] الأطلاء؛ مفردها: طلا؛ وهو ولد الظبية.
[2] في النفح والأزهار: ((بثفالها)). وهو أصح؛ لأنه اقتبس هذا عن زهير ابن أبي سلمي في قوله:
((فتعرككم عرك الرحى بثفالها * وتلقح كشافاً ثم تنتج فتتئم)).
[3] في النفح، والأزهار: ((مآلها)).

وَعَدَتْ على سُقْرَاطَ[1] صورة[2] كأسها

فهريق ما في الدن من جريالهـــا

وسَرَتْ إلى فارابَ منها نفحـــة

قدسيـــة جـــاءت بنخبـــة آلِهـــا[3]

ليصوغ من ألحانـــه في حانهـــا

ما سوغ القسيس مـــن أرمالهـــا

[1] هو الفيلسوف اليوناني الأول؛ (469- 399)؛ لم يترك كتابات تعرف بفلسفته؛ وإنما نقل تلاميذه أفكاره؛ ومن أهم تلاميذه أفلاطون.

[2] في النفح والأزهار: ((سَوْرة)).

[3] فاراب: مدينة تتواجد في بلاد ما وراء النهر؛ وتعرف اليوم بتركستان. وينسب إليها الفيلسوف المعلم الثاني بعد شارح أريسطو أبو نصر محمد الفارابي؛ ولد سنة 257هـ/870م؛ وتوفي سنة 339هـ/950م. ويلمح الشاعر هنا إلى الفارابي؛ كونه ألف في الموسيقي؛ بل طوّر الآلة المسماة بالقانون؛ كما أنه أول مَن قدم وصفا لآلة الرَّباب ذات الوتر الواحد، والوترين المتساويين في الغلظة، بالإضافة إلى أنه أول مَن عرَّف الموسيقى ومصطلحها، إلى جانب أنه قد ابتكر بعض المصطلحات الموسيقية؛ وأسماء الأصوات التي بقيت مستعملة إلى الآن.

وتعلقت[1] في سَهْرَوَرْدَ[2] فأسْهَرَتْ

عيناً يُؤَرِّقُهَـــا طـــروقُ خيالهـــا

فخبا شهاب الدين لما أشرقـــت

وخبا[3] فلم يثبت لنـــور جلالهـــا

ما جـــن مثل جنونه أحـــد ولا

سمحت يد بيضاء بمثل نوالهـــا

وبدت على الشُّوذِيِّ[4] منها نفحـــة[5]

ما لاح منها غيـــر لمعة آلهـــا

---

[1] في النفـح والأزهـار: ((وتغلغلـت)).

[2] هي بلـدة تقـع في الجبـال القريبـة مـن زنجـان؛ شمـال غـرب إيـران. ينسب إليهـا الشيـخ الصـوفي شهـاب الديـن أبـو الفتـوح يحيي بـن حَبَش بـن أمِيرَك السهـروردي؛ يكـون قد ولـد في حـدود سنـة 554هـ/1150م أو 550هـ/1155م. وقتـل في عـام 587هـ/1190م؛ بأمـر مـن الملـك الظاهـر ابـن السلطـان صـلاح الديـن. وهـو مؤسـس حكمـة الإشـراق؛ الـتي يتضمنهـا كتابـه الشهيـر "حكمـة الإشـراق"؛ وهـو الذي يشير إليه الشاعر في البيت الموالي.

[3] في النفـح والأزهـار: ((وخـوى)).

[4] هـو الشيـخ الـولي الصالـح الزاهـد أبـو عبـد الله الشـوذي الإشبيـلي المعـروف بالحلـوي؛ لأنـه كـان يبيـع الحلـوى للصبيـان. ويقـال أنـه تـولى القضـاء في إشبيليـة أيـام الدولـة الموحديـة؛ فتـرك ذلـك وهاجـر إلى تلمسـان؛ الـتي استوطنـهـا، ودفـن بهـا.

[5] في النفـح والأزهـار: ((نشـوة)).

بطلت حقيقتـــه وحالـــت حالـــه
فيما يعبر عن حقيقتـــه[1] حالهـــا
هذي صبابتهـــم تـــرق صبابـــة
فيـــروق شاربها صفاء زلالهـــا
إعلم أبا الفضل بن يحيى أنـــني
من بعدهـــا أجري على آسالهـــا[2]
فإذا رأيـــت مُولِّهاً[3] مثلي فخـــذ
في عذله إن كنـــت من عذالهـــا
لا تعجبن لما ترى من شأنهـــا
في حلهـــا إن كان أو ترحالهـــا
فصـــلاحهـــا بفسادها ونعيمهـــا
بعذابهـــا ورشادهـــا بضلالهـــا
ومن العجايـــب أن أقيـــم ببلـــدة
يوماً وأسلـــم من أذى جهالهـــا

---

[1] في النفـح وألأزهـار: ((حقيقـة))؛ وهـو أسلـم.
[2] في أزهـار الريـاض: ((أحـرى علـى آمالهـا)). ومـن هنـا؛ وحتـى آخر القصيـدة غيـر وارد في نفـح الطيـب؛ بينمـا هـو موجـود في أزهـار الريـاض.
[3] في الأزهـار: ((مُدلَّهـا)).

شغلـــوا بدنياهـــم أما شغلتهـــم

عني فكم ضيعت من أشغالهـــا

حجبوا بجهلهم فإن لاحت لهـــم

شمس الهدى عشوا[1] بضوء ذبالها

وإن انتسبت فإنني من دوحـــة

تتقيـــل الأقيال بـــرد[2] ظلالهـــا

من حِمْيَرٍ من ذي رُعَين من ذُرَى[3]

حَجْرٍ من العظمـــاء من أقيالهـــا

وإذا رجعـــت لطينتي معنى فما

سَلْسالُهُـــمْ[4] بأرق من صلصالهـــا

للـــه درك أي نجـــل كريمـــــة

ولدته فاس[5] منك بعـــد حبالهـــا[6]

---

[1] في أزهـار الريـاض: ((عبثـوا)).

[2] في الإسكوريـال: ((أرد))؛ وصوبـت مـن الزيتونـة. وورد هـذا الشطر في أزهـار الريـاض هكـذا: ((يتفيـأ الإنسـان بَـرْدَ ظلالـهـا)).

[3] في الأزهـار: ((ذوي)).

[4] نفسـه: ((سلسالـه)).

[5] في الإسكوريـال: ((فلـس)).

[6] في الأزهـار: ((حيالـهـا)).

ولأنت لا عدمتــك والد فخرهــا

وسماك سؤددهـــا وبدر كمالهـــا

أغلظ على من عاث من أنذالهـــا[1]

واخشع لمن تلقـــاه من أبدالهـــا[2]

والبـــس بما[3] أوليتهـــا من نعمة

حلل الثنـــاء وجـــر من أذيالهـــا

خذها أبا الفضل بن يحيى تحفة

جاءتك لم ينســـج على منوالها

ما جال في مضمارها شعر ولا

سمحت[4] قريحة شاعــر بمثالهــا

واتــل أبا البركات من بركاتهـــا

وادفـــع محال شكوكــه بمحالهـــا[5]

[1] في الزيتونـة: ((أبذالهـا)).
[2] كتبت في افسكوريـال: ((أبداتهـا))؛ وصوبت مـن الزيتونـة.
[3] في الزيتونـة: ((لمـا)).
[4] نفسـه: ((سحـت)).
[5] في الأزهـار: ((مـن آلهـا)).

هـذه أمتـع اللـه ببقايـك، وأسعـد بلقايـك. وأراهـا بمـا تؤمله مـن شريـف اعتنايك، وترجـوه مـن جميـل احتفايـك، مـا تعـرف بـه مـن احتذايـك، وتعتـرف لـه ببركـة اعتفايـك، كريمـة الأحيـاء، وعقيلـة الأمـوات والأحيـاء، بنـت الأذواء والأقيـال، ومقصـورة الأسـرة والحجـال؛ بـل أسيـرة الأساويـر والأحجـال. عـلى أنهـا حليفـة آلام وأوصـاب، وأليفـة أشجـان وأطـراب، صبابة أغـراب وصُبَّابـة أعـراب، جـاورت **سيـف ابـن ذي يـزن** فـي رأس **غُمـدان**، وجـاوزت **مسلمـة بـن مخلـد** يـوم **جابيـة الجـولان**، وذلقـت لسـان ابـن أختـه **حسـان**، فتضاءلـت لرقـة حـده جسـوم **بنـي عبـد المُـدان**، وقربـه وماشيـم مـن غمـده قيـد **ابـن الإطنابـة بيـن يـدي النعمـان**، قربـت **ببنـي جفنـة** مـزار **جلـق**، وسعـرت **لبنـي تميـم** نـار محلـق؛ ومـرت عـلى معتـاد **غالـب**، فمـا أنسـت نـاره، وطافـت ببيـت **عبـد اللـه بـن دارم**، فلـم تـرض جـواره، ولـو حلـت بفنايـة، واستحلـت مـا أحـل لهـا مـن مبـذول حبائـه، لاغتفـر لهـا مـا جنتـه ببطـن أواره، ولحلـت لهـا حبوتـاً **مجاشـع وزرارة**، مزقـت عـلى مزيقيـا حلـلاً، وأذهبـت **يـوم حليمـة** مثـلا، وأركبـت

عنزاً شر يومها يجدع[1] جملا، وناطت بأذن **مارية** قرطها، وجرت على أثر **الكندي** مرطها، وقفها بين **الدخول فحومل** فوقفت، وأنفها **يوم دارة جلجل** فأنفت منه ومنا ألفت، عقر ناقته وانتهس عبيطها، ودخل خدر **عنيزة** وأمال غبيطها، وأغرت **أبا قابوس بزياد**، واسرجت **للزبيدي** فرس **أبي داود**[2]، ونافرت **بحاتم طيّ كعب إياد**، وساورت للمساور بمثل جوده السابر. ولئن بلت **الجعفري لبيدا**، فلقد استعبدت **الأسدي** عبيداً، وقطعت به في أثر **سليماه الأسدية**[3] بيداً، أرته المنية على حربة هندها الملحوب، وما حال **قريضه** [4] دون جريضه، وأقفر من أهله ملحوب، وما زالت تخبط في شعاب الأنساب، فترشد، وتنشد ضالتها اليمانية، فتنشد:

إن كنت من سيف بن ذي يزن

فانزل بسيف البحر من عدن

---

[1] في نص كما ذكر عنان دون تحديد: ((يحدج)).
[2] في نص أيضاً: ((أدو اد)).
[3] في نص أيضاً: ((الأمهرية)).
[4] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال؛ وأضيفت من المنتخب.

وذر الشـــآم ومـــا بنـــاه بـــه الـــر

ـــرومي مـــن قصـــر ومـــن فـــدن

تعلف **سيل العرم**، وترد **غسـان**، وتمهـد لهـا أهضـام تبالـــة، فتقـــول (مَـــرْعًى ولا كالسَّعْـــدان)[1]، تساجـــل عـــن **سميحة بابن خـرام**، وتناضـل بسمير يـوم خـزام، وتنسى قاتل ستة آلاف، وكاسي بيت الله الحـرام ثلاثـة الأفـواف، فلـو ساجلت بنبعها **أبا كـرب**، وأرتـه ضراعة خدهـا التـرب، لساجلت به أخضـر الجلـدة فـي بيـت **العـرب**، ماجـداً يمـلا الدلـو إلـى عقـد الكـرب، بـل لـو حطت بفنـاء بيتهـا الحجـري رحلهـا[2]، وساجلـت بفنـاء حدهـا **ذي رعيـن**، لاستوفـت سجلهـا. كـم عـاذت بسيفهـا اليـزني، فأدركـت ذحلهـا، ولاذت بركنهـا اليمـني فأجـزل محلهـا. ولـو استسقت بأوديتها، لأذهبـت محلهـا. كافحـت عـن دينهـا الحنيـفي، فمـا كهـم

[1] مَرْعًى ولا كالسَّعْدان: والسعدان عشب جيد للرعي؛ إذ يخثر اللبن، ويكثر دسمه. وهذا المثل يضرب للشي الذي يفضل أقرانه وأشباهه. وأول من قال هذا المثل هي الخنساء بنت عمرو. والمراد هو: هذا مرعى جيد؛ ولكنه ليس كالسعدان في جودته.
[2] في نص: ((رجلها)).

حسامها، ونافحت عن **نبيها الأمي**، فأيدت بروح القدس سهامها. سدت باب الدرب دون **بني الأصفر**، وشدت لموته ثوب موت أحمر، وما شغلها كسر تاج **كسرى** عن قرع هامة **قيصر**. ولقد حلت من سنام نسبها اليعربي باسمك ذروة، وتعلقت من ذمام نبيها **العربي** بأوثق عروة. تفرد صاحب **تيماء** بأبلقه الفرد فعز، وتمرد ربُّ **دومة الجندل** لما كان من مارد في حرز، فما ظنك، أعزك الله، بمن حل من قدسي عقله، بمعقل قدس، يطار إليه فلا يطار، وراد من فردوس أدبه، في جنة لا يضام رايدها ولا يضار. زها بمجاورة الملك فازدهى رؤساء الممالك، وشغف بمجاورة الملك، فاشتغل عن مطالعة المسالك، أيشق غباره، وعلى جبين المرزم مشاره، أو ينتهك ذماره، وقلب الأسد بيته، ودار أخيه **أسامة** زاره. ولما قضت من أنديتها العربية أوطارها، واستوفت على أشرف منازعها الأدبية أطوارها، وعطرت بنوافح أنفاسها الذكية آثارها، وأطلعت في ظلم أنفاسها الدجوجية كواكبها النيرة وأقمارها، عطفت على معقلتها الشاذلية فحلت عقالها،

وأمر لها فراق الوطن. فلما استمر لها[1] حلالها، استودعت بطنان تبالة آلها، وتركت أهضامها المخصبة وحلالها. أطلت على دارات **العرب** فحيت أطلالها، ودعت لزيارة أختها **اليونانية**، أذواء **حمير** وأقيالها. أطمعتها بلمعية ألمعيتها الأعجمية، ومثلها يطمع، وجاء بها من قدماء الحكماء كل أوحدي الأحوذية، فباتت تخب إليه وتوضع، باحثة عن مركز دارتهم[2] الفيثاغورية؛ آخذة في إصلاح هيئتهم الإنكساغورية[3]، مؤثرة لما تدل عليه دقائق حقائق بقايا علوم مقايسهم البراهانية، وتشير إليه رموز كنوز وصايا علماء نواميسهم **الكلدانية**، من مأثور تأثير لاهوتية قواهم السيماوية، راغبة فيما يفاض على مادتها الجسمانية، ويطرأ على عاقليتها الهيولانية، من علويات آثار مواهبها الربانية، موافقة لمثلهم المفارقة أفضل موافقة، موافقة لما وافق من شوارد آرايهم الموفقة أحسن موافقة. وتحت هذه الأستار محذرات أسرار أضرَّ بها الإسرار،

---

[1] **كلمة ((لها)) أضيفت من الزيتونة.**
[2] **في نص لم يحدده عنان: ((دائرتهم)).**
[3] **في نص أيضاً: ((الإنكسارية)).**

وطالما نكر معارفها الإنكار، ونقلت من صدور أولئك الصدور، إلى بطون هذه الأوراق، في ظهور فوق دفاتر فلسفيات معاني علومهم الرقاق. وفي تلك المغاني، أبكار معاني، سكن الجوانح والصدور، بدل الأرايك والخدور، ولحن في دياجي ظلم هذه الأحاجي، كأقمار في أطمار، بهرن وما ظهرن، وسطعن وما لمعن، فعشقن وما رمقن، واستملحن وما ملحن. أدرن خمور أجفانهن على ما خوريات ألحانهن، فهيجت البلابل نغم هذه البلابل، واستفرغته الأكياس، مترعات تلك الأكواس. ما سحر **بابل**، كخمر بابل، ولا منتقى[1] أغانيهن الأوايل، كحمايكم الهوادل، إن وصلت هديلها بخفيف، وصلن ثقيلهن بخفيف. إيه أيها الشمري المشمعل، دعنا من حديثك المضمحل، سر بنا أيها الفارس النَّدْس[2]، من حظيرة النفس، إلى حضرة القدس، صرح بإطلاق الجمال، وجل من عالميتك الملكوتية في أفسح مجال، تمش بين مقاصر قصورها، ومعاصر خمورها، رخي البال،

[1] في الإسكوريال: ((مثقلات)).
[2] أي الفارس السريع في الطعن.

مرخي السربال، فما ينسج لك على منوال، نادم عليها من شغف دن **سقراط**، إن استحسنت لها حسان، فما يصلح لك، **صالح بن علاط**. بت صريع محياها، فقد أوصت بمعالجة عقير معاقرة عقارها بقراط، **لا تخش** صاحب شرطتها، فلا شرط له عليك ولا اشتراط، مالك غير مبديك الأول، من قال امتثل الأمر، وما عليك من أمر وال. على رسلك ما هذا العجل، **لا خطأ** تتوقعه ولا خطل، أمكره أنت في هذه الكريهة، أم بطل. لو علم أنك ضبارية هذا الخميس، وخبعثة[1] ذلك الخميس، لما عانى اليمُّ رسيس، شوقاً إليك **محمد بن خميس**، على أن لا غالب اليوم لأني غالب، ولا طالب يدرك شأو هذا الطالب، فقه بلا تفهيق، وحذق في تحذلق. أقسم **أبا الفضل** بمالك على **أبي البركات** من الفضل، ذلك العراقي الأرومة، لا هذا الفارس الجرثومة، وإن يك ذلك، **إسرايلي** الأصل، وهذا **إسمعيلي** الجنس، علوي الفضل. فلتلك الذات، شرف تلك الأدوات. قدم لي غالبنا

[1] في الزيتونة: ((بنعشته)).

المذكـور، مــن بأســه الغــر لأرفــع، وأســمى مــن مقعــد، وقوطيهـم المشهـور، مـن **إغرناطـة** الحمـراء، ومـن متبـوأ أبـي أميتهـم المرحـوم، مـن جنات **جزيرتهـم الخضـراء**، فيمـا لنـت **أبـا الفضـل** مـن هـذه العربجة[1]، وألـوك[2]. أرأيـت فـي عمـرك، مثـل هـذا الصعلـوك، لا واللـه مـا عـلى ظهـر هـذه الغبـراء، مـن يتظاهـر بمثـل هـذه المعرفـة فـي بـني غبـرا. فـأي شــيء هـذا المنـزع إيـش، لا حــال لنـا معـك ولا عيـش، مـن يضحـك عـلى هـذا الطيـش. مـا هـذا الخبـل، أخمـار بـك أم ثمـل، إرجـع إلـى مـا كنـت بصـدده، وقيـت الزلـل، خـذ فـي الجـد فمـا يليـق بـك الهـزل. رق عـن ذلـك فحـك لنـا منـه أرق غـزل، مـاذا أقـول، وأي عقـل يطاوعـني عـلى هـذا المعقـول. أفحمتـني واللـه عـن مكالمتكـم هـذه المحـن، ومنعتـني مـن طلـب مسالمتكـم، مـا لكـم علـي فـي دنياكـم هـذه مـن الإحـن. إن تكلمـت كلمـت، وإذا استعجمـت عجمـت. أمـا لهـذه العلـة آس، أم عـلى هـذه الفيلـة مـواس؛ مـا حيلـتي فـي طبـع بلدكـم

[1] في الزيتونـة: ((العجرتـه)).
[2] نفسـه: ((والـدك)).

الجاسي. أما يلين لضعفي أما يرق[1] قلب زمانكم القاسي. ما هذه الدّمن يا بني خضروات الدّمن، أظهرتم المحن، فقلب لكم ظهر المِجَن[2]. إن مر بكم الولي حمّقتموه، وإن زجركم العالم فجرتم عليه ففسقتموه، وإذا نجم فيكم الحكيم، غصصتم به، فكفرتموه وزندقتموه، كونوا فوضى، فما لكم اليوم مَسْراً سِواه[3] واذهبوا من مراعيكم المستوبلة، حيث شئتم، فقد أهملكم الرعاة. ضيعتم النص والشرائع، وأظهرتم في بدعكم العجايب والبدايع. نفقتم النفاق، وأقمتم سوق الفسوق على ساق. استصغرتم الكباير، وأبحتم الصغاير. أين غنيكم الشاكر، يتفقد فقيركم الصابر، أين عالمكم الماهر، يرشد متعلمكم الحاير. مات العلم بموت العلماء، وحكم الجهل بقطع دابر الحكماء. جرد لنا شريعتك يا أفضل الشارعين. أتم فيها موعظتك يا أفصح التابعين. لا والله [ما يوقظكم][4] من

---

[1] في الإسكوريال تكررت هنا كلمة: ((أما يلين))؛ والتصويب تم من كتاب المنتخب النفيس.
[2] قلب له ظهر المجن: مثل يضرب لمن كان مع صاحبه على حال من المودة؛ ثم تغير حاله، وانقلب عليه.
[3] في الإسكوريال: ((مسراه)).
[4] أضيفت هذه العبارة من الزيتونة.

هـذا الوسـن، وعـظ الحسـن، ولا ينقذكـم مـن فتـن هـذا الزمن، إلا سيف معلمه **أبي الحسن** والسلام.

قدم غرناطة

في أواخر عام ثلاثة وسبعماية[1].

وتوفي

في يوم مقتل صاحبه الوزير **أبي عبد الله بن الحكيم**، فرّ من دهليز جاره فيمن كان بها من الأعلام، بعد أن نهبت ثيابه، حسبما جرى على غيره من الحاضرين، وهو يقول، هكذا تقوم الساعة بغتة. ولقيه بعض قرابة السلطان، ممن كان الوزير قد وتره، فشرع الرمح إليه، فتوسل إليه برسول الله، فلم يقبل منه، وطعنه، فقتله يوم عيد الفطر؛ عام ثمانية وسبعماية[2]، وآخر العهد به، مطرحاً بالعراء، خارج **باب الفخارين**، لا

[1] **الموافق لـ 1303م.**
[2] **الموافق لـ 1308م.**

يعلم قبره[1]، لمكان الهرج في تلك الأيام. نسـل اللـه جميـل ستـره. وسـاء بأثـر قتلـه إياه حـال [ذلـك الرجـل][2] وفسـد فكره، وشرد نومه وأصابته علة ردية، فكان يثب المرة بعد الأخرى، يقول: **ابـن خميس** يقتلني، حتى مات لأيام من مقتل المذكور[3].

***

[1] في الإسكوريـال: ((مكانـه)).
[2] في الزيتونـة: ((قاتلـه)).
[3] كتب عنـان هنـا هذا التوضيح؛ فقـال: ((نـود أن نشير هنـا إلى أننـا قد انتفعنـا بمراجعة شعر ابـن خميس ونثره؛ على مـا ورد منهمـا في كتـاب (المنتخب النفيس مـن شعر أب عبـد اللـه بـن خميس. تلمسـان سنـة 1965). لصديقنـا العلامـة الأستـاذ عبد الوهـاب بـن منصور مؤرخ المملكـة المغربيـة.

محمد بن عمر

ابن علي بن إبراهيم المليكشي[1]؛ يكنى أبا عبد الله.

حاله

كان فاضلا، متخلقاً، أديباً، شاعراً، صوفياً، جميل العشرة، حسن الخلق كريم العهد، طيب النفس. كتب عن الأمراء **بإفريقية**، ونال حظوة، ثم شرق وحج، ولقي جلة، ووصل **الأندلس** عام ثمانية عشر وسبعماية[2]، فلقي **بغرناطة** حفاية، وانسحبت بها عليه جراية، ثم انصرف إلى وطنه، وناله به اعتقال، ثم تخلص من النكبة، وأقام به، يزجى وقته إلى آخر عمره.

وجرى ذكره في **الإكليل الزاهر**: كاتب الخلافة، ومشعشع الأدب المزري[3] بالسلافة، كان يرحمه الله، بطل مجال، ورب روية وارتجال، قدم على هذه البلاد، وقد نبا به وطنه، وضاق ببعض الحوادث عطنه، فتلوم بها تلوم

---

[1] توجد ترجمة محمد بن عمر المليكشي أيضاً في: نيل الابتهاج، والدرر الكامنة، ورحلة البلوي، ونفح الطيب.
[2] الموافق لـ 1318م.
[3] في النفح: ((الذي يزري)).

النسيم بين الخمايل، وحل بها[1] محل الطيف من الوشاح الجايل، ولبث مدة إقامته تحت جراية واسعة، ومبرة[2] يانعة. ثم آثر قطره، فولي وجهه شطره، واستقبله دهره بالإنابة، وقدله خطة الكتابة، واستقامت[3] حاله، وحطت رحاله، وله شعر أنيق، وتصوف وتحقيق، ورحلته[4] إلى **الحجاز**، سببها[5] في الخبر وثيق، ونسبتها[6] في الصالحات[7] عريق.

شعره

نقلت من خط الوزير **أبي بكر بن ذي الوزارتين**، مما قيد عنه، وكان خبيراً بحاله[8]:

---

[1] في النفح: ((منها)).
[2] نفسه الطيب: ((وميرة)).
[3] نفسه: ((فاستقامت)).
[4] نفسه: ((ورحلة)).
[5] نفسه: ((سعيها)).
[6] نفسه: ((ونسبها)).
[7] في الإسكوريال: ((الصامتات)).؛ وصوبت من نفح الطيب.
[8] هذه القصيدة موجودة في نفح الطيب؛ وهي من البحر الطويل.

رضًى نِلــتِ من كلِّ ما يَهــوَى[1]
فلا توقفني[2] موقف الذل والشكــوى
وصفحاُ عن الجاني المسيء لنفسه
كفاه الذي يلقــاه من شدة البلــوى
بمــا بيننــا من خلــوة معنويــة
أرق من النجوى وأحلى من السلوى
قفي أتشكى لوعة البيــن ساعــة[3]
ولا يك هذا آخــر العهد بالنجــوى
قفي [ساعة في][4] عرصة الدار وانظري
إلى عاشق لا يستفيــق من البلــوى
وكم قد سألت الريح شوقاً إليكــم
فمــا حنَّ مسراها إليّ[5] ولا ألــوى

---

[1] ورد هذا الشطر في نفح الطيب هكذا:
((رضًى نِلتِ ما ترضين من كلِّ ما يَهْوَى)).
[2] في النفح: ((فلا توقفيني)).
[3] في الإسكوريال: ((يا علوا))؛ وصوبت من نفح الطيب.
[4] في النفح: ((ساعديني)).
[5] نفسه: ((عليَّ)).

فيا ريح حتى أنت ممن يغار بي

ويا نجد حتى أنت تهوى الذي أهوى

خلقت ولي قلب جليد على النَّوى

ولكن على فقد الأحبـــة لا يقـــوى

وحـدث بعـض مـن عُـنِيَ بأخبـاره أيـام مقامـه **بمالقـة** واستقراره؛ أنه لقي ليلة[1] **بباب الملعب** في[2] أبوابها ظبية من ظبيات الأنس، [وفتنة من فتن][3] هذا الجنس؛ فخطب وصالها، واتقى بفؤاده نصالها، حتى همت بالانقياد، وانعطفت انعطاف الغصن المياد، فأبقى على نفسه، وأمسك، وأنف من خلع العذار، بعد ما تنسك، وقال[4]:

لم أنـــس وقفتنـــا بباب الملعـــب

بين الرجـــا واليـــأس من متجنـــب

[1] سقطت كلمة: ((ليلة)) في نفح الطيب.

[2] في النفح: ((من)).

[3] نفسه: ((قينة من قينات)).

[4] هذه القصيدة موجودة في نفح الطيب. وهي من البحر الكامل.

وعـــدت فكنت مراقباً لحديثهـــا

يـــا ذل وقفـــة خايـــف مترقـــب

وتذلَّلَـــت[1] فذللـــت بعد تعـــزُّز

يأتي الغـــرام بكل أمـــر معجـــب

بدويـــة أبـــدى الجمال بوجههـــا

ما شيت من خَـــدّ شريق[2] مذهـــب

تدنـــــو وتبعـــد نفـــرة وتجنبـــاً[3]

فتكـــاد تحسبهـــا مهـــاة الرَّبْـــرَب[4]

ورنت بلحظ فاتـــر لـــك فاتـــن[5]

أنضى وأمضى من حسام المضرب

وأرتـــك[6] بابل سحرها بجفونهـــا

فسبـــت وحـــق لمثلها أن تستـــب[7]

---

[1] في النفـح: ((وتدَلّلـتْ)).
[2] أي خـدّ مُشـرق.
[3] في النفـح: ((وتجنيـاً)).
[4] أي القطيـع مـن البقـر الوحـشي.
[5] كتب هذا الشطـر في النفـح هكـذا: ((ورنـت بلحـظ فاتـن لـك فاتـر)).
[6] في الإسكوريـال: ((وأتـاك))؛ وصوبـت مـن النفـح.
[7] جعلهـا د. طويـل: ((تستـبي))؛ باليـاء.

وتضاحكت فحكت بنيِّر ثغرهــا
لمعات[1] نــور ضيــاء برق خُلَّــب[2]
بمنظم في عقد سمطي جوهــر
عــن شبه ثور الأقحوان الأشنــب
وتمايلت كالغصن أخضله النَّدَى[3]
ريان من ماء الشبيبــة مخصــب
تثنيــه أرياح[4] الصبابة والصِّبــا
فتــراه بيــن مشــرق ومغــرب
أبــت الروادف أن تميل بميلــه
فرست وجــال كأنــه في لولــب
متتوجــاً بهلال وجــه لاح في
خلل السجوف[5] لحاجب ومحجــب
يا من رأى فيها محبــاً مغرمــاً
لــم ينقلــب إلا بقلــب قلــــب

---

[1] في النفـح: ((لمعـان)).
[2] أي المُطْمِع المخـادع؛ الـذي لا مطر مـن ورائـه.
[3] أي بللـه النـدى.
[4] في النفـح: ((أرواح)).
[5] نفسـه: ((السحـاب)).

ما زال مـــذ ولى يحاول حيلـــة
تدنيـــة من نيـــل المنى والمطلـــب
فأجال نار الفكر حتى أوقـــدت
في القلـــب نـــار تشـــوق وتلهـــب
فتلاقت الأرواح قبل جسومهـــا
وكذا البسيط يكـــون قبـــل مركـــب

ومن مقطوعاته البديعة، مما سمع منه **بغرناطة**، حرسها الله، أيام مقامه بها قوله[1]:

أرى لـــك يا قلبي بقلبي محبَّـــة
بعثت بها سرّي إليك رسولا
فقابله بالبشـــر[2] واقبـــل عشيَّـــة
فقد هبَّ مِسْكي[3] للنسيم عليلا
ولا تعتذر بالقطر أو بلـــل النَّدَى
فأحسن ما يأتي النسيم بليـــلا

[1] هذه الأبيات موجودة في نفح الطيب؛ وهي من البحر الطويل.
[2] في النفح: ((البشرى)).
[3] نفسه: ((مسك)).

ونقلت من خط الفقيه القاضي **أبي جعفر الرعيني**، مما أملاه علي بمنزله **بغرناطة**. قال وحضرت في عام ثلاثة عشر وسبعماية[1]، يوم إحرام **الكعبة** العلية، وذلك في شهر ذي القعدة على اصطلاحهم في ذلك، وصفته أن يتزين سدنة البيت من **شيبة** بأحسن زي، ويعمدوا إلى كرسي، يصل فيه صاعده، إلى ثلث الكسوة، ويقطعها من هنالك، ويبقى الثلثان إلى الموسم، وهو يوم مشهود عند سكان الحرم، يحتفل له، ويقوم المنشدون أدراج الكعبة ينشدون. فقلت في ذلك[2]:

ألم ترها قد شمرت تطلب الجدا
وتخبر أن الأمر قد بلغ الحدا
فجد كما جدت إليها وشَمِّرْ
عن الساعد الأقوى تنل عندها سعدا

[1] الموافق لـ 1313م.
[2] هذه القصيدة من البحر الطويل.

طوت بردها طي السجل كنايــة

لأمر خفي ســره طــوت البــردا

وأنــدت محياها فحيــا[1] جمالــه

وقبل على صون المقلة[2] ذلك الخدا

فكم سترت سود البرود جمالهــا

وغطتــه لكن عن سنهــا الرمــدا[3]

وكم خال ذاك الخال عما مقصر

عن العلم بالأنساب لا يعرف الحدا

لقد سفرت عن وجهها الكعبة التي

لهــا المســنِيٌّ في حسنها المبــدا[4]

وقالت ألا أين مكللي قصدوا إلى[5]

جمالي فقد أبدى الحجاب الذي أبــدا

---

[1] جعلها د. طويل: ((فَحَيِّي)).
[2] جعلها د. طويل: ((صوت المقى)).
[3] هذا الشطر مختل.
[4] تصرف د. طويل؛ فجعل هذا الشطر هكذا:
((لها الحجر المسني في حسنها المبدا))؛ بحجة سلامة الوزن.
[5] هذا الشطر مختل.

فلبـــت لها العشاق من كل جانب
يومونهـــا يستقربـــون لهـــا البعـــدا
فمن ندف أشفى على تلف ومن
محب على قرب يهيـــم بها وجـــدا
ومن ساهر على النجوم ولم يذق
بعينيه طعم النور أو يبلغ القصـــدا
يسائل عن بـــدر وبدر تجاهـــه
كذلك[1] اشتراك اللفظ قد ينغص الخدا
ومـــن مستهام لا يقـــر قـــراره
كأن بـــه من حـــر أشواقـــه وقـــدا
يقلب قلبـــاً بين جنبيـــه موريـــا
أوار الأسى فيـــه فتحسبـــه زنـــدا
إذا ما حدى حادي الركاب ركابه
كـــأن قلوب الراكبيـــن لـــه نجـــدا
أحاد بها إن أنت جئت بها مـــنى
ونلت المنى والأمن فانزل ورُدْ وردا

---

[1] **جعلها د. طويل: ((كذاك))؛ من أجل الوزن.**

ولا خوف هذا الخيف[1] والتربة التي

سـرت[2] قد عين المصطفى عـدا

وفي عرفات فاعترف وانصرف إلى

مشاعر[3] فيها يرحـم المالك العبـدا

وإن كنت من أوفى العبيد جرايما

فحسن نبيل العقد من ربك العقـدا

لين صدقت فيك الوعيد جرايـم

فعفواً لجميل[4] الصفح يصدقك الوعدا

وعد مفضياً للبيت طف واستلم وقم

بها للمقام الرحب واسجد وكن عبدا

ورد في الثنا والحمد والشكر واجتهد

فمن عرف الإحسان زادته حمـدا

---

[1] الخيف: غرة بيضاء في الجبل الأسود الرابض خلف جبل أبي قبيس بمكة المشرفة؛ وعلى ذلك سمي مسجد الخيف المتواجد بها.

[2] تصرف د. طويل؛ فأضاف كلمة ((بهما)) بعد كلمة ((سرت))؛ من أجل الوزن.

[3] المشاعر: هي مواضع مناسك الحج. والمشعر الحرام: موضع بين عرفات ومنى؛ وفيه يقول تعال: [لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ). سورة البقرة؛ الآية: 198.

[4] حذف د. طويل اللام؛ فأضحت: ((جميل)).

وعج نحو فرض الحب وأقض حقوقه
وزر قبر من أولاك من هديه رشدا

قال، وكنت في زمن الحداثة، أفضل الأصيل على السحر، وأقول فيه رقة المودع ورقة المعتذر. فلما كان أوان الأسفار، واتصلت ليالي السير، إلى أوقات الأسحار، رأيت أفق الشرق أشرق، ووجدت القايل يفضل السحر أصدق، فابتدأت راكباً، فلما جيت لذكر الجناب العلي النبوي، أتممت ماشياً، وأنا في **رملة** بين **مصر وعقبة** إيله، وقلت[1]:

ما أحسن الأفق الشرقي إسفارا
فكم هذا في دجى الإدلاج أسفارا
إذا بدا سارت الأظعان هادية
له وصارت به الظلماء أنوارا
يجلو غياهب ليل طالما سدلت
على المحبين في الظلماء أستار

[1] هذه القصيدة من البحر البسيط.

ونـــمَّ منـــه نسيـــم ثم ذا بعـــد
على أحاديـــث كانـــت ثم أســـرارا
سرت سحيراً فبرَّت سرّ ذي سحر
أهدت له ريح من يهـــواه معطـــارا
سرت ببانات أكناف اللِّوى فغدت
كـــأن داريـــن قـــد أصبحت دارا
طابت بطيبـــة أرواح معطـــرة
بهـــا فأصبح أفـــق الشوق عطـــارا
كأنما فلـــق الإصباح حين بـــدا
خدر بهجة[1] حسن الشمس قـــد وارا
حقي بدت وتبدت حسن صورتها
فعممتـــه[2] الأرض أنجاداً وأغـــوارا
كأنه دعوة المختار حين بـــدت
دانت لها الخلق إعلاناً وإصـــرارا

---

[1] جعلها د. طويل: ((خدَّ وبهجة)).
[2] جعلها د. طويل: ((فعَمَّت)).

من نوره كل نور أنت تبصـــره
ونوره زاد الأبصــار[1] إبصـارا
هدا بـــه الله أقوامـــاً به سعـــداء[2]
لولاه كانــوا مـــع الكفــر كفــارا
هو الشفيع الذي قالت شفاعتـــه
للموبقيــن ألا لا تدخلــوا النــــارا
هو العَفُوُّ[3] عن الجاني وإن عظمت
من المسيء ذنوب كــان غفــــارا
هو الكريم الذي مـــا ردّ سائلـــه
يوما ولو كـــرر التسـآل تكـــرارا
هو الحبيـــب الذي ألقى محبتـــه
في كل قلـــب فقلبي نحـــوه طـــارا
أحبـــه كل مخلوق وهـــام بـــه
حتى الجمادات أحجاراً وأشجـــاراً

---

[1] **جعلها د. طويل: ((للأبصار)).**
[2] **جعلها د. طويل: ((سعدا)).**
[3] **أي كثير العَفْو.**

وانشق بدر الدجا من نور غرته

وانهلت السحب من كفيــه أنهــارا

ومن مقطوعاته، قال: ومما نظمته في ليل السرى، وتخيل طيف الكرى، مبدأ قصيد قصدته أي معنى أردته، أشغل عنه ما بي منه[1]:

منع الهجر من سليمى هجوعــا

فانثنى طبعها يريد الرجوعــا

بعثتــه ليــلا يعلــل قلبــــاً

مستهامــاً بها محبــاً ولوعــا

لم يجد غير طرف جفن قريــح

شاخصا نحوها يذر الدموعــا

وكتب إلى صديقه شيخنا **أبي بكر بن شبرين** من **بجاية**، وهو معتقل **بقصبتها**، وقد امتحنه بذلك **أبو عبد الله بن سيد الناس**[2]:

---

[1] **هذه الأبيات من البحر الخفيف.**
[2] **هذه القصيدة من البحر الخفيف.**

شـــرح حالي لمن يريد سؤالي

إنني فـــي اعتقـــال مولى المـــوال[1]

مطلـــق الحمد والثنـــاء عليـــه

وهـــو للعطـــف والجميـــل مُـــوال

لا أرى للـــولاة فـــيّ احتكامـــا

وولـــيٌّ مـــال عـــلى كـــل وال

أرتجي بالمصاب تكفيـــر ذنـــبي

حسبما جـــاء في الصحاح العـــوال[2]

لا تدوم الدُّنَـــا ولا الخير فيهـــا

وكـــــذا الشـــــر ذا وذا للـــزوال

فاغتنم ساعة الوصال وكـــم من

محنـــة وهي منحـــة مـــن نـــوال

فإذا غبت عنك فاحضر تجدهـــا

للجـــواب المفيـــد عـــن الســـؤال[3]

---

[1] أضـاف د. طويـل؛ اليـاء فأضحـت: ((المـوالي)).
[2] أضـاف د. طويـل؛ اليـاء فأضحـت: ((العوالي)).
[3] هـذا الشطـر مختـل.

فهي نور للنهــار[1] والنور منهـــا
وهي الأنـــس في الليـــالي الطـــوال
فاستدمها تـــدم ولا تضج منهـــا
وأدرهـــــا عـــلى اليميـــــن ووال

فـإن الكـأس مجراهـا عـلى اليميـن، ومسراهـا لـفي الصبح المبين، تغني عـن الإصبـاح والمصبـاح، وتـدني لهـم معـنى النـور المشـرق فـي الوجـوه الصِّبـاح، وتجـري فـي الأشباح، فتسري في الأرواح. وهذه الرسالـة طويلـة، فيهـا كل بديع من نظم ونثر. فأجابه رحمه الله[2]:

أرغمـــنّ هـــذه القيـــود الثقـــال
رب ودّ مصيـــره للتغـــال[3]
طال صبري على الجديدين حتى
كدت مما لقيت أن يشفقا ل[4]

---

[1] جعلها د. طويل: ((النهار)).
[2] هذه القصيدة من البحر الخفيف.
[3] أضاف د. طويل؛ الياء فأضحت: ((للتغالي)).
[4] أضاف د. طويل؛ الياء فأضحت: ((لي)).

إن بعـــض الرضا لديه فسيـــح
أيّ مـــدد[1] بـــه وأيّ ابتقـــال
حـــاش للـــه أن أكـــون لـــشيء
شـــاده الصانع القديم بغـــال
إن عنـــدي مـــن الثنـــاء عليـــه
لأمـــاني لـــم يملهنَّ القـــال[2]
يا إمـــامي الذي بودي لـــو أمـــ
ـــكن نصي[3] إليه أوار قـــال
أرجُ دنياك وأرج مولاك واعلـــم
أن راجي سواه غيـــر مقـــال
وابتغاء الثواب من ربك اعمـــل
فهو يجزي الأعمال بالمثقال
واغتنـــم غيبـــة الرقيب ففيهـــا
لقلـــوب الرجال أي صقـــال

---

[1] جعلها د. طويل: ((مَدًّ)).
[2] أضاف د. طويل؛ الياء فأضحت: ((القالي)).
[3] جعلها د. طويل: ((نصلي)).

وأحل في الوجود فكــر غَــنيّ
عن ضروب الإنعام والأحقال
وإذا الوقت ضاق وسعه بالصبـــ
ـــر ولا تنس من شهير المقــال
ربما تكـــره النفـــوس من الأمـــ
ـــر له فرحـــة كحل العقــال

لا غرو أن وقع توان، أو تلوم دهر ذو ألـوان، فالأمـر بين الكاف والنون، ومـن صبـر، لـم يبـوء بصفقـة المغبـون. وللسعــداء تخصيــص، ومــع التقريــب تمحيــص، ومــا عــن القضاء محيص، والمتصرف في مالـه غير معتوب، وقديـم الحقيقة إلى الحيف ليس بمنسوب. وقد ورد خطاب عمـادي أطاب الله محضره، وسدد إلى المرامي العلية نظره، ناطقاً بلسان التفويض، سارحا من الرضا فـي الفضـاء العريـض، لايذاً بالانقياد والتسليم، قايماً علـى أسْكُفَّـة[1] بـاب الأدب، لمثابة حكم الحكيم. ومنها: والوقايع عافاكم الله وعـاظ

[1] أسكفَّة الباب: خشبته التي يوطأ عليها.

ونحـن هجـود. وفـي الـحي إيقـاظ، ومـا كـل المعـاني تؤديهـا الألفـاظ. وهـذا الفنـاء الـذي نشـأ عـن الوقـت، هـو إن شـاء الله عين البقيا. وإذا أحب الله عبداً حماه الدنيا، ومـا هـي إلا فنون، وجنـون فنـون، وحديـث كلـه مجـون. وقـد يجمـع اللـه الشتيتيـن، ولـن يغلـب عسـر يسريـن ولا بـأس، ويـا خطـب لا مسـاس وأبعـد اللـه اليـأس، وإنمـا يـوفي الأجـر الصابرون: و﴿لاَ يَيْأسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاّ القَوْمُ الكَافِرُونَ﴾[1].

وهي طويله بديعة. أسمـع بحضـرة **غرناطـة** لمـا قـدم عليهـا، وارتسم في جملة الكتاب بها، وحدث عـن **رضـي الديـن أبـى أحمـد إبراهيـم الطهـري**، بسماعه مـن الشريـف **يونـس ابـن يحيى الهاشـمي**، وبسماعه من **أبي الوقـت طـرّاد**. وعـن الإمام **سـراج الديـن أبـي حفـص عمـر ابـن طـرّاد المعـري** القاضي بالحرم الشريف، وعـن **شـرف الديـن أبـي عبـد اللـه محمـد بـن عبـد الحميد الهَمَـداني**، وعـن الإمـام **بهـاء الديـن الخميـري** عـن **أبـى الطاهـر السلـفي**، وعـن جماعـة غيرهـم.

---

[1] **الآيـة كاملـة هكـذا: [يَـا بَنِـيَ اذْهَبُـوا فتَحَسّسُـوا مِـنْ يُوسُـفَ وَأخِيـهِ وَلاَ تَيْأسُـوا مِـنْ رَوْحِ اللـهِ إنّـهُ لاَ يَيْـأسُ مِـنْ رَوْحِ اللـهِ إلاّ القـوْمُ الكَافِرُونَ). سـورة يوسـف؛ الآيـة: 87.**

وكـان وروده عـلى **الأندلـس** فـي أوايـل عـام خمسـة عشـر وسبعماية[1]، وحضر بها غـزوات، ولـقي مــن كـان بهـا مـن الأعـلام. ثـم انصـرف عنهـا فـي أوايـل عـام ثمانيـة عشـر[2]، وأحـل **بسبتة**، فأكرم رييسهـا **أبـو عمـر يحيى بـن أبـي طالـب العـزفي** قدومـه، وأنزلـه بـدار جليلـة، كـان بهـا علـو مطـل على البحر، لـم يتمكـن مـن مفتاحـه، لأمـر اقتـضى ذلـك، فكتب إليه[3]:

يا صاحب البلد المليح المشــرق
ما مثلـــه في مغــرب أو مشـــرق

ومنها:

وخَفَضْتَ عيشي فيه فارفعْ منزلي
حتى أرى الدنيـــا بطـــرف مطرق

وتجـول فـي البـلاد، ولـقي مـن بهـا، واتصـل بالأمير **أبي علي بسجلماسة**. ومدحه بقصيدة حفظ لـه منهـا[4]:

---

[1] **الموافق لـ 1315م.**
[2] **718هـ/1318م.**
[3] **البحـر الكامـل.**
[4] **البحـر الطويـل.**

فيا يوسفيّ الحسن والصفح والرضا
تصـــدق على الدنيا بسلطانك العـــدل

ثـم اتصـل بوطنـه.

وفاتـه

نقلـت مـن خـط شيخنـا **أبـي بكـر** المذكـور: وفـي عـام أربعيـن وسبعمايـة[1]، تـوفي **بتونـس** صاحبنـا الحـاج الفاضـل المتصـوف، الكاتـب **أبـو عبـد اللـه محمـد بـن علـي المليكـشي؛** الشهير **بابـن عمـر**، صـدر فـي الطلبـة والكتـاب، شهيـر ذو تواضـع وإيثـار، وقبـول حسـن، رحمـه اللـه.

***

[1] **الموافق لـ 1339م.**

محمد بن علي

ابن الحسن بن راجح الحسني[1]؛ من أهل تونس؛ يكنى أبا عبد الله.

حاله

هذا الرجل الفاضل، صاحب رواء وأبهة، نظيف البزة، فاره المركب، صدوف عن الملة، مقيم للرسم، مطفف في مكيال الإطراء، جموح في إيجاب الحقوق، مترام إلى أقصى آماد التوغل، سخي اللسان بالثناء ثرثاره، فكه مطبوع، حسن الخلق، عذب الفكاهة، مخصوص حيث حل من الملوك والأمراء بالأثرة، وممن دونهم بالمداخلة والصحبة، ينظم الشعر، ويحاضر بالأبيات، ويتقدم في باب التحسين والتقبيح، ويقوم على تاريخ بلده، ويثابر على لقاء أهل المعرفة، والأخذ عن أولي الرواية. قدم على **الأندلس** في إحدى جمادين، عام خمسين وسبعماية[2]، مفلتاً من الوقيعة[3] بالسلطان **أبي**

---

[1] توجد ترجمة محمد بن راجح الحسيني أيضاً في نفح الطيب.

[2] الموافق لـ 1349م.

[3] يقصد الانكسار الذي وقع للملك المريني أبي الحسن في تونس؛ وعودة بني زيان لإقامة مملكتهم بتلمسان؛ وتصديهم لأبي الحسن أثناء عودته؛ والإيقاع بقواته؛ بعد قتل ولده الناصر ونهب معسكره. وكان يقود جيش

الحسن بالجهات الشرقية، بأيدي **بني زيان** وأحلافهم، فمهد له سلطانها، رحمه الله، كنف بره، وأواه إلى سعة رعيه، وتأكدت بيني وبينه صحبة.

شعره

كتبت إليه لأول قدومه بما نصه؛ أحذو حذو أبيات، ذكر أن شيخنا **أبا محمد الحضرمي** خاطبه بها[1]:

أمــن جانب الغربي نفحة بارح
سرت منه أرواح الجوى في الجوانــح[2]
قدحت بها زنــد الغــرام وإنمـــا
تجافيت في ديــن السلــو لقـــادح
ومـــا هـــي إلا نسمة حاجريـــة
رمى الشوق منها كل قلب بقـــادح

بني زيان أبو ثابت بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن. حدث ذلك في سنة 750هـ/1349م.

[1] توجد هذه القصيدة في نفح الطيب؛ وهي من البحر الطويل.

[2] في النفح: ((الجوارح)).

رجحنا لها من غير شك[1] كأنهـــا
شمايل أخلاق الشريف ابن راجـــح
فتى هاشم سبقـــاً إلى كل عليَّـــة[2]
وصبراً معار الحبل[3] في كل فـــادح[4]
أصيل العلا جم السيادة ذكـــره
طـــراز نضار في برود المدايـــح
وفرقان مجد يصدع الشك نوره
حبـــا الله منه كل صدر بشـــارح
وفارس ميدان البيان إذا انتضى
صحايفه أنســـت مضاء الصفايـــح
رقيق كما راقتك نغمـــة ساجـــع
وجـــزل كما راعتك صولة جارح

[1] هكذا في النفح؛ وفي الإسكوريال: ((سكر)).
[2] في النفح: ((غاية)).
[3] نفسه: ((مغار الفتل)).
[4] أي في كل خطب يثقل حمله.

إذا ما احتبى مستحفزاً[1] في بلاغة

وخيـــض[2] خضم القول منـــه بسابح

وقد شرعت في مجمع الحفل نحوه

أسنـــة حـــرب للعيـــون اللوامـــح

فما ضعضعت منه لصولة صادح[3]

ولا ذهبـــت منه بحكمـــة ناصـــح

تذكرت قســاً قايماً في عكاظـــه

وقد غــص بالشم الأنوف الجحاجح

ليهنك شمس الدين ما حزت من علا

خواتمهـــا[4] موصولـــة بالفواتـــح

رعى الله ركباً أطلع الصبح مسفراً

لمرآك من فوق الربى والأباطـــح

---

[1] في النفـح: ((مستحضـراً)).
[2] نفسـه: ((وخـوض)).
[3] نفسـه: (صـادع)).
[4] نفسـه: ((خواتمـه)).

ومنها :

أقول لقومي عندما حط كورهـــا
وساعدها السعدان وسط المســـارح[1]
ذروها وأرض الله لا تعرضوا لها
بمعرض سوء فهي ناقـــة صالـــح
إذا ما أردنا القول فيها[2] فمن لنا
بطوع القـــوافي وانبعاث القرايـــح
بقيـــت منى نفس وتحفة رايـــد[3]
ومـــورد ظمـــآن وكعبـــة مـــادح
ولا زلت تلقى الرحب[4] والبر حيثما
أرحـــت السرى من كل غاد ورايح

فأجابني بما نصه[5]:

أمن مطلـــع لأنوار لمحة لامـــح
[تعـــار لمفقود][6] عن الحي نـــازح

---

[1] في النفـح: ((الأباطـح)).
[2] نفسـه: ((فيـه)).
[3] نفسـه: ((قـادم)).
[4] نفسـه: ((البـرّ والرحـب)).
[5] هـذه القصيـدة موجـودة في نفـح الطيـب وهي مـن البحـر الطويـل.
[6] في النفـح: ((تُعـاد لمَفْـؤود)).

وهل بالمنى من مورد الوصل يرتوي

غليــل عليــل للتواصــل جانــح

فيا فيض عين الدمع مالك والحمى

ورند الحمى والشيح شيح المشايــح[1]

مرابــع آرامي ومــورد نــاقتي

فسقيــاً لها سقيــاً لناقــة صالــح

سقى الله ذاك الحي ودقــاً[2] فإنــه

حمى لمحات العين عن لمح سامح[3]

وأبدى لنا حور الخيام تــزف في

حلى الحسن والحسنى وحلي الملامح

ترى حي تلك الحور للحور مهيع[4]

يــدل وهــل حسم لــداء التبــارح

---

[1] **في النفـح: ((الأشايـح)).**
[2] **أي مطـراً.**
[3] **في النفـح: ((لامـح)).**
[4] **المهيـع: الطريـق الواضـح.**

ويا دوحة الرُّويحان[1] هل لي عودة

لعقر عقار[2] الأنـس بين الأباطـح

وهـل أنت إلا طُلَّـةٌ[3] حاتميـة

تغـص نواديهـا بغـاد ورايـح

أقام بها الفخر ابن الخطيب[4] منابراً

لترتيـل آيـات النـدى والمنايـح

وشفع بالإنجيـل حمـد مديحـه

وأوتر بالتَّـوْراة[5] شفـع المدايـح

وفرق بالفرقـان كـل فريقـة

نأت عن رشاد فيه معنى[6] النصايح

وهل هـو إلا للبريـة مرشـد

لكل هدى هـاد لأرجـح راجـح

---

[1] في النفـح: ((الريحـان))؛ وهـذا أسلـم.
[2] نفسـه: ((لعفـر عفـار)).
[3] نفسـه: ((حُلَّـة)).
[4] نفسـه: ((الخطيـب))؛ بـدون ((ابـن)).
[5] في الإسكوريـال: ((التوريـة))؛ وصوبـت مـن النفـح.
[6] في النفـح: محـض)).

[فبشراك شمس الدين][1] ساد بك الورى
وأورى الهدى للرشد أوضح واضح
متى قلت لم تترك مقالا لقايـــل
فإن[2] لم تقل لم يُغْن حمـــد[3] لمـــادح
فمن حام بالحي الذي أنت أهلـــه[4]
وعام ببحر من عطايـــك[5] طافـــح
يحـــق له أن يشفع الحمد بالثنـــا
ويغدو بـــذاك البحـــر أسبح سابـــح
ويا فوز ملك دمت صدر صدوره
وبشرى لـــه قد راح أربح رابـــح
بآرايك التي تـــدل على الهـــدى
وتبدي لمن خصصت سيل[6] المناجح

[1] في النفـح: ((فبشـرى لسـان الديـن)).
[2] نفسـه: ((وإن)).
[3] نفسـه: ((مـدح)).
[4] نفسـه: ((ربـه)).
[5] نفسـه: عطايـاك)).
[6] نفسـه: ((سبـل)).

ملكت خصال السبق في كل غاية

وملكت من[1] ملكت يا بان الجحاجح[2]

مطامح آمـــال لأشـــرف همـــة

أقـــل مراميهـــا أجـــل المطامـــح

فدونكها يا مهدي المدح مدحـــة

أجبت[3] بها عن مدح أشرف مادح

يهنيك[4] بالعام الذي عـــمّ حمـــده[5]

مواهب هاتيـــك البحار الطوافـــح

فخذها سَمِيَّ الفخر يا خير مسبل

على الخلق أغضا[6] ستـــور التسامح

ودم خاطب العليا لها خير خاطب

وأتْـــوَق تـــوَّاق وأطمـــح طامـــح

---

[1] في النفـح: ((مـا)).
[2] الجحاجـح؛ مفردهـا جحجـاح: هـو السيـد السمـح الكريـم.
[3] في الإسكوريـال: ((أصبـت))؛ وصوبـت مـن النفـح.
[4] في النفـح: تـهنيـك)).
[5] نفسـه: ((مدحـه)).
[6] نفسـه: ((إغضـاء)). وهـو أسلـم.

وتلقاني **بمالقة** عند قدومي من الرسالة إلى **المغرب**، في محرم عام ستة وخمسين وسبعماية[1]، ونظم لي هذه الأبيات، ولا حول ولا قوة إلا بالله[2]:

قدومك ذا أبدى لذي الراية الحمرا
ثغور الرضا تعبر عن شنب البشرا
وأينع فجر الرشد من فلق الهـــدى
وكونـــه نهـــرا وفجـــره فجـــرا
سرينا له كي يحمد السير والسرى
ونرقب شمش الدين من فرعك الفجرا
ونصبح في أحيان المن[3] نستلـــم
مواطنكم شفعـــاً وآثاركـــم وتـــرا
ونخطب ما يا ابن الخطيب تشا[4] من
كرايـــم ذاك الحي إذ نهزٌ الشعـــرا

---

1 **الموافق لـ 1355م.**
2 **هذه القصيدة من البحر الطويل.**
3 **جعلها د. طويل: ((اللمن)).**
4 **جعلها د. طويل: ((تشاء)).**

فقابلت بالإقبال والبـــر والرضى

وأقريت من يقرا وأقررت من قـــرّا

فأبنّا قدس الحمد حضرة قدسنـــا

وأقدامنـــا تمـــلا وأمداحكـــم تقـــرا

هنيـــا لنا نلنـــا ونلنا ولم نـــزل

ننـــال ولكـــن هذه المنـــة الكبـــرا

رأينا وزير الملْد والملك واللِّوى

وحـــزب اللـــوى كل يشد به أزرا

سجدنا وكبرنا وقلنـــا رسولنـــا

أتى بالذي يرضي بشرى لنا بشـــرا

ويُهني الورى هذا الإياب فإنّ في

نتايجـــه للدهر ما يسهـــر الدهـــرا

أرانا سنا ذا اليوم أجمل منظـــر

وجلى لنا من وجهك الشمس والبدرا

أما والذي أوليت من نعمة غدت

تعلمنـــا للمنعـــم الحمـــد والشكـــرا

لأنـــت لسان الدين للدين حجـــة
تؤيـــده ســـراً وتعضـــده جهـــــرا
بقيـــت لنا كتفاً منيعـــاً مشرفـــاً
ودمت له عضداً ودمت له نصـــرا
ودمنا بكم في كل أمـــن ومنـــة
ندير المنى خمرا أو نصلي[1] العدا جمرا

ومن أمثل ما مدح به السلطان لأول قدومه بالنسبة إلى غير ذلك من شعره[2]:

أما والعيون النجل ترمق عن سحر
وورد رياض الخد والكأس والخمر
وريحانه والراح والطل والطـــلا
ونرجسه والزهر والنـــور والنهـــر
ونور جبين الشمس في رونق الضحى
وهالة بدر التـــم منتصف الشهـــر

---

[1] **جعلها د. طويل: ((ونصلي)).**
[2] **هذه القصيدة من البحر الطويل.**

لقد قلدت آراء يوسـف ملكـه
قلايـد نصر لن تبيـد مع الدهـر
وقد أيـده[1] الإسلام منه بناصـر
نصير وخير النصر نصر بني نصـر
هم القوم أنصار النبي محمد وحـ
ـزبه وعصبة الأعلام في اليسر والعسر[2]
وحسبك من قوم حموا سيد الورى
وقاموا بنصر الحق في السر والجهر
سقى شرعة الإسلام ودق سيوفهم
رحيق الأماني طيب العرف والنشر
فأصبح روض الرشد يعبق طيبه
ودوح الهدى بالزهر أزهاره تزري
فيا سايلي عنـه وعن سطواتـه
إذ لاح محفوفـاً براياتـه الحمـر

[1] جعلها د. طويل: ((أيَّـد)).
[2] تصرف د. طويل؛ في البيت هكذا:
((هم القوم أنصار النبي محمد * بـه عصبة الأعلام في اليسر والعسر)).

وجُزَّ مع الإقدام جيشاً عرمرمـــا
وشـــرد بالتأييــد شرذمـــة[1] الكفــر
لخليلـــة تنبيــك عمـــا وراءهـــا
ولا غرو فالإفصاح يعرف بالعجـــز
فيـــا فوز من أدناه بالغنم والغنى
ويا ويل من أقصاه للقفـــر والفقـــر
يميناً بما اختارت يداك وأحرزت
من الملك والتأييد والنهي والأمـــر
لقد أصعدت مجدي مدائحك التي
ومجدك والعليـــا مدحـــت بها شعر[2]
وحـــق لمثلي يشفع الحمد بالثنـــا
ويتلـــو معانيه مع الشفـــع والوتـــر
فاجني ثمار الأنس من روضة المنى
وأقطف زهير[3] الحمد من شجر الشكر

---

[1] أي الجماعة القليلة من الكفار.
[2] جعلها د. طويل: ((شعري))؛ بالياء.
[3] جعلها د. طويل: ((زهر)).

وأشرب ماء الفوز عذباً ختامــه
رحيق براح السمح في أكوس البشر
ولا برحت أمداحكم تعجز النهى
وإلا فكم تتجني من العسر لليســر
ولا زالت الأقدار تخدم رأيكــم
وراياتكم ما دام نجم للســرا يســر

وكتب إلي في غرض يظهر منه نص المراجعة، وحسبنا الله[1]:
أما والذي لي في حلاك من الحمد
وما لــك ملاكي عليّ[2] من الرِّفْــد
لقد أشعرتني النفس أنك معرض
عن المسرف [اللايي لفطرك يستجد][3]
فإن زلــة بــدت لــك جهــرة
فصفحاً فما والله إذ كنت عن عمــد[4]

---

[1] هذه الأبيات موجودة في نفح الطيب؛ وهي من البحر الطويل.
[2] في النفح: ((لديّ)).
[3] نفسه: ((الآتي لفضلك يستجدي)).
[4] جاء هذا البيت في نفح الطيب هكذا:
((فإن زلة مني بدت لك جهرة * فصفحاً فما والله أذنبت عن قصد)).

فراجعته بقولي[1]:

أجلك عن عتب يغض من الـــود

وأكرم وجه العذر منك عـــن الـــرد

ولكنني أهـــدي إليك نصيحـــتي

وإن كنـــت قد أهديتها ثم لم تجـــد

إذا مقول الإنسان جـــاوز حـــده

تحولت الأغراض منه إلى الضـــد

فأصبح منه الجـــد هزلاً مذممـــاً

وأصبح منه الهزل في معرض الجد

فما استطعت[2] فيضاً للعنان فإنه

أحـــق السجايـــا بالعـــلا[3] والمجـــد

[1] هذه الأبيات موجودة في نفح الطيب؛ وهي من البحر الطويل.
[2] في النفح: ((اسطعت)).
[3] نفسه: ((بالعلاء)).

وفاتـه

تـوفي يـوم الخميس الثالـث لشعبـان عـام خمســة وستيــن وسبعماية، وقـد ناهـز السبعيـن سنـة، ودفـن بروضتنـا ببـاب إلبيـرة، وأعـفي شـارب الشعـر مـن نـابي[1] مقصـه. وغيـر هـذه الدعـوى قرارهـا تجـاوز القضيـة.

***

[1] في النفـح: ((ثـاني)).

محمد بن علي

ابن عمر العبدري[1]؛ من أهل تونس؛ شاطبي الأصل؛
يكنى أبا عبد الله؛ صاحبنا.

حاله

كان فاضلا من أبناء النعم، وأخلاف العافية، ولي أبوه الحجابة **بتونس** عن سلطانها برهة، ثم عدا عليه الدهر، واضطر ولده هذا إلى اللحاق **بالمشرق**، فاتصل به سكناه وحج، وآب إلى هذه البلاد. ظريف النزعة حلو الضريبة، كثير الانطباع، يكتب ويشعر، ويكلف بالأدب، ثم انصرف إلى وطنه. وخاطبني إلى هذا العهد، يعرفني بتقلده خطة العلامة، والحمد لله.

وجرى ذكره في **كتاب الإكليل** بما نصه: غذيُّ نعمة هامية، وقريع رتبة سامية، صرفت إلى سلفه الوجوه، ولم يبق **بإفريقية**[2] إلا من يخافه ويرجوه، وبلغ هو مدة ذلك الشرف، الغاية من الترف. ثم قلب الدهر له ظهر

---

[1] **توجد ترجمة محمد بن علي العبدري أيضاً في: الدرر الكامنة، ونفح الطيب.**
[2] **في النفح: ((من إفريقية)).**

الجن، واشتدَّ به[1] الخُمار[2] عند فراغ الدَّنّ، ولحق صاحبنا هذا **بالمشرق**، بعد خطوب مبيرة[3]، وشدة كبيرة، فامتزج بسكانه وقطانه، ونال من اللذات ما لم ينله في أوطانه؛ واكتسب الشمايل العذاب، وكان **كابن الجهم[4]**، بعث إلى **الرصافة**، ليرق فذاب، ثم حوم على وطنه تحويم الطائر، وألم بهذه المدينة[5] إلمام الخيال الزاير، فاغتنمت صفقة ودّه، لحين وروده، وخطبت موالاته على انقباضه وشروده، فحصلت منه على درة تقتنى، وحديقة طيبة الجنى.

[1] في الإسكوريال: ((بهم))؛ وصوبت من النفح.
[2] الخمار؛ بضم الخاء: ألم الرأس؛ الذي يصيب شارب الخمر.
[3] أي مُهْلِكَة.
[4] هو أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر القرشي السامي. اخلفت الأقوال في تاريخ مولده؛ وأشهر الأقوال أنه ولد سنة 188هـ/803م؛ أما وفاته ففي سنة 249هـ/863م. وهو أحد شعراء الدولة العباسية؛ في عهد الخليفة المتوكل.
[5] في النفح: ((البلاد)).

شعــره

أنشـدني فـي أصحـاب لـه **بمصـر** قامـوا ببـرّه[1]:

لكـــل أنـــاس مذهب وسجيـــة

ومذهب أولاد النظـــام المكـــارم

إذا كنت فيهم ثاوياً كنت سيـــداً

وإن غبت عنهم لم تنلك المظالم

أولئك صحبي لا عدمت حياتهم

ولا عدموا السعد الذي هو دايـــم

أغَنّي بذكراهم وطيب حديثهـــم

كما غردت فوق الغصون الحمايـــم

ومـن شعره يتشوق إلى تلك الديار، ويتعلل بالتذكار؛ قوله[2]:

أحبتنـــا بمصـــر لـــو رأيتـــم

بكائي عنـــد أطـــراف النهـــار

---

[1] **هذه الأبيـات موجـودة في نفـح الطيـب؛ وهي مـن البحـر الطويـل.**

[2] **هذان البيتـان موجـودان في نفـح الطيـب؛ وهمـا مـن البحـر الوافـر.**

لكنتم تشفقون لفــرط وجـــدي

ومـــا ألقـــاه من بعـــد المـــزار[1]

ومـن شعـره[2]:

تَغَنَّى حمام الأيـــك يومـــاً بذكرهـــم

فأطرب حتى كدت من ذكرهم أفنـــا

فقلـــت حمام الأيك لا تبـــك جيـــرة

نـــــاءوا وانقضـــت وصلهـــم عنـــا[3]

فقـــال ولـــم يـــردد جوابـــاً لسايـــل

ألا ليتنـــا كنا جميعـــاً بـــذا ألحقنـــا[4]

ومـن جيـد شعـره الـذي أجهـد فيـه قريحتـه، قولـه يمـدح السلطـان المعظم **أبـا الحســن**؛ في ميـلاد عـام سبعـة وأربعيـن وسبعمايـة[5]:

---

[1] في النفـح: ((الديـار)).

[2] هذه الأبيـات مـن البحـر الطويـل.

[3] تصرف د. طويل؛ فجعل هذا الشطر هكذا: ((نَأَوْا وانْقضَتْ أيَّام وصلهم عنَّا)).

[4] جعلهـا د. طويـل: ((لحِقْنـا)).

[5] الموافـق لـ 1346م. وهـذا البيـت، والأبيـات المواليـة لـه مـن البحـر الطويـل.

تقـــر ملوك الأرض أنـــك مولاهـــا
وأن الدنا وقـــف عليـــك قضاياهـــا

ومنهـا:

طلعت بأفق الأرض شمساً منيـــرة
أنـــار على كـــل البـــلاد محياهـــا
حكيـــت لنـــا للفـــاروق[1] حتى كأننـــا
بعيـــــن لا نكـــــذب رؤياهـــــــا[2]
وسرت على آثـــاره خيـــر سيـــرة
قطعنا بـــأن اللـــه ربـــك يرضاهـــا
إذا ذكرت سيـــر الملـــوك بمحفـــل
ونادى بها النـــادي وحســـن دنياهـــا
فجـــودك رواهـــا وملكـــك زانهـــا
وعـــدلـــك زاهـــا[3] وذكـــرك حلاهـــا
وأنت لها كهف حصيـــن ومعقـــل
تلـــوذ بها أولى الأمـــور وأخراهـــا

---

[1] جعلها د. طويل: ((الفاروق)). والفاروق لقب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.
[2] تصرف د. طويل؛ فجعل هذا الشطر هكذا: ((مَضَينا بعين لا نُكَذِّبُ رُؤْياها)).
[3] جعلهـا د. طويـل: ((زانهـا)).

ومنها بعد كثير:

ومنكــم ذوو التيجــان والهمــم التي
أناف على أعلى السماكيــن أدناهــا
إذا غــاب منهم مالــك قــام مالــك
مــجدد[1] للبيــت المقــدس علياهــا
بناهــا على التقوى وأســس بيتهــا
أبــو يــوسف الزاكي وسير مبناهــا
وأورثهــا عثمــان خيــر خليفــــة
وأحلــم من ســاس الأنــام وأنداهــا
وقــام عــليّ بعــده خيــر مالــك
وخير إمام في الورى راقــب اللــه
علي بن عمر بن يعقوب ذو العــلا
مذيــق الأعادي حيثما سار بلواهــا

---

[1] **جعلها د. طويل: ((فَجَدَّدَ)).**

أدام اللـــه وأعطى الخلافـــة وقتهـــا
ونـــور أحلاك الخطـــوب وجلاهـــا

ووصلني كتاب منه مؤرخ في التاسع عشر من شهر شعبان المكرم؛ من عام أربعة وستين وسبعماية[1]؛ جدد عهدي من شعره بما نصه:

رحلنا فشرقنا وراحوا فغربـــوا
ففاضت لروعات الفراق عيـــون
فيا أدمعي منهلـــة إثـــر بينهـــم
كـــأن جفـــوني بالدموع عيـــون
فيا معهداً قد بنـــت عنه مكلفـــا
بديلي منـــه أنـــــة وحنيـــــن
سقتك غوادي المزن كرَّ عشيـــة
ودادك محلول النطـــاق هتـــون
فـــإن تكـــن الأيام لم تقض بيننا
بوصل فما يُقضى فسوف يكون

[1] **الموافق لـ 1362م.**

يعــز علينا أن نفارق ربعكــم
وأنا على أيدي الخطوب نهــون
ولو بلغتني العير عنكم رسالـــة
وساعد دهــر باللقــاء ضنيــن
لكنا على ما تعلمون من الهوى
ولكــن لأحداث الزمان فنــون
***

محمد بن يحيى

ابن عبد الله بن محمد بن أحمد العَزَفي[1] من أهل سَبْتة، أبو القاسم بن أبي زكريا بن أبي طالب[2]

حالـه

من أهل الظرف والبراعة، والطبع المعين، والذكاء، رييس **سبتة**، [وابن رؤسائها][3] وانتقل إلى **غرناطة** عند خلعه، وانصرافه عن بلده. أقام بها. تحت رَعْيٍ حسن

---

[1] **توجد ترجمة محمد بن يحيى العزفي أيضاً في: الدرر الكامنة، ونفح الطيب، وأزهار الرياض. وذكر في المصدر الأخير ((أنه ولد بسبتة عام 699هـ؛ وبويع بها بعد أبيه عام 719هـ؛ وخلع في سنة 720هـ؛ فكانت دولته ستة أشهر؛ وتوفي بفاس سنة 768هـ)). وهذا يكمل ما أورده ابن الخطيب.**

[2] **كتبت في الزيتونة ((أبو القاسم أبي يحيى)).**

[3] **الزيادة في الزيتونة. وتعتبر أسرة من أعرق الأسر العربية وأبرزها بستة. ووصلت الرئاسة لهذه الأسرة في سبتة؛ بعد قيام ثورة فيها ضد الموحدين سنة647هـ/1248م؛ حيث اختار أهلها عالم سبتة الأكبر وقاضيها أبو القاسم محمد بن أحمد بن الحسين اللخمي العزفي لرئاستهم. واستمرت راسته لسبتة وما يحيط بها إلى يوم وفاته سنة 677هـ/1278م. وبعدها خلفه في الرئاسة ابنه عبد الله أبو طالب؛ وبقي في رئاسته حتى سقطت سبتة في قبضة بني مرين سنة 705هـ/1305م. وتوفي رئيسها عبد الله بعد خلعه في فاس سنة 713هـ/1313م. غير أن بعض أفراد أسرة العزفي تولوا رئاسة سبتة في ظل حكم بني مرين؛ ومن هؤلاء يحيى بن عبد الله والد صاحب الترجمة الحالية؛ وبقي في منصبه حتى وفاته سنة 719هـ/1319م. وبعد وفاته تولى الرئاسة ولده المترجم له؛ ولكنه خلع عنها سنة 720هـ/1320م؛ حيث انتقل إلى غرناطة.**

الرُّوا، مألفاً للظرفاء، وأشتهر بها أدبه، ونظر في الطب، ودون فيه، وبرع في التوشيح. ثم انتقل إلى **العدوة**، انتقال غبطة وأثَرَة، فاستعمل بها في [خطط نبيهة][1]، وكتب عن ملوكها. وهو الآن بالحالة الموصوفة.

وجرى ذكره في " **الإكليل** " بما نصه: فرع تأوّد[2] من الرياسة في دوحة. وتردد بين غدوة في المجد وروحة؛ نشأ والرياسة العزفية، تعله وتنهله؛ والدهر يسير أمله الأقصى ويسهله. حتى اتسقت أسباب سعده، وانتهت إليه رياسة سلفه من بعده. فألقت إليه رحالها وحطت، ومتعته بقربها بعدما شطت. ثم كلح له الدهر[3] بعد ما تبسم، وعاد زعزعاً[4] نسيمه الذي كان يتنسم، وعاق هلاله عن تِمِّه؛ ما كان من تغلب ابن عمه، واستقر بهذه البلاد؛ نائي[5] الدار بحكم الأقدار؛ وإن كان نبيه المكان والمقدار. وجرت عليه جراية واسعة، ورعاية متتابعة؛ وله أدب كالروض

---

1 في الزيتونة ((الخطط النبيهة)).
2 نفسه ((يتأود)).
3 نفسه : ((والزمن)) .
4 الزعزع: هي الريح الشديدة.
5 في النفح : ((نازح)) .

باكرته الغمايم، والزهر تفتحت عنه الكمايم، رفع منه راية خافقة، وأقام له سوقاً نافقة. وعلى تدفق أنهاره، وكثرة نظمه واشتهاره؛ فلم أظفر منه إلاّ باليسير التافه بعد انصرافه.

شعـــره

قـــال[1]:

أفديك يا ريح الصبـــا   عوجي على تلك الربا
واحد النعامى سحـــرا   ترســـل غماما صبـــا
على ربـــى غرناطـــة   لـــكي تقضي ما ربـــا
ثـــم أبْلِـــغي يا ريـــح   عن صب سلاماً طيبـــاً

[1] مجزوء الرجز.

ومن منظومة أيضاً في بعض القضاة الفاسيِّين ؛ وهو من البديع ؛ وورَّى فيه ببابين من أبواب المدينة[1]:

[وُلِّيت بفاس أمور القضاءِ
فأحدثت فيها أموراً شنيعة][2]

فتحت لنفسك باب الفتوح
وعلقت للناس باب الشريعة

فبادر مولى الورى فارس
بعزلك عنها قُبيل الذَّريعة[3]

وقال[4]:

دع عنك قول عواذل ووشاة
وأدر كؤوسك يا أخا اللذات

واخلع عذارك لاهياً في شربها
واقطع زمانك بين هاك وهات

---

[1] المتقارب.
[2] ورد هذا البيت في جذوة الاقتباس هكذا:
((أقاضي فاس لقد شنتها * وأحدثت فيها أمورا شنيعة))
[3] وردت هذه الأبيات الثلاثة من شعر العزفي في مخطوط الزيتونة فقط.
[4] الكامل.

خذهـــا إليـــك بكف ساقٍ أغيـــد
لين المعاطف فاتـــر الحركـــات
قـــد قـــام من ألحاظـــه إنسانهـــا
مثبتـــا فـــي فتـــرة اللحظـــات
يسقيكها حمـــراء يسطع نورهـــا
في الكأس كالمصباح في المشكات
رقت وراقت في الزجاجة منظراً
لما عدت تجـــلي على الرحـــات
لا تمزجنهـــا في الأبـــارق إنهـــا
تبـــدو محاسنهـــا لدى الكاســـات
عجباً لها كالشمس تغرب في فـــم
لكـــن مطالعهـــا مـــن الوجنـــات
نلنـــا بهـــا ما نشتهيـــه من المنى
في جنـــة تـــزهى على الجنـــات
رفت عليهـــا كل طـــل سجســـج
من كـــل غـــض يانـــع الثمرات

ما بين خضر حدايــق وخمايــل

وجــداول تفــضي إلى دوحـــات

سرى النسيم بها يصافح زهــره

فيهـــب وهو مـــورج النفحـــات

وشـــدا لنـــا فيهـــا مغـــن شـــادن

حاز المـــدا سبقـــاً إلى الغايـــات

طربت له القضب اللـــدن وبـــادرت

رجعـــا لـــه تختـــال في الحبـــرات

مـــرت عليـــه ركعـــاً لكنهـــا

جعلـــت تحيتهـــا لدى الركعـــات

قصرت صلاة الخوف منه فقربت

قـــربانهـــا وحفتـــه بالزهـــرات

والعـــود مثنـــاه يطـــابـــق زيهـــا

فـــي[1] ردانـــــات على رنـــــات

---

[1] **جعلها د. طويل: ((فيها))؛ من أجل الوزن.**

إن جـــس مُثَلِّثُـــه بـــان بغنــــة[1]

فـــي اليَـــمِّ من ثقيلـــة النغمـــات

فكـــان ما عنـــت عليه الورق من

ألحانهـــا ألقـــــــاه للقينـــــات

عكفت على ألحانها تشـــدو لنـــا

خلف الستايـــر باختلاف لغـــات

فكأنها عجم تـــورات بالحجـــاب

وردَّدت ســـوراً مـــن التـــورات

نطقـــت بأفصح نغمة في شدوها

تتلـــــو علينـــا هـــذه الآيـــــات

ومما أنشده ليلة ميلاد **رسول الله** صلى الله عليه وسلم[2]:

إذا لم أطق نحو نجـــد وصـــولاً

بعثـــت الفـــــؤاد إليهـــا رســـولاً

---

[1] **الغنَّـة: الصوت عندما يخرج من الخيشوم.**

[2] **المتقارب.**

وكـــم حـــل قلبـــي رهينـــاً بهـــا
غـــداة نوى الركب فيها النـــزولا
محـــل بهـــا في الحـــلال الـــتي
ضحى أصبح القـــوم فيها حلـــولا
وكـــم بـــت فيها غـــداة النـــوى
أســـح مـــن العيـــن دمعـــاً همولا
على شمـــس حسن سمـــا ناظري
ليهـــا وعني تـــوارت أفـــــولا
وقفت بـــوادي الغضـــا ساعـــة
لعـــلي أنـــــدب فيهـــا الطلـــولا
وفي البـــان مـــن أيكـــه ساجـــع
يرجـــع بالقضـــب منها الهديـــلا
بحق الهـــوى يا حمـــام الحمى
ترفـــق بقلـــبي المعـــنى قليـــلا
فقـــد هجـــت تاللـــــه أشواقـــه
بذكـــرك إلفـــاً ثـــاني[1] أو خليـــلا

[1] جعلها د. طويل: ((ثنى))؛ من أجل الوزن.

ألــم تــدر أن ادكـــاري الهــوى
يذيب ويعــنى الفـــؤاد العليـــلا
رعى اللـــه تلــك المطايـــا التي
إلى الحج وخداً سرت أو ذميــلا
ويا عجبـــا كيــف خفــت بهــم
وحملـــت القلـــب حملـــاً ثقيـــلاً
وودعـــني الصبـــر إذ ودعـــوا
فمـــا أن وجـــدت إليـــه سبيـــلا
وآثـــرت يا ويـــح نفسي المقـــام
وآثـــر أهـــل الـــوداد الرحيـــلا
وجادوا رجـــا[1] الرضى بالنفـــوس
وكنـــت بنفسي ضنينـــاً بخيـــلاً
ندمـــت عـــلى السيـــر إذ فاتـــني
ولازمـــت حزني دهـــرا طويـــلا
وفــــاز المخــفــون إذا يممـــوا
منـــازل آثـــارهـــا لن تـــــزولا

[1] **جعلها د. طويل: ((رجاء))؛ من أجل الوزن.**

وحجــوا وزاروا نــبي الهــدى
محمــداً الهــاشمي الرســـــولا
وفـــــازوا بــإدراك مــا أملــوا
ونالــوا لديه الرضى والقبــولا
ولو كنــت في عزمهــم مثلهــم
إذا لانصــرفــت إليــه عجــولا
ولكنــني أثقلتـــــني الــذنــوب
وما كنت للثقــل منهــا حمــولاً
ركبــت مطيــة جهــل الصبــا
وكانـــت أوان التصابي ذلــولا
ومالـــت بي النفــس نحو الهــوى
وقــد وجدتــني غــــراً جهــولاً
فطــربى لمن حــل فــي طيبــةً
وعرس بالسفــح منهــا الحمــولا
ونـــال المــنى في مــنى عندمــا
نــوى بـــالمنـــازل منها نـــزولا

وأصـــفى الضمايـــر نحـــو الصفـــا
يؤمـــل للوصل فيـــه الوصـــولا
وجـــاء إلـــى البيـــت مستبشـــراً
ليطهـــر بـــالأمـــن فيـــه دخـــولا
وطـــاف ولـــبى بـــذاك الحمى
ونال من الحجـــر قصداً وســـولا
بـــلاد بهـــا حـــل خيـــر الـــورى
فطـــوبى لمن مال فيها الحلـــولا
نـــبيّ كريـــمٌ سمـــا رفعـــــة
وقـــدراً جليـــلاً ومجـــداً أصيـــلا
وكـــــان لأمتـــــه رحمـــــة
بفضـــل الشفاعـــة فيهـــم كفيـــلا
وكـــان رؤوفـــاً رحيمـــاً لهـــم
عطوفـــاً شفيعـــاً عليهم وصـــولاً
له يفزعـــــون إذا مـــــا رأوا
لـــدى الحشر خسفاً وأمراً مهـــولا

وإن جـــاء فـــي ذنبهـــم شافعـــاً
بـــدا الرحب من ربـــه والقبـــولا
لـــه معجـــــزات إذا عـــــدِّدَتْ
تفـــوت النُّـــهى وتُكِـــلُّ العقـــولا
ولـــن يبلـــغ القـــول معشارهـــا
وإن كان الوصـــف فيها مطيـــلا
وقـــس البيـــــان وسحبانــــه
يـــرى ذهنـــه في مداهـــا كليـــلا
تخيـــــره اللـــه فـــي خلقـــــه
فكـــان الخطيـــر لديـــه المثيـــلا
ولم يـــر في النـــاس نـــدًّا لـــه
ولا فـــي الخلايـــق منـــه بديـــلا
وأبـــقى لـــه الحكـــم في أرضـــه
فكـــان الأمين عليهـــا الـــوكيـــلا
وكـــلَّ ظـــلام وظلـــــم بهـــا
على الفـــور لمَّـــا أتى قد أزيـــلا

وكانــت كنــار لــظى فتنـــة
فعــادت مــن الأمــن ظليـــلاً
وقــد زان حســن الدجا جيلــه
إذا ذكر الدهــر جيــلاً فجيــلاً
وأيامــه غـــرر قــد بــدت
بوجــه الدنــا والليــالي حجــولاً
رســول كريـــم إذا جيتــه
ويممــت مغنــاه تلــقى القبــولا
بمولــده فــي زمــان الربيــع
ربيــع أتــانــا يجــر الــذيــولا
فأهــلا بــه الآن مــن زايــر
أتانــا بفضــل يفــوق الفضــولا
وقــام الإمــام به المرتــضى
فنــال ثوابــاً وأجــراً جــزيــلا
هــو المستعيــن أبــو سالــم
مليــك ترفــع قـــدراً جليــلاً

وحـــاز من الصيت ذكراً أثيـــراً
ومن كـــرم الخيم مجـــداً أثيـــلا
سليـــــل عـــليّ غمـــام النـــدى
ألا أيـــــد اللـــه ذاك السليـــلا
فتًى أوســـع النـــاس من جـــوده
عطـــاً جزيـــلاً وبـــراً حفيـــــلاً
حـــــلاه الوقـــــــار ولاقيــــه
إذا ارتـــاح للجود يلفى عجـــولاً
وقد شـــاع عنـــه جميـــل الثنـــا[1]
وعـــم البسيطـــة عرضاً وطـــولا
ومـــا مَـــنَّ بالوعـــد إلا وَفَـــى
فلم يك بالوعـــد يومـــاً مطـــولا
ولا فـــي عـــلاه مغـــــالٍ لمـــن
يكثـــر في الملـــك قـــالاً وقيـــلا
تفـــرد بالفضـــل فـــي عصـــره
وكان بعـــرف الأيـــادي كفيـــلا

---

[1] جعلها د. طويل: ((الثناء))؛ من أجل الوزن.

أطاعــت له حين وافــى البــلاد
رضى عندما حــل فيها حلــولا
وجـــا[1] لطاعتــــه أهلهـــا
سراعــاً يرومون فيها الدخــولا
فَنَبَّــــهَ قَــدْرَ المُــــوالي بهــا
وأكسف فيهــا المعــادي خمــولاً
ومهــــد بالأمــــن أفكارهـــا
وأمــن بالعــدل فيهــا السبيــلا
وكــــف أكــف التعــدي بهــا
فــلا يظلــم النــاس فيها فتيــلا
وعصر الكروب الذي قد مــضى
زمــان المســرات منــه أديــلا
أنانــا إلى الغرب فـــي شــوكــةٍ
بهــا عاد جمــع الأعادي قليــلاً
وفــوق رؤوس الطغاة انتــضى
حسامــاً ليسمــع فيهــا صليــلاً

---

[1] جعلها د. طويل: ((وجاء)).

وجــرد مــن عــزمـــه مرهفــاً

لحســم أمــور المناوي صقيــلا

وكــل كفــــور معـــاد لــــه

سيأخــذه اللـــه أخــذاً وبيــــلا

أعــز الخـــلايـــق لمـــا وَلِـــي

ونـــوه من كـــان منهـــم ذليـــلا

وراعى لمــن جـــاءه داخـــلاً

حمـــاه من القاصديـــن الدخيـــلا

فكـــــان بأفعالـــــه قصـــــده

إلى منهـــج الفضل قصداً جميـــلا

وصـــح انتعـــاش المعـــالي بـــه

وقد كان شخص المعالي عليـــلاً

وشيـــد مبـــنى العــــلا بالنـــدى

ووثقـــــه خشيـــــة أن يميــــلا

ينيـــل ويعطـــي جزيـــل العطـــا[1]

فمـــا زال أخرى الليالـــي منيـــلا

[1] جعلها د. طويل: ((العطاء)).

ودام مــدى الدهــر فـــي رفعـــة

تثيــر مــن الحاسديــن الغليــلا

ولا بـــرح السعــد فـــي بـــابـــه

يـــــؤُمٌّ بـــه مربعـــاً أو مقيـــلا[1]

***

[1] ذكر عنـان هنـا مـا سبـق ذكـره عمـا ورد في أزهـار الريـاض عن تاريـخي: ولادة وممـات أبـا القاسـم العزفي.

محمد المكودي[1]

من أهل فاس؛ يكنى أبا عبد الله

حالـه

مـن " **الإكليــل** " : شاعـر لا يتعـاطى[2] ميدانـه ، مـرعى[3] بيـان وَرِفَ عضلـه[4]، وأينـع سعدانـه ؛ يدعـو الكـلام فيهطـع[5] لداعيه ، ويسعى في اجتـلاب المعـاني فتنجـح مساعيـه. غيـر أنـه أفـرط فـي الانهمـاك ، وهـوى إلـى السَّمكـة[6] مـن أوج السِّمـاك[7]. وقـدم[8] علـى هـذه البـلاد مفلتاً مـن رهـق **تلمسـان ؛** حيـن الحصـار ؛ صفـر اليميـن ، واليسـار مـن اليسـار ؛ مـلىء[9] هـوى أنـحى عـلى طريفـه وتـلاده ، وأخرجـه مـن بـلاده.

---

[1] توجد ترجمة محمد المكودي في: نفح الطيب، وأزهار الرياض؛ حيث جاء فيه أنه: ((أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المكودي)).
[2] في النفح: ((يُتقاصى)).
[3] في الإسكوريال: ((مرمى)) .
[4] في النفح: ((عضاهُه)).
[5] أي يسرع.
[6] وهو برج فلكي في السماء.
[7] السِّماك؛ مثناها: السماكين؛ وهما كوكبان منيران. يسمى الأول: السماك الرامح، والثاني: السماك لأعزل.
[8] في النفح: ((قَدم)).
[9] وردت في الإسكوريال: ((بل)). وصححت من النفح.

ولّما [جدّ به][1] البين، وحل هذه البلاد [بحال تقبحها العين][2] والسيف بهزته، لا بحسن بزتة، دعوته[3] إلى مجلس، أعاره البدر هالته، وخلع عليه الأصيل غلالته، وروض تفتح كمامه، وهمى عليه غمامه، وكأس أنس تدور، فتتلقى نجومها البدور. فلما ذهبت المؤانسة بخجله، وتذكر هواه، ويوم نواه، حتى خفنا حلول أجله، جذبنا للمؤانسة زمامه، واستقينا[4] منها غمامه، فأمتع وأحسب، ونظر ونسب، وتلكم في المسائل، وحضر[5] بِطُرَف الأبيات، وعيون الرسايل؛ حتى نشر الصباح رايته، واطلع النهار آيته. ومما أنشدنا ونسب لنفسه[6]:

---

[1] في النفح: ((جذبه)).
[2] في الإسكوريال وردت هذه العبارة: ((محل العين)).
[3] في النفح: ((دعوناه)).
[4] نفسه: ((واستسقينا)).
[5] نفسه: ((وحاضر)).
[6] نفسه: ((فمما نسبه إلى نفسه وأنشدناه قوله)). والأبيان من بحر الوافر.

غــرامي فيك جــل عن القيـــاس
وقـــــد أسقيتنيـــه بكـــل كـــاس
ولا أنـــسى هـــواك ولـــو جفاني
عليـــك أقـــاربـــي طـــرا ونـــاسي
ولا أدري لنفـــسي مـــن كمـــال
ســـوى أنى لعهدك غيـــر نـــاسِ

وقال في غرض معروف[1]:

بعثـــت بخمـــرٍ فيه مـــاء وإنمـــا
بعثـــت بما[2] فيه رايحـــة الخمـــر
فقـــل عليه الشكـــر إذ قل سكرنا
فنحن بلا سكـــر وأنت بلا شكـــر

---

[1] البحر الطويل.
[2] في النفح: ((بماء))؛ وهو أسلم.

ومما خاطبني به[1]:

رحماك بي فلقد خلدت في خلدي
هــوى أكابد منـــه حــرة[2] الكبـــد
حللـــت عقد سلوي في[3] فؤادي إذ
حللت منه محل الروح في جســـد
مرآك بدري وذكراك التـــذاذ فمي
ودين حبـــك أضماري ومعتقـــدي
ومن جمالك نور لاح في بصري
ومن ودادك، روح حل في خلـــدي
لا تحسبن فؤادي عنك مصطبـــر[4]
فقبل حبك كان الصبر طوع يـــدي
وهاك جسمي قد أودى النحول به
فلو طلبـــت وجـــودا منه لم تجـــد

[1] البحـر البسيـط.
[2] في النفـح : ((حرقـة)).
[3] نفســه: ((عـن)).
[4] في النفـح: ((مُصْطبـراً)).

بما بطرفك من غنج ومن حــورٍ

وما بثغــرك من در ومـــن بـــرد

كن بين طرفي وقلبي منصفا فلقد

حابيـــت[1] بعضهما فاعدل ولا تحد

فقال لي قد جعلت القلب لي وطنا

وقد قضيت على الأجفـــان بالسهـــد

وكيف تطلب عدلا والهوى حكـــم

وحكمه قـــط لم يعـــدل على أحـــد

من لي بأغيد لا يرثي إلى شجـــن

وليـــس يعـــرف ما يلقـــاه ذو كمـــد

ما كانت من قبل إذعاني لصولته[2]

إخال أن الرشا يسطـــو على الأســـد

إن جاد بالوعد لم تصدق مواعده

فإن قنعـــت بزور الوعـــد لم يعـــد

---

[1] أي ناصرت وحبذت.

[2] في النفح: ((لسطوته)).

شكوتـــه علتي منه فقـــال الأ
مـــر للطبيب فما برء الضنى بيدي[1]
فقلت إن شئت برئي أو شفا ألمي
فبارتشـــاف لمـــاك الكوثـــري جـــد
وإن بخلت فلي مولى يجود على
ضعفي ويبرى ما أضنيت من جسد[2]

وخرج إلى المدح فأطال[3].

***

---

[1] ورد هذا البيت في نفح الطيب هكذا:
((شكوتـه علـتي منه فقـال ألاَ * سِرْ للطبيب فما بُرْءُ الضَّنى بيدي)).

[2] في النفـح: ((جسـدي)).

[3] ذكـر عنـان ـ نقـلاً عـن جـذوة الإقتبـاس ـ أن محمـد المكـودي تـوفي بفـاس سنـة 753هـ.

***

محمد بن أحمد

ابن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف ابن جزي الكلبي[1] يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها؛ شيخنا رحمة الله عليه.

أوليته

أصل سلفه من ولمة[2] من **حصون البراجلة**، نزل بها أولهم عند الفتح صحبة قريبهم **أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي**، وعند خلع دعوة[3] **المرابطين**، وكانت لجدهم **بجيان** رياسة وانفراد بالتدبير.

---

[1] توجد ترجمة محمد بن أحمد بن جزي الكلبي أيضاً في: الكتيبة الكامنة، والديباج المذهب، ونيل الابتهاج، ونفح الطيب، وأزهار الرياض.

[2] في النفح: ((ولبه)). ونبه عنان هنا إلى الغموض الذي يكتنف اسم هذا المكان. لأن حصون البراجلة تتواجد في المنطقة الجبلية الواقعة جنوب غرناطة؛ المسماة بالبشرات؛ بينما يقع ثغر لبة في غرب الأندلس؛ وبالتحديد؛ في الجنوب الغربي من إشبيلية.

[3] في النفح: ((دولة)).

حالـه

كان رحمه الله، على طريقة مثلى من العكوف على العلـم. والاقتصـاد[1] عـلى الاقتيـات مـن حـرّ النَّشـب[2]، والاشتغال بالنظر، والتقييد والتدوين[3] فقيها حافظاً، قايماً على التدريس، مشاركاً في فنون من[4] العربية والفقه، والأصـول، والقـراءات، والحديـث، والأدب، حفظـةً[5] للتفسير مستوعباً للأقوال، جماعة للكتب، ملوكي الخزانة. حسـن المجلـس، ممتـع المحاضـرة، قريـب الغـور، صحيـح الباطن. تقدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنة، فاتفق على فضله، وجرى على سنن أصالته.

---

[1] في النفح: ((والاقتصار))، وفي الأزهار: ((على العلم والاقتيات من حرّ...)).
[2] أي خالص المال.
[3] في الزيتونة: ((التدبير)).
[4] الزيادة في الزيتونة والنفح.
[5] في الزيتونة، والأزهار: ((حافظا)).

مشيختـه

قرأ علـى الإستاذ **أبى جعفر بـن الزبيـر**[1]، وأخـذ عنـه العربيـة والفقـه والحديـث والقـرآن. وروى **أبـي الحسـن بـن مستقـور**[2]. وقرأ القـرآن عـلى الأستـاذ المقـري الراويـة المكثـر **أبي عبـد الله بن الكمـاد**، ولازم الخطيب **أبـا عبـد اللـه بـن رشيـد**، وسمـع علـى الشيـخ الوزيـر **أبـى محمـد عبـد اللـه بـن أحمـد بـن المـؤذن**، وعـلى الراويـة المسـن **أبـى الوليـد الحضـرمي**. يـروي عـن **سهـل بـن مالـك** وطبقتـه. وروى عـن الشيـخ الراويـة **أبـى زكريـا البرشـاني**، وعـن[3] الراويـة الخطيـب **أبـى عبـد اللـه محمـد بـن محمـد بـن عـلي الأنصـاري**، والقـاضي **أبـى المجـد بـن أبـى عـلي بـن أبـى الأحـوض**، والقـاضي **أبـى عبـد الله بـن برطـال**، والشيـخ الوزيـر **ابـن أبـى عامـر بـن ربيـع**[4]، والخطيـب الولـي **أبـى عبـد اللـه الطنجـالي**، والأستـاذ

---

[1] في النفـح: ((أبي جعفر بـن جعفـر بـن الزبيـر)).
[2] في الإسكوريـال: ((مسغمـور))، وفي الزيتونـة ((مسمـور)).
[3] في المخطوطيـن: ((علـى)) .
[4] في النفـح، والأزهـار: ((أبـو عامـر بـن ربيـع الأشعـري)).

النظار المتفنن **أبى القاسم قاسم بن عبد الله بن الشاط**.

وألف الكثير في فنون شتى.

توالیفه

منها: كتاب ((**وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم**))، وكتاب ((**الأنوار السنية في الكلمات السُّنية**))، وكتاب ((**الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار**))، وكتاب ((**القوانين الفقهية في تلخيص**[1] **مذهب المالكية**))، و((**التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية**))، وكتاب ((**تقريب الوصول إلى علم الأصول**))، وكتاب ((**النور المبين في قواعد عقايد الدين**))، وكتاب ((**المختصر البارع في قراءة نافع**))، وكتاب ((**أصول القراء الستة غير نافع**))، وكتاب ((**الفوايد العامة في لحن العامة**))، إلى غير ذلك مما قيده في التفسير والقراءات وغير ذلك. وله فهرسة كبيرة. اشتملت على جملة من أهل **المشرق والمغرب**.

---

[1] **في الزيتونة: ((تخليص)) .**

شعــره

قال في الأبيـات الغينيـة ذاهبـاً مذهـب الجماعـة **كـأبي العلاء المعري. والرييس أبي المظفر**[1]**، وأبي الطاهر السلفي، وأبي الحجاج بن الشيخ، وأبي الربيع بـن سالـم، وأبـي علي بن أبي الأحوص**، وغيرهـم، كلهـم نظـم فـي ذلـك[2]:

لكـــل بـــني الدنيا مراد ومقصـــد
وإن مـــــرادي صحـــة وفـــراغ
لأبلـــغ في علم الشريعـــة مبلغـــاً
يكـــون بـــه لـــي للجنـــان[3] بـــلاغ[4]
وفي[5] مثـــل هذا فلينافس أولو[6] النهى
وحسبـــي من الدنيا الغرور[7] بـــلاغ[8]

[1] في النفـح: ((وابـن المظفـر))، وفي الأزهـار: ((والرئيـس ابـن المظفـر)).
[2] البحـر الطويـل.
[3] أي للقلـب.
[4] البـلاغ: الكفايـة.
[5] في النفـح وأزهـار الريـاض: ((ففـي)).
[6] في الأزهـار: ((ذوو)).
[7] في النفـح والأزهـار: ((وحسـبي مـن دار الغرور)).
[8] البـلاغ هنـا: الإيصـال والتبليـغ.

فما الفــوز إلا في نعيــم مؤبــد
به العيــش رغد والشراب يســاغ

وقال في الجناب النبوي[1]:

أروم امتداح المصطفى ويردني[2]
قصوري عن إدراك تلك المناقــب
ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر
ومن لي بإحصا[3] الحصى والكواكب
ولو أن إعضائي غدت ألسنــا إذا
لما بلغت في المدح بعض مــآرب[4]
ولــو أن كــل العالميــن تألفــوا[5]
على مدحه لم يبلغوا بعض واجــب

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] في النفـح: ((فيـردني))، وفي الكتيبـة: ((فيصـدني)).
[3] في النفـح والأزهـار والكتيبـة والديبـاج المذهـب: ((بإحصـاء)).
[4] جـاء هـذا البيـت في أزهـار الريـاض هكـذا:
((ولو أن إعضائى غدت وهي ألسن * لما بلغت في القول بعض مآربي)).
[5] في النفـح: ((تسابقـوا إلى...)).

فأمسكـــت[1] عنـــه هيبـــة وتأدبـــاً

وخوفـــاً[2] وإعظاماً لأرفع جانـــب

ورب سكـــوت كان فيـــه بلاغـــه

ورب كلام فيه عتـــب لعاتـــب

وقال رحمه الله مشفقاً من ذنبه[3]:

يا رب إن ذنوبي اليوم قد كثـــرت[4]

فما أطيق لها حصراً ولا عـــدداً

وليـــس لي بعذاب النار من قبـــل

ولا أطيـــق لها صبراً ولا جلـــداً

فانظر إلهي إلى ضعفي ومسكنتي

لا تذيقـــني[5] حـــر الجحيـــم غـــدا

---

[1] في الكتيبة: ((فاسكت))، وفي الأزهار: ((فأقصرت)).
[2] كتبت في النفح: ((وعجزا)).
[3] البحر البسيط.
[4] في الكتيبة: ((قد عظمت)).
[5] في النفح والأزهار والديباج والكتيبة: ((ولا تذيقنّني)).

وقال في مذهب الفخر[1]:

وكم من صفحة كالشمس تبدو

فيسلي[2] حسنها قلب الحزين

غضضت الطرف عن نظري إليها

محافظة على عرضي وديني[3]

وفاته

فقد وهو يشحذ الناس ويحرضهم، ويثبت بصايرهم، يوم الكاينة **بطريف**[4]، ضحوة يوم الإثنين السابع[5] لجمادى لجمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعماية[6]، تقبل الله شهادته. وعقبه ظاهر بين القضاء والكتابة.

***

---

[1] البحر الوافر.

[2] في الكتيبة: ((يُسْلي))، وفي النفح: ((فيسبى)).

[3] ورد هذا البيت في الكتيبة الكامنة هكذا:
((غضضت الطرف عن نظرٍ إليها * محافظة على علمي وديني)).

[4] سبقت الإشارة إلى موقعة طريف.

[5] في النفح: ((تاسع جمادى الأولى)).

[6] الموافق لـ 1340م.

محمد بن أحمد

ابن فتّوح بن شُقْران اللخمي
شرقي الأصل؛ من سكان غرناطة؛ يكنى أبا عبد الله؛
ويعرف بالطُّرسوني.

حالـه

نقلت من خط شيخنا **أبي البركات بن الحاج**، أمتع الله به كنى نفسه **أبا عبد الرحمن**[1]، ودعي بها وقتاً، وكوتب بها. وكان له ابن سماه **عبد الرحيم**، فقلنا له سمه **عبد الرحمن**؛ ليعضد لك الكنية التي اخترت؛ فأبى. كان هذا الرجل قيماً على النحو والقراءات واللغة[2]، مجيداً في ذلك، محكماً لما يأخذ فيه منه، وكانت لديه مشاركة في الأصلين والمنطق، طمح إليهما بفضل نباهته وذكايه، وشعوره بمراتب العلوم، دون شيخ أرشده إلى ذلك. يجمع إلى ما ذكر خطا بارعاً، وظرفاً وفكاهة، وسخا نفس، وجميل مشاركة لأصحابه. بأقصى ما يستطيع. وكان صناع اليدين يرسم بالذهب، ويسفر ويحكم عمل التراكيب

[1] في الزيتونة: ((أبا عبد الله)).
[2] نفسه: ((الفقه)).

الطيبة. وعلى الجملة؛ فالرجل من أجلّ نبلاء عصره، الذين قلّ أمثالهم.

مشيخته

أخذ القراءات عن الشيخ الأستاذ [**أبي الحسن**][1] **بن أبي العيش**، وبه تفقه ببلده **ألمرية**. وقرأ على الأستاذ **أبي جعفر بن الزبير**، والخطيب **أبي جعفر بن الزيات** ، والراوية **أبي الحسن بن مستقور**، والولي **أبي عبد الله الطنجالي** ، وصهره الخطيب **أبي تمام غالب بن حسن بن سيدبونه**، والخطيب **أبي الحسن القيجاطي**، والخطيب المحدث **أبي عبد الله بن رشيد**، وغيرهم.

شعره

من شعره قوله[2]:

إذا قذفت بي حيثما شاءت النـــوى
ففي كل شعـــب[3] لي إليك طريـــق

---

[1] سقطت في الإسكوريال.
[2] البحر الطويل.
[3] في الزيتونة: ((صعب)).

وإن أنا لم أبصر محيـــاك باسمـــاً

فإنسان عيني في الدموع غريـــق

فإن لم تصـــل كفي بكفـــك وافيـــاً

[فأسمـــال أحبابي لدي فتـــوق][1]

محنتـه

أحظـاه وزيـر الدولـة **أبـو عبـد اللـه بـن المحـروق**[2]، واختصـه، ورتـب لـه **بالحمـراء** جرايـة، وقلـد نظـره خزانـة الكتـب السلطانيـة. ثـم فسـد مـا بينهمـا ، فاتهمـه ببـراءات كانـت تطرح بمذامـه[3] بمسجـد **البيازيـن**[4]، وترصـد مـا فيهـا، فزعـم أنـه هـو الـذي طرحهـا بمحـراب المسجـد، فقبـض عليـه واعتقـل ثـم جـلاه إلـى **إفريقيـة**.

---

[1] **كتبت في الزيتونـة هكـذا: ((باسمـان أجفـاني ملـوق فتـوق)) .**

[2] **هـو أبـو عبـد الله محمـد بـن أحمـد المحـروق؛ وزيـر السلطـان النصـري أبي عبـد الله بـن إسماعيـل؛ الـذي انتصب علـى عـرش دولـة غرناطـة سنـة 725هـ/1324م؛ فانتهى به الأمر إلى القتل بأمر ذلك السلطان سنـة 729هـ/1328م.**

[3] **في الزيتونـة ((بحرامـة المسجـد)).**

[4] **كان أحد المسجدين الكبيرين في حي البيازين؛ أشهر أحياء غرناطة الإسلامية.**

وفاتـه

ولمـا بلغتـه **بإفريقيـة** وفـاة مُخيفـه، كـرَّ راجعـاً إلـى **الأندلس**؛ فتـوفي فـي طريقـه **ببونـة**[1]**؛** مـن **بـلاد العنـاب** أو بأحوازهـا فـي أواخـر عـام ثلاثيـن، أو أقـرب مـن الأواخـر وسبعمايـة[2].

***

---

[1] هي مدينـة عنابـة الجزائريـة حاليـاً؛ تقـع علـى شـاطئ البحـر الأبيـض المتوسـط؛ في الجهـة الشرقيـة مـن الجمهوريـة الجزائريـة..

[2] أي حـوالي 1329م.

محمد بن جابر

ابن يحيى بن محمد بن ذي النون التغلبي ويعرف بابن الرمالية[1]؛
من أهل غرناطة؛ ويعرف خلفه الآن ببني مرزبة[2]؛
ولهم أصالة وقدم وجدة.

حالـه

فقيه، نبيه، نبيل، ذكي، عنده معرفة بالفقه والأدب والعربية، حسن المشاركة والمحاضرة، حاضر الذهن، ذاكر لما قرأه.

مشيختـه

روى عن الإمام **أبي بكر بن العربي**. قال **أبو القاسم الملاحي**، وحدثني سنة أربع وستماية؛ قال: حدثني الإمام **أبو بكر بن العربي** رضي الله عنه؛ قال: حدثني **محمد بن عبد الملك السبتي**؛ قال: خرجت مع **أبي الفضل الجزيري**؛ مشيعين لقافلة الحاج من **بغداد**، ومودعين لها من الغد؛ وحين أصبحنا؛ أثيرت الجمال، وفرض الناس الرّحال، ونحن بموضع يعرف **بجب عميرة**؛

---

[1] في الزيتونة: ((الذمالة)).
[2] نفسه: ((بني مرزقة)).

إذا بفتى شاحب اللون، حسن الوجه، يشيع الرواحل؛ راحلة بعد أخرى؛ حتى فنيت، ومشى الحاج؛ وهو يقول في أثناء تردده ونظره إليها[1]:

أحجاج بيت اللـــه في أي هــودج
وفي أي بيـــت من بيوتكم حـــبي
أأبقى رهين القلب[2] في أرض غربة
وحاديكم يحدو فــؤادي مع الركب
فــوا أسفاً لم أقض منكــم لبانـــتي
ولـــم أتمتـــع بالسلام وبالقـــرب
وفــرق بيـــني بالرحيـــل وبينكـــم
فها أنذا أقضي على إثركم نحـــبي
يقولـــون هذا آخـــر العهـــد منكـــم
فقلت وهـــذا آخر العهد من قلـــب[3]

[1] البحـر الطويـل.
[2] في الزيتونـة: ((الحـب)).
[3] أضـاف د. طويـل ((اليـاء))؛ فأضحـت: ((قلـبي)).

قال: فلما كمل الحج المشي؛ وانقطع رجاؤه؛ وجعل يخطو هايماً؛ وهو ينشد؛ ثم رمى بنفسه إلى الأرض وقال[1]:

خـل دمـع العيـن ينهمـل
بـان مـن تهواه وارتحـل
أي دمـــع صانــه كلــف
فهـو يـوم البيـن ينهمـل

قال: ثم مال على الأرض؛ فبادرنا إليه؛ فوجدناه ميتاً؛ فحفرنا له لحداً، وغسَّلناه وكفَّنَّاه في رداء وصلينا عليه. ودفنَّاه.

وفاته

وفاة المترجم به سنة خمسين وستماية[2].

***

---

[1] البحر المديد.
[2] الموافق لـ 1252م.

محمد بن محمد

ابن يبش العبدري[1] من أهل غرناطة؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن بيبش[2].

حالـه

كان خيراً، منقبضاً، عفاً، متصاوناً، مشتغلاً بما يعنيه. مضطلعاً [3] بالعربية، عاكفاً عمره على تحقيق اللغة [4]، مشاركاً في الطِّب. متعيشاً من التجارة في الكتب. أثرى منها، وحسنت حاله. وانتقل إلى سكنى **سبتة**؛ إلى أن حططت بها رسولاً في عام اثنتين وخمسين وسبعماية[5]. فاستدعيته ونقلته إلى بلده؛ فقعد للاقراء به إلى أن توفي.

وجرى ذكره في بعض الموضوعات الأدبية بما نصه:

معلم مدرب، مسهل مقرب، له في صنعة العربية باع

---

[1] توجد ترجمة محمد بن بيبش العبدري أيضاً في: الكتيبة الكامنة، وبغية الوعاة، والدرر الكامنة، ونفح الطيب.

[2] هذا الاسم ما زال معروفاً في إسبانيا حتى الآن؛ حيث يعرف بالإسبانية Vives. وكتب في الكتيبة الكامنة: ((بيش))، وفي بغية الوعاة: ((بليش)).

[3] في بغية الوعاة: ((متضلعاً)).

[4] في الزيتونة: ((الفقه)).

[5] الموافق لـ 1351م.

مديد، وفي هدفها سهم سديد، ومشاركة في الأدب، لا يفارقها تسديد، خاصيُّ المنازع، مختصرها، مرتب الأحوال، مقررها، تميز لأول وقته بالتجارة في الكتب، فسلَّطت عليها [1] منه أرَضَة آكِلة، وسهم أصاب من رَمْيتها شاكلة [2]، أترب بسببها وأثرى، وأغنى جهة، وأفقر أخرى. وانتقل لهذا العهد الأخير إلى سكنى **غرناطة**؛ مسقط رأسه، ومنبت غرسه؛ وجرت عليه جراية من أحباسها [3]، ووقع عليه قبول من ناسها، وبها تلاحق به الحمام؛ فكان من ترابها البداية وإليه التمام. وله شعر لم يقصر فيه عن المدا ، وأدب توشح بالإجادة وارتدى.

مشيخته

قرأ على شيخ الجماعة ببلده **أبي جعفر بن الزبير**، وعلى الخطيب **أبي عبد الله بن رشيد**، والوزير **أبي محمد بن المؤذن المرادي**، والأستاذ **عبد الله بن الكماد**. وسمع

---

[1] **في النفح: ((منه عليها)).**
[2] **نفسه: ((الشاكلة)).**
[3] **أي: أوقافها.**

على الوزير المسن **أبي محمد عبد المنعم بن سِماك**. وقرأ **بسبتة** على الأستاذ **أبي إسحاق الغافقي**.

شعره

أنشدني بدار الصناعة السلطانية من **سبتة** تاسع جمادى الأولى من عام اثنين وخمسين المذكور؛ عند توجهي في غرض الرسالة إلى السلطان ملك **المغرب**؛ قوله يجيب عن الأبيات المشهورة؛ التي أكثر فيها الناس وهي[1]:

يـــا ساكنـــا قلـــبيَ المُعَـــنَّى
وليـــس فيـــه ســـواك ثـــان
لأيِّ مَعْنًى كَسَـــرْتَ قَلْـــبي
ومـــا الْتَـــقَى فيـــه ساكنـــان

[1] مخلـع البسيـط.

فقــال[1]:

نحلتــني طــايعــاً فـــــؤاداً

فصــــار إذ حزتـــه مكـــــان[2]

لاغـــرو إذ كان لي مضافـــاً

إني على الكســـر فيه بـــان

وقال يخاطب **أبا العباس** عميد **سبتة**، أعزه الله؛ وهي مما أنشدنيه في التاريخ المذكور؛ وقد أهدى إليه أقلاماً[3]:

أنا ملـــك الغر التي سيب جودهـــا

يفيض كفيض المزن بالصيب القطر

أتتـــني منها تحفـــة مثـــل عدهـــا[4]

إذا انتضيت كانت كمرهفة السمـــر

هي الصفر لكن تعلم البيض أنهـــا

محكمــــة فيها على النفـــع والضـّــر

---

[1] مخلـع البسيـط.

[2] في الكتيبــة الكامنــة ونفـح الطيـب: ((مكـاني))؛ باليـاء.

[3] البحـر الطويـل.

[4] في الكتيبـة، والنفـح: ((حدّهـا)).

مهذبـــة الأوصــــال ممشوقـــة كما

تصاغُ[1] سهام الرمي من[2] خالص التِّبر

فقبلتهـــا عشـــراً ومثلـــث أنَّـــني

ظفـــرت بلثم في أناملـــك العشـــر

وأنشدني في التاريخ المذكور؛ في ترتيب حروف الصحاح قوله[3]:

أســـاجعـــة بالـــواديـيـــن تَبَـــــوَّئي

ثماراً جنتهـــا حاليـــات خواضـــب

دَعي ذكر روضٍ زاره[4] سقي شربه

صباحَ ضُحًى[طيرٌ طما][5] عصايب

غـــرام فـــؤادي قاذف كـــل ليلـــة

متى ما نـــأى وهنا هـــواه يراقـــب

---

[1] في النفـح: ((تصـوغ)).
[2] في الكتيبـة: ((أو)).
[3] البحـر الطويـل.
[4] في النفـح: ((زانـه)).
[5] في الكتيبـة، والنفـح: ((طيـرٌ ظمـاءٌ)).

ومن مطولاته ما رفعه على يدي السلطان وهو قوله[1]:

ديـــــار خطهـــا مجـــد قديـــم
وشـــاد بناءهـــا شـــرف صميـــم
وحـــل جنابهـــا الأعـــلى عـــلاً[2]
يقصـــر عنه رضـــوى أو شميـــم
سقى نجـــداً بها وهضاب نجـــد
عمـــادُ ثَـــرَّةٍ[3] وحيـــاً تميـــم[4]
ولا عدمـــت رباه ربـــاب مزن
يغـــادي روضهـــن ويستـــديـم
فيصبـــح زهرهـــا يحـــكي شـــذاه
فتيـــت المســـك يذكيـــه النسيـــم
وتنثـــره[5] الصبـــا فتريـــك دراً
نثيـــراً خـــانـــه عقـــد نظيـــم

---

[1] البحـر الوافـر.
[2] في الكتيبـة: ((عـلاء))؛ وهـو أسلـم.
[3] نفسـه: ((عهـادُ ثـرَّةٌ)).
[4] نفسـه: ((عميـم)).
[5] في الكتيبـة: ((وتنشـره)).

وظلت في ظــلال الأيــك تشــدو
مطوقــة لهــا صــوت رخيــــم
ترجــع في الغصــون فنون سجع
بــألحــان لهــا يصبــو الحليــم
أهيــم بملتــقى الــوادي تجــد[1]
وليــس ســواه فــي واد أهيــــم
وكنت صرفت عنه النفس كرهــا
وما برحــت علــى نجـد تحــوم
ومــا ينفــك لي ولهــا نــزاع
إلى مغــنى بــه ملــك كريــــم
لــه بيــت سمــا فــوق الثريــا
وعـــز لا يخيــم ولا يــريــــم
تبــوأ من بــني نصــر علاهــا
وأنصــــار لِلنَّــبيّ[2] لــــه أروم

---

[1] في الكتيبـة: ((بنجـد)).
[2] نفسـه: ((وأنصـارُ النَّـبيِّ))؛ وهـذا أسلـم.

أفاض على الوررى نيلاً وعـــدلاً[1]

سـواء فيـه مثـــرٍ أو عــديـم

مـــلاذ للملـــوك إذا ألمـــت

صروف الدهر أو خطــب جسيـم

تؤملـــه فتامـــن فـــي ذراه

وتدنـــو مـن عـــلاه فيستقيـــم[2]

ويبـــدو في نَـديٍّ المُلْـكِ بـــدراً

تحــفُّ بــه الملوك وهــم نجــوم

بوجــه يوســفي الحســن طلــق

يضيء بنــوره الليـــل البهيـــم

وتلقــاه للعافــاة[3] لــه ابتســـام

ومنـــه للعــدى أخـــذ لليـــم[4]

فيا شــرف الملوك لــك انقطاعي

وإنـــي فـــي محلكـــم خديـــم

[1] في الكتيبـة: ((عدلاً ونيلاً)).
[2] نفسـه: ((فتستنيـم)).
[3] نفسـه: ((وتلقـاه العفـاة))؛ وهو أسلم.
[4] في الإسكوريـال: ((لليـم))؛ وفي الكتيبـة: ((الأليـم))؛ وهو أصـوب.

وآمـــالي أملـــت لمليـــك[1] حـــتى

وردن عـــلى نـــداك وهـــن هيـــم

فللظمــــــا ورودك خيـــــر ورد[2]

نميـــــرمـــاؤه عــــذب جميــــم

ولا أضحى وفـــي مغنـــاك ظــل

ظليـــل حيـــن تحتـــدم السمــــوم

ركبـــت البحـــر نحوك والمطايـــا

تسيــــر لهـــا ذميـــل أو رسيـــم

وإن عـــلاك إن عطفـــت بلحـــظ

عـــليّ فـــذلـــــك العـــز المقيـــم[3]

فـــوا أسفي على عمـــر تقـــضي

بـــدارٍ ليـــس لـــي فيـــه حميـــم

ســـوى ثمر للفـــؤاد ذهبت عنـــه

وبيـــن جـــوانـــحي منـــه كلـــوم

---

[1] في الكتيبـة: ((إليـك))؛ وهـو أسلـم.
[2] ورد هـذا الشطـر في الكتيبـة: ((فلا ظمـأ ورودُك خيـر وريـد)).
[3] في الكتيبـة: ((القديـم)).

ودون لقــايهــا عــرض الفيــافي

ونجــدٌ[1] موجــه طــود عظيـــم

لعــل اللــه ينعـــم بــاجتمــاع

وينظــم شلنــا البــر الــرحيــم

بقيــت بغبطــة وقــرار عيــن

بملــك سعـــده أبـــدا يـــدوم

كما دامت حلـــى الأنصار تتــلى

يشيــد بذكرهــا الذكــر الحكيــم

عليــــك تحيــة عطــر شذاهــا

تُعَــرِّفُ[2] الرَّوض جادتــه الغيــوم

---

[1] في الكتيبــة: ((وبحـرٌ)).

[2] نفســه: ((كَعَرْفِ الـرَّوض))؛ وهـو أسلـم.

مولـده

بغرناطة في رجب[1] ثمانين وستماية [2] .

وفاتـه

وتـوفي عـام ثلاثة وخمسين وسبعماية[3]، ودفن **بباب إلبيرة**[4]؛ وتبعه من الناس ثناءُ حسن. رحمه الله.

***

---

[1] في الزيتونة: ((حدود)). وفي النفح: ((مولده في حدود ثمانين وستمائة)).

[2] الموافق لـ 1281م. وجاء في الإسكوريال؛ بخصوص مولده: ((توفي بغرناطة في رجب ثمانين وستمائة؛ بل مولده)). لذا فقد رأى عنان أن يصحح النص كما أورده.

[3] الموافق لـ 1352م.

[4] سبق التعريف به.

محمد بن محمد

النمري الضرير، من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بنسبه

حاله

من **عايد الصلة**: كان حافظاً للقرآن، طيب النغمة به، طرفاً في ذلك من أهل المشاركة في العلم، واعظاً بليغاً، أستاذا يقوم على العربية قيام تحقيق، ويستحضر الشواهد من كتاب الله، وخطب العرب وأشعارها، بعيد القرين في ذلك، آخذاً في الأدب، حفظة للأناشيد والمطولات، بقية حسنة ممتعة.

مشيخته

قرأ على الأستاذ **أبي عبد الله بن الفخار الأركشى**[1] وبه تأدب، ولازمه كثيراً، فانتفع به.

[1] **نسبة إلى حصن أركش بوادي لكة في الأندلس.**

شعـره

مما صدر به رسالة لزوجه وهو نازح عنها ببعض البلاد.

فقال[1]:

ســـلام كرشف الطل في ميسم الورد
وسيل نسيـــم الريح بالقضب الملـــد
سلام كما ارتاح المشـــوق مبشراً
برويا[2] من يهواه من دون مـــا وعد
سلام كما يرضي المحب حبيبـــه
من الجد في الإخلاص والصدق في الوعد
ســـلام وتكريـــم وبـــر ورحمـــة
بقدر مزيد الشـــوق أو منتهى الـــود
على ظبية في الأنس مرتعها الحشا
فتـــأوى إليه لا لشيـــح ولا رنـــد
ومن أطلـــع البدر التمـــام جبينهـــا
يُرى تحت ليلٍ من دُجَى الشعر مسود

---

[1] البحر الطويل.

[2] جعلها د. طويل: ((برؤية))؛ من أجل الوزن.

وثغــر أقــاحٍ زانـــه سمط لؤلـــؤ

يجب به المرجان في أحكم النضد

يجــول بـــه سلسال راحٍ معتــق

حمته ظبا الألحاظ صوناً عن الورد

فلله عينـــا من رأى بـــدر أسعــد

وروضة أزهار علت غصن القــد

وبشرى لصـــب فاز منهـــا بلمحة

من القرب بشراه بمستكمل السعــد

وأضحى هواها كامناً بين أضلعي

كمزن خفي النار في باطن الزنـــد

وراحت فراح الروح إثر رحلهـــا[1]

وودعـــت صبري حين ودعها كبد[2]

وصارت لي الأيـــام تبـــدو لياليـــاً

وقد كان ليل الوصل صبحاً بها يُبْدِ[3]

---

[1] جعلها د. طويل: ((رحيلها))؛ من أجل سلامة الوزن وصواب المعنى.

[2] أضاف د. طويل ((الياء))؛ فغدت: ((كبدي)).

[3] أضاف د. طويل ((الياء))؛ فغدت: ((يُبدي)).

فساعاتها كالدهــر طــولاً وطالما

حكى الدهر ساعات بها قصراً عندي

ومنهـا:

ترى قلبها هل هام مني بمثل مــا

بقلبي من الحب الملازم والوجــد

وهــل تــرعى ذمــتي ومــودتي[1]

كما أنا أرعاها على القرب والبعــد

إليــك خطابي والحديــث لغايــب

كنيت بلفظي عن مغيبــك بالعمــد

عليــك ســلامي إنــني متشــوق

للقيــاك لي أو من جوابــك بالــرد

[1] تصرف د. طويل؛ فأضاف كلمة: هي؛ فغدا صدر البيت هكذا: ((وهل هي ترعى ذمتي ومودتي)).

وفاتـه

تـوفي **بغرناطـة** تحـت جراية مـن أُمَرايهـا ؛ لاختصاصـه بقـراءة القـرآن عـلى قبورهـم ؛ فـي التاسـع عشـر مـن شعبـان ؛ عـام ستـة وثلاثيـن وسبعمايـة[1] .

***

[1] **الموافق لـ 1335م.**

محمد بن عبد الولي

الرُعيني من أهل غرناطة؛ يكنى أبا عبد الله؛
ويعرف بالعواد[1]

حالـه

من " **عايد الصلة** ": الشيخ المكتب، والأستاذ الصالح سابق الميدان وعلم أعلام القرآن، في إتقان تجويده والمعرفة بطرق روايته، والاضطلاع بفنونه، لا يشق غباره، ولا يتعاطى طلقه، ولا تأتي الأيتام بمثله. تستقصر بين يديه مدارك الأعلام، وتظهر سقطات الأيمة. مهتدياً إلى مكان الحجج على المسايل. مصروف عنان الأشغال إليه، مستنداً إلى نغمةٍ رخيمة، وإتقان غير متكلف، وحفظ غزير. وطلب إلى التصدر للإقراء؛ فأبى لشدة انقباضه. فنبَّهتُ[2] بالباب السلطاني على وجوب[3] نصبه للناس؛ فكان ذلك[4] في شهر شعبان من عام وفاته؛ فانتفع به. وكان أَدْأَبُ الناس على سُنَّة، والزمهم لميقات

---

[1] في الزيتونة: ((ويعرف بابن العواد)). وفي النفح ((الأستاذ ابن العواد)).
[2] الكلام لابن الخطيب.
[3] في المخطوطين: ((وجوه))
[4] هذه الكلمة أضيفت من الزيتونة.

وِرْد. يجعل جيرانه حركته إلى ذلك ليلاً. ميقاتاً لا يختلف ولا يكذب، في ترحيل الليل. " شديد الطرب " مليح الترتيب، لا تمر به ساعة ضياعاً، إلاّ وقد عمرها بشأن ديني، أو دنياوي، ضروي مما يسوغه الورع، يلازم المكتب، ناصح التعليم، مسوياً بين أبناء النعم وحلفاء الحاجة، شامخ الأنف على أهل الدنيا، تغص السكك عند ترنمه بالقرآن، مساوقاً لتلاوة التجويد، ومباشراً أيام الأخمسة والأثانين العمل في مَوْيل [1] كان له، على طريقة القدماء من الإخشيشان عند المهن ونقل آلة الخدمة، غير مفارق للظرف والخصوصية. ويقرأ أيام الجمعات، كتب الوعظ والرقايق على أهله؛ فيصغي إليه الجيران، عداة لا تختلف. وكان له لكل عمل ثوب، ولكل مهنة زي، ما رأيت أحسن ترتيباً منه. وهو أستاذي وجاري الألصق. لم أتعلم الكتاب العزيز إلاّ في مكتبه. رحمة الله عليه.

---

[1] حسب طريقة المغاربة في تخفيف الهمزة.

مشيختــه

قرأ على بقية المقريين الأستاذ **أبى جعر بن الزبير**، ولازمه وانتفع به، وعلى الأستاذ **أبى جعفر الجزيري الضرير**؛ وأخذ عن الخطيب المحدث **أبى عبد الله بن رشيد.**

مولـده

في حدود عام ثمانين وستماية[1].

وفاتـه

توفي رحمة الله عليه في [2] .... الموفي ثلاثين لذي قعدة من عام خمسين وسبعماية[3].

***

---

[1] الموافق لـ 1281م.
[2] اسم اليوم ساقط في المخطوطين. وترك في موضعه بياض.
[3] الموافق لـ 1349م.

محمد بن علي

ابن أحمد الخولاني[1]؛ يكنى أبا عبد الله؛ أصله من مجلقر[2]؛ ويعرف بابن الفخار وبالبيري؛ شيخنا رحمه الله.

حاله

من "**عايد الصلة**": أستاذ الجماعة، وعلم الصناعة، **وسيبويه** العصر، وآخر الطبقة من أهل هذا الفن. كان رحمه الله فاضلاً، تقياً منقبضاً. عاكفاً على العلم، ملازماً للتدريس، إمام الأيمة من غير مدافع مبرزاً أمام أعلام **البصريين** من النحاة، منتشر الذكر، بعيد الصيت عظيم الشهرة، مستبحر الحفظ، يتفجر بالعربية تفجر البحر، ويسترسل استرسال القَطْر، قد خالطت دمه ولحمه، لا يشكل عليه منها مشكل، ولا يعوزه توجيه، ولا تشذ عنه حجة. جدد **بالأندلس** ما كان قد درس من لسان **العرب**،

---

[1] توجد أيضاً ترجمة محمد بن علي الخولاني (ابن الفخار) في: الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب.

[2] يبدو أن اسم هذه البلدة محرف؛ لأن هذا الاسم لم يرد بين القرى التي ذكرها ابن الخطيب في القسم الأول من الإحاطة. ومع هذا فقد اعتقد عنان في احتمال كونها إحدى هذه البلدات: قلنقر، قولجر، قولر.

من لدن وفاة **أبي علي الشلوبين**[1]، مقيم السوق على عهده. وكانت له مشاركة في غير صناعة العربية من قراءات وفقه وعروض، وتفسير. وتقدم خطيباً بالجامع الأعظم، وقعد للتدريس بالمدرسة **النصرية**[2]، وقل في **الأندلس** من لم يأخذ عنه من الطلبة. واستعمل في السفارة إلى **العدوة**، مع مثله من الفقهاء فكانت له حيث حل الشهرة وعليه الازدحام والغاشية، وخرج، ودرب، وأقرأ، وأجاز، لا يأخذ على ذلك أجراً؛ وخصوصاً فيما [دون][3] البداية إلا الجراية المعروفة، مقتصداً في أحواله، وقوراً ، مفرط الطول، نحيفاً، سريع الخطو، قليل الالتفات والتعريج، متوسط الزيّ، متبذلاً في معالجة ما يتملكه بخارج البلد، قليل الدهاء والتصنع، غريب النزعة، جامعاً بين الحرص والقناعة.

---

[1] **هو عمر بن محمد بن عمر الأزدي المعروف بالشلوبين من أهل إشبيلية. ولد سنة 562هـ/1166م؛ وتوفي سنة 645 هـ/1247م. كان إماما بارعاً في علم العربية.**

[2] **المدرسة النصرية؛ أو بعبارة أخرى: جامعة غرناطة؛ أسسها السلطان يوسف أبو الحجاج النصري الذي حكم الدولة النصرية بين سنتي: 733هـ/1332م - 755هـ/1354م.**

[3] **أضيفت من الزيتونة.**

مشيختـه

قرأ **بسبتة** على الشيخ الإمام **أبي إسحاق الغافقي**، ولازمه كثيراً، وأخذ عنه، وأكثر عليه. وقرأ على الإمام الصالح **أبي عبد الله بن حريث**، والمقري الشريف الفاضل **أبي العباس الحسني**، والشيخ الأستاذ النظار **أبي القاسم بن الشاط** . وأخذ عن الخطيب المحدث **أبي عبد الله بن رشيد**، والقاضي **أبي عبد الله بن القرطبي** وغيرهم. وهو أستاذي، قرأت عليه **القرآن، وكتابي الجمل والإيضاح**، وحضرت عليه دولاً من الكتاب، ولازمته مدة، وعاشرته، وتوجه صحبتي في الرسالة إلى **المغرب**.

وفاتـه

توفي **بغرناطة** ليلة الإثنين الثاني عشر من رجب عام أربعة وخمسين وسبعماية[1]. وكانت جنازته حالفة. وخمدت قرايح الآخذين عنه، ممن يدلي دلو أدب. فيأتي بماء أو حَمْأة، على كثرتهم، تقصيراً عن الحق، وقدحاً في نسب الوفاء؛ إلاّ ما كان من بعض من تأخر أخذه

---

[1] الموافق لـ 1353م.

عنه. وهو **محمد بن عبد الله اللوشي**؛ فإنه قال: وعين هذه الأبيات قرارها[1]:

ويوم نعى الناعي شهاب المحامد
تغيرت الدنيا لمصرع[2] واحد
فلا عذر للعينين إن لم تُسايحا[3]
بدمع يحاكي الوبل يشفي لواجد
مضى من بني الفخار أفضل ماجد
جميل المساعي للعلا جد شاهد[4]
طواه الردى ما كل حي يهابه
وما ورده عاراً يشين لوارد
لقد غيبت منه المكارم في الثرى
غداة نوى[5] وانسد باب الفوايد
فيا حاملي أعواده ما علمتم
بسؤدده الجم الكريم المحاتد

[1] البحر الطويل.
[2] في الكتيبة: ((لمهلك)).
[3] نفسه: ((تُسامحا)).
[4] نفسه: ((شائد)).
[5] نفسه: ((ثوى)).

ويا حفرة خُطَّتْ له اليوم مضجعــاً

سقتك الغوادي الصادقات[1] الرواعــد

إلا يا حمام الأيك ساعدني[2] بالبكــا[3]

عـــلى علــم[4] الدنيا وزين المشاهــد

على أني لو استطعت الفدا فديتـــه[5]

بأنفـــس آل[6] مـــن طريـــف وتالـــد

محمـــد ما للنعمى[7] لموتك غضـــة[8]

توقـــف[9] ولا مـــاء الحيـــاة ببـــارد

وكيف وبـــاب العلم بعدك مغلـــق

ومـــورده[10] المتـــروك بين المـــوارد

---

[1] في الكتيبـة: ((الغاديـات)).
[2] نفسـه: ((ساعِدْنَ))؛ وهـو أسلـم.
[3] نفسـه: ((في البكـا)).
[4] نفسـه: ((عالـم)).
[5] ورد هذا الشطر في الكتيبـة هكـذا: ((على أن لـو اسطعت الفـدا لفديتـه)).
[6] في الكتيبـة: ((مـال))؛ وهـو أصـوب.
[7] نفسـه: ((النعمـى))؛ وهـذا أسلـم وأصـوب.
[8] نفسـه: ((غبطـة)).
[9] نفسـه: ((تـروق))؛ وهـذا أسلـم وأصـوب.
[10] نفسـه: ((وموردك)).

أأستاذنـــا كنـــت الرجـــا[1] لآمـــل

فأصبحت مهجـــور الفنـــا[2] لقاصـــد

فلا تبعـــدن شيخ المعارف والحجا[3]

ليس[4] الذي تحـــت التـــراب بباعـــد

لتبـــك العلـــوم بعـــدك شجوهـــا[5]

ويقفـــر[6] لها ربع العـــلا والمعاهـــد[7]

ليبك عليـــك الجود والدين[8] والتقى

وحسب البكا أن صرت ملحود لاحـــد

أمـــولاي من للمشكـــلات يبينهـــا

فيجلي[9] عمى كل القلوب الشواهـــد

ومن ذا يحل المقفـــلات صعابهـــا

ومن ذا الـــذي يهدي السبيل لحايـــد

---

[1] في الكتيبـة: ((الرجـاء))؛ وهـذا أسلـم.
[2] نفسـه: ((الفنـاء))؛ وهـذا أسلـم.
[3] نفسـه: ((والحـمى)).
[4] نفسـه: ((أليـس)).
[5] ورد هذا الشطر في الكتيبـة هكذا: ((لتبـك العلـوم بعدك اليـوم شجوهـا)).
[6] في الكتيبـة: ((ويعـف)).
[7] نفسـه: ((والمحامـد)).
[8] نفسـه: ((والحلـم)).
[9] نفسـه: ((فتجلـو)).

فيــا راحلا عنــا فزعنــا لفقــده

لقد أونســت منك القبــور بوافــد

ويا كوكبا غال النهــار[1] ضيــاءه

وشيكاً وهــل هذا الزمــان بخالــد

سأبكيك ما لاحــت بروق لشايــم

وأرعاك ما كان الغمــام بعابـــد[2]

عليك سلام الله مــا دامت[3] الصبــا

بغصــنٍ فــي الأراكـــة مايـــد[4]

[قلت: العجب من الشيخ **ابن الخطيب**. كيف قال، وخَمَدَتْ قرايح الآخذين عنه، وهو من أجَلِّ من أخذ عنه، حسبما قرَّره آنفاً؛ بل أخَصُّ من ذلك المعاشرة والسفارة **للعدوة**. وهو مع ذلك أقدرهم على هذا الشأن، وأسخاهم قريحة في هذا الميدان؛ وإن أتى غيره بماء أو حمأة؛ أتى هو بالبحر الذي لا ساحل له. ولعمري لو قام

---

[1] في الكتيبة: ((الزمان)).
[2] نفسه: ((بعائد))
[3] نفسه: ((هبَّت)).
[4] ورد هذا الشطر في الكتيبة هكذا: ((تهبّ بغصن في الأراكة مايد)).

هو بما يجب من ذلك؛ لزال القدح في نسب وفاء الغير؛ فعين ما نسبه من التقصير عن الحق في ذلك، متوجه عليه، ولاحق له، ولا يبعد عنده أن يكون وقع بينهما ما أوجب إعراضه؛ مما يقع في الأزمان؛ ولا سيما بين أهل هذا الشأن؛ فيكون ذلك سبباً في إعراض الغير مشياً في غرضه، ومساعدة له. والله أعلم بحقيقة ذلك كله[1].]

***

[1] ذكر عنان أن الفقرة الواقعة بين حاصرتين هي من كلام ناسخ الكتاب. وهذا - حسب السياق - صحيح.

محمد بن علي

ابن محمد البلنسي؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا عبد الله

حالـه

طالب هش، حسن اللقاء عفيف النشأة، مكب على العلم، حريص على استفادته[1]، مع زمانةٍ أصابت يمنى يديه؛ نفعه الله. قيد بأختها وانتسخ، قايم على العربية والبيان، ذاكر الكثير من المسائل، حافظ متقن، على نزعة عربية، من التجاذع في المشي، وقلة الالتفات إلا بجملته، وجَهْوَرِيَّة الصَّوت، متحل بسذاجة، حسن الإلقاء والتقرير، متَّ للمتغلب على الدولة بضنّ، أفاده جاها واستعمالاً في خطة السوق، ثم اصطناعاً في الرسالة إلى ملك **المغرب**، جرّ عليه آخراً النكبة، وقاد المحنة، فأرصد له السلطان **أبو عبد الله** في أخرياتها، رجالاً بعثهم في رُنْدة ، فأسروه في طريقه، وقدموا به سليباً؛ قدوم الشهرة والمثلة، موقناً بالقتل. ثم عطف عليه حنيناً إلى

[1] في الزيتونة : ((الاستفادة)) .

حسن تلاوته في محبسه ليلاً، فانتاشه لذلك من هفوة[1] بعيدة ونكبة مبيرة. ولما عاد لمكله، أعاده للإقراء.

مشيخته

جل انتفاعه بشيخ الجماعة **أبي عبد الله بن الفخار**؛ لازمه وانتفع به، وأعاد دول تدريسه، وقرأ على غيره. وألف كتاباً في تفسير القرآن، متعدد الأسفار، واستدرك على **السهيلي** في أعلام القرآن كتاباً نبيلاً، رفعه على يَدِيِّ للسلطان. وهو من فضلاء جنسه، أعانه الله وسدده.

***

[1] في الزيتونة: ((غفوة)).

محمد بن سعد

ابن محمد بن لُب بن حسن بن حسن بن عبد الرحمن بن بقيّ[1]؛
يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف باسم جَدّه

أوليته

كان القاضي العدل **أبو عبد الله بن هشام**، قاضي الجماعة[2] **بالأندلس** يجلُّ سلفه، وينسبه إلى **بَقيٍّ بن مخلد**[3]، قاضي بالخلافة **بقرطبة**. **وابن هشام** ممن يحتج به.

حاله

هذا الرجل فاضل، حسن الخلق، جميل العشرة كريم الصحبة، مبذول المشاركة، معروف الذكاء والعفة،

---

[1] توجد أيضاً ترجمة محمد بن سعيد بن بقي في: الكتيبة الكامنة، ونيل الابتهاج.
[2] خطة قاضي الجماعة في الأندلس وبلاد المغرب تعادل خطة قاضي القضاة في المشرق. وصاحب الخطة مالكي المذهب؛ وكذا الحال بالنسبة لبقية القضاة المرؤسين له. وسبب هذا هو سيادة المذهب المالكي في هذه الديار وانتشاره الواسع.
[3] يعد من أشهر فقهاء الأندلس، وأغزرهم علما. نشأ في قرطبة، ورحل إلى المشرق؛ حيث برع في الحديث والرواية؛ وكانت له حظوة لدى أمير الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم؛ لغزير علمه وفضله. توفي في سنة 276هـ/889م.

مبسوط الكنف، مع الانقباض، فكه مع الحشمة، تسع الطوائف أكناف خلفه، ويعم المتضادين رحب ذرعه. طالب محصل. حصيف العقل، حسن المشاركة في فنون، من فقه وقراءات ونحو وغير ذلك. تلكم للناس بجامع الرَّبض ثم بمسجد البكري المجاور للزاوية والتربة اللَّتَيْن أقمتهما **بأخشارش**[1] من داخل الحضرة وحلق به لتعليم العلم، فأنثال عليه المتعلم والمستفيد والسامع، لإجادة بيانه، وحسن تفهيمه.

مشيخته

قرأ القرآن بحرْف نافع، على أبيه، وعلى الشيخ الخطيب المكتب **أبي عبد الله بن طرفة**، والخطيب **أبي عبد الله بن عامور**. وقرأ العربية على إمام الجماعة الأستاذ **أبي**

[1] **يعتقد عنان أن هذا الاسم كان يطلق على حي في غرناطة؛ مخصص للزوايا والمقابر.**

عبد الله بن الفخار ، وجوَّد عليه القرآن، بالقراءات السبع، وقرأ على الأستاذ **أبي سعيد بن لب.**[1]

شعره[2]

أنشدني من ذلك قوله بعد الانصراف من مواراة جنازة[3]:

كم أرى مدمن لهو ودعه
لست أخلي ساعة من تبعه
كان لي عذر لدى عهد[4] الصبا
وأنا آمل في العمر سعه
أو ما يوقظنا من كلنا
أنفاً[5] لقبره قد شيعه

[1] ورد في هامش المخطوط بقلم الناسخ: ((وروي عن الشيخ الإمام الخطيب ابن مرزوق التلمساني، والشيخ الإمام القاضي أبي عبد الله المقري التلمساني رحمة الله عليهما؛ "وممن أخذ عنه رحمه الله الشيخ أبو عبد الله المنقطوري، وتزوج بابنته أيضاً"؛ والشيخ أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد روايتي والله أعلم ـ كاتبه)).
[2] سقط هذا العنوان من الناسخ.
[3] بحر الرمل.
[4] في الزيتونة: ((عصر)).
[5] في الكتيبة: ((آنفاً)).

سيمـــا وقـــد بـــدا[1] في مفــرقي

ما إخـــال المـــوت قد جـــاء معـــه

فدعـــوني ساعـــة أبـــكي عـــلى

عمـــر أمسيـــت ممـــن ضيعـــــه

ومن شعره في النوم ؛ وهو كثير ما يطرقه[2]:

أبـــاد البيـــــن أجنـــاد التـــلاقي

وحـــالـــت بيننـــا خيـــل الفـــراق

فجودوا وارحموا وارثـــوا ورقوا

على من جفنـــه سكـــب المـــآقي

ومن ذلك ما أنشد في النوم على لسان رجل من أصحابه[3]:

يـــا صـــاحبيّ قفـــا المطايـــا

واشفقـــاً فالعبيـــــد عبـــــده

---

[1] **في الكتيبـة: ((إذ بـدا))؛ وهـذا أسلـم.**

[2] **البحـر الوافـر.**

[3] **مخلـع البسيـط.**

إذا انتـــهى وانقضى زمـــان

[هل يرســـل][1] الله من يـــرده

مولـده

في الثاني عشر لصفر من عام اثنين وعشرين وسبعماية[2].

***

[1] في الزيتونـة : ((فيرسـل)) .

[2] الموافـق لـ 1322م.

محمد بن سعيد

ابن علي بن يوسف الأنصاري من أهل غرناطة؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بالطراز

حالـه

من **صلة ابن الزبير**: كان رحمه الله مقرياً جليلاً، ومحدثاً حافلاً، به ختم **بالمغرب** هذا الباب البتة. وكان ضابطاً متقناً، ومقيداً حافلاً، بارع الخط، حسن الوراقة، عارفاً بالأسانيد والطرق والرجال، وطبقاتهم، مقرياً عارفاً بالأسانيد والقراءات، ماهراً في صناعة التجويد، مشاركاً في علم العربية والفقه والأصول وغير ذلك، كاتباً نبيلاً، مجموعاً فاضلاً متخلقاً، ثقة فيما روى، عدلاً ممن يرجع إليه فيما قيد وضبط، لإتقانه وحذقه. كتب بخطه كثيراً، وترك أمهات حديثية، اعتمدها الناس بعده، وعولوا عليها. وتجرد آخر عمره، إلى كتاب **((مشارق الأنوار))** تأليف القاضي **أبي الفضل عياض**، وكان قد تركه في مبيضة، في أنهى درجات النسخ والإدماج والإشكال، وإهمال الحروف حتى اخترمت منفعتها، حتى استوفى ما

نقل منه المؤلف، وجمع عليها أصولاً حافلة، وأمهات جامعة، من الأغربة وكتب اللغة، فتخلص الكتاب على أتم وجه وأحسنه، وكمل من غير أن يسقط منه حرف ولا كلمة. والكتاب في ذاته لم يؤلف مثله.

مشيختـه

روى عن القاضي **أبي القاسم بن سمحون** والقاضي **ابن الطباع**،[وعن **أبي جعفر شراحيل وأبي عبد الله بن صاحب الأحكام** والمتكلم، **وأبي محمد بن عبد الصمد بن أبي رجا**[1]]، **وأبي القاسم الملاحى، وأبي محمد الكواب** وغيرهم، [أخذ عن هؤلاء كلهم ببلده][2]، **وبقرطبة** عن جماعة، **وبمالقة** كذلك، **وبسبتة**. **وبإشبيلية** عن **أبي بالحسن بن زرقون، وابن عبد النور**. **وبفاس، وبمرسية** عن جماعة.

---

[1] **ما بين حاصرتين أضيف من الزيتونة.**
[2] **الزيادة الواردة بين حاصرتين في الزيتونة.**

قلت: هذه الترجمعة في الأصل المختصر منه هذا طويله، واختصرتها لطولها.

وفاته

توفي **بغرناطة** ثالث شوال عام خمسة وأربعين وستماية[1]، وكانت جنازته من أحفل جنازة، إذ كان الله قد وضع له ودا في قلوب المؤمنين.

***

[1] **الموافق لـ 1247م.**

محمد بن يوسف

ابن علي بن يوسف بن حيان النفزي[1] من أهل غرناطة؛
يكنى أبا حيان؛ ويلقب من الألقاب المشرقية بأثير الدين

حالـه

كان نسيج وحده في ثقوب الذهن، وصحة الإدراك والحفظ والاضطلاع بعلم العربية، والتفسير وطريق الرواية، إمام النحاة في زمانه غير مدافع نشأ ببلده **غرناطة**[2]، مشاراً إليه في التبريز بميدان الإدراك، وتغيير السوابق في مضمار التحصيل. ونالته نَبْوَة[3] لحق بسببها **بالمشرق**، واستقر **بمصر**، فنال ما شاء من عز وشهرة، وتأثلٍ وبرّ وحظوة[4]، وأضحى لمن حل بساحته من **المغاربة**، ملجأً وعدة. وكان شديد البسط، مهيباً،

---

[1] نسبة إلى قبيلة نفزة الأمازيغية. وتوجد أيضاً ترجمة أبي حيان محمد ابن يوسف النفزي في: الكتيبة الكامنة، الوافي بالوفيات، والدرر الكامنة، وبغية الوعاة، وغاية النهاية، والبدر السافر، ونكت الهميان، وشذرات الذهب، والنجوم الزاهرة، ونفح الطيب.

[2] في النفح: ((في بلده)).

[3] أي جفوة.

[4] في النفح: ((وتأثل وافر وحظوة)).

جهورياً، مع الدعابة والغزل، وطرح السمت[1]، شاعراً مكثراً، مليح الحديث، لا يمل وإن أطال، وأسَنَّ جداً، وانتفع[2] به. قال بعض أصحابنا، دخلت عليه، وهو يتوضأ وقد استقر على إحدى رجليه لغسل الأخرى، كما تفعل البرك والأوز؛ فقال[3] لو كنت اليوم جار **شُلَيْر**[4] ما تركني لهذا العمل في هذا السِّنّ.

مشيخته

قرأ ببلده على الأستاذ حايز الرياسة **أبي جعفر بن الزبير** ولازمه، وانتسب إليه، وانتفع به، وشاد له **بالمشرق** ذكراً كبيراً. ويقال إنه نادى في الناس عندما بلغه نعيه، وصلى عليه **بالقاهرة**، وله إليه مخاطبات أدبية اختصرتها، وعلى الأستاذ الخطيب **أبي جعفر علي بن محمد الرعيني الطباع**، والخطيب الصالح ولي الله **أبي الحسن فضل بن**

[1] في النفح: ((التسمت)).
[2] نفسه: ((فانتفع)).
[3] نفسه: ((فقال لي)).
[4] أي جار لجبل شُلَيْر (جبل الثلج) القريب من غرناطة. وبوضوح فهو: يتمنى لو كان بغرناطة المجاورة له.

محمد بن علي بن إبراهيم بن فضيلة المعافري. وروى عن القاضي المحدث **أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحواض الفهري**، والمكتب **أبي سهل اليسر بن عبد الله ابن محمد بن خلف بن اليسر القشيري**، والأستاذ **أبي الحسن بن الصايغ**، والأديب الكاتب **أبي محمد عبد الله ابن هارون الطائي بتونس**، وعلى المسند **صفي الدين أبي محمد عبد الوهاب بن حسن بن إسماعيل بن مظفر بن الفرات الحسني بالإسكندرية**، والمسند الأصولي **وجيه الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران الأنصاري بالثغر**، والمحدث **نجيب الدين**[1] **أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمداني بالقاهرة**، وغيرهم ممن يشق إحصارهم: كالإمام **بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر بن النحاس الشافعي**. قرأ عليه جميع كتاب **سيبويه** في سنة ثمان وثمانين وستماية[2]، وقال له عند ختمه، لم يقرأه على أحد غيره.

---

[1] **في الزيتونة ((حباب الدين)).**

[2] **الموافق لـ 1289م.**

تواليفه[1]

وتواليفه كثيرة، منها شرحه كتاب "**تسهيل الفوايد لابن مالك**؛ وهو بديع، وقد وقفت على بعضه **بغرناطة** في عام سبعة وخمسين وسبعماية[2]. وكتابه في تفسير الكتاب العزيز، وهو المسمى بـ"**البحر المحيط**" تسمية زعموا موافقة للغرض. وألف كتاباً في نحو اللِّسان **التُّرْكي**، حدثنا عنه الجملة الكثيرة من أصحابنا، كالحاج **أبي يزيد خالد ابن عيسى**، والمقري الخطيب **أبي جعفر الشقوري**، والشريف **أبي عبد الله بن راجح**، وشيخنا الخطيب **أبي عبد بن مرزوق**. وقال[3] حدثنا شيخنا **أثير الدين**[4] في الجملة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة[5] **بالمدرسة الصالحية بين القصرين** بمنزله منها: قال حدثنا الأستاذ العلامة المتفنن **أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير**، سماعاً من

---

[1] **ورد في هامش المخطوط ما يلي: ((وذكر عبد القادر المكي في مقدمة شرح التسهل له؛ أن بعضهم ذكر أن تواليف أبي حيان تربوا على خمسين تأليفاً)). رحمة الله تعالى عليه.**

[2] **الموافق لـ 1356م.**

[3] **في النفح: ((قال)).**

[4] **نفسه: ((شيخنا أبو حيان)).**

[5] **الموافق لـ 1334م.**

لفظه، وكتباً[1] من خطه **بغرناطة**، عن الكاتب **أبي إسحاق ابن عامر الهمداني الطوسي** بفتح الطاء، حدثنا **أبو عبد الله بن محمد العنسي**[2] **القرطبي**، وهو آخر من حدث عنه، أخبرنا **أبو علي الحسن بن محمد الحافظ الجياني**؛ نا[3] **حكم بن محمد**، (أنا) **أبو بكر بن المهندس**، (نا) **عبد الله ابن محمد**، (نا) **طالوت بن عياد**[4] **بن بصال بن جعفر**: سمعت **أبا إمامة الباهلي** يقول: سمعت **رسول الله** صلى الله عليه وسلم يقول: ((أكفلوا لي [بيت أهل][5] لكم في في الجنة، إذا حدث أحدكم بلا كذب، وإذا ايتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف. غضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم))[6]. وقال: أنشدنا الخطيب **أبو أبو جعفر الطبَّاع**. قال: أنشدنا **ابن خلفون**. قال: أنشدنا

---

[1] في النفح: ((وكتبه)).
[2] في الزيتونة: ((القيسي)).
[3] في النفح: ((أنبأنا))؛ وما سيأتي بين قوسين كذلك.
[4] نفسه: ((عباد بن نصال)).
[5] نفسه: ((بست أكفل)).
[6] حدث خلط واضطراب في سياق هذا الحديث؛ ولكنة ورد في نفح الطيب هكذا: ((أكفلوا لي بستٍ أكفل لكم في الجنة، إذا حَدَّث أحدكم بلا كذب، وإذا ائتُمِن فلا يَخُن، وإذا وَعَدَ فلا يُخْلِف؛ غُضّوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكم، واحفظوا فروجكم)).

أبو عبد الله محمد بن سعيد. قال: أنشدنا **أبو عمران موسى بن أبي تليد** لنفسه[1]:

حـــالي مـــع الـــدهـــر في تقلبـــه
كطايـــر ضـــمّ رجلـــه الشـــرك
فهمـــه فـــي خـــلاص مهجتـــــه
يـــــروم تخليصهـــا فيشتـــبـــك

ومن مُلَحِه: قال: قدم علينا الشيخ المحدث **أبو العلاء محمد بن أبي بكر البخاري الفرضي بالقاهرة** في طلب الحديث. وكان رجلاً حسناً طيب الأخلاق، لطيف المزاج، فكُنَّا نسايره في طلب الحديث، فإذا رأى صورة حسنة، قال هذا حديث على شرط **البخاري**؛ فنظمت هذه الأبيات[2]:

بدا كهلال العيـــد[3] وقت طلوعـــه
وماس[4] كغصـــن الخيزران المنعـــم

---

[1] **البحر المنسرح.**
[2] **البحر الطويل.**
[3] **في الكتيبة: ((الأفق)).**
[4] **نفسه: ((ومال)).**

غــزال رخيم الدَّلِّ وافى مواصلا

موافقــة منــه على رغــم لــوم

مليح غريب الحسن أصبح معلمــاً

بخمــرة[1] خــد بالمحاســن معلــم

وقالوا على شرط البخاري قد أتى

فقلنــا[2] على شرط البخاري ومسلــم

فقال مولاي أنا البخاري فمن مسلِم

فقلت له أنت البخــاري وأنا مسلــم[3]

محنته

حملته حدة الشبيبة على [التعريض[4] للأستاذ][5] **أبي جعفر الطباع**، وقد وقعت بينه وبين أستاذه **ابن الزبير** الوحشة فنال منه، وتصدى للتأليف في الرد عليه، وتكذيب روايته، فرفع أمره إلى السلطان، فامتعض له،

---

[1] في الكتيبة: ((بحُمْرة)).

[2] نفسه: ((فقلت)).

[3] تصرف د. طويل؛ بحجة سلامة الوزن؛ فجعل هذا البيت هكذا:
((فقال البخاري فمن هو مسلم * فقلت له أنت البخاري وأنا مسلم)).

[4] في النفح: ((التعرض)).

[5] وردت هذه العبارة في الإسكوريال هكذا: ((التعرض على الأستاذ)).

ونفذ الأمر بتنكيله، فاختفى، ثم أجاز البحر مختفياً، ولحق **بالمشرق** يلتفت خلفه.

شعــره

وشعره كثير بحيث يتصف بالإجادة وضدها. فمن مطولاته رحمه الله قوله[1]:

لا تعــذلاه فمــا ذو الحب معــذول
العقــل مختبــل والقلــب متبــول
هــزت له أسمــراً من خوط قامتها
فما انثنى للصب[2] إلا وهو مقتــول
جميلــة فصل الحسن البيديــع لهــا
فكم لهــا جمــل منــه وتفصيــل
فالنحــر مرمــره والنشــر عنبــره
والثغر جوهــره والريق معســول[3]

---

[1] البحر البسيط.
[2] في النفح: ((الصبّ))؛ وهذا أسلم.
[3] ورد هذا البيت في نفح الطيب هكذا:
((فالنحر مرمرةٌ والنشر عنبرةٌ * والثغر جوهرةٌ والريق معسول)).

والطرف ذو غنجٍ والعرف ذو أرج
والخصر مختطف والعنق مجــدول
هيفاء ينبس[1] في الخصر الوشاح لها
ردماً[2] تخرس في الساق الخلاخيــل
من اللــواتي غذاهــن النعيــم فما
يشقين آباؤهــا الصِّيــد[3] البهاليــل[4]
نـــزر الكـــلام غميات الجواب إذا
يسلن بعد الصحا حصر مكاسيــل
من حليهـــا وسناها مونس وهـــدى
فليس يلحقهـــا ذعـــر وتضليـــل
حلـــت بمنعقـــــد الـــزوراء زارة
شوسا غيارى فعقد الصبر محلـــول

[1] في النفـح: ((ينطـق)).
[2] نفسـه: ((درمـاء)). وهـذا أسلـم. والدرمـاء مـن النسـاء: هي الممتلئـة الـتي تظهـر كعوبهـا ومرافقهـا مـن الشحـم.
[3] الصِّيـد: هـم الذيـن يرفعـون رؤوسهـم كبـراً وشموخـاً.
[4] أي الذيـن يجمعـون كـل خيـر.

فعد عــن ذكر ليـــلى إن ذكرهـــا[1]
عــلى التنايـــي لتعذيـــب وتعليـــل
أتـــاك منـــك نذيـــر فأنـــذرن بـــه
وبادر التـــوب إن التـــوب مقبـــول
وآمـــل العفـــر واسلـــك مهمهـــا
قدفا إلى رضى الله إن العفو مأمول
إن الجهاد وحـــج البيـــت مختتمـــا
بـــزورة المصطـــفى للعفو تأميـــل
فشق حيزوم هـــذا الليـــل ممتطيـــاً
أخـــا خـــرام به قد يبلـــغ الســـؤل
أقب أعـــوج يعـــزى للوجيـــه لـــه
وجـــه أغر وفي الرجليـــن تحجيل
جفْـــرٌ حوافـــره معْـــرٌ قوايمـــه
ضمـــر أياطلـــه وللذيـــل عُثْكـــول[2]

---

[1] جعلها د. طويل: ((ذكراها))؛ من أجل الوزن.
[2] العثكول: هو عذق النخل الذي يحمل التمر: ((العرجون)).

إذا توجـــه أصـــغى وهـــو ملتفـــت

ساعـــر[1] اعتقـــــا فيهـــن تأليـــــل

إن تعـــارض به هوجا[2] هـــاج لـــه

جَرْيٌ يرى البرق عنه وهو مخذول

يحـــمي[3] حـــوزة الإســـلام ملتقيـــاً

كتايبـــا غص منها العرض والطول

كتايباً قد عمـــوا عن كل واضحـــةٍ

من الكتـــاب وغرتهـــم أباطيـــــل

في رماقط[4] ضرب الموت الزؤام[5] به

سرادقـــاً فعليهـــم منـــه تخييـــل

هيجـــا[6] يشرف فيها المشرفي على

هام العـــدو ويصحب[7] النقع تظليـــل

---

[1] كتبها د. طويل: ((مساعر)).

[2] جعلها د. طويل: ((هوجاء))؛ أي الريح الشديدة.

[3] أضاف د. طويل هنا كلمة: ((به))؛ فأضحت: ((يحمي به)).

[4] جعلها د. طويل: ((في ماقط))؛ أي الحيز الضيق في الحرب.

[5] أي الموت الكريه.

[6] جعلها د. طويل: ((الهيجاء))؛ من أجل الوزن.

[7] جعلها د. طويل: ((ويصحى))؛ من أجل الوزن.

تدير كـــاس شَعُــوب[1] في شعوبهـــم

فكلهـــم منهـــل بالمـــوت معلـــول

إذا[2] قضيت غـــزاة فالتفـــت عمـــلا

للحـــج فالحـــج للإســـلام تكميـــل

واصل بســـرّ[3] يابـــن أندلـــس

والطرف أدهـــم بالأشطان مغلـــول

يلاطـــم الريح منه أبيض نفـــق له

مـــن السحـــب المزبـــد إكليـــل

يعلو حضـــارة[4] منه شامـــخ جلـــل

ســـام طفـــا وهو بالنكبـــاء محمول

كأنمـــا هـــو في طخيا[5] لجتـــه أيـــم

يعـــرو[6] أديـــــم السيـــل شمليـــل

---

[1] أي كـأس المنيَّـة.

[2] جعلهـا د. طويـل: ((وإذ))؛ مـن أجـل الـوزن.

[3] أضـاف هنـا د. طويـل كلمـة ((مُعَد))؛ دون ذكـر مصدره؛ فأضحت: ((واصل ((واصل بسر مُعَدِّ)).

[4] جعلهـا د. طويـل: ((حضاريـن)).

[5] جعلهـا د. طويـل: ((طَخْيـاء.

[6] أضـاف د. طويـل كلمـة ((أَيْمٌ))؛ وهـو ذكـر الأفـعى؛ فأضحت: ((أيْـمٌ يَعْرو))؛ ولكنـه لـم يذكـر مصدره.

ماز الــت الموج تعليــه وتخفضــه
حتى بدا من منــار الثغــر قنديــل
وكبــر النــاس أعــلاه الــرنيــم[1]
وكلهــم طرفــه بالشهــد مكحــول
وصافحوا البيد بعد اليــم وابتــدروا
سبــلا بها لجنــاب اللــه توصيــل
عــلى نجائــب تتلــوه أجنابهــا[2]
خيــل بها الخيــر معقود ومعقــول
في موكب تزحف الأرض الفضاء بــه
أضحت وموحشها بالناس مأمــول
يطارد الوحــش منه فيلــق لجــب
حــتى لقد ذعرت في بيدها الغــول
سيوفهــم طرب نحو الحجاز فهــم
ذوو ارتيــاح على أوكارهــا ميــل

---

[1] في هذا الصدر خلل.
[2] هذا الصدر مختل أيضاً.

شعث رؤوسهــم يبـــس شفاههــم

خـــوص عيونهم غرب مهازيـــل

حتى إذا لاح من بيت الإلـــه لهــم

نـــور إذا هم على الغبرا أراحيـــل

يعفـــرون وجوها طالمـــا سمـــت

باكيـــن حتى أديم الأرض مبلـــول

حفـــوا بكعبـــة مولاهـــم فكعبهـــم

عـــال بهـــا لهـــم طـــوف وتقبيـــل

وبالصفا وقتهـــم صـــاف بسعيهـــم

وفي مـــنى لمناهـــم كـــان تنويـــل

تعرفـــوا عرفـــات واقفيـــن بهـــا

لهـــم إلـــى اللـــه تكبيـــر وتهليـــل

لما قضينـــا من الغـــراء منسكنـــا

ثرنـــا وكل بنـــار الشوق مشمـــول

شدنا على الشد قميـــات التي سكنت

أبدانهـــــن وأفناهـــــن تنقيـــــــل

إلى الرســول تــزجى كل تعلمــة

أجــل من نجوة تجــزي المراسيل

مــن أنزلــت فيه آيــات مطهــرة

وأورثــت فيه تورتــه[1] وإنجيـــل

وعطرت مــن شــذاه كل ناحيــة

كأنما المســك في الأرجــاء محلول

سر من العالــم العلــوي ضمنــه

جسم من الجوهــرالأرضي محمول

نــور تمثــل في أبصارنــا بشــرا

علــى الملائك من سميــاه تمثيــل

لقــد تسامـــى وجبريــل مصاميه

إلى مقــام راخـــى[2] فيــه جبريــل

أوحـــى إليه الذي أوحاه من كثــب

فالقلــب واع بسر اللــه مشغــول

---

[1] جعلها د. طويل: ((توراة))؛ من أجل الوزن والمعنى.

[2] جعلها د. طويل: ((رَخـيٍّ))؛ من أجل الوزن والمعنى. والرخيّ: هو الواسع.

يتلو كتابا من الرحمـــن جــاء بـــه
مطهـــرا ظاهـــر منه وتـــأويــــل
جار على منهج الأعراب أعجزهـــم
بـــاق مع الدهـــر لا يأتيه تبديـــل
بلاغـــة عندها كـــعَّ البليـــغ فلـــم
ينطق وفي هديه صاحت أضاليـــل

ومنها:

وطولبوا أن يجيبـــوا حيـــن رابهـــم
بســـورة مثله فـــاستعجـــز القيـــل
لاذوا بذوبـــان خَـــطِّيٍّ[1] وبترُ ظبـــا
يوم الوغا واعتراهـــم منه تنكيـــل
فمونـــف في جبال الوهـــد منحـــدر
وموثـــق في حبـــال الغـــد مكبـــول
مـــازال بالعضب هتاكاً سوابغهـــم
حتى انثنى العصب منهم وهو مفلول

[1] أي رمح من مرفأ بالبحرين يسمى الخط.

وقـــد تحطـــم في نحر العدا قصـــد

أصم الوشـــج[1] وخانتهـــا العواميـــل

مـــن لايعدّلـــه القـــرآن كـــان له

من الصفـــاد وبيض البتـــر تعديـــل

وكم له معجزاً غير القـــرآن أتـــى[2]

فيـــه من الحـــق منقول ومعقـــول

فللرسول انشقـــاق البـــدر نشهـــده

كما لمـــوسى انفلاق البحـــر منقول

ونبـــع مـــاء فـــرات مـــن أناملـــه

كالعين ثرت فجا الهتان ماء[3] النيـــل

رووا الخميـــس وهم زهاء سبع ميٍّ

مع الركاب فمشـــروب ومحمـــول

وميٌّ عين بكـــف جـــاء يحملهـــا

قتـــادة ولـــه شكـــوى وتعـــويـــل

---

[1] جعلها د. طويل: ((صَمُّ الوشيج))؛ من أجل الوزن والمعنى. لأن الوشيج: هو الشجر الذي تصنع منه الرماح.

[2] هذا الصدر مختل الوزن.

[3] حذف د. طويل الهمزة؛ فأضحت: ((ما))؛ من أجل الوزن

فكانت[1] أحسن عينيه ولا عجب
مست أناميل فيها اليمن مجعول
والجذع حنّ إليه حين فارقه
حنين ولهى لها للروم متكول
وأشيع الكثر من قل الطعام ولم
يكن ليعوزه بالكثر تقليل
وفي جراب لي[2] هن عجائب كم
يمتار منه فمبذول ومأكول
وفي ارتواء لي ذر[3] بزمزم ما
يكفي تبدن منه وهو مهزول
والعنكبوت بباب الغار قد نسجت
حتى كأن رداءً منه مسدول
وفرخت في حماه الورق ساجعة
تبكي وما دمعها في الخد مطول

[1] جعلها د. طويل: ((فكانت))؛ من أجل الوزن
[2] جعلها د. طويل: ((ولا))؛ من أجل الوزن
[3] جعلها د. طويل: ((إلَى ذَرْءِ))؛ من أجل الوزن والمعنى.

هذا وكم معجزات للرســول أتــت

لهــا من اللــه أمــداد وتــأصيــل

غدت من الكثــر أعداد النجوم فما

يحصـــي لها عــدداً كتب ولاقيــل

قد انقضت معجزات الرسل منذ قضوا

نحبــاً وأعجــم منهــا ذلك الجيــل

ومعجــزات رســول اللــه باقيــة

محفوظــة مالهــا في الدهــر تحويل

تكفــل اللــه هــذا الذكر يحفظــه

وهــل يضيع الــذي باللــه مكفول

هذي المفاخر لايحظى الملوك بهــا

الملــك[1] منقطع والوحي موصــول[2]

ومن مطولاته في غرض يظهر منها[3]:

هو العلــم لا كالعلــم شيء تراوده

لقد فاز باغيــه وأنجــح قاصــده

---

[1] جعلها د. طويل: ((للملك))؛ من أجل الوزن

[2] لم ترد هذه القصيدة في الزيتونة.

[3] البحر الطويل.

وما فضـــل الإنســـان إلا بعلمـــه

وما امتـــاز إلا ثاقب الذهن واقـــده

وقـــد قصـــرت أعمارنا وعلومنـــا

يطول علينـــا حصرهـــا ونكابـــده

وفي كلهـــا خيـــر ولكـــن أصلهـــا

هو النحو فاحذر من جهول يعانـــده

به يعرف القـــرآن والسنـــة الـــتي

هما أصل ديـــن الله ذو أنت عابده[1]

وناهيـــك مـــن علـــم علي مشيـــد

مبانيـــه أعزز بالـــذي هو شايـــده

لقد حـــاز في الدنيا فخاراً وسؤدداً

أبو الأســـود الديلي[2] فللجر سانـــده

هو استنبط العلم الذي جل قـــدره

وطار بـــه للعـــرب ذكر نعـــاوده

---

[1] في الزيتونـة: ((أصل ذا الدين الـذي أنت عابده)).

[2] المقصود هنا هو أبو الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو بن سفيان الديلي)؛ ولد سنة 16 قبل الهجرة؛ وتوفي سنة 69هـ بوباء الطاعون. وهو واضع علم النحو؛ كما أنه أول من شكل القرآن الكريم.

وســـاد عطـــا نجله ابـــن هرمـــز[1]

ويحيى ونصـــر ثم ميمون ماهـــده

وعنبســـة قد كـــان أبـــرع صحبه

فقد قلـــدت جيد المعالـــي قلائـــده

ومـــازال هذا العلـــم تنميه ســـادة

جهابـــذة تبلـــى بـــه وتعاضـــده

إلى أن أتى الدهـــر العقيم بواحـــد

مـــن الأزد تنميـــه إليـــه فرايـــده

إمام الـــورى ذاك الخليل بن أحمـــد

أقر لـــه بالسبق في العلـــم حاســـده

وبالبصرة الغـــرا[2] قـــد لاح فجـــره

فنـــارت أدانيه وضـــاءت أباعـــده

يا ذكي[3] الورى ذهناً وأصدق لهجة

إذا ظـــن أمراً قلت ما هو شاهـــده

[1] كتبت هذا الشطر في الزيتونة هكذا: ((وتبادر غيظا نجله وابن حيدر)).
[2] أضاف د. طويل الهمزة؛ فغدت: ((الغراء))؛ من أجل الوزن.
[3] حذف د. طويل ياء النداء؛ فأضحت: ((ذكي الورى))؛ من أجل الوزن.

وما أن يـــروي بل جميع علومـــه[1]
بدايـــة[2] أعيـــت كل حبـــرٍ تجالـــده
هو الواضـــع الثاني الذي فاق أولا
ولا ثالث في الناس تصمى قواصده
فقـــد كـــان ربـــانيَّ أهـــل زمانـــه
صُـــوَّمٌ قُـــوَّمٌ[3] راكع الليل ساجـــده
يقيـــم منـــه دهـــره[4] فـــي مثوبـــة
وثوقـــاً بـــأن اللـــه حقـــاً مواعـــده
فعـــام إلـــى حـــج وعـــام لغـــزوة
فيعرفـــه البيت العتيـــق ووافـــــده
ولم يثنـــه يوماً عن العلـــم والتـــقى
كواعب حســـن تتثـــني ونواهـــده
وأكثـــر سكنـــاه بقفـــر بحيـــث لا
تناغيـــه إلا عفـــــره وأوابـــــده

[1] كتب هذا الشطر في الزيتونة هكذا: ((أصل ذا الدين الذي أنت عابده)).
[2] جعلها د. طويل: ((بدائه))؛ من أجل الوزن والمعنى.
[3] جعلها د. طويل: ((صُوَيْمٌ قُوَيْمٌ))؛ من أجل الوزن.
[4] في الزيتونة: ((الدهر)) .

ومــــا قوتـــه إلا شعيـــر يسيغـــه

بماء قراح ليـــس تغــشى مــــوارده

عزوبــــاً عن الدنيـــا وعن زهراتها

وشوقاً إلى المولى وما هو واعــــده

ولمــــا رأى مـــن سيبويـــه نجابـــة

وأيقـــن أن الحيـــن أدنـــاه باعـــده

تخيـــــره إذ كـــان وارث علمـــه

ولا طفـــه حتى كـــأن هـــو والـــده

وعلمـــه شيئـــاً فشيئـــــاً علومـــه

إلى أن بدت سيماه واشتـــد ساعـــده

فـــإذ ذاك وافـــاه مـــن الله وعـــده

وراح وحيد العصر اذ جاء واحـــده

أتـــى سيبويـــه ناشـــراً لعلومـــه

فلولاه أضحى للنحو عطلاً[1] شواهده

وأبـــدى كتابـــاً كان فخراً وجـــوده

لقحطان إذ كعب بن عمرو محاتـــده

[1] جعلها د. طويل: ((النحو عُطلاً))؛ من أجل الوزن.

وجمع فيـــه ما تفــرق في الـــورى
فطارفـــه يعـــزى إليـــه وتالـــده
بعمـــرو بن عثمان بن قنبر الرضا
أطاعت عواصيـــه وتابت شـــوارده
عليك قـــرآن النحو نحو ابن قنبـــر[1]
فآياتـــه مشهـــــودة وشواهـــــده
كتـــاب [أبي بشـــر][2] فلا تك قاريـــاً
سواه فكل ذاهـــب الحســـن فاقـــده
هـــم خلـــج بالعمـــل مدت فعندمـــا
تناءت غدت تزهى وليست تشاهـــده
ولا تعـــد عما حـــازه إنـــه[3] الفـــرا
وفي جوفه كل الـــذي أنت صائـــده[4]

---

[1] **هذا الصدر مختل الوزن.**
[2] **ما بين حاصرتين كنية لسيبويه؛ إذ هو أبو بشر عمرو بن عثمان ابن قنبر البصري؛ ولد سنة 140هـ/760م وتوفي سنة 180هـ/796م. هو إمام العربية وشيخ النحو؛ له كتاب في النحو يتصدر الكتب كلها في هذا الباب؛ وعنوانه: ((الكتاب)).**
[3] **في الزيتونة: ((فهو)).**
[4] **إشارة هنا إلى المثل الذي سبق شرحه؛ وهو: ((كل الصيد في جوف الفرا)).**

إذا كنـــت يوماً محكمـــاً في كتابـــه

فإنـــك فينـــا نابـــه القـــدر ماجـــده

ولســـت تبالي إن فككـــت رمـــوزه

أعضـــك دهـــر أم عرتك ثرائـــده

هو العضب إن تلق الهياج شهرتـــه

وإن لا تصـــب حرباً فإنك غامـــده

تلقـــاه كـــل بالقبـــول وبالـــرضى

فذوا الفهم من تبدو إليـــه مقاصـــده

ولم يعترض فيه سوى ابن طـــراوة

وكـــان طريـــاً لم تقـــادم معاهـــده

وجَسَّـــرَهُ طعـــن المُيَـــرَّد[1] قبلـــــه

وإنَّ الثَّمـــالي[2] بارد الذهن خامـــده

هما ما هما صارا مدى[3] الدهر ضِحكة

يزيـــف ما قـــالا وتبـــدو مفاســـده

---

[1] هكذا رسمت في نسخة عنا؛ بينما رسمها د. طويل: ((المُبَرِّد)).
[2] في الزيتونة: ((النخالي)) .
[3] في الزيتونة: ((أمد)).

تكـــون صحيح العقل حتى إذا ترى
تبـــاري أبا بشـــرٍ، إذا أنت فاســـده
يقـــول امرؤ قد خامر الكبر رأســـه
وقد ظن أن النحـــو سهل مقاصـــده
ولـــم يشتغـــل إلا بنـــزر مسائـــل
من الفقه وفي[1] أوراقه هو راصـــده
وقـــد نال بين الناس جاهـــاً ورتبه
وألهاك عن نيـــل المعالي ولابـــده
وما ذاق للآداب طعمـــاً ولم يبـــت
يعـــنى بمنظـــوم ونثـــر يجـــاوده
فينكـــح أبكـــار المعـــاني ويبتـــغي
لها الكفـــو من لفظ بها هو عاقـــده
رأى[2] سيبويـــه فيه بعـــض نكـــادة
وعجمـــة لفـــظ لا تحـــل معاقـــده

---

[1] حذف د. طويل واو العطف قبل ((في)). من أجل الوزن.
[2] في الإسكوريال: ((أرى)) وفي الزيتونة: ((روى)).

فقلـــت أتيـــت[1] ما أنت أهل لفهمـــه
وما أنت إلا غائض الفكـــر راكـــده
لعمـــرك مـــاذو لحيـــة وتسمـــت
وإطراق رأس والجهـــات تساعـــده[2]
فيمشي على الأرض الهوينا كأنمـــا
إلى الملإ الأعلى تناهت مراصـــده
وإيهامـــك الجهـــال أنـــك عالـــم
وأنـــك فـــرد في الوجود وزاهـــده
بأجلب للنحـــو الـــذي أنت هاجـــر
من الدرس بالليل الذي أنت هاجده
أصـــاح تجنب من غـــوي مخـــذل
وخذ في طريق النحو أنك راشـــده
لك الخير فادأب ساهراً في علومـــه
[فلم تُشِمْ[3]] إلاَّ ساهر الطرف ساهده

---

[1] جعلها د. طويل: ((فقلت: أما أتى)).
[2] في الإسكوريـال: ((تصاعده)).
[3] في الزيتونـة: ((فلا تسافر)).

ولا تـــرج في الدنيا ثوابـــاً فإنمـــا
لدى الله حقـــاً أنـــت لاشـــك واجده

ذوو النحو في الدنيا قليل حظوظهم
وذو الجهل فيها وافر الحظ زايـــده

لهم أســـوة فيها على لغــدٍ[1] مضى
ولم يلق في الدنيا صديقـــاً يساعـــده

مضى بعـــده عنها الخليل فلم ينـــل
كفافـــاً ولم يعـــدم حســـوداً يناكـــده

ولاقـــى أبـــا بشـــــرٍ[2] سفيههـــــا
غـــداة تمالـــت في ضلال يمـــادده[3]

أتى نحو هـــارون[4] يناظـــر شيخه
فنفحـــــة[5] حـــتى تبـــدت مناكـــده

---

[1] جعلها د. طويل: (((لاغدٍ)).
[2] أضاف د. طويل كلمة: ((خليل)) بعد ((بشر))؛ دون أن يعين مصدره.
[3] في الإسكوريال: ((بغادده)) وصوبت من الزيتونة.
[4] هو هارون بن موسى؛ كان في البداية يهودياً من البصرة اعتنق الإسلام واشتغل بالأدب، واشتهر بضبط النحو والبراعة فيه.
[5] جعلها د. طويل: (((فنفحته)).

فأطــرق شيئـــاً ثم أبـــدى دوابـــه
بحـــق ولا كن أنكـــر الحق جاحـــده[1]

وكاد علي عمراً إذا صار حاكمـــاً
وقـــد ما علي كان عمرو يكايـــده

سقاه بكـــأس لم يفق من خمارهـــا
وأورده الأمـــر الـــذي هـــو وارده

ولابـــن زيـــاد شركـــة في مـــراده
ولابن رُشَيْـــد بشرك للقلب[2] رايـــده

همـــا جرعـــا إلـــى عـــلي وقنبـــر
أفاويـــق[3] ســـم لم تتجـــد أســـاوده

أبـــكي على عمـــرو ولا عمر مثله
إذا مشكـــل أعيـــا وأعـــوز ناقـــده

قضى نحبه شـــرخ الشبيبة لم يرع
بشيـــب ولم تعلـــق بـــذام معاقـــده

---

[1] في الإسكوريـال: ((جاهـدة)) وصوبـت مـن الزيتونـة.
[2] جعلهـا د. طويـل: (((شَـرَكَ القلْـب)).
[3] في الزيتونـة: ((أباريـق)).

لقــد كان للنـــاس اعتنـــاء بعلمـــه

بشـــرقٍ وغـــربٍ تستنـــار فوائـــده

والآن فلا شخص على الأرض قارئ

كتاب أبي بشـــرٍ ولا هـــو رائـــده

سوى معشـــر بالغرب فيهـــم تلفت

إليـــه وشوق ليس يخبـــو مواقـــده

وما زال منـــا أهـــل أندلـــس لـــه

جهابـــذ تبـــدي فضلـــه وتناجـــده

وإني في مصرعلى ضعف ناصري

لناصـــره ما دمـــت حياً وعاضـــده

أثـــار أثيـــر الغرب للنحـــو كامنـــاً

وعالجـــه حـــتى تبـــدت قواعـــده

وأحيـــا أبو حيـــان ميـــت علومـــه

فأصبـــح علم النحو ينفـــق كاســـده

إذا مغـــربي حـــط بالثغـــر رحلـــه

تيقـــــن أن النحـــو أخفـــاه لاحـــده

منينـــا بقوم صـــدروا في مجالـــس
لإقراء علم ضل عنهـــم مراشـــده
لقـــد أخـــر التصدير عن مستحقـــه
وقدم غمـــر خامد الذهـــن جامـــده
وسوف يلاقي من سَعَى في جلوسهم
عقـــبى[1] مـــا أكنـــــت عقائـــــده
علا عقلـــه فيهم هـــواه فمـــا درى
بأن هـــوى الإنسان للنـــار قائـــده
أقمنـــا بمصـــر عشريـــن[2] حجـــة
يشاهدنـــا ذو أمرهـــم ونشاهـــده
فلَمَّا نَنَـــل منهم مدى الدهر طائـــلا
ولمَّـــا نجـــد فيهـــم صديقاً نـــوادده
لنا سلـــوة[3] فيمـــن سردنا حديثهـــم
وقد يتســـلى بالـــذي قـــال ســـارده

---

[1] تصرف د. طويل؛ فأضاف كلمة: ((جزاء))؛ قبل ((عقبى))؛
[2] في الإسكوريال ((نحو))؛ وصوبت من الزيتونة. وكان المفروض بعنان أن يعتمد على ما ورد في الإسكويال؛ لأنه أسلم. إذ جاء الشطر فيه هكذ: ((أقمنا بمصر نحو عشرين حجة))
[3] في الزيتونة: ((أسوة)).

أخي إن تصـــل يوماً وبلغت سالماً

لغرناطـــة فانفــذ لمـــا أنا عاهـــده

وقبل ثـــرى أرض بها حل ملكنـــا

وسلطاننا الشهـــم الجميل عوايـــده

مبيد العدا قتـــلاً وقد عَمَرَ[1] شرهـــم

ومحي الندا فضلاً وقد رم هامـــده

أفاض على الإسلام جوداً ونجـــدةً

فعـــــز مواليـــه وذل معانـــــده

وعـــــم بهـــا إخـــواننـــا بتحيـــة

وخـــص بها الأستاذ لاعاش كائـــده

جـــزى الله عنـــا شيخنـــا وإمامنـــا

وأستاذنـــا[2] الحبـــر الذي عم فايـــده[3]

لقـــد أطلعت جيـــان أوحد عصـــره

فللغرب فخر أعجز الشرق خالـــده

---

[1] **جعلها د. طويل: ((عَمَّ)).**

[2] **المقصود هو أبو جعفر أحمد بن الزبير الثقفي. تم الحديث عنه.**

[3] **يشير الشاعر هنا إلى أستاذه أيام الدراسة في غرناطة؛ أبي جعفر بن الزبير المتوفى سنة 708هـ، وأصله من مدينة جيان.**

مؤرخـــــة نحويـــــة وإمامـــــة
محدثـــة جلـــت وصحت مسانـــده
جـــاه عظيـــم مـــن ثقيـــف وإنمـــا
به استوثقت منه العرى ومساعـــده
وما أنس لا أنـــسى سهادي ببابـــه
بسبـــق وغيري نائم الليـــل راقـــده
فيجلـــو بنـــور العلم ظلمة جهلنـــا
ويفتـــح علمـــاً مغلقـــاتٍ رصايـــده
وإني وإن شطت بنا غربة النـــوى
لشاكـــر له في كل وقـــت وحامده
بغرناطة روحي وفي مصر جثـــتي
تـــرى هل يثني الفرد من هو فارده
أبا جعفـــر خذها قوافي من فـــتى
تتيـــه على غـــر القوافي قصائـــده
يسيـــر بلا إذن إلى الأذن حسنهـــا
فيرتـــاح سمـــاع لهـــا ومناشـــده

غريبة شكل كم حوت من غرائـــب
مجيـــدة أصـــل أنتجتهـــا أماجـــده
فلـــولاك يا مولاى ما فاه مقـــولي
بمصـــر ولا حبرت ما أنا قاصـــده
لهـــذبتني حتى أحـــوك[1] مفـــوقـــاً
من النظم لا يبلى مدى الدهر آبـــده
وأذكيت فكري بعـــد ما كان خامـــداً
وقيـــد شعـــري بعد ما ند شـــارده
جعلـــت ختامـــاً فيه ذكـــرك إنـــه
هو المسك بل أعلى وإن عز ناشده

ومما دَوَّنَ[2] المطولات قوله رحمه الله[3]:

تَفَـــرَّدْت لمَّـــا أن جُمِعْـــتُ بـــذات[4]
وأسكنـــت لمـــا أن بـــدت حركـــات[5]

---

[1] في الزيتونـة : ((أجـود)).
[2] أضاف د. طويل كلمة: ((من)) بعد ((دَوَّنَ))؛ فأضحت: ((دَوَّنَ من المطولات)).
[3] البحـر الطويـل.
[4] في الكتيبـة الكامنـة: ((بـذاتي)).
[5] نفسـه: ((حركـاتي)).

فلــم أر في الأكــوان غيراً[1] لأنــني
أزحــت عن الأغيار روح حيــات[2]
وقدستهــا عــن رتبــة لــو تعينــت
لهــا دائمــاً دامت لهــا حســرات[3]
فها أنا قد أصعدتها عن حضيضهــا
إلى رتبــة تقــضي لهــا بثبــــات
تشاهــد معنى روضة أذهــب العنــا
وأيقظــني للحـــق بعــد سِنَــات[4]
أقامــت زماناً في حجــاب فعندمــا
تزحــزح عنهــا رامــت الخلــوات
لنقضي بها ما فــات من طيب أنسنــا
بهــا ونـــال الجمــع بعــد شتــات

[1] في الكتيبـة: ((غيـري)).
[2] نفسـه: ((حيـاتي)).
[3] نفسـه: ((حسـراتي)).
[4] نفسـه: ((سنـاتي)).

ومن النسيب قوله[1]:

كتم اللسان ومدمعي قد باحا
وثوى الأسى عندي وأسًى[2] راحا

إني أُحِبُّ[3] طَيَّ ما نشر الهوى
نشراً وما زال الهوى إفصاحا[4]

ومهجتي من لا أصرح باسمه
ومن الإشارة ما يكون صراحا

ريم أروم حُنُوَّه وجنوحه
ويروم عني جفوة وجماحا

أبدى لنا من شعره وجبينه
ضدين ذا ليلاً وذاك صباحا[5]

عجباً له يأسو الجسوم بطبه
ولكم بأرواحٍ أثار جراحاً

---

[1] البحر الكامل.
[2] في الكتيبة: ((وأُنْسي))؛ وهو أسلم.
[3] نفسه: ((إني لَصَبٌّ)).
[4] نفسه: ((فضاحا)).
[5] جاء هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا: ((خدين ذا ليلاً وذا إصباحا)). وكلمة ((ضدين)) أوفق.

فبلقطــه[1] بُــــرْءُ الأُخَيْــذِ ولحظــه
أخـــذ البــريِّ فمـــا يطيـــق براحـــاً
ناديتـــه[2] فـــي ليلـــــة لا ثالــث
إلاّ أخـــوه البـــدر عَـــارِفٌ لاحـــــا[3]
يا حسنهـــا مـــن ليلـــة لـــو أنهـــا
دامـــت ومـــدت لتوصـــال[4] جناحـــاً

وقـال[5]:

نـــورٌ بخـــــدِّك أمْ تَوَقُّـــــدُ نـــارِ
وضـــنًى بجفنـــك أم فتور عُقـــارِ[6]
وشذاً بريقـــك أم تـــأرج مسكـــة
وســـنًى بثغـــرك أم شعاع درارِ[7]

---

[1] في الكتيبـة: ((فبلفظـه)).
[2] نفسـه: ((نـادمتـه)).
[3] نفسـه: ((غـارَ فلاحـا)).
[4] نفسـه: ((وللوصـال)).
[5] البحـر الكامـل.
[6] نفسـه: ((أم كـؤوس عقـار)).
[7] جعلهـا د. طويـل: ((دراري))؛ أي الكواكـب العظـام المجهولـة الاسـم.

جمعت معاني الحسن[1] فيك فقد غدت[2]

قيــد القلوب وفتنـــة الأبصـــارِ

مُتَصـــاوِنٌ خَفِـــرٌ[3] إذا ناطقتــــه

أغْــضَى حيــاً[4] في سكون وقـــارِ

في وجهـــه زهــرات لفظ[5] تُجْتَــلَى

من نرجــس مع وردة وبهــــارِ

خاف اقتطاف الـــورد من جنباتهـــا[6]

فـــأدار من أســـرٍ[7] سيـــاج عـــذارِ

وتسللـــت نمـــل العـــذار بخـــــده

لِيَـــرِدْنَ شَهْـــدَةَ ريقه المعطـــارِ

وبخـــــدّه وَرْدٌ حمتهـــــا[8] وِرْدُهـــا

فوقفـــن بين الـــورْدِ والإصْـــدارِ

---

[1] في الإسكوريـال: ((المسـك)).
[2] ورد هـذا الشطـر في الكتيبـة الكامنـة هكـذا: ((جمعـت معـاني الحسـن فيـك فأصبحـت)).
[3] في النفـح: ((خفـراً)).
[4] في الكتيبـة، والنفـح: ((حيـاة)).
[5] نفسهمـا: ((روض)).
[6] نفسهمـا: ((وجناتـه)).
[7] نفسهمـا: ((آسٍ)).
[8] في النفـح: ((وبخـدّه نـار حمتـه...)).

كـــم ذا أواري[1] في هـــواه محبـــتي
ولقـــد وشَى بي فيه فَـــرْطُ أوارِ[2]

ومن نظمه من المقطوعات في شتى الأغراض قوله رحمه الله[3]:

أزحت نفسي من الإيناس بالنـــاس
لما غنيت عن الأكيـــاس باليـــاس[4]
وصرت في البيت وحدي لا أرى أحـــداً
بناتُ فكري وكُتْبي هُنَّ جُـــلاَّسِي

وقال[5]:

وزهـــدني في جَمْعِيَ المـــالُ أنَّـــه
إذا ما انتهى عند الفتى فارق العمرا
فلا روحـــه يومـــاً أراح من العنـــا
ولم يكتسب حمداً ولم يدخـــر أجـــراً

---

[1] في النفـح: ((أداري)).
[2] في الكتيبـة، والنفـح: ((أواري)).
[3] البحـر البسيـط.
[4] ورد هـذا البيـت في الكتيبـة الكامنـة هكـذا:
((أرحـت نفسي من الإينـاس بالنـاس * كما غنيت عن الأكيـاس باليـاس)).
[5] البحـر الطويـل.

وقال[1]:

سَعَتْ حَيَّة من شعره نحو صدغــه
وما انفصلتْ من خدِّه إنَّ ذا عَجَــبْ
وأعجــبُ مِنْ ذا أنَّ سلسال ريقــه
بــرودٌ ولكــن شَبَّ في قلبي اللَّهَبْ

وقال[2]:

راض حبيبي[3] عــارضٌ قــد بــدا
يا حسنــه مــن عارض رابــض[4]
وظــن[5] قــوم أن قلــبي ســـلا
والأصــل لا يعتــد بالعــارض

وقال[6]:

ســال في الخــد للحبيــب عــذار
وهــو لا شـــك سائــل مرحــوم

---

[1] البحر الطويل.
[2] البحر السريع.
[3] في بغية الوعاة: ((رائــض حبي)).
[4] جعلها د. طويل: ((رائــض))؛ دون استناد إلى أي مصدر.
[5] في بغية الوعاة: ((فظن)).
[6] البحر الخفيف.

وسألـــــت التثامـــــــه فتجـــــنَّى

فـــأنـــا اليـــوم ســـائـــل محـــروم

وقال[1]:

جننـــت بهـــا ســـوداء لون وناظر

ويا طالمـــا كان الجنـــون بســـوداء

وجـــدت بهـــا بـــــرد النعيـــم وإنَّ

فـــؤادي منهـــا في جحيـــم ولأواء

وقال في فتى يسمى مظلوم[2]:

وما كنـــت أدري أن مالك مهجتي

يتســـمى[3] بمظلـــوم وظُلْـــمٌ جفـــاؤه

إلى أن دعـــاني للصبـــا[4] فأجبتـــه

ومن يـــك مظلومـــاً أجيب دعـــاؤه

---

[1] البحـر الطويـل.

[2] البحـر الطويـل.

[3] في الكتنيبـة الكامنـة: ((يسمى))؛ وهذا أسلم.

[4] في الزيتونـة: ((الصلا)). وفي الكتيبـة: ((للهوى)).

وقـال[1]:

جُـــنَّ غيـــري بعـــارض فتـــرجَّى
أهلـــه أن يفيـــق عمـــا قريـــبْ
وفـــــؤادي بعارضيـــن مصـــاب
فهـــو داءٌ أعيا دواء[2] الطبيـــبْ

وقال[3]:

شكا الخصر منه ما يلاقي بردفـــه
وأضعف[4] غصن البان جَرٌّ كثيـــب
إذا كان منه البعض يظلـــم بعضـــه
فما حال [شـــط المزار][5] غريـــب

---

[1] **البحـر الخفيـف**
[2] **في الكتيبـة: ((فـؤاد)).**
[3] **البحـر الطويـل.**
[4] **في الكتيبـة: ((ويضعـف)).**
[5] **في الكتيبـة: ((مُشْتَـط المـزار))؛ وهـذا أسلـم.**

وقال[1]:

وذو شفــةٍ لميــا زينــت بشامــة[2]
من المسك في رشافها[3] يذهب النُّسْكُ

ظميــت إليهــا ريقـــةً كوثريــة
بمثل لقــايي[4] ثغرها ينظــم السِّلــكُ

تعــل بمعســول كــأن رضابــه
مدام من [الفرد وسرٌّ][5] خاتمه مســك

وقال[6]:

أجــل شفيــعٍ ليــس يمكــن رده
دراهم بيــضٌ للجــروح مراهــمُ

تُصَيِّرُ صعب الأمر[7] أسهل ما ترى
ويقضي [لباناتٍ للفتى][8] وهو نائــمُ

---

[1] **البحـر الطويـل.**
[2] **ورد هذا الشطـر في الكتيبـة هكذا: ((وذي شفـة لميـاء زينـت بشامـة)).**
[3] **في الكتيبـة: ((ترشافهـا)).**
[4] **نفسـه: (لآلي))؛ وهـو أصـوب.**
[5] **نفسـه: ((الفـردوس))؛ وهـو أسلـم وأصـوب.**
[6] **البحـر الطويـل.**
[7] **في الزيتونـة: ((الـشيء)).**
[8] **جعلهـا د. طويـل: ((لبانـاتِ الفـتى)).**

وقال[1]:

نعيـــــــدُ وُدَّ قريــــــب ضَـــــلَّ

كبيـــــرَ عَتْـــــبٍ قليـــلَ عُتْبـــــاً[2]

كالشمـــس ظرفـــاً كالمسك عرفـــاً

كالخشف طرفـــاً كالصخـــر قلبـــاً

وقال[3]:

عُـــداتي[4] لهـــم فضـــل عليّ ومنـــةٌ

فلا أذهب الرحمن عـــنِّي الأعاديـــا

هـــم بحثـــوا عن زلتي فاجتنبتهـــا[5]

وهم نافســـوني فاكتسبـــت المعاليـــا

---

[1] مخلـع البسيـط.

[2] ورد هـذا البيـت في الكتيبـة الكامنـة هكـذا:
((بعيـد ودٍّ قريـب صـدٍّ * كثيـر عتـب قليـل عتـبَى))

[3] البحـر الطويـل.

[4] في بغيـة الوعـاة: ((عـذاي)).

[5] في الكتيبـة الكامنـة: ((فسترتهـا)).

مولـده

ولـد **بغرناطة** عـام اثنيـن وخمسيـن وستمايـة[1].

وفاتـه

أخبرني الحاج الخطيب الفاضـل **أبـو جعفـر الشّقـوري** رحمـه الله. قـال: تـوفي عـام خمسـة وأربعيـن وسبعمائـة[2] **بمصـر** ودفـن بالقرافـة. وكانـت جنازتـه حافلـة.

***

[1] الموافق لـ 1254م. وكتب في بغية الوعاة: ((ولد بمطخشارش مدينة من حضرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة)). وفي فوات الوفيات: ((مولـه بغرناطة في شهور سنة أربع وخمسين وستمائة)).

[2] الموافق لـ 1344م.

ومـن الطاريين عليهـا في هـذا الحـرف

***

محمد بن أحمد

ابن داود بن موسى بن مالك اللّخمي اليكّي؛[1] من أهل بلش[2] ؛
يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن الكمّاد

حالـه

من "**عايد الصلة**": كان من جلة صدور [الفقهاء][3] الفضلاء زهداً وقناعة وانقباضاً، إلى دماثة الخلق ولين الجانب [وحسن اللِّقاء[4]] والسذاجة المموهة بالغفلة، والعمل على التقشف والعزلة، قديم السماع والرحلة، إماما مشهوراً في القراءات، يرحل إليه، ويعول عليه، إتقاناً ومعرفة منها بالأصول، كثير المحافظة والضبط، محدثاً ثبتاً، بليغ التحرز، شديد الثقة، فقيهاً متصرفاً في

[1] في الزيتونة: ((البكي)).
[2] بلش أو بلش مالقة؛ وبالإسبانية Velez Malaga؛ هي بلدة تقع على بعد 30 كلم شرقي مالقة؛ وعلى بعد 5 كلم من شاطئ البحر الأبيض المتوسط.
[3] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.
[4] سقطت هذه العبارة في الزيتونة.

المسائل، أعرف الناس بعقد الشروط، ذا حظ من العربية واللغة والأدب. رحل إلى **العدوة**، وتجول في **بلاد الأندلس**، فأخذ عن كثير من الأعلام، وروى وقيد وصنف وأفاد، وتصدر للإقراء **بغرناطة وبلش** وغيرهما، وتخرج بين يديه جملة وافرة من العلماء والطلبة، وانتفعوا به.

مشيخته[1]

قرأ ببلده **مرسية** على الأستاذ **أبي الحسن علي بن محمد بن لب بن أحمد بن أبي بكر الرقوطي،** والمقري **أبي الحسن بن خلف الرشاطي**، والمحدث الجليل **أبي عمرو محمد بن علي بن عيشون اللخمي**، وعلى الشيخ الفقيه الكاتب **أبي محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي المرسي**. وممن أجازه الفقيه **أبو عثمان سعيد بن عمرو**

[1] وردت في مخطوط الزيتونة ـ لصاحب هذه الترجمة ـ مشيخة احتلت مساحة كبيرة؛ بحيث تراوح امتدادها إلى لوحتين تقريباً؛ وعلى هذا فقد رأى ناسخ مخطوط الإسكوريال إغفالها وإسقاطها؛ ثم قال: ((قلت له مشيخة في الأصل طويلة اختصرتها لطولها)). وقد سار على نهجه عنان؛ حيث قام بالدور نفسه؛ حين قال: ((وقد رأينا نحن أن نورد مشيخته مختصرة من الزيتونة؛ وأن نقتصر فيها على عدد من جلة الأساتذة الذين أخذ عنهم المترجم له)).

البَطِرني، والقاضي **أبو علي بن أبي الأحوص**، لقيه **ببلش مالقة وبسطة**، فروى عنه الكثير، والأستاذ **أبو القاسم بن الأصهر الحارثي** لقيه **بألمرية**. ولقي **بغرناطة** الأستاذ **أبا جعفر الطبَّاع**، والوزير الراوية **أبا القاسم محمد بن يحيى ابن عبد الرحمن بن جزيّ الكلبي**، روى عنه وأجازه. وكتب له بالإجازة جماعة كبيرة من أهل **المشرق والمغرب**، حسبما تضمنه برنامجه.

تواليفه

اختصر كتاب " **المقنع** " في القراءات اختصاراً بديعاً وسماه كتاب " **الممتع في تهذيب المقنع** " وغير ذلك.

شعره

من ذلك وقد وقف على أبيات **أبي القاسم بن الصَّقر** في فضل الحديث[1]:

---

[1] **البحر الطويل.**

لقد حاز أصحـــاب الحديـــث وأهلـــه
شـــأواً وتوتيـــراً[1] ومجـــداً مخلـــداً
وصحـــت لهـــم بين الأنـــام مزيـــةٌ
أبانـــت لهم عـــزاً ومجداً وســـؤدداً
بدعـــوة خير الخلـــق أفضل مرسل
محمـــد المبعـــوث بالنور والهـــدى
فهم دَوَّنوا علـــم الحديـــث وأتقنـــوا
ونصـــوا بتبييـــن صحيحـــاً ومسندا
وجـــاءوا بأخبـــار الرسول وصحبه
على وجهها لفظـــاً ورسماً مقيـــدا
وهم نقلوا الآثـــار والسنـــن الـــتي
من اْصبح ذا أخـــذ بها فقد اهتـــدى
وما قصـــروا فيها بفقـــهٍ ولا ونُـــوا
بل التزمـــوا حـــداً وحزماً مؤكـــداً
وهم أوضحوا من بعدهم باجتهادهـــم
وتَبْيينهم سُبْـــلَ الهدى لمن اقتـــدى

[1] جعلها د. طويل: ((وثيرا)).

جزاهــم إلـــه العرش عنـــا بنصحهم
بأحسن ما جازى نصيحاً ومرشـــداً
ونسلـــه[1] سبحانـــه نهـــج هديهـــم
وسعياً إلى التقوى سبيلاً ومقصـــداً[2]

ومن شعره رحمه الله قوله[3]:

عليـــك بالصبـــر وكـــن راضيـــــاً
بما قضـــاه اللـــه تلـــقى النجـــــاحْ
واسلـــك طريق المجد والْهَـــجْ بـــه
فهو الذي يرضـــاه أهل الصـــلاحْ

وقد ألف شيخنا **أبو البركات بن الحاج**، جزءاً سماه "**شعر من لا شعر له**"؛ فيه من شعر هذا الرجل الفاضل، ومثله كثير.

---

[1] جعلها د. طويل: ((ونسأله)).
[2] سقطت هذه القصيدة في الزيتونة.
[3] البحر السريع.

مولـــده

قبـــل الأربعيـــن وستمايـــة[1].

وفاتـــه

وتـــوفي ثـــاني شهـــر اللـــه المحـــرم عـــام اثـــني عشـــر وسبعمايـــة[2].

* * *

((انتهى ما اختصر من السفر السابع من كتاب الإحاطة في تاريخ غرناطة[3]؛ يتلوه السفر الثامن بعده إن شاء الله))

* * *

[يليـــه]

ومن السفر الثامن

---

[1] **أي قبل 1242م.**
[2] **الموافق لـ 1313م.**
[3] **وهذا هو أحد الأسماء المتعددة لكتاب الإحاطة.**

***

محمد بن أحمد

ابن محمد بن علي الغساني؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا القاسم؛ ويعرف بابن حفيد الأمين.

حاله

كان من أهل العلم والفضل والدين المتين، والدُّؤوب على تدريس كتب الفقه. استظهر كتاب "**الجواهر" لابن شاس**، واضطلع بها، فكان مجلسه من مجالس الحفاظ، حفاظ المذهب، وانتفع به الناس، وكان معظماً فيهم، متبركاً به، على سنن الصالحين، من الزهد، والانقباض، وعدم المبالاة بالملبس والمطعم. وقال صاحبنا الفقيه **أبو الحسن النباهي** في تذييله **لتاريخ مالقة**: كان رجلا ساذجاً، مخشوشناً، سني المنازع، شديد الإنكار على أهل البدع. جلس للتحليق العام بالمسجد الجامع، وأقرأ به الفقه والعربية والفرائض.

مشيختـه

قـال: منهـم **أبـو علـي بـن أبـي الأحـوص**، **وأبـو جعفـر ابـن الزبيـز، وأبـو محمـد بـن أبـي السـداد**، والقـاضي **أبـو القاسـم بـن السَّكـوت**. قـال: وأنشـد للزاهـد **أبـى اسحـاق بـن قشـوم**، قولـه[1]:

يروقـــك يوم العيـــد حســـن ملابس
ونعمـــة أجســـــام وليـــن قـــــدودِ
أجِلْ لحظـــات الفكر منك فلا تـــرَى
سِـــوَى خِـــرَقٍ تُبْلَى وطعمـــة دودِ

وأنشـد لأبـي عمـرو الزاهـد[2]:

تختبـــر الـــدنيـــــر فـــي ميـــــذق
والـــدرهـــم الـــزائـــف إذ يبهـــــم
والمـــرء إن رمـــت اختبـــاراً لـــه
مَيْـــذِقْـــــهُ الـــدُّنَيْـــر والـــدرهـــم

[1] البحـر الطويـل.
[2] البحـر السريـع.

مـــن عـــفَّ عـــن هـــذا وهذا معـــا
فهـــــو التـــقي الـــورع المسلـــــم

تواليفه

لـه تقييد حسـن فـي الفرائـض، وجـزء فـي تفضيـل التيـن عـلى التمـر، وكـلام عـلى نـوازل الفقـه.

وفاته

وتـوفي فـي الكائنـة العظـمى بطريـف[1].

***

[1] **سبـق التعريـف بهـذه الموقعـة؛ الـتي حدثـت بيـن النصـارى مـن جهـة وبـني مريـن ومسلـمي الأندلـس مـن جهـة أخـرى؛ وذلـك سنـة 741هـ/1340م. وكـان النصـر فيهـا حليـف النصـارى.**

محمد بن أحمد

ابن علي بن قاسم المزجحي من أهل ملتماس؛[1] يكنى أبا عبد الله

حالـه

من **العايد**: كان رحمه الله من سراة بلده وأعيانهم، أستاذا متفنناً مقرئاً لكتاب الله، كاتباً بليغاً، شديد العناية بالكتب، كثير المغالاة في قيمها وأثمانها، حتى صار له من أعلاقها وذخائرها، ما عجز عن تحصيله كثير من أهل بلده. كتب بخطه، وقيد كثيراً من كتب العلم. وكان مقرئاً مجوداً، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالعربية، ثقة ضابطاً، مبرزاً في العدالة، حريصاً على العلم استفادة ثم إفادة، لا يأنف من حمله عن أقرانه، وانتفع به أهل بلده، والغرباء أكثر.

مشيخته

أخذ عن طائفة من أهل العلم. منهم الشيخان الرحلتان، **أبو عبد الله بن الكماد**، **وأبو جعفر بن**

---

[1] ذكر عنان بأنها وردت هكذا في الإسكوريال؛ ثم رجح أن تكون: ((منتاس)) Montemas الواقعة في نطاق قرى بلش. وهي تتناغم مع غيرها من قرى تلك المنطقة؛ كـ: مونتيميور، ومونتيي فريو، وهكذا.

الزيات عظيما بلده، والخطيب ولي الله **أبو عبد الله الطنجالي**، والقاضي **أبو عبد الله بن بكر**. وروى عن الشيخ الوزير **أبي عبد الله بن ربيع**، وابنه الراوية **أبي عامر**، والخطيب الصالح **أبي إسحاق بن أبي العاصي**. وروى عن الشيخ الراوية الرحال **أبي عبد الله بن عامر الوادي أشى** وغيرهم. ودخل **غرناطة**.

مولده

ولد **ببلش** عام ثمانية وثمانين وستماية[1].

وفاته

توفي **ببلش** عاشر شهر شعبان من عام أربعة وثلاثين وسبعماية[2].

***

[1] **الموافق لـ 1289م.**
[2] **الموافق لـ 1333م**

محمد بن أحمد

ابن محمد بن علي الغساني من أهل مالقة؛ يكنى أبا الحكم؛
ويعرف بابن حفيد الأمين.

حالـه

من **العايد**[1]: كان هذا الشيخ من أهل العلم والدين المتين، والجري على سنن الفقهاء والمتقدمين، عقد الشروط **بمالقة** مدة طويلة، في العدول المبرزين، وجلس للتحليق في المسجد الأعظم من **مالقة**، بعد فقد أخيه **أبي القاسم**، وخطب بمسجد **مالقة** الأعظم ثم أُخِّرَ عن الخطبة لمشاحنة وقعت بينه وبين بعض الولاة، أثمرت في إحنته. ولم يزل على ما كان عليه من الاجتهاد في العبادة، والتقييد للعلم، والاشتغال به، والعناية بأهله، إلى أن توفي على خير عمل.

---

[1] **المقصود هنا هو كتاب ((عائد الصلة)).**

مشيختـه

قرأ على الأستاذ الخطيب **أبى محمد الباهلي**، وروى عن جلة من الشيوخ مثل صهره الخطيب الوالي **أبي عبد الله الطنجالي**، وشاركه في أكثر شيوخه، والأديب الحاج الصالح **أبي القاسم القبتوري**[1]، وغيرهم.

مولـده

ولد **بمالقة** عام ثلاثة وسبعين وستماية[2].

وفاتـه

توفي **بمالقة** يوم الأربعاء الثامن عشر لذي حجة من عام تسعة وأربعين وسبعماية[3] . ودخل **غرناطة** غير ما مرة مع الوفود من أهل بلده، وفي أغراضه الخاصة.

***

[1] نسبة إلى قبطور أو كبتور Captor؛ وهي بلدة صغيرة في جهات إشبيلية.
[2] الموافق لـ 1274م.
[3] الموافق لـ 1348م.

محمد بن أحمد

الرقوطي[1] المرسي؛ يكنى أبا بكر.

حالـه

كـان طرفـاً فـي المعرفة بالفنـون القديمـة: المنطـق والهندسـة والعـدد والموسيقـا والطـب، فيلوسفـاً، طبيبـاً ماهـراً، آيـة الله فـي المعرفـة بالألسـن. يقـرئ الأمـم بألسنتهـم، فنونهـم الـتي يرغبـون فـي تعلمهـا، شديـد البـأو، مترفعـاً. متعاطيـاً. عـرف **طاغيـة الـروم** حقـه؛ لمـا تغلـب عـلى **مرسيـة**؛ فبـنى لـه مدرسـة يقـرئ فيهـا **المسلميـن والنصـارى واليهـود**، ولـم يـزل معظمـاً عنـده. وممـا يحكـى مـن ملحـه معـه؛ أنـه قـال لـه يومـاً؛ وقـد أدنـى منزلتـه، وأشـاد بفضلـه: لـو تنصـرت وحصَّلـت الكمـال، كـان عنـدي لـك كـذا وكـذا، وكنـت كـذا، فأجابـه بمـا أقنعـه. ولمـا خـرج مـن عنـده؛ قـال لأصحابـه: أنـا الآن أعبـد واحـداً، وقـد عجـزت عمـا يجـب لـه. فيكـف حـالي لـو كنـت أعبـد ثلاثـة؛ كمـا أراد مـني.

---

[1] نسبـة إلى بلـدة صغيـرة تسـمى رقوطـة Ricate؛ تقـع في شـرقي الأندلـس؛ علـى مقربـة مـن مرسيـه؛ في اتجـاه الشمـال الغربي منهـا؛ وتستنـد إلى الضفـة الغربيـة مـن نهـر شقـورة R. Segura.

وطلبه سلطان **المسلمين**؛ ثاني الملوك من **بني نصر**[1]؛ واستقدمه، وتلمذ له، وأسكنه في أعدل البقع من حضرته. وكان الطلبة يغشون منزله المعروف له؛ وهو بيدي الآن. فَتُعُلِّمَ عليه الطب والتعاليم وغيرها، إذ كان لا يجارى في ذلك. وكان قويّ العارضة، مضطلعاً بالجدل، وكان السلطان يجمع بينه وبين منتابي حضرته، ممن يقدم منتحلا صناعة أو علماً، فيظهر عليهم؛ لتمكنه ودالته؛ حسبما يأتي في اسم **أبي الحسن الأبدي**، **وأبي القاسم بن خلصون** إن شاء الله. وكان يركب إلى باب السلطان، عظيم التُّؤدة، مُعار البَغْلة، رايق البزة ، رفيق المشي، إلى أن توفي بها. سمح الله له.

***

[1] **هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف؛ الملقب بالفقيه؛ الذي حكم من سنة 671هـ/1272م إلى سنة 701هـ/1302هـ.**

محمد بن ابراهيم

ابن المفرج الأوسي؛ المعروف بابن الدباغ الإشبيلي.

حالـه

كان واحد عصره في حفظ مذهب مالك، وفي عقد الوثائق، ومعرفة عللها، عارفاً بالنحو واللغة والأدب والكتابة والشعر والتاريخ. وكان كثير البشاشة عظيم الانقباض، طيب النفس، جميل المعاشرة، كثير المشاركة، شديد التواضع، صبوراً على المطالعة، سهل الألفاظ في تعليمه وإقرائه. أقرأ بجامع **غرناطة** لأكابر علمائها، الفقه وأصوله، وأقرأ به الفروع والعقائد للعامة مدة. وأقرأ بجامع **باب الفخارين**، وبمسجد **ابن عزرة** وغيره.

مشيختـه

قرأ على والده الأستاذ **أبي إسحاق إبراهيم**، وعلى الأستاذ **أبي الحسن الدباج**، وعلى القاضي **أبي الوليد**

محمد بن الحاج التجيبي القرطبي، وعلى القاضي **أبي عبد الله بن عياض**.

وفاته

توفي **برندة** يوم الجمعة أول يوم من شوال عند انصراف الناس من صلاة الجمعة من عام ثمانية وستين وستماية[1].

***

[1] **الموافق لـ 1269م.**

محمد بن إبراهيم

ابن محمد الأوسي من أهل مرسية، نزيل غرناطة؛
يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن الرقام؛ الشيخ الأستاذ المتفنن.

حالـه

كان نسيج وحده، وفريد دهره، علماً بالحساب والهندسة والطب والهيئة، وغير ذلك مديد الباع. أصيل المعرفة. مضطلعاً متبحراً لا يشق غبارة[1]. أقرأ التعاليم والطب والأصول **بغرناطة** لما استقدمه السلطان ثاني الملوك من **بني نصر** من مدينة **بجاية**، فانتفع الناس به، وأوضح المشكلات، وَسُيِلَ من الأقطار النازحة في الأوهام العارضة، ودَوَّن في هذه الفنون كلها، ولخص، ولم يفتر من تقييد وشرح وتلخيص وتدوين.

---

[1] **هكذا. والشائع: ((لا يشق غباره))، أو ((لا يشق له غبار)). وهذا مثل قديم. ينجلي فيما قاله قصير لجذيمة - في قصة الزباء - ((اركب العصا فإنه لا يشق غباره؛ والعصا فرس جذيمة التي لا يجارى في السرعة والخفة. وفي هذا قال النابغة:**

أعلمت يوم عكاظ حين لقيتني * تحت العجاج فما شققت غباري

أي لم تشق الغبار الذي يحوطني، ولم تساويني.

توالیفـه

وتواليفه كثيرة، منها **كتابه الكبير** على طريقة كتاب "**الشفا**" **والزيج القويم الغريب المرصد**، المبنية رسايله على جداول **ابن إسحق**، وعدل مناخ الأهلة وعليه كان العمل. **وقيد أبكار الأفكار في الأصول**، **ولخص المباحث**، **كتاب الحيوان والخواص**. ومقالاته كثيرة جداً، ودواوينه عديدة.

وفاتـه

توفي عن سن عالية **بغرناطة** في الحادي والعشرين لصفر من عام خمسة عشر وسبع مائة[1].

***

[1] الموافق لـ 1315م.

محمد بن جعفر

ابن أحمد بن خلف بن حُميد[1] بن مأمون[2] الأنصاري[3]؛
ونسبه أبو محمد القرطبي؛ أموياً من صريحهم؛ بلنسيّ الأصل؛
يكنى أبا عبد الله.

حاله

كان صدراً في متقني القرآن العظيم، وأيمة تجويده مبرزاً في النحو، إماماً معتمداً عليه، بارع الأدب، وافر الحظ من البلاغة، والتصرف البديع في الكتابة طيب الإمتاع بما يورده من الفنون كريم الأخلاق، حسن السمت، كثير البشر، وقوراً، ديناً عارفاً، ورعاً، وافر الحظ من رواية الحديث.

مشيخته

روى عن: **أبي إسحاق بن صالح، وأبي بكر بن أبي ركب، وأبي جعفر بن ثعبان، وأبي الحجاج القفال، وأبي الحسن شريح، وأبي محمد عبد الحق بن عطية، وأبي**

---

[1] كتب في مخطوط في الإسكوريال إلى جانب اسم (حميد) كلمة ((مكبرا)).
[2] في الإسكوريال: ((ابن مانون))؛ ولكن عنان جعلها ((المأمون))؛ بغرض التصويب.
[3] توجد ترجمة محمد بن المأمون الأنصاري أيضاً في: التكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة، وبغية الملتمس، وبغية الوعاة.

الحسن بن ثابت، وأبي الحسن بن هذيل؛ وتلا عليه بالسبع، **وأبو[1] عبد الله بن عبد الرحمن المذحجي الغرناطي، وبن فرح[2] القيسي، وأبي القاسم خلف بن فرتون.** ولم يذكر أنهم أجازوا له. وكتب له: **أبو بكر[3] عبد العزيز بن سُدَير[4]، وابن العزفي[5]، وابن قندلة[6]، فأبو[7] الحسن طارق بن موسى، وابن موهب، ويونس بن مغيث، وأبو جعفر[8] بن أيوب، وأبو الحكم عبد الرحمن ابن غشيان[9]، وأبو عبد الله الجياني** المعروف **بالبغدادي**. وذكر **أبو عبد الله بن يربوع** أن له راوية عن **أبي الحسن[10] ابن الطراوة**.

---

[1] في الذيل والتكملة: ((وأبوي)).
[2] نفسه: ((وابن فرج))؛ بالجيم المعجمة.
[3] في الإسكوريال: ((أبا بكر))؛ فصوبها عنان
[4] نفسه: ((مدير)).
[5] نفسه: ((ابن العربي)).
[6] نفسه: ((فندلة)).
[7] في الذيل والتكملة: ((فأبا الحسن))؛. فصوبها عنان.
[8] نفسه: ((وأبو حفص بن أيوب)).
[9] نفسه: ((غشليان)).
[10] نفسه: ((الحسين)).

من روى عنه

روى عنه **أبو بحر صفوان بن إدريس، وأبو بكر بن عتيق الأزدى[1] وابن قترال[2]، وأبو جعفر الجيَّار، والذهبي، والذهبي، وابن عميرة الشهيد، وأبو الحسن بن عزمون[3]، عزمون[3]، وابن عبد الرزق[4]، وأبو الحسن[5] عبيد الله بن بن عاصم الدَّاري[6]، وأبو الربيع بن سالم، وأبو زكريا الجعفري[7]، وأبو سليمان بن حوط الله، وأبو عبد الله الأندرشي، وابن الحسين بن محبر[8]، وابن إبراهيم الريسي[9]، وابن صلتان، وابن عبد الحق التلمسيني، وابن يربوع، وأبو العباس العزفي، وأبو عثمان سعد الحفَّار، وأبو علي عمر بن جميع[10]، وأبو عمران بن إسحق[11]،**

---

[1] في الذيل: اللاردي)).
[2] نفسه: ((وابن قنترال)).
[3] نفسه: ((حزمون)).
[4] نفسه: ((وابن عبد الله الذوق)).
[5] نفسه: ((وأبو الحسين)).
[6] نفسه: ((الدائري)).
[7] نفسه: ((الجعيدي)).
[8] نفسه: ((مجبر التجيبي)).
[9] نفسه: ((الوشقي)).
[10] نفسه: ((صمع)).
[11] نفسه: ((السخان)).

وأبو القاسم الطيب بن هرقال[1]، وعبد الرحيم بن إبراهيم بن قريش الملاحي[2]، وأبو محمد ابن دُلف[3] بن اليُسر، وأبو وأبو الوليد بن الحجاج[4].

تواليفه

له **شرح على** " **إيضاح الفارسي**، وآخر على "**جمل الزجاجي**" .

مولده

ببلنسية سنة ثلاث عشرة وخمسماية[5].

وفاته

توفي **بمرسية**؛ إثر صدوره عن **غرناطة**؛ عشي يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى[6]؛ سنة ست ست وثمانين وخمسماية[7].

---

[1] نفسه: ((هرقل)).
[2] نفسه: ((ابن الفرس والملاحي)).
[3] نفسه: ((وأبو محمد بن محمد بن خلف)).
[4] نفسه: ((ابن الحاج)).
[5] الموافق لـ 1119م.
[6] في بغية الوعاة: ((جمادى الآخرة من في السنة السابعة والثمانين والخمسمائة)).
[7] الموافق لـ 1190م.

***

محمد بن حكم

ابن محمد بن أحمد بن باق الجزامي[1] من أهل سرقسطة؛
سكن غرناطة ثم فاس؛ يكنى أبا جعفر

حالـه

كان مقرئاً مجوداً محققاً بعلم الكلام وأصول الفقه، محصلاً لهما، متقدماً في النحو، حافظاً للغة، حاضر الذكر لأقوال تلك العلوم، جيد النظر، متوقد الذهن، ذكي القلب. فصيح اللسان[2]. ولي أحكام **فاس** وأفتى فيها، ودرس بها العربية، **كتاب سيبويه** وغير ذلك.

مشيختـه

روى عن **أبي الأصبغ بن سهل، وأبوي**[3] **الحسن الحضرمي، وابن سابق، وأبي جعفر بن جراح، وأبي طالب السرقسطي** الأديبين، **وأبوي عبد الله بن نصر، وابن يحيى بن هشام** المحدث، **وأبي العباس الدلائي، وأبي**

---

[1] توجد ترجمة محمد بن حكم بن باق الجذامي أيضاً في: التكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة، وبغية الوعاة.
[2] في الذيل والتكملة: ((الكلام)).
[3] نفسه: ((وأبوي بكر: ابن الحسين الحضرمي)).

عبيد الله البكري، وأبي عُمر أحمد بن مروان[1] القيرواني، وأبي محمد بن قورش[2]، وأبي مروان بن سراج.

وأجاز له **أبو الوليد الباجي**؛ رحمه الله.

من روى عنه

روى عنه **أبو إسحاق بن قرقول، وأبو الحسن صالح ابن خلف، وأبو عبد الله بن حسن السبتي، وأبو[3] الحسن الأبّدي**، وتوفي قبله، **وابن خلف بن الأيسر[4]، والنميري، وأبو العباس بن عبد الرحمن بن الصقر، وأبو علي حسن ابن الجزار[5]، وأبو الفضل بن هرون الأزدي، وأبو[6] محمد عبد الحق ابن بونه، وقاسم بن دحمان، وأبو مروان بن الصقيل الوقشي[7].**

---

[1] في الذيل: ((مروان التجيبي البلوطي الزاهد)).
[2] نفسه: ((فورتش)).
[3] نفسه: ((وابن الحسن)).
[4] نفسه: ((بن الإلبيري)).
[5] نفسه: ((الخزاز)).
[6] نفسه: ((وأبوا)).
[7] في جذوة الاقتباس، والذيل والتكملة: ((الوشقي)).

تواليفـه

شرح "**إيضـاح الفـارسي**"، وكـان قيمـاً عـلى كتابـه، وصنـف **في الجدل** مصنفيـن: كبيـراً، وصغيـراً. ولـه عقيـدة جيـدة.

وفاتـه

تـوفي **بفـاس**، وقيـل **بتلمسـان** سنـة ثـلاث وثلاثيـن وخمسمائـة[1].

***

[1] الموافـق لـ 1138م. ذكـر في جـذوة الاقتبـاس أنـه تـوفي بتلمسـان. كمـا جـاء في الذيـل والتكملـة: ((وقيـل تلمسـان؛ وهـو أصـح؛ سنـة ثمـان وثلاثيـن وخمسمائـة)). وهـذا مـا ذكـر في بغيـة الوعـاة.

محمد بن حسن

ابن محمد بن عبد الله بن خلف بن يوسف بن خلف الأنصاري[1]؛
من أهل مالقة؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن الحاج،
وبابن صاحب الصلاة.

حاله

كان مقرياً صدراً في أئمة التجويد، محدثاً متقناً ضابطاً، نبيل الخط والتقييد، ديناً، فاضلا. وصنف في الحديث، وخطب بجامع بلده. وأم في الفريضة زماناً، واستمرت حاله كذلك، من نشر العلم وبثه إلى أن كرمه الله بالشهادة في **وقيعة العقاب**[2].

دخوله غرناطة

راوياً عن **ابن الفرس**، **وابن عروس**، وغيرهما.

---

[1] **توجد ترجمة محمد بن حسن الأنصاري أيضاً في تاريخ قضاة الأندلس.**
[2] **موقعة العقاب تسمى بالإسبانية Las Navas de Tolosa؛ نشبت سنة 609هـ/1212م. بين النصارى والموحدين. هزم فيها المسلمون؛ ومن يومها بدأ تراجع المسلمين في الأندلس. سبقت الإشارة إليها.**

مشيختـه

روى **بالأندلس** عن **الحجاج بن الشيخ**، **وأبي الحسن ابن كوثر**، **وأبي خالد يزيد بن رفاعة**؛ وأكثر عنه، **وأبوي عبد الله بن عروس، وابن الفخار**، **وأبي محمد بن حوط الله، وعبد الحق بن بونه، وعبد الصمد بن يعيش، وعبد المنعم بن الفرس،** وأجازوا له. وتلا القرآن على **أبي عبد الله الإستجي**. وروى الحديث عن **أبي جعفر الحصار**. وحج في نحو سنة ثمانين وخمسماية[1]. وأخذ عن جماعة من أهل **المشرق**، **كأبي الطاهر الخشوعي**، وغيره.

وفاتـه

توفي شهيداً محرضاً صابراً يوم الاثنين منتصف صفر؛ عام تسعة وستماية[2].

***

[1] **الموافق لـ 1184م.**
[2] **الموافق لـ 1212م.**

محمد بن محمد

ابن أحمد بن علي الأنصاري؛ يكنى أبا عبد الله؛
ويعرف بابن قرال؛ من أهل مالقة.

حاله

طالب عفيف مجتهد خير. قرأ **بغرناطة**، وقام على فن العربية قياماً بالغاً، وشارك في غيره، وانتسخ الكثير من الدواوين بخط بالغ أقصى مبالغ الإجادة والحسن، وانتقل إلى **مالقة**؛ فأقرأ بها العربية، واقتدى بصهره الصالح **أبي عبد الله القطان**؛ فكان من أهل الصلاح والفضل. وتوفي في محرم عام خمسين وسبعماية[1].

***

[1] **الموافق لـ 1349م.**

محمد بن محمد

ابن إدريس بن مالك بن عبد الواحد بن عبد الملك بن محمد
ابن سعيد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله القضاعي؛
من أهل إسطبونة[1]؛ يكنى أبا بكر، ويعرف بالقللوسي.

حالـه

كان رحمه الله إماماً في العربية والعروض والقوافي، موصوفاً بذلك، منسوباً إليه، يحفظ الكثير من **كتاب سيبويه**، ولا يفارقه بياض يومه، شديد التعصب له، مع خفة وطيش يحمله على التوغل في ذلك. حدثني شيخنا **أبو الحسن بن الجياب** رحمه الله؛ قال: وقف **أبو بكر القللوسى** يوماً على القاضي **أبي عمرو بن الرندون**؛ وكان شديد الوقار، مهيباً، وتكلم في مسألة من العربية؛ نقلها عن **سيبويه**؛ فقال القاضي **أبو عمرو**: أخطأ **سيبويه**. فأصاب **أبا بكر القللوسي** قلق؛ كاد يلبط به الأرض، ولم يقدر على جوابه بما يشفي به صدره؛ لمكان رتبته. قال:

---

[1] **إسطبونة أو إشتبونة Estepona؛ ثغر صغير يقع على شاطئ البحر المتوسط؛ في الجهة الجنوبية الغربية من مالقة؛ وإلى الشمال من جبل طارق؛ وبالقرب من مربلة.**

فكان يدور بالمسجد؛ والدموع تنحدر على وجهه؛ وهو يقول أخطأ من خطأه، يكررها؛ والقاضي **أبو عمرو** يتغافل عنه، ويزري عليه. وكان مع ذلك؛ مشاركاً في فنون؛ من: فقه، وقراءات، وفرائض؛ من أعلام الحفاظ للغة؛ حجة في العروض والقوافي؛ يخطط بالقافية عند ذكره في الكتب. وله في ذلك تواليف بديعة وولي الخطابة في بلده مدة؛ وقعد للتدريس به؛ وانثال عليه الناس، وأخذوا عنه. ونسخ بيده الكثير وقيد؛ وكان بقطره علماً من أعلام الفضل والإيثار والمشاركة.

تواليفه

نظم **رجزاً** شهيراً في **الفرائض** علماً وعملاً، ونظم في **العروض والقوافي،** وألف كتاب "**الدرة المكنونة في محاسن إسطبونة**"، وألف تأليفاً حسناً في **ترحيل الشمس، وسوسطات الفجر، ومعرفة الأوقات** ونظم **أرجوزة في شرح ملاحن ابن دريد، وأرجوزة في شرح كتاب**

"الفصيح ". ورفع للوزير **ابن الحكيم** كتاباً **في الخواص وصنعة الأمدّة والتطبع الشاب**؛ غريباً في معناه.

مشيخته

قرأ على الأستاذ **أبي الحسن بن أبي الربيع**، ولازمه، وأخذ عنه. وعن **أبي القاسم بن الحصار الضرير السبتي**، وعلى الأستاذ **أبي جعفر بن الزبير بغرناطة**، وغيرهم .

شعره

من شعره قوله من قصيدة يمدح **ابن الحكيم**[1]:

عــلاه رياض أورقــت بمحامــد
تتــور بالجــدوى وتثمــر بالأمل

[1] **البحر الطويل.**

تسح عليهـــا مـــن نـــداه غمامـــة

تروي ثرى المعروف بالعل والنيل

وهل هو إلا الشمس نفساً ورفعـــة

فيغرب بالجـــدوى ويبعـــد بالأمـــل

تعـــم أياديـــه البريـــة كلهـــــا

فدان وقاصٍ جود كفيـــه قد شمـــل

وهي طويلة. ونقلت من خط صاحبنا **أبي الحسن النباهي**؛ قال يمدح **أبا عبد الله الرنداحي**[1]:

أطلـــع بأفـــق الـــراح كاس الراح

وصـــل الزمان مســـاءه بصبـــاح

خذهـــا على رغـــم العذول مدامـــة

تنـــفي الهمـــوم وتـــأت بالأفـــراح

والأرض قـــد لبســـت برود أزاهر

وتمنطقـــت من نهرهـــا بوشـــاح

والجـــو إذ يبـــكي بدمـــع غمامة

ضحـــك الربيـــع له بثغـــر أقـــاح

[1] **البحر الكامل.**

والروض مرقــوم بوشي أزاهــر
والطيــر يفصــح أيمــا إفصــاح
والغصن من طرب يميــل كأنمــا
سقيــت بكــف الريــح كأس الراح
والــورد منتظــم على أغصانــه
يبــدو فتحسبــه خــدود مــلاح
وكأن عرف الريح من زهر الربى
عــرف امتــداح القائــد الرنــداح

وفاتـه

بيلده عصر يوم الجمعة الثامن عشر لرجب الفرد سنة سبع وسبعماية[1].

***

[1] الموافق لـ 1307م.

محمد بن محمد

ابن محارب الصّريحي؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا عبد الله؛
ويعرف بابن أبي الجيش.

حاله وأوليته

أصل سلفه من **حصن يسر** من عمل **مرسية**، من بيت حسب وأصالة، ولخؤولته بالجهة **التاكرونية** ثورة.

وقلت فيه في **عائد الصلة**: كان من صدور المقريين، وأعلام المتصدرين تفنناً واضطلاعاً، وإدراكاً، ونظراً. إماماً في الفرائض والحساب قائماً على العربية، مشاركاً في الفقه والأصول، وكثير من العلوم العقلية. قعد للإقراء **بمالقة**، وخطب بجامع الربض.

مشيخته

قرأ على الأستاذ القاضي المتفنن **أبي عبد الله بن بكر**، ولازمه ثم ساء ما بينهما في مسألة وقعت **بمالقة**، وهي تجويز الخُلْفِ في وعد الله؛ شنع فيها على شيخنا المذكور، ونَسَبه إلى أن قال، وعْدُ الله ليس بلازم

الصدق؛ بل يجوز فيه الخُلْف؛ إذ الأشياء في حقه متساوية؛ وكتب في ذلك أسئلة[1] للعلماء **بالمغرب**؛ فقاطعه وهجره. ولما ولي القاضي **أبو عبد الله بن بكر** القضاء؛ خافه؛ فوجَّه عنه إثر ولايته؛ فلم يشك في الشر؛ فلما دخل عليه؛ رحب به، وأظهر له القبول عليه، والعفو عنه، واستأنف مودَّته؛ فكانت تعدُّ في مآثر القاضي رحمه الله. ورحل المذكور إلى **سبتة**؛ فقرأ بها على الأستاذ **أبي إسحاق الغافقي**، ومن عاصره، ثم عاد إلى **مالقة**؛ فالتزم التدريس بها إلى حين وفاته.

دخوله غرناطة

دخل **غرناطة** مرات، متعلماً، وطالب حاج. ودعي إلى الإقراء بمدارستها **النصرية**[2]، عام تسعة وأربعين وسبعماية[3]؛ فقدم على الباب السلطاني، واعتذر بما قبل فيه عذره. وكان قد شرع في تقييد مفيد على **كتاب**

---
[1] في الإسكواريال: ((أسولة)).
[2] سبق التعريف بها.
[3] الموافق لـ 1348م.

التسهيل[1] **لابن مالك**؛ في غاية النبل والاستيفاء والحصر والتوجيه؛ عاقته المنية عن إتمامه.

وفاتـه

توفي **بمالقة**؛ في كائنة الطاعون الأعظم[2]؛ في أخريات ربيع الآخر من عام خمسين وسبعماية، بعد أن تصدق بمال كثير وعهد بريع مجد لطلبة العلم، وحبس عليهم كتبه.

***

---

[1] **كتاب ((تسهيل الفوائد، وتكميل المقاصد))؛ يعالج مواضيع النحو؛ ألفه العلامة اللغوي أبو عبد الله جمال الدين محمد بن مالك الطائي الجياني الأندلسي؛ ولد بجيان في الأندلس سنة 600هـ/1203م؛ وتوفي بدمشق سنة 672هـ/1273م.**

[2] **انتشر هذا الوباء الجارف في هذه الفترة بأوروبا والأندلس والمشرق.**

محمد بن محمد

ابن لب الكناني؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا عبد الله،
ويعرف بابن لب.

حالـه

كان ذاكراً للعلوم القديمة. معتنياً بها. عاكفاً عليها، متقدماً في علمها على أهل وقته، لم يكن يشاركه أحد في معرفتها، من الرياضيات والطبيعيات والإلآلهيات، ذاكراً لمذاهب القدماء، ومآخذهم في ذلك حافظاً جداً، ذاكراً لمذاهب المتكلمين، من الأشعرية وغيرهم، إلا أنه يوثر ما غلب عليه من مآخذ خصومهم، وكان نفوذه في فهمه، دون نفوذه في حفظه، فكان معتمده على حفظه في إيراده ومناظرته، وكان ذاكراً مع ذلك لأصول الفقه وفروعه، عجباً في ذلك، إذا وردت مسألة، أورد ما للناس فيها من المذاهب. وعزم عليه آخر عمره فقعد بجامع **مالقة**، يتكلم على **الموطّأ**، وما كان من قبل تهيأ لذلك، إلا أنه ستر عليه حفظه، وتعظيم أهل بلده له.

قال **ابن الزبير**: وكانت فيه لوثة، واخشيشان، وكان له أرب في التطواف، وخصوصاً بأرض **النصارى**[1]، يتكلم مع الأساقفة في الدين، فيظهر عليهم، وكانت أموره غريبة، من امتزاج اليقظة بالغفلة، وخلط السذاجة بالدعابة. يحكى عنه أنه كانت له شجرة تين بداره **بمالقة**، فباع ما عليها من أحد أهل السوق، فلما هم بجمعها، ذهب ليمهد للتين بالورق في الوعاء، فمنعه من ذلك، وقال له إنما اشتريت التين، ولم تدخل الورق في البيع، فتعب ذلك المشتري ما شاء الله، وجلب ورقاً من غيرها، حتى انقضى الأمر، وعزم على معاملته في السنة الثانية، فأول ما اشترط الورق، فلما فرغ من الغلة، دعاه فقال له احمل ورقك، فإنه يوذيني، فأصابه من المشقة في جمعه من أطراف الغصون ما لم يكن يحتسب، ولم تأت السنة الثالثة، إلا والرجل فقيه، اشترط مقدار الكفاية من الورق، فسامحه ورفق به. دخل **غرناطة** وغيرها، وأخباره عجيبة. قال **أبو جعفر بن الزبير**: عرض لي **بمالقة** مسائل،

[1] **في الإسكوريال: ((النصري))؛ وهذا شاذ.**

يرجع بعضها إلى الطريقة البيانية، والمآخذ الأدبية، وضحت ضرورة إلى الأخذ معه فيها، وفي آيات من الكتاب العزيز، فاستدعيته إلى منزلي، وكان فيه تخلق، وحسن ملاقاة. مع خفته الطبيعية وتشتت منازعه، فأجاب؛ وأخذت معه في ذلك؛ فألفيته صائماً عن ذلك جملة.

وصمته

قال: وكان القاضي الجليل **أبو القاسم بن ربيع،** وأخوه **أبو الحسن** ينافرانه على الإطلاق، ويحذران منه، وهو كان الظاهر من حاله. قال: واستدعاني في مرض اشتد به، قبل خروجي من **مالقة** على انفراد، فتنصل لي مما كان يُـذَنُّ[1] به، وأكثر البكاء، حتى رثيت له.

[1] **أي: يوصم ويتهم.**

وفاتـه

توفي **بمالقة**، ووصى قبل موته بوصايا من ماله. في صدقات وأشباهها، وحبس داره وطائفة من كتبه على الجامع الكبير **بمالقة**.

***

محمد بن محمد

البدوي[1]؛ الخطيب بالربض، من بلش، يكنى أبا عبد الله.

حالـه

من **العائد**: كان رحمه الله حسن التلاوة لكتاب الله، ذا قدمٍ في الفقه، له معرفة بالأصلين، شاعراً مجيداً، بصيراً، بليغاً في خطبته، حسن الوعظ، سريع الدمعة. حج ولقي جلة. وأقرأ **ببلش** زماناً، وانتفع به، ولقي شدائد، أصلها الحسد.

مشيختـه

قرأ العلم على الشيخين المقريين، الحجتين، **أبي جعفر بن الزيات، وأبي عبد الله بن الكماد**، وقرأ العربية والأصلين على الأستاذ **أبي عمرو بن منظور**، ولازمه وانتفع به، وقرأ الفقه على الشيخ القاضي **أبي عبد الله ابن عبد السلام** بمدينة **تونس**.

[1] توجد ترجمة محمد بن محمد البدوي أيضاً في الكتيبة الكامنة.

شعـره

من شعره قوله في غرض النسيب[1]:

خـال عـلى خـدّك[2] أم عنبـر
ولـؤلـؤ ثغـرك أم جوهـر

أوريت نـار الوجـد طي الحشا
فصـارت النـار بـه[3] تسعـر

لو جـدت لي منك برشف اللمـا
لقلـت خمـر عسـلٌ سكـر

دعـني في الحـب أذب حسـرة
سفـك دم العاشـق لا ينكـر

وقال[4]:

عينـاي تفهـم من عينيـك أسرارا
وورد خدك يذكي في الحشا نـارا

---

[1] البحـر السريـع.
[2] في الكتيبـة: ((خدّيـك)).
[3] نفسـه: ((بهـا)).
[4] البحـر البسيـط.

ملكـــت قلـــب محب فيك مكتئـــب
قد أثـــرالدمـــع في خديـــه آثـــارا
رضـــاب ثغـــرك يـــروي حر غلته
يا ليت نفسي تقضي منه أوطـــارا[1]
أنعـــم بطيـــف خيال منـــك ألمحـــه
ماذا عليك بطيف[2] منك لـــو زارا
نفسي فـــداؤك من ظـــبي به كلـــفٌ[3]
يصبو له القلب مضطراً ومختارا

وقال[4]:

أيهـــا الظـــبي ترفـــق بكييـــب قـــد هلـــك
ألذنـــب تتجـــنى أم لـــشيء[5] يوصلـــك
إن روحي لـــك ملـــك[6] وكـــذا قلـــبي لـــك

---

[1] أي حاجات.
[2] في الكتيبة: ((لطيف)).
[3] نفسه: ((وطف)).
[4] مجزوء الرمل.
[5] في الكتيبة: ((ألشيء)).
[6] ورد صدر هذا البيت في الكتيبة هكذا: ((إنما روحي مِلْكٌ)).

إنمـــا أنـــت هــــــلال فلــــك القلــــب فلـــك

ومن مجموع نظمه ونثره ما خاطبني به، وقد طلبت من أدبه لبعض ما صدر عني من المجموعات: يا سيدي أبقاك الله بهجة للأعيان الفضلاء، وحجة لأعلام العلاء، ولا زلت تسير فوق النسر، وتجري في الفضائل على كرم النجر. ذكر لي فلان أنكم أردتم أن يرد على كمالكم، بعض الهذيان، الصادر عن معظم جلالكم، فأكبرت ذلك، ورأيتني لست هنالك، وعجبت أن ينظم مع الدُّرّ السبج، أو يضارع العمش الدعج، بيد أن لَنَظْمِ الدُّرّ صُنّاعَ، والحديث قد يذاع، ولا يضاع، وحين اعتذرت له فلم يعذرني، وانتظرته فلم ينظرني، بعد أن استعفيته فأبى، واستنهضت جواد الإجابة فكبى، وسلك غير طريقي، ولم يبلغني ريقي، وفيت الغرض، وقضيت من إجابته الحق المفترض، ورددت عن تعذاله النصيح، وأثبت هنا ما معناه صحيح ولفظه غير فصيح[1]:

[1] البحر السريع.

بريت من حولي ومن قوتي
بحول من لا حول إلا له
وثقت بالخالق فهو الذي
يدبر العبد وأفعاله

وقلت بالحرم عند **الملتزم**[1]؛ من المنظوم في مثل ذلك[2]:

أمولاي بالباب ذو فاقة
وهذا يحط خطايا الأمم
فجد لي بعفوك عن زلتي
يجود الكريم بقدر الكرم

ومما أعددته للوفادة على خير من عقدت عليه ألويه السيادة[3]:

حمدت إليك مع الصباح سراها
وأتتك تطلب من نداك قراها

---

[1] عن ابن عباس؛ قال: الملتزم ما بين الركن والباب؛ (أي بين باب الكعبة والركن اليماني). سمي بذلك لوجوب وضع الدّاعي صدره ووجهه وذراعيه وكفيه عليه؛ ثم الدعاء إلى الله تعالى بما تيسر له. والملتزم هو المكان الذي لا يرد الله فيه دعوة أحد أبداً. وقد قال صلى الله عليه السلام: ((الملتزم موضع يُسْتجاب فيه الدعاء؛ ما دعا الله فيه عبد دعوة إلاّ استجابها)).

[2] البحر المتقارب.

[3] البحر الكامل.

وسرت إليــك مع النسيــم يمينهــا

شوقاً يسابق في الســرى يسراهــا

لولا العجز لوصلت، والعذر لأطلت،لاكن ثنيت عناني لثنايك، لحسن اعتنايك، وقلت معتذراً من الصورة لمجدكم، وتالياً سورة حمدكم[1]:

المجــد يخبر عن صــدق مآثــره

وناظــم المجد فــي العلياء ناثــره

والجود إن جد جــد المرء ينجــده

وقلمــا ثــم فــي الأيــام ذاكــره

من نال ما نلت من مجد ومن شرف

فليــس في الناس[2] شخــص يناظره

يا سيــداً طاب في العلياء محتــده

ماجــداً[3] رسخــت فيــه أواصــره

---

[1] البحر البسيط.

[2] أضاف د. طويل؛ كلمة: ((من))؛ بعد كلمة: ((الناس))؛ فأضحت: ((من شخص يناظره)).

[3] أضاف د. طويل؛ كلمة: ((دُمْ))؛ قبل كلم ((ماجداً))؛ فأضحت: ((دُمْ ماجِداً)).

سَرَيْــتَ في الفضــل مستّناً عــلى

سنن في الفضل مآربه حقاً وسامره[1]

ورثتــه عن كبيــر أوحــد علــم

كــذاك يحملــه أيضــاً أكابــره

مبارك الوجه وضاح الجبيــن لــه

نــور ينير أغــر النــور باهــره

موفــق بكفيــل مــن عنايتـــه

مرفــع العذر سامي الذكر طاهــره

رعيت في الفضل حق الفضل مجتهداً

مفهوم مجدك هذا الحكم ظاهــره

علــوت كالشمــس إشراقاً ومنزلة

فأنت كالغيث يحيي الأرض ماطره

ينم بالفضل منك الفضل مشتهــرا

كما ينم بزهــر الروض عاطــره

[1] جعل د. طويل هذا البيت هكذا:
((سَرَيْتَ في الفضل مستّناً علىسنن الـ * ـفضل مآربه حقاً وسامره)).

دم وابــق للمجد كهفاً والعلا وزراً[1]

فإنما المجــد شخص أنت ناظــره

مؤمــلاً منك خيــراً أنــت صانعه

وصانع الخيــر عند اللــه شاكــره

ومــا وليــت وما أوليت من حسن

فللنــاس[2] والعالــم العلــوي ذاكـــره

بقيت تكســب من والاك مكرمــة

وناصــراً أبــداً من قــل ناصــره

عذراً لك الفضل عما جيت من خطإ

أن يخط مثلي يوماً أنــت عــاذره

ثــم الســلام على علياك من رجل

تهــدي الــذي[3] تُخــفى ضمائــره

---

[1] أي الجبل المنيع أو الملجأ والمعتصم.

[2] جعلها د. طويل: ((للنـاس))؛ بعد حذف الفاء.

[3] أضاف د. طويل كلمة: ((أبداً))؛ بعد كلمة: ((الذي))؛ فأضحت: ((الـذي أبـداً تخفي)).

دخولـه غرناطـة

دخلها غير ما مرة، ولقيته بها لتقضّي بعض أغراض بباب السلطان، مما يليق بمثله.

مولـده

. . . .[1]

وفاتـه

توفي **ببلش** في أخريات عام خمسين وسبعماية[2].

***

[1] ترك في هذا الحيز بياض.

[2] الموافق لأواخر 1349م.

محمد بن عبد الله

ابن تيمون بن إدريس بن محمد بن عبد الله العبدري قرطبي؛
استوطن مدينة مراكش؛ يكنى أبا بكر.

حالـه

كان عالماً بالقراءات، ذاكراً للتفسير، حافظاً للفقه واللغات والأدب، شاعراً محسناً، كاتباً بليغاً، مبرزاً في النحو، جميل العشرة، حسن الخلق، متواضعاً، فكه المحاضرة، مليح المداعبة. وصنف في غير ما فن من العلم وكلامه كثير مدون، نظماً ونثراً.

مشيختـه

روى عن: **أبي بكر بن العربي، وأبي الحسن شريح وعبد الرحمن بن بقي، وابن الباذش، ويونس بن مغيث، وأبي عبد الله بن الحاج، وأبي محمد بن عتَّاب، وأبي الوليد بن رشد،** ولازمه عشرين سنة. قرأ عليهم وسمع، وأجازوا له، وسمع **أبا بحر الأسدي، وأبوي بكر عياش**

ابن عبد الملك، وابن أبي ركب، وأبا جعفر بن سانجة[1]**، وأبا الحسن عبد الجليل، وأبا عبد الله بن خلف الأيْسَري، وابن المناصف، وابن أخت غانم**؛ ولم يذكر أنهم أجازوا له، وروى أيضاً عن **أبوي عبد الله مكي، وابن المعمر، وأبي الوليد بن طريف.**

من روى عنه

روى عنه: **أبو البقاء يعيش بن القديم، وأبو الحسن ابن مؤمن، وأبو زكريا المرجيعي، وأبو يحيى أبو بكر الضرير؛** واختص به.

تواليفه

من مصنفاته: ((**مشاحذ الأفكار في مآخذ النظار**))؛ و((**شرحاه الكبير والصغير على جمل الزجاجي**))، و((**شرح أبيات الإيضاح العضدي**))، و((**مقامات الحريري**))، و((**شرح معشراته الغزلية**))، و((**مكفراته الزهدية**))، إلى غير ذلك؛ وهما مما أبان عن وفور

---

[1] يعتقد عنان أنها: ((شانجة)؛ بالشين المعجمة؛ وهو تعريب لاسم ملوك إسبانيا؛ بينما الاسم المشهور هو ((سانشو)). كما يعتقد في احتمال كون هذا العالم من طائفة المولدين الداخلين في الإسلام.

علمه، وغزارة مادته، واتساع معارفه، وحسن تصرفه.

دخل **غرناطة** راوياً عن **الحسن بن الباذش** ومثله.

محنته

كان يحضر مجلس **عبد المؤمن**[1] مع أكابر من يحضره من العلماء، فيشف على أكثرهم بما كان لديه من التحقيق بالمعارف، إلى أن أنشد **أبا محمد عبد المؤمن** أبياتاً كان نظمها في **أبي القاسم عبد المنعم بن محمد بن تست** وهي[2]:

أبا قاسم والهوى جِنَّةٌ[3]
وها أنا من مسها لم أفق
تقحمت جامح نار الضلوع
كما خضت بحر دموع الحدق

---

[1] عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الدولة الموحدية. سبقت الإشارة إليه.
[2] البحر المتقارب.
[3] أي: جنون.

أكنــت الخليــل أكنـــت الكليــم

أمنــت الحريــق أمنــت الغــرق

فهجره **عبد المؤمن**، ومنعه من الحضور بمجلسه، وصرف بنيه عن القراءة عليه، وسرى ذلك في أكثر من كان يقرأ عليه، ويتردد إليه. على أنه كان في الطبقة العليا من الطهارة والعفاف.

شعـره

قال في **أبي القاسم المذكور**، وكان أزرق؛ وقد دخل عليه ومعه **أبو عبد الله محمد بن أحمد الشاطبي، وأبو عثمان سعيد بن قوسرة**. فقال: **ابن قوسرة**[1]:

عابــوه بالــزرق الــذي يجفونــه

والمـــاء أزرق والعينـــان[2] كذلكـــا

فقال أبو عبد الله الشاطبي[3]:

---

[1] البحر الكامل.

[2] جعلها د. طويل: ((العيون)).

[3] البحر الكامل.

المـــاء يهـــدي للنفـــوس حياتهـــا
والرمح يشرع للمنـــون مسالكـــا

فقال **أبو بكر بن ميمون** المترجم به[1]:

وكذلك[2] في أجفانـــه سبب الردى
ولكن[3] أرى طيب الحياة هنالكـــا

ومما استفاض من شعره؛ قوله في زمن الصبا عفا الله عنه[4]:

لا تكثـــرت بفراق أوطـــان الصبا
فعـــسى تنـــال بغيرهـــن سعـــودا
والدر ينظـــم عنـــد فقـــد بحـــاره
بجميـــل أجيـــاد الحســـان عقـــودا

ومن مشهور شعره[5]:

توسلـــت يا ربـــي بـــأنيَ مؤمـــن
وما قلـــت أني سامـــع ومطيــــع

---

[1] **البحر الكامل.**
[2] **جعلها د. طويل: ((وكذاك)).**
[3] **حذف د. طويل الواو؛ فكتبها: ((لكن)).**
[4] **البحر الكامل.**
[5] **البحر الطويل.**

أيصـــلى بحـــر النـــار عاص موحد
وأنـــت كريـــم والرســـول شفيـــع

وقال في مرضه[1]:

أيرتـــجي العيـــش من عليـــه
دلائـــل للـــردى جليـــة
أولهـــــا مخبـــــر بثـــــان
ذاك أمـــان وذا منيـــة

وفاتـه

توفي **بمراكش** يوم الثلاثاء اثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة سبع وستين وخمسماية[2]، ودفن **بمقبرة تاغزوت** داخل **مراكش**، وقد قارب السبعين سنة.

***

---

[1] **مخلع البسيط.**
[2] **الموافق لـ 1171م.**

محمد بن عبد الله

ابن عبد العظيم بن أرقم النميري[1]؛ من أهل وادي آش[2]؛ يكنى أبا عامر.

حالـه

كان أحد شيوخ بلده وطلبته[3]، مشاركاً في فنون من فقه وأدب وعربية، وهي أغلب الفنون عليه، مطرح[4] السمت، مخشوشن الزي، قليل المبالاة بنفسه مختصراً في كافة شئونه، مليح الدعابة، شديد الحمل، كثير التواضع، وبيته معمور بالعلماء أولي الأصالة والتعين؛ تصدر ببلده للفتيا والتدريس والإسماع.

---

[1] لـه ترجمـة أيضـاً في: الكتيبـة الكامنـة، وبغيـة الوعـاة.
[2] تابعة لمملكـة غرناطـة؛ سبـق ذكرهـا.
[3] لـم تـرد هـذه الكلمـة في بغيـة الوعـاة.
[4] في بغيـة الوعـاة: ((مطرحـاً، مخشوشنـاً، مليـح الدعابـة)).

مشيخته

قرأ على: الأستاذ القاضي **أبي**[1] **خالد بن أرقم**، والأستاذ **أبي العباس بن عبد النور**. وروى عن أبيه مديح **رسول الله** صلى الله عليه وسلم، وعن الوزير العالم **أبي عبد الله بن ربيع**، والقاضي **أبي جعفر بن مسعدة**، والأستاذ **أبي جعفر ابن الزبير**، وولي الله **الحسن بن فضيلة**. ورحل إلى **العدوة**، فأخذ **بسبتة** عن الأستاذ **أبي بكر بن عبيدة**[2]، والإمام الزاهد **أبي عبد الله بن حريث**، **وأبي عبد الله بن الخضار**، **وأبي القاسم بن الشاط**، وغيرهم.

شعره

وهو من الجزء المسمى بـ ((**شعر من لا شعر له**)). والحمد لله. فمن ذلك قوله يمدح **أبا زكريا العزفي بسبتة**، ويذكر ظفره بالأسطول من قصيدة أولها:

---

[1] **في بغية الوعاة: ((ابن)).**
[2] **في بغية الوعاة: ((بن عبيد)).**

أمـــا الوصـــال فإنـــه كالعيـــد
عـــذر المتيـــم واضح في الغيـــد

وفاتـه

توفي ببلده عام أربعين وسبعماية[1]. ودخل **غرناطة**، راوياً ومتعلماً، وغير ذلك.

***

[1] **الموافق لـ 1339م.**

محمد بن عبد الله

ابن يحيى بن عبد الله بن فرج بن الجدّ الفهري؛ الحافظ الجليل؛ يكنى أبا بكر؛ جليل إشبيلية، وزعيم وقته في الحفظ. لَبْلي[1] الأصل، إشبيلي. استدعاه السيد أبو سعيد والي غرناطة، فأقام بها عنده، في جملة من الفضلاء مثله سنين. ذكر ذلك صاحب كتاب ثورة المريدين.[2] "

حالـه

كان في حفظ الفقه بحراً يغرف من محيط. يقال إنه ما طالع[3] شيئاً من الكتب فَنَسِيَهُ[4]، إلى الجلالة والأصالة، وبعد الصيت، واشتهار المحل. وكان مع هذا يتكلم عند الملوك، ويخطب بين يديها، ويأتي بعجاب، وفي كتاب "**الإعلام**" شيء من خبره، قال **ابن الزبير**.

---

[1] ينسب إلى المدينة الأندلسية: لبلة Niebla؛ التتي تتواجد غربي إشبيلية؛ وبالتحديد؛ على الضفة اليمنى للنهر الأحمر Rio Tinto؛ ما زالت إلى الآن تحتفظ بأسوارها كاملة. وسقطت هذه المدينة في يد ألفونسو العاشر؛ ملك قشتالة سنة 655هـ/1257م.

[2] هذا الكتاب من تأليف ابن صاحب الصلاة؛ مؤرخ الدولة الموحدية. سبقت الإشارة إليه؛ مع كتابه الآخر: ((المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين)).

[3] في الإسكوريال: ((طلع))؛ وصوبت من الزيتونة.

[4] في الإسكوريال: ((فانسية))؛ والتصحيح من الزيتونة.

مشيختـه

روى عـن: **أبي الحسن بن الأخضر** ، أخذ عنه **كتاب سيبويه** وغيره ذلك، وعـن **أبي محمد بن عتَّاب**، وسمع عليه بعض **الموطأ**، وعن **أبي بحر الأسدي، وأبي الوليد ابن طريف، وأبي القاسم بن منظور القاضي،** وسمع عليه **صحيح البخاري** كله، **وشريح بن محمد**، **وأبي الوليد بن رشد**، وناوله كتاب "**البيان والتحصيل**". وكتاب "**المقدمات**". لقي هؤلاء كلهم، وأجازوا له عامة. وأخذ أيضاً عن **مالك بن وهيب**.

من حدث عنه

أبو الحسن بن زرقون، وأبو محمد القرطبي الحافظ، **وإبنا حوط الله**، وغيرهم. وعليه من ختمت به المائة السادسة كـ: **أبي محمد بن جمهور، وأبي العباس بن خليل** وإخوته الثلاثة **أبي محمد عبد الله، وأبي زيد عبد الرحمن، وأبي محمد عبد الحق**. قال الأستاذ **أبو جعفر بن**

الزبير: حدثني عنه **ابن خليل، وأبو القاسم الجياني، وأبو الحسن بن السراج.**

مولده

[بلبلة][1] في ربيع الأول سنة ست وتسعين وأربعمائة[2].

وفاته

وتوفي **بإشبيلية** في شوال سنة ست وثمانين وخمسماية[3]؛ ذكره: **ابن الملجوم، وأبو الربيع بن سالم، وابن فرتون.**

***

[1] أضيفت هذه الكلمة من جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس.

[2] الموافق لـ 1102م.

[3] الموافق لـ 1190م.

محمد بن عبد الرحمن

ابن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفَخّار الجزامي؛
يكنى أبا بكر؛ أركشي[1] المولد المنشأ، مالقي الاستيطان،
شريشي[2] التدرب والقراءة.

حالـه

من"**عايد الصلة**": كان رحمه الله خيراً صالحاً، شديد الانقباض، مغرقاً في باب الورع، سليم الباطن، كثير العكوف على العلم والملازمة، قليل الرياء والتصنع. خرج من بلده **أركش**؛ عند استيلاء العدو على قصبتها، وكان يصفها، وينشد فيها من شعر أستاذه الأديب **أبي الحسن الكرماني**[3]:

أكــرم بأركــش دارا   تاهــت على البدر قــدرا
يخاطب المجــد عنها   لقلــبٍ[4] تــدنى شكــرا

---

[1] نسبة إلى مدينة أركش **Arcos de la Frontera** ؛ وقد سبق الحديث عنها.
[2] نسبة إلى الدينة الأندلسية شريش **Xerex** أو **Jerez**؛ التي تتواجد على ضفاف نهر وادي لكة. وهي قريبة من ثغر قادس.
[3] بحر المجتث.
[4] جعلها د. طويل: ((للقلب)).

واستوطن مدينة **شريش**، وقرأ بها، وروى بها عن علمائها، واقرأ بها. ولما استولى العدو عليها لحق **بالجزيرة الخضراء**؛ فدرس بها، ثم عبر البحر إلى **سبتة**؛ فقرأ بها، وروى. ثم كرَّ إلى **الأندلس**؛ فقصد **غرناطة**، وأخذ عن أهلها. ثم استوطن **مالقة**، وتصدر للإقراء بها، مفيد التعليم، متفننه، من: فقه وعربية وقراءات وأدب وحديث؛ عظيم الصبر، مستغرق الوقت، يدرس من لَدُن صلاة الصبح إلى الزوال. ثم يسند ظهره إلى طاق المسجد بعد ذلك، فيقرئ، وتأتيه النساء من خلفه للفتيا، فيفتيهن على حال سؤالاتهن إلى نصف ما بين العصر والعشاء الأولى. ثم يأتي المسجد الأعظم بعد الغروب، فيقعد للفتيا إلى العشاء الآخرة، من غير أن يقبل من أحد شيئاً. ومن أخذ منه بعد تحكيم الورع، أثابه بمثله. ما رأي في وقته أورع منه. وكان يتخذ رومية مملوكة، لا يشتمل منزله على سواها؛ فإذا أنس منها الضجر للحصر، وتمادى الحجاب، أعتقها[1]، وأصحبها إلى أرضها. ونشأت بينه

---

[1] في الزيتونة: ((أطلقها)).

وبين فقهاء بلده خصومة[1] في أمور عدّوها عليه، مما ارتكبها لاجتهاده في مناط الفتوى، وعقد لهم أمير المسلمين **بالأندلس**، مجلساً أجلى عن ظهوره فيه، وبقاء رسمه؛ فكانت محنة وخلصه الله منها. وبلغ من تعظيم النّاس إياه، وانحياشهم إليه مبلغاً لم ينله مثله، وانتفع بتعليمه، واستفيد منه الأدب، على نسكه وسذاجته.

مشيخته

قرأ ببلده **شريش** على المكتب **الحاج أبي محمد عبد الله بن أبي بكر بن داود القيسي**، وعلى الأستاذ **أبي بكر محمد بن الرباح**، وعلى الأستاذ **أبي الحسن علي بن إبراهيم بن حكيم السكوني الكرماني**. أخذ عنه العربية والأدب، وعلى: الحافظ **أبي الحسن علي بن عيسى** المعروف **بابن متيوان**، وعلى الأصولي الكاتب **أبي الحسن هلال بن أبي سنان الأزدي المراكشي**، وعلى الخطيب **أبي العرب إسماعيل بن إبراهيم الأنصاري**، وعلى الفقيه **أبي عبد الله الجنيدي** المعروف **بالغراق**، وعلى الفقيه العددي

---

[1] **في الإسكوريال: ((مشاحة، مشاحنة)).**

أبي عبد الله محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الكاتب المكناسي. وقرأ **بالجزيرة الخضراء** على الخطيب الصالح **أبي محمد الركبي**، وروى عنه، وقرأ بها على: **الخطيب أبي عبيد الله بن خميس،** وعلى الأصولي **أبي أمية.** وقرأ **بسبتة** على الأستاذ الفرضي إمام النحاة **أبي الحسن بن أبي الربيع**، وعلى **أبي يعقوب المحبساني**، وعلى المحدث **أبي عمرو عثمان بن عبد الله العبدري**، وعلى الفقيه المالكي الحافظ **أبي الحسن المتيوي**، والأصولي **أبي الحسن البصري**، والفقيه المعمر الراوية **أبي عبد الله محمد الأزدي**، والمحدث الحافظ **أبي محمد بن الكماد**، وعلى الأستاذ العروضي الكفيف **أبي الحسن بن الخضار التلمساني.** ولقي **بغرناطة** قاضي الجماعة **أبا القاسم بن أبي عامر بن ربيع،** والأستاذ **أبا جعفر الطباع، وأبا الوليد إسمعيل بن عيسى بن أبي الوليد الأزدي**، والأستاذ **أبا الحسن بن الصايغ.** ولقي **بمالقة** الخطيب الصالح **أبا محمد عبد العظيم بن الشيخ** ، والراوية **أبا عبد الله محمد بن علي بن الحسن الجذامي السهيلي.** وسمع

على الراوية **أبي عمرو بن حوط الله**، وعلى الأستاذ **أبي عبد الله بن عباس القرطبي.**

تواليفه

كان رحمه الله مغرى بالتأليف، فألّف نحو الثلاثين تأليفاً في فنون مختلفة، منها: كتاب ((**تَحْبير نظم الجمان في تفسير أم القرآن**))، و((**انتفاع الطلبة النبهاء في اجتماع السبعة القراء**)). و((**الأحاديث الأربعون بما ينتفع به القارئون والسامعون**))، وكتاب ((**منظوم الدرر في شرح كتاب المختصر**))، وكتاب ((**نصح المقالة في شرح الرسالة**))، وكتاب ((**الجواب المختصر المروم في تحريم سكنى المسلمين ببلاد الروم**))، وكتاب ((**استواء النهج في تحريم اللعب بالشطرنج**))، وكتاب ((**الفيصل المنتضى المهزوز في الرد على من أنكر صيام يوم النيروز**))، وكتاب ((**جواب البيان على مصارمة أهل الزمان**))، وكتاب ((**تفضيل صلاة الصبح للجماعة في آخر الوقت المختار على صلاة الصبح للمنفرد في أول وقتها بالابتدار**))، وكتاب ((**إرشاد السالك في بيان إسناد زياد عن مالك**))،

وكتاب ((**الجوابات المجتمعة عن السؤالات المنوعة**))، وكتاب ((**إملاء فوائد الدول في ابتداء مقاصد الجمل**))، وكتاب ((**أجوبة الإقناع والإحساب في مشكلات مسائل الكتاب**))، وكتاب ((**منهج الضوابط المقسمة في شرح قوانين المقدمة**))، وكتاب ((**التوجيه الأوضح الأسمى في حذف التنوين من حديث أسما**))، وكتاب ((**التكملة والتبرية في إعراب البسملة والتصلية**))، وكتاب ((**سَحٌّ مزنة الانتخاب في شرح خطبة الكتاب**)). ومنها ((**اللايح المعتمد عليه في الرد على من رفع الخبر بلا إلى سيبويه**))، وغير ذلك من مجيد ومقصر.

شعره

وشعره كثير، غريب النزعة، دال على السذاجة، وعدم الاسترابة والشعور، والغفلة المعربة عن السلامة، من ارتكاب الحوشي، واقتحام الضرار[1]، واسعمال الألفاظ المشتركة التي تتشبث بها أطراف الملاحين والمعاريض، ولع

[1] في الزيتونة: ((الضراير)).

كثير من أهل زمانه بالرد عليه، والتملح بما يصدر عنه، منهم القاضي **أبو عبد الله بن عبد الملك**.

ومن منتخب شعره قوله[1]:

أنظـــر إلى ورد الريـــاض كأنـــه
ديبـــاج خـــد في بنـــان زبرجـــد
قـــد فتحتـــه نضـــارة فبـــدا لـــه
في القلب رونـــق صفرةٍ كالعسجد[2]
حكت الجوانـــب خد حبّ ناعـــم
والقلـــب يحـــكي خدّ صب مكمد

حدث الفقيه العدل **أبو جعفر أحمد بن مفضل المالقي**، قال: قال لي يوماً الشيخ الأستاذ **أبو بكر ابن الفخار**، خرجت ذات يوم وأنا شاب من حلقة الأستاذ **بشريش**، أعادها الله للإسلام، في جملة من الطلبة، وكان يقابل باب المسجد حانوت سراج، وإذا فتى وسيم في الحانوت؛ يرقم جلداً كان في يده، فقالوا لي: لا

---

[1] البحر الكامل.

[2] العسجد هنا: هو الذهب.

تجاوز هذا الباب حتى تصنع لنا شعراً في هذا الفتى.

فقلت[1]:

وربّ معـذر للحـب داع[2]

يـروق بهاء منظـره البهيـج

وشى في وجنتيـه وشيـاً

كـوشي يديـه في أدم السروج

مولـده

بحصن أركش؛ بلده؛ وكان لا يخبر به، في ما بين الثلاثين والأربعين وستمائة[3].

وفاتـه

توفي **بمالقة** في عام ثلاثة وعشرين وسبعماية[4] وكانت جنازته بمالقة مشهورة.

***

[1] البحر الوافر.
[2] في الزيتونـة: ((دارع)).
[3] الموافق لما بين 1232م و 1242م.
[4] الموافق لـ 1323م.

محمد بن علي

ابن عمر بن يحيى بن العربي الغساني؛ من أهل الحمّة[1]
من عمل المرية؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن العربي،
وينتمي في بني أسود من أعيانها.

حالـه

من **العايد**: كان رحمه الله من أهل العلم والدين والفضل، طلق الوجه، حسن السير، كثير الحياء، كأنك إذا كلمته تخاطب البكر العذراء، لا تلقاه إلا مبتسماً، في حسن سمت، وفضل هوىً، وجميل وقار، كثير الخشوع، وخصوصاً عند الدخول في الصلاة، تلوح عليه بذلك، عند تلاوته سيما الحضور، وحلاوة الإقبال. وكان له تحقق بضبط القراءات، والقيام عليها، وعناية بعلم العربية، مع مشاركة في غير ذلك من الفنون السنية، والعلوم الدينية. انتصب للإقراء والتدريس بالحمّة المذكورة، فقرب النجعة على أهل الحصون والقرى

---

[1] **سبق التعريف بها.**

الشرقية، فصار مجتمعاً لأرباب الطلب من أهل تلك الجهات ومرتفقاتهم. وكان رجلاً صالحاً، مبارك النية، حسن التعليم، نفع الله به من هنالك، وتخرج على يديه جمع وافر من الطلبة، عمرت بهم ساير الحصون. وكان له منزل رحب للقاصدين، ومنتدى عذب للواردين. تجول في آخرة **بالأندلس والعدوة**، وأخذ عمن لقي بها من العلماء، وأقام مدة بسبتة، مكباً على قراءة القرآن والعربية. وبعد عوده من تجواله لزم التصدر للإقراء بحيث ذكر، وقد كانت الحواضر فقيرة لمثله، غير أنه آثر الوطن، واختار الاقتصاد.

مشيخته

أخذ **بالمرية** عن شيخها **أبى الحسن بن أبى العيش، وبغرناطة** عن الأستاذ **أبي جعفر بن الزبير**، والعدل **أبي الحسن بن مستقور**، **وببلش** عن الأستاذ **أبي عبد الله بن الكماد**، والخطيب **أبي جعفر بن الزيات**، **وبمالقة** عن الأستاذ **أبي عبد الله بن الفخار**، والشيخ **أبي عبد الله**

محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري، **وبالجزيرة** عن خطيبها **أبي العباس بن خميس**، **وبسبتة** عن الأستاذ **أبي إسحاق الغافقي**، والخطيب **أبي عبد الله بن رشيد**، والإمام الصالح **أبي عبد الله محمد بن محمد بن حريث**، والقاضي **أبي عبد الله القرطبي**، والزاهد **أبي عبد الله بن معلى**، الشيخ الخطيب **أبي عبد الله الغماري**، **وبمكناسة** من القاضي **وارياش**، **وبفاس** من الحاج الخطيب **أبي الربيع سليمان بن مفتاح اللجاي**، والأستاذ **أبي الحسن بن سليمان**، والأستاذ **أبي عبد الله بن أجروم الصنهاجي**، والحاج **أبي القاسم بن رجا بن محمد بن علي** وغيرهم، وكل من ذكر أجاز له عامة، إلا قاضي **مكناسة أبي عبد الله محمد بن علي الكلبي** الشهير **بوارياش**.

مولـده

في أول عـام اثنيـن وثمانيـن وستمائـة[1].

وفاتـه

تـوفي **بالحمّة**؛ ليلة الإثنين الثامـن عشـر لشهـر محـرم عـام ثمانيـة وأربعيـن وسبعمائـة[2].

***

[1] **الموافق لـ 1283م.**
[2] **الموافق لـ 1347م.**

محمد بن علي

ابن محمد العبدري[1]؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف باليتيم.

حالـه

كان رحمه الله أحد الظرفاء من أهل بلده، مليح الشكل، حسن الشيبة، لوْذعياً في وقار، رشيق النظم والنثر، غزلا مع الصون، كثير الدعابة من غير إفحاش، غزير الأدب، حسن الصوت، رائق الخط بديع الوراقة، معسول الألفاظ، ممتع المجالسة، طيب العشرة. أدب الصبيان مدة، وعقد الشروط أخرى، وكان يقرأ كتب الحديث والتفسير والرقائق للعامة بالمسجد الأعظم، بأعذب نغمة، وأمثل طريقة، مذ أزيد من ثلاثين سنة، لم يخل منها وقتاً إلا ليلتين، إحداهما بسبب امتساكنا به في نزهة برياض بعض الطلبة. لم يخلف مثله بعده. وخطب **بقصبه مالقة**، ومال أخيراً إلى نظر الطب، فكان الناس يميلون اليه،

---

[1] **لـه ترجمـة في: الكتيبـة الكامنـة، ونفـح الطيـب.**

وينتفعون به لسياغ مشاركته، وعموم انقياده، وبره وعمله على التودد والتجمل.

وجرى ذكره في "**التاج المحلى**" بما نصه: **مجموع** أدوات حسان، من خط ونغمة ولسان، أوراقه[1] روض تتضوع نسماته، وبشره صبح تتألق قسماته، ولا يخفى[2] سماته. يقرطس أغراض الدعابة ويصميها، ويفوق سهام الفكاهة إلى مراميها، فكلما صدرت في عصره قصيدة هازلة، أو أبيات منحطة عن الإجادة نازلة، خمس أبياتها وذيَّلها، وصرف معانيها وسهلها[3]، وتركها سمر الندمان، وأضحوكة الزمان[4]. وهو الآن خطيب المسجد الأعلى من **مالقة**[5]، متحل بوقار وسكينة، حال من أهلها بمكانةٍ مكينة، لسهولة جانبه، واتضاح مقاصده في الخير ومذاهبه. واشتغل لأول أمره بالتعليم[6] والتكتيب، وبلغ

---

[1] **في الكتيبة، والنفح: ((أخلاقه)).**
[2] **نفسهما: ((تخفى)).**
[3] **في النفح: ((وسيلها)).**
[4] **نفسه: ((الأزمان)).**
[5] **نفسه: ((بمالقة)).**
[6] **نفسه: ((أمره بالتكتيب)).**

الغاية في الوقار[1] والترتيب، وللشباب[2] لم ينصل خضابه، ولا شلت للمشيب عضابه، ونفسه بالمحاسن كلفة[3]؛ وشأنه كله هوى ومحبة، ولذلك ما خاطبه به بعض أودَّايه[4]، وكلاهما رمى أهله بدايه، حسبما يأتي خلال هذا المقول[5] وفي أثنائه بحول الله.

شعــره

كتبت إليه أسأل منه ما أثبت في كتاب "**التاج** " من شعره؛ فكتب إليّ[6]:

أما الغــرام فلم أخلــل بمذهبــه
فلم حرمت فــؤادي نيــل مطلبــه
يا معرضاً عن فؤادٍ لم يزل كلفاً
بحبـــــه ذا حـــذار مـــن تجنبــه

[1] في النفح: ((في التعليم والترتيب)).
[2] نفسه: ((والشباب))؛ وهو أصوب.
[3] في النفح: ((كلفة صبة)).
[4] أي بعض محبيه الذين ودونه.
[5] في النفح: ((هذا القول)).
[6] البحر البسيط.

قطعت عنه الذي عودتـــه فغـــدا

وحظـــه من رضاه بـــرق خلَّبِـــه[1]

أيام وصلك مبـــذول وبـــرك بي

مجدد قد صفا لي عذب مشربـــه

وسمع ودك عن إفك العواذل في

شغـــلٍ وبدر الدجى ناسٍ لمغربـــه

ألأنت[2] تمنعني نيل الرضا كرمـــاً

ولا فـــؤادي بـــوانٍ في تطلبـــه

للـــه عرفـــك ما أذكى تنسمـــه

لو كنـــت تمنحني استشاق طيبّـــه

أنت الحبيـــب الذي لم أتخذ بدلاً

منـــه وحـــاش لقلـــبي من تقلبـــه

يا ابن الخطيب الذي قد فقت كل سناً

أزال عن ناظري إظـــلام غيهبـــه

[1] **أي البـرق الـذي لا مطـر تليـه.**
[2] **في النفـح: ((لا أنـت)).**

محمـــد الحسن في خلقٍ وفي خلق

كَمُلَت[1] باسمك معنى الحسن فازْهَ به

نأيت[2] أو غبت مالي عن هواك غنى

لا ينقص البدر حسنـــاً في تغيبـــه

سيان حال التداني والبعاد وهـــل

لمبصـــر البـــدر نيل في ترقبـــه

يا من أحسن ظني في رضاه وما

ينفك يبـــدى قبيحـــاً من تغضبـــه

إن كان ذنبي الهوى فالقلب مني لا

يصـــغي لسمـــع ملامٍ من مؤنبـــه

فأجبته بهذه الرسالة، وهي ظريفة في معناها: ((يا سيدي، الذي إذا رفعت راية ثنائه تلقيتها باليدين[3]، وإذا قسمت سهام وداده على ذوي اعتقاده، كنت صاحب الفريضة[4] والدَّيْن، دام بقاؤك لِطُرْفَةٍ[5] تبديها، وغريبةٍ

---

[1] في النفح: ((أكملت))؛ وهو أسلم.
[2] نفسه: ((حضرت)).
[3] سبق لشماخ بن ضرار تناول هذا المعنى حين قال في عرابة الأوسي: (البحر الوافر) ((إذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين)).
[4] أي صاحب الحصة من الإرث.
[5] أي لكل غريب مستحسن.

تردفها، بأخرى تليها، وعقيلة بيان تجليها ونفس أخذ الحزن بكظمها، وكلف الدهر بشت نظمها، تؤنسها وتسليها، لم أزل أعزك الله، أشد على بدائعها[1] يَدَ الضَّنين[2]، وأقتني درر كلامك، ونفثات أقلامك، اقتناء الدر الثمين، والأيام بلقياك تعد ولا تسعد، وفي هذه الأيام انثالت علي سماوك بعد قحط، وتوالت[3] علي آلاوك على شحط[4]، وزارتني من عقائل بيانك كل فاتنة الطرف، عاطرة العرف، رافلةٍ في حلل البيان والظرف، لو ضربت بيوتها **بالحجاز**، لأقرت لنا **العرب العاربة**[5] بالإعجاز، ماشيت من رصف المبنى، ومطاوعة اللفظ لغرض المعنى، وطيب الأسلوب، والتشبث بالقلوب. غير أن سيدي أفرط في التنزل، وخلط المخاطبة بالتغزل،

---

[1] في النفح: ((بدائعك)).
[2] أي يد البخيل.
[3] في النفح: ((وتواترت لديّ)).
[4] إي على بعد.
[5] هم الطبقة الأولى من العرب؛ وعددهم ابن خلدون بقوله: ((وهم: عاد، وثضمود، وطَسْم، وجَديس، وأُمَيْم، وعُبَيْل، وعَبْدُ ضَخْم، وجُرْهُم، وحَضْرَموت، وحَضورا، والسَّلْف)). العبر؛ مج: 2، ص: 34. وسموهم أيضاً العرب البائدة؛ أي الهالكة؛ لأنهم اندثروا.

وراجع الالتفات، ورام استدراك ما فات. يرحم الله[1] شاعر **المعرة**[2]، فلقد أجاد في قوله، وأنكر [مناجاةً للشوق][3]، بعد انصرام حوله فقال[4]:

أبعـــد حولٍ تناجي للشوق[5] ناجيـــة[6]

هلا ونحن على عشر من العشـــر[7]

وقد[8] تَجاوَزْتَ في الأمل[9]، وأنسيت أخبار صاحبك صاحبك **عبد الصمد**، فأقسم بألفات القدود، وهمزات الجفون السود، وحاملي[10] الأرواح مع الألواح ، بالغدو والرواح، لولا بعد مزارك، ما أمنت غايلة ما تحت إزارك ثم إني حققت الغرض، وبحثت عن المشكل الذي عرض، فقلت للخواطر انتقال، ولكل مقام مقال،

---

[1] في النفح: ((ويرحم الله تعالى)).

[2] هو الشاعر أبو العلاء المعري. (أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري)؛ ولد في معرة النعمان بسوريا سنة 363هـ/973م وتوفي بها سنة 449هـ/1057م.

[3] في النفح: ((مناجاة الشوق)).

[4] هذا البيت لأبي العلاء المعري؛ وهو من البحر البسيط.

[5] في النفح: ((الشوق))؛ وهو أسلم.

[6] الناجية: هي الناقة السريعة.

[7] العشر: ضرب من الشجر.

[8] في النفح: ((ولقد)).

[9] نفسه: ((الأمد)).

[10] نفسه: ((حامل)).

وتختلف الحوائج باختلاف الأوقات، ثم رفع اللبس خبر الثقات.

ومنها: وتعرفت ما كان من مراجعة سيدي لحرفة التكتيب والتعليم، والحنين إلى العهد القديم، فسررت باستقامة حاله، وفضل ماله، وإن لاحظ الملاحظ[1] ما قال **الجاحظ**[2]، فاعتراض لا يرد، وقياس لا يضطرد[3]، حبذا والله عيش [أهل][4] التأديب، فلا بالضنك ولا بالجديب[5]، بالجديب[5]، معاهدة الإحسان، ومشاهدة الصور الحسان، يميناً إن المعلمين لسادة المسلمين، وإني لأنظر منهم، كلما خطرت على المكاتب، أمراً[6] فوق المراتب، من كل

---

[1] في النفح: اللاحظ)).

[2] يشير إلى قصة عمرو بن بحر الجاحظ مع نوادر المعلمين؛ حين قال: ((كنت ألفتُ كتاباً في نوادر المعلمين وما هم عليه من الغفلة، ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع الكتاب؛ فدخلت يوماً قرية؛ فوجدت فيها معلماً في هيئة حسنة، فسلمت عليه فرد عليّ أحسن رد، ورحّب بي؛ فجلست عنده، وباحثته في القرآن فإذا هو ماهر، ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب؛ فإذا هو كامل الأدوات؛ فقلت: هذا والله مما يُقوي عزمي على تقطيع الكتاب)). ولكنه أود قصة أخرى عن معلم آخر؛ وجده في منتهى الحمق؛ فتراجع وأبقى على الكتاب. ومع هذا فالجاحظ هو القائل: ((وقالوا اسم المؤدب من الأدب)).

[3] في النفح: ((لا يطرد)).

[4] سقطت هذه الكلمة في النفح.

[5] أي: ولا بالضيق ولا وبالقفر والجدب.

[6] في النفح: ((أُمَراء))؛ وهو أصوب.

مسيطر الدرة، متقطب الأسرة، متنمر للوارد تنمر الهرة، يغدو إلى مكتبه والأمير[1] في موكبه، حتى إذا استقل في فرشه، واستولى على عرشه، وترنم بتلاوة قانونه[2] وورشه، أظهر للخلق احتقاراً، وأندى[3] بالجبال وقاراً، ورفعت إليه الخصوم، ووقف بين يديه الظالم والظلوم، فتقول: **كسرى** في إيوانه، **والرشيد** في زمانه، **والحجاج** بين أعوانه. وإذا استولى على البدر السرار، وتبين للشهر الغرار[4]، تحرّك[5] إلى الخَرْج، تحرُّك القرد[6] إلى الفَرْج. أستغفر الله مما يشق على سيدي سماعه، وتشمئز من ذِكْراه[7] طباعه، شيم اللسان، خلط الإساءة بالإحسان، والغفلة من صفات الإنسان. فأي عيش هذا[8] العيش، وكيف حال أمير هذا الجيش، طاعة معروفة، ووجوه إليه

---

[1] **في النفح: ((كالأمير)).**
[2] **نفسه: ((قالونه)). وقالون: هو أحد المقرئين ـ مثل ورش ـ له قراءة أسندت إليه.**
[3] **في النفح: ((وأزرى)).**
[4] **في الإسكوريال: ((العرار)).**
[5] **في النفح: ((تحرك)).**
[6] **نفسه: ((العود)).**
[7] **نفسه: ((ذكره)).**
[8] **نفسه: ((كهذا)).**

مصروفة، فإن أشار بالإنصات، تتحقق الغُصَّات[1]، فكأنما طمس الأفواه[2]، ولأم بين الشفاه. وإن أمر بالإفصاح، وتلاوة الألواح، علا الضجيج والعجيج، وحف به كما حف بالبيت الحجيج. وكم بين ذلك من رشوة تدس، وغمزة لا تحس، ووعد يستنجز، وحاجةٍ تستعجل وتحفز. هنأ الله سيدي ما خوله، وأنساه بطيب آخره أوله. وقد بعثت بدعابتي هذه مع إجلال قدره، والثقة بسعة صدره، فليتلقها بيمينه، ويفسح لها في المرتبة بينه وبين خدينه[3]، ويفرغ لمراجعتها وقتاً من أوقاته[4] بمقتضى دينه، وفضل يقينه، والسلام)).

ومن شعره ما كتب به إلى[5]:

آيـــات حسنـك حجــة للقــــال[6]

في الحـــب قائمـــة على العـــذال

---

[1] في النفح: ((لتحقق الغُصّات)).

[2] نفسه: ((على الأفواه)).

[3] أي بينه وبين صديقه.

[4] في النفح: ((أوقاته عملا بمقتضى...))

[5] البحر الكامل.

[6] في الكتيبة الكامنة: ((للتالي)).

يا من سبا طوعاً عقول ذوي النهى
ببلاغـــةٍ قــد أيــدت بجمـــال
يستعبد الأبصار والأسمـــاع مــا
يجلـــو ويتلـــو من ســـنيّ مقـــال
وعليك أهـــواء النفـــوس بأسرها
وقفـــت فطيـــرك[1] لا يمر ببـــال
رفعت لريُّه[2] في البلاغـــة رايـــة
لمـــا احتللت بها وحيـــد كمـــال
وغـــدت تباهي منك بالبدر الـــذي
تعنـــــو البدور لنـــوره المتـــلالي
ماذا ترى يا ابن الخطيب لخاطب[3]
وداً ينافـــس فيـــك كـــل مقـــال[4]
جذبتـــه نحو هواك غر محاســـن
مشفوعـــــة أفرادهـــــا بمعـــال

---

[1] فيٍ الكتيبـة الكامنـة: ((فغيـرك)).
[2] ريَّـة Rejio: اسـم ولايـة أندلسيـة؛ يقـع بهـا ثغر مالقـة. بينمـا كتـب في الكتيبـة الكامنـة: ((رفعت لديـك)).
[3] في الكتيبـة: ((يخاطـب)).
[4] نفسـه: ((مُغـال)).

وشمايـــل رقـــت لرقـــة طبعهـــا

فزلالهـــا يـــزري بكــــــل زلال

وحـــلي آداب بمثـــــــل نفيسهـــا

تزهو الحــــلا ويحل قـــدر الحـــال

يستخــــدم[1] الياقـــوت عند نظامهـــا

فمقصـــــر من قـــاسهـــا بــــــلآل

سبـــق الأخيـــر الأوليـــن بفضلهـــا

فغـــدا المقـــدم تابعـــاً للتـــــالي

شغـــفي بدكـــرِ[2] من عقايلهـــا إذا

تبدو تصــــان من الحجا بحجـــال

فابعـــث بها نِلْتَ[3] المنا ممهـــورة

طيـــب الثنـــاء لنقدهـــا والكـــال

لا زلت شمساً في الفضايل يهتدى

بسنـــاك في الأفعـــال والأقـــوال[4]

---

[1] في الكتيبـة الكامنـة: ((تستخـدم)).
[2] نفسـه: ((ببكـر)).
[3] نفسـه: ((بِنْـتَ)).
[4] نفسـه: ((في الأقـوال والأفعـال)).

ثم السـلام عليـك يترى ما تلـت

بكـر الزمـان روادف الآصـال

ومن الدعابة، وقد وقعت إليها الإشارة من قبل، ما كتب به إليه صديقه الملاطف **أبو علي ابن عبد السلام**[1]:

أبـا عبـد اللـه نـداء خـل

وفي جـاء يمنحـك النصيحـه

إلى كـم تألـف الشبـان غيـاً

وخـذلانا أما تخشى الفضيحـه

فأجابه رحمه الله[2]:

فديتـك صاحب السمة المليحة

ومن طابت أرومتـه الصريحـه

ومن قلبي وضعـت لـه محـلاً

فمـا عنـه يحـل بأن أزيحـه

نأيت فدمع عيـني في انسكـاب

وأكبـاد[3] لفرقتكـم قريحـه

---

[1] البحر الوافر.

[2] البحر الوافر.

[3] في النفح: ((وأكبادي)).

وطـــرفي لا يتـــاح لـــه رقـــاد
وهـــل نـــوم لأجفـــان جريحـــه
وزاد تشـــوقي أبيـــات شعـــــر
أتـــت منكـــم بألفـــاظ فصيحـــه
ولـــم تقصـــد بها جـــداً ولكـــن
قصـــدت بهـــا مداعبـــة قبيحـــه[1]
فقلـــت أتألـــف الشبـــان غيـــا
وخذلانـــا أما تخشى الفضيحـــه
وفيهـــم[2] حرفتي وقـــوام عيـــشي
وأحـــوالي بخلطتهـــم نجيحـــــه
وأمـــري فيهـــم أمـــر مطـــاع
وأوجههـــم مصابيـــح صبيحـــه

[1] في النفـح: ((وقيحـة)).
[2] نفسـه: ((ففيهـم)).

وتعلـــم أنني رجـــل حصـــــور[1]

وتعرف ذاك معرفـــة صحيحـــه

قال في "**التاج**"[2]: ولما اشتهر المشيب بعارضه ولمته، وخفر الدهر لعمود صباه وأذمته، أقلع واسترجع، وتألم لما فرط وتوجع، وهو الآن من جلة الخطباء، طاهر العرض والثوب، خالص من الشوب، باد عليه قبول قابل التوب.

وفاته رحمه الله

في آخر صفر من عام خمسين وسبعماية[3] في وقيعة الطاعون العام[4]، ودخل **غرناطة**.

***

---

[1] أي: إنني رجل منقطع عن النساء، ومتفرغ للعبادة. وفي هذا المعنى؛ جاء في الذكر الحكيم: (فَنَادَتْهُ المَلاَئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِياً مِنَ الصَّالِحِينَ). سورة آل عمران؛ الآية: 39.

[2] عنوانه بالكامل: التاج المحلى في مساجلة المعلى. وهو كتاب صغير لابن الخطيب؛ سبق ذكره.

[3] الموافق لـ 1349م.

[4] سبقت الإشارة إلى هذا الوباء الجارف.

مـن الغربـاء في هـذا البـاب

***

محمد بن أحمد

ابن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي[1]؛
من أهل تلمسان؛ يكنى أبا عبد الله، ويلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين.

حالـه

هذا الرجل من طُرَفِ دَهرِه ظرفاً وخصوصية ولطافة، مليح التوسل[2] حسن اللقاء، مبذول البشر، كثير التودد، نظيف البزة، لطيف التَّأتِّي[3]، خَيِّرُ البيت، طلق الوجه، خلوب اللسان، طيب الحديث، مقدر الألفاظ، عارف بالأبواب، درب على صحبة الملوك والأشراف، متقاض لإيثار السلاطين والأمراء يسحرهم بخلابة لفظه، ويفتلهم[4] في الذروة والغارب بتنزله، ويهتدي إلى

---

[1] توجد ترجمة محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني أيضاً في: التعريف بابن خلدون، وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبدالواد، ونيل الابتهاج، والدرر الكامنة، والديباج المذهب، ونفح الطيب، والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان.

[2] في جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس: ((الترسل)).

[3] في النفح: ((التَّأنِّي)).

[4] أي يداورهم.

أغراضهم الكمينة بحذقه، ويصنع[1] غاشيتهم بتلطفه، ممزوج الدعابة بالوقار، والفكاهة بالنسك، والحشمة بالبسط، عظيم المشاركة لأهل وده، والتعصب لإخوانه، إلف مألوف، كثير الأتباع والعُلَق[2]، مسخر الرقاع في سبيل الوساطة، مجدي الجاه، غاص المنزل بالطلبة، منقاد الدعوة، بارع الخط، أنيقه، عذب التلاوة، متسع الرواية، مشارك في فنون، من أصول وفروع وتفسير، يكتب ويشعر ويقيد ويؤلف، فلا يعدو السداد في ذلك، فارس منبر غير جزوع ولا هيابة[3]. رحل إلى **المشرق** في كنف حشمة نم جناب والده رحمه الله، فحج وجاور، ولقي الجلة، ثم فارقة، وقد عرف **بالمشرق** حقه، وصرف وجهه إلى **المغرب**، فاشتمل عليه السلطان **أبو الحسن** أميره، اشتمالاً خلطه بنفسه، وجعله مفضى سره، وإمام جمعته وخطيب منبره، وأمين رسالته، فقدم في غرضها على **الأندلس** في أواخر عام ثمانية وأربعين

[1] في النفح: ((ويصطنع)).
[2] أي الذين يتعلقون ويلتصقون به.
[3] في النفح: ((هيّاب)).

وسبعماية[1]، واجذبه[2] سلطانها رحمه الله، وأجراه على تلك الوتيرة، فقلده الخطبة بمسجده في السادس لصفر عام ثلاثة وخمسين وسبعماية[3]، وأقعده للإقراء بالمدرسة من حضرته. وفي أخريات عام أربعة وخمسين بعده أطرف عنه حفن بره[4]، في أسلوب طماح[5] ودالّة، وسبيل هوى وقحة، فاغتنم العبرة[6]، وانتهز الفرصة، وأنفذ في الرحيل العزمة، وانصرف عزيز الرحلة، مغبوط المنقلب، في أوادئل شعبان عام أربعة وخمسين وسبعماية[7]، فاستقر فاستقر بباب ملك **المغرب**، أمير المؤمنين **أبي عنان فارس** في محل تجلة، وبساط قرب، مشترك الجاه، مجدي التوسط، ناجع الشفاعة، والله يتولاه ويزيده من فضله.

---

[1] **الموافق لـ 1347م**
[2] **في النفح: ((فاجتذبه)).**
[3] **الموافق لـ 1352م**
[4] **في النفح: ((وخمسين صرف عنه جِفْنَ برِّهِ)).**
[5] **في الزيتونة: ((طمع)).**
[6] **في النفح: ((الفترة)).**
[7] **الموافق لـ 1353م.**

مشيختـه

[من كتابه المسمى ((**عجالة المتسوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز، من أئمة المغرب والشام والحجاز**)). فممن لقيه **بالمدينة المشرفة** على ساكنها الصلاة والسلام، الإمام العلامة **عز الدين محمد أبو الحسن ابن علي بن إسماعيل الواسطي** صاحب خطتي الإمامة والخطابة بالمسجد النبوي الكريم[1]، وأفرد جزءاً في مناقبه. ومنهم الشيخ الإمام **جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجي السعدي العبادي**، تحمل عن **عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن مزروع، وأبي اليمن،** وغيره. والشيخ الإمام خادم الوقت بالمسجد الكريم ونائب الإمامة والخطابة به، ومنشد الأمداح النبوية هنالك[2]]. **وبمكة** شرفها الله، الشيخ المعمر الثقة **شرف**

---

[1] في النفح: ((بالمسجد الكريم النبوي)).

[2] هذا ما ورد في الزيتونة؛ أما الإسكوريال؛ فقد جاء في مخطوطه: ((منقولة من خطه وكتابه المسمى عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشائخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز؛ اختصرتها لطولها إذ هي نحو من ثلاثة (هكذا) أوراق)).

الدين أبو عبد الله عيسى بن عبد الله الحجي[1] **المكي**. والشيخ الصالح **شرف الدين خضر بن عبد الرحمن العجمي**. والشيخ مقري الحرم **برهان الدين إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم الآبلي**[2] **المصري**. والشيخ الإمام الصالح **أبو محمد عبد الله بن أسعد الشافعي** الحجة، انتهت إليه الرياسة العلمية والخطط الشرعية بالحرم. والشيخ قاضي القضاة وخطيب الخطباء **عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكناني** قاضي القضاة **بمصر**[3]. **وبمصر** الشيخ **علاء الدين القونوي**. **والتقي السعدي**، وقاضي القضاة **القزويني**، **والشرف** أقضى القضاة **الإخميمي**، وكثيرون غيرهم. وسمع من عدد عديد آخر من أعلام القضاة والحفاظ والعلماء **بتونس**، **وبجابه**، **والزاب**، **وتلمسان**.

---

[1] في النفح: الحجبي)).
[2] نفسه: ((الآيلي)).
[3] نفسه: ((قاضي القضاة بالديار المصرية)).

محنتـه

اقتضى الخوض الواقع بين يدي تاميل الأمير **أبي الحسن** رحمه الله، وتوقُّع عودة الأمر إليه، وقد ألقاه اليم بالساحل **بمدينة الجزاير**، أن قبض عليه **بتلمسان**، أمراؤها المتوثبون عليها في هذه الفترة، من **بني زيان**، إرضاء لقبيلهم، المتهم بمداخلته، وقد رحل عنهم دسيساً من أميرهم **عثمان بن يحيى بن عبد الرحمن بن يغمراسن**؛ فصرف مأخوذاً عليه طريقه، منتهباً رحله، منتهكة حرمته، وأسكن قرارة مطبق عميق القعر، مقفل المسلك، حريز القفل، ثاني اثنين. ولأيام قتل ثانيه ذبحاً بمقربة من شفى تلك الركية، وانقطع لشدة الثقاف أثره، وأيقن الناس بفوات الأمر فيه.

ولزمان من[1] محنته ظهرت عله بركة سلفه، في خبر ينظر بطرقه[2] إلى الكرامة، فنجا ولا تسل كيف، وخلصه

---

[1] كلمة ((من))؛ سقطت في الإسكريال.
[2] في الإسكوريال: ((بطرف)).

الله خلاصاً جميلاً، وقدم على **الأندلس**، والله ينفعه بمحنته[1].

شعـره

وما وقع من المكاتبة بيني وبينه

ركب مع السلطان خارج[2] **الحمراء**، أيام ضربت اللوز قبابها البيض، وزينت الفحص العريض، والروض الأريض[3]، فارتجل في ذلك[4]:

[أنظــر إلى النــوار في أغصانه
يحكي النجوم إذا تبدت في الحلك[5]]
حيا أميــر المسلميــن وقال قــد
عميت بصيرة من بغيــرك مَثَّلَــكْ[6]

---

[1] في النفـح: ((بنيتـه)).
[2] نفسـه: ((بخـارج)).
[3] أي كثيـر العشـب.
[4] البحـر الكامـل.
[5] سقـط هـذا البيـت في الإسكوريـال.
[6] أي عميـت بصيـرة مـن زعـم أن لـك مثيـلاً.

يا يوسفاً حــزت الجمال بأســـره

فمحاسن الأيـــام تومي هيـــت لك[1]

أنت الذي صعـــدت به أوصافـــه

فيقـــال فيـــه ذا مليـــك أو ملـــك[2]

ولما قدمت على **مدينة فاس** في غرض الرسالة، خاطبني **بمنزل الشاطبي** على مرحلة منها بما نصه[3]:

يـــا قادمـــاً وافـــى بكـــل نجـــاح

أبشـــر بما تلقـــاه مـــن أفـــراح

هـــذي ذرى ملك الملوك فلذ بهـــا

تنل المـــنى وتفـــز بكل سمـــاح

معـــنى الإمـــام أبي عنـــان يمنن

تظفـــر ببحر في العـــلى[4] طفـــاح

---

[1] **أي: هلم تعالى. وجاء هذا القول في الذكر الحكيم: [وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) ؛ سورة يوسف؛ من الآية: 23. وقد أوردنا الآية كاملة من قبل.**

[2] **اقتبس هذا من قوله تعالى: [وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ). سورة يوسف؛ من الآية: 31. وقد سبق إثبات الآية كاملة.**

[3] **البحر الكامل.**

[4] **في الاستقصا: ((بالندا)).**

من قاس جود أبي عنان ذي الندى[1]

بسواه قاس البحر بالضحضـــاح[2]

ملك يفيـــض على العفـــاة نوالـــه

قبل الســـؤال وقبـــل بسطـــة راح

فلجود كعب وابن سعدى[3] في الندى

ذكـــر محـــاه مـــن نـــداه مـــاح

ما أن رأيت ولا سمعـــت بمثلـــه[4]

مـــن أريـــحي للندى مـــرتـــاح

بســـط الأمان على الأنام فأصبحوا

قـــد ألحفـــوا منه بظـــل جنـــاح

وهمى على العافين سيـــب نوالـــه

حتى حـــكى سح الغمـــام الســـاح

---

[1] في النفـح: ((في النـدى)).

[2] الضحضـاح: المـاء القليـل.

[3] يقصد بكعب: كعب بن مامة بن عمرو الإيادي الذي يضرب المثل بجوده؛ أما ابن سعدى؛ فهو: أوس بن خالد ابن حارثة بن لام الطائي. يضرب به المثل في الجود والفضل.

[4] في النفح: ((ما إن سمعت ولا رأيت بمثله)).

فنوالــــه وجلالـــــه وفعالـــــه
فاقــت وأعيــت ألســن المــداح

وبه الدنا أضحت تــروق وأصبحــت
كل المـــنى تنقـــاد بعـــد جمـــاح

من كـــان ذا ترح فرؤية وجهـــه
متـــلافـــة الأحـــزان والأتـــراح

فانهض أبا عبد الإلـــه تفـــز بمـــا
تبغيـــه من أمـــل ونيـــل نجـــاح

لا زلـــت ترتشـــف الأماني راحة
من راحـــة المولى بكل صبـــاح

والحمد لله يا سيدي وأخي على نعمه التي لا تحصى حمداً يؤم به جميعنا المقصد الأسنى، فيبلغ الأمد الأقصى، فطالما كان معظم سيدي للأسى في خبال، وللأسف بين اشتغال بال، واشتغال بلبال[1]، ولقدومكم على هذا المقام[2] العلي في ارتقاب، ولمواعدكم[3] بذلك في

[1] البلبال: الوسواس.
[2] في النفح: ((هذا المحل المولوي)).
[3] نفسه: ((ولمواعيدكم)).

تحقق وقوعه من غير شك ولا ارتياب، فها أنت تجتلي، من هذا المقام العلي، لِتُشَيِّعَك[1] وجوه المسرات صباحاً، وتتلقى أحاديث مكارمه ومواهبه مسندة صحاحاً بحول الله. ولسيدي الفضل في قبول مركوبه الواصل إليه بسرجه ولجامه، فهو من بعض ما لدى المحب[2] من إحسان مولاي[3] وإنعامه. ولعمري لقد كان وافداً على سيدي في مستقره مع غيره. فالحمد لله الذي يسر في إيصاله على أفضل أحواله. فراجعته بقولي[4]:

راحـــت تذكرني كؤوس الـــراح
والقـــرب يخفـــض للجنوح جناح
وســـرت تدل على القبـــول كأنما
دل النسيـــم على انبـــلاج صبـــاح
حسناء قد غنيت بحسن صفاتهـــا
عـــن دملـــج وقـــلادة ووشـــاح

[1] في النفح: ((بتَشَيّعك)).
[2] نفسه: ((المعظم)).
[3] نفسه: ((مولاه)).
[4] نفسه: ((فراجعته بمانصه)). والقصيدة من البحر الكامل.

أمست تحض على اللياذ بمن جرت
بسعــوده الأقــلام في الأفــراح[1]
بخليفــة اللـــه المؤيــد فــارس
شمـــس المعالي الأزهر الوضـــاح
ما شيت من هِمَمٍ[2] ومن شيم غدت
كالزهــر أو كالزهــر في الأدواح
فضل الملوك فليس يدرك شـــأوه
أنى يقـــاس الغمــر بالضحضـــاح
أسنى بـــني عباسهـــم بلوائـــه الــ
ـــمنصـــور أو بحسامـــه السفـــاح
وغـــدت مغاني الملـــك لما حلهـــا
تـــزهى ببدر هـــدى وبحر سماح
وحيـــاة من أهداك تحفـــة قـــادم
في العـــرف منهـــا راحة الأرواح

[1] في النفـح: ((في الألـواح)).
[2] نفسـه: ((مـن شيـم ومـن همـم)).

ما زلـــت أجعـــل ذكره وثنـــاءه
روحـــي وريحاني الأريـــج وراح
ولقد تمـــازج حبـــه بجـــوارحي
كتمـــازج الأجســـــام بـــالأرواح
ولو أنني أبصرت يوماً في يـــدي
أمري لطـــرت إليه دون جنـــاح
فالآن ساعدني الزمـــان وأيقنـــت
من قربـــه نفسي بفـــوز قـــداح
إيـــــه أبـــا عبـــد الإلـــه وإنـــه
لنـــداء ود في عـــلاك صـــراح
أمـــا إذا استنجدتـــني من بعـــد ما
ركدت لما خبت الخطوب ريـــاح
فأليكهـــا مهزولـــة وأنـــا امـــرؤ
قررت عجزي وأطرحـــت سلاح

سيدي: أبقاك الله لعهد تحفظه، وولى بعين الولاء تلحظه. وصلتني رقعتك التي ابْتَدَعْتَ[1]، وبالحق من مدح[2] المولى الخليفة صدعت، وألفتني وقد سطت بي الأوحال[3]، حتى كادت تتلف الرحال، والحاجة إلى الغذاء، قد شمرت كشح البطين، وثانية العجماوين[4] قد توقع فوات وقتها، وإن كانت صلاتها صلاة الطين[5]، والفكر قد غاض معينه، وضعف وعلى الله جزاء المولى الذي يعينه، فغزتني بكتيبة بيان أسدها هصور، وعلمها منصور، وألفاظها ليس فيها قصور، ومعانيها عليها الحسن مقصور، واعتراف مثلي بالعجز في المضايق حول ومنة، وقول لا أدري للعالم فكيف لغيره جنة. لاكنها بشرتني بما يقل لمهديه[6] بذل النفوس وإن جلت، وأطلعتني من السراء

---

[1] في النفح: ((أبدعت)).
[2] نفسه: ((من مولى)).
[3] نفسه: ((الأوجال)).
[4] يقصد بالعجماوين: صلاتي الظهر والعصر؛ لأن الصلاة لا يجهر بالقراءة فيهما. أما ثانية العجماوين؛ فهي صلاة العصر.
[5] هي صلاة الشيعة؛ الذين يسجدون على نماذج وقطع صغيرة من الطين الحسيني المجفف، وهي مصنوعة من تربة مقام سيدنا الحسين رضي الله عنه.
[6] في النفح، والاستقصا: ((لمؤديه)).

على وجه تحسده الشمس إذا تجلت، بما أعلمت[1] به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله، في عبده، وصدق المخيلة في كرم مجده. وهذا هو الجود المحض، والفضل الذي شكره هو الفرض. تلك الخلافة المولوية تتصف بصفة[2] من يبدأ بالنوال، من قبل الضراعة والسؤال من غير اعتبار للأسباب، ولا مجازاة للأعمال. نسأل الله أن يبقي منها على الإسلام أوفى الظلال، ويبلغها من فضله أقصى الآمال. ووصل ما بعثه سيدي صحبتها من الهدية، والتحفة الودية، [وقبلتها امتثالاً [3]]، واستجليت منها عتقاً وجمالاً. وسيدي في الوقت أنسب إلى اتخاذ[4] ذلك الجنس، وأقدر على الاستكثار من إناث البهم والإنس. وأنا ضعيف القدرة، غير مستطيع لذلك إلا في الندرة، فلو رأى سيدي، ورأيه سداد، وقصده فضل ووداد، أن ينقل القضية [إلى باب العارية من باب الهبة][5]

---

[1] في النفح، والاستقصا: ((أعلمتني)).
[2] نفسهما: ((بصفات)).
[3] سقطت هذه العبارة في الإيسكوريال.
[4] في النفح: ((لاتخاذ)).
[5] في الإسكوريال: ((من باب الهدية إلى باب العارية))؛ وصححت من الاستقصا والنفح.

مع وجوب[1] الحقوق المترتبة، لبسط خاطري وجمعه، وعمل في رفع المؤنة على شاكلة حالي معه؛ وقد استصحبت مركوباً يشق علي هجره، ويناسب مقامي شكله ونجره[2]، وسيدي في الإسعاف على الله أجره وهذا أمر عرض، وفرض فرض، وعلى نظره المعول، واعتماد إغضائه هو المعقول الأول. والسلام على سيدي من معظم قدره، وملتزم بره، **ابن الخطيب**، في ليلة الأحد السابع والعشرين لذي قعدة سنة خمسة [3] وخمسين وسبعماية [4]، والسماء قد جادت بمطر سهرت منه الأجفان، وظن أنه طوفان، واللحاق في غد بالباب المولوي، مؤمل بحول الله.

ومن الشعر المنسوب إلى محاسنه، ما أنشد عنه، وبين يديه، في ليلة الميلاد المعظم، من عام ثلاثة وستين وسبعماية بمدينة **فاس** المحروسة[5]:

---

[1] **في النفح: ((وجود)).**
[2] **أي أصله ولونه.**
[3] **جعلها د. طويل: ((خمس)). وهذا أصوب.**
[4] **الموافق لـ 1354م.**
[5] **مجزوء الرجز.**

[أيـا نسيـم][1] السحــر　　باللــه[2] بلــغ خبــر
إن أنــت يومــاً بالحــمى　　جررت فضــل المئــزر
ثم حثثــت الخطــو مــن　　فــوق الكثيــب الأعفــر
مستقريــاً في عشبـــه　　خــفيَّ[3] وطء المطــر
تروي عن الضحاك في الر　　وضِ حديــث الزهــر
مخلـــق الأذيــال بالــ　　ـعبيــر أو بالعنبــر
وصـــف لجيران الحــمى　　وجــدي بهم وسهــري
وحقهــم مــا غيـــرت　　ودي صـــروف الغيــر
للـــه عهــد فيــه قَضَّــ　　ـيْـت حميـد الأثــر
أيامـــه هـــي الــــتي　　أحسبهــا من عمــري
وباليـــل فيــه مــا　　عيــب بغيــر القصــر
العمــر فينــان ووجــ　　ـه الدهر طلق الغــرر
والشمـــل بالأحبــاب منــ　　ـظــوم كنظم الــدرر
صفــو من العيــش بــلا　　شائبــة مــن كـــدر
ما بيــن أهل تقطــف الــ　　ـأنــس جــني الثمــر
وبيــن آمـــال تبيــ　　ـح القرب صافي الغدر[4]
يا شجــرات الــحي حيَّــ　　ـاك الحيــا من شجــر

[1] في النفـح: ((قل لنسيـم)).
[2] نفسـه: ((لـلـه)).
[3] نفسـه: ((مخـفيَّ وطء)).
[4] مفردهـا غديـر: وهـو النهـر، أو بقيـة مـن المـاء يتركهـا السيـل.

إذا أجـــال الشـــوق فـــي   تلـــك المغـــاني فكـــري
خرجت من خـــدي حديـــ   ـــث الدمع فوق الطـــرر
وقلـــت يا خَـــدُّ أرْوِ مِـــنْ   دمعي صحاح الجوهري
عهدي بحادي الركب[1] كالـــ   ـــورقـــاء عند السحـــر
والعيـــس تجـــتاب الفـــلا   واليَعْمَـــلاتُ[2] تَتْبَـــري[3]
تخبـــط بالأخفـــاف مظـــ   ـــلوم البَرَى[4] وهو بَرِي[5]
قـــد عطفـــت عـــن مَيَـــدٍ   والتفَّـــت[6] عن حـــور
قِسِيُّ سَيْـــرٍ ما سوى الـــ   ـــعـــزم لهـــا من وتـــر
حتى إذا الأعـــلام حـــلْـــ   لَـــت لحـــفي البشـــر
واستبشـــر النـــازح بالـــ   ـــقـــرب ونيل الوطـــر
وعيـــن الميقـــات للسَّـــ   ـــفْـــرِ[7] نجـــاح السفـــر
والنـــاس[8] بيـــن محـــرم   بالحـــج أو معتمـــر
لبيـــك لبيـــك إلـــ   ـــه الخلق باري الصور
ولاحـــت الكعبـــة بيـــ   ـــت الله ذات الأثـــر

---

[1] أي الذي يتغنى بالحداء لتنشيط حرطة الإبل في سيرها.
[2] مفردها يَعْمَلة: وهي الناقة النجيبة المطبوعة على العمل.
[3] أي تباري بقية الإبل في السرعة.
[4] البَرَى هنا: التراب.
[5] أي بريء؛ وقد خففت الهمزة واكتفي بالياء.
[6] في النفح: ((والتفتتْ))؛ وهو أسلم.
[7] أي للمسافرين.
[8] في النفح: ((فالناس)).

مقـام إبراهيـم[1] والمـ ـأمن عنـد الذعـر
واغتنـم القـوم طـوا ف القـادم المبتـدر[2]
وأعقبـوا ركعـتي السّـ ـعي استـلام الحجـر[3]
وعرفـوا فـي عرفـا ت كـل عـرف أذفـر[4]
ثـم أفـاض النـاس سعيـ ـاً في غـد للمشعـر[5]
فـوقفـوا وكبـروا قبـل الصباح المسفـر
وفي منى نالـوا المـنى وأيقنـوا بالظفـر
وبعـد رمـي الجمـرا ت كـان حلق الشعـر

---

[1] مقـام إبراهيـم: هـو الحجـر الـذي وقـف عليـه سيدنـا إبراهيـم عليـه السـلام. وضعـه لـه ابنـه إسماعيـل؛ ليقـف عليـه؛ وهـو يرفـع الحجـارة علـى الكعبـة؛ فأنطبـع أثـر قدميـه عليـه بشكـل غائـر. وبـقي هـذا الحجـر ملتصقـاً بحائـط الكعبـة؛ إلى عهـد الخليفـة عمـر بـن عبـد العزيـز؛ الـذي فصلـه عـن البيـت، وأخـره بضعـة أمتـار؛ لئـلا يشغـل المصليـن والطائفيـن. ومـا تـزال أثـر قدمـي إبراهيـم الخليـل ظاهـرة علـى الحجـر إلـى الآن. وقـد أحيـط بغطـاء زجـاجي مأطـر بدعائـم مذهبـة لحمايتـه مـن التأثيـرات المناخيـه.

[2] أي المبـادرة بسرعـة والشـروع في طـواف القـدوم.

[3] أي استـلام الحجـر الأسـود؛ سـواء بالمسـح عليـه أو بتقبيلـه.

[4] أي: كـل ذي رائحـة طيبـة.

[5] هـو المشعـر الحـرام؛ بيـن عرفـات ومنـى؛ يسمـى مزدلفـة. وفيـه قـال سبحانـه وتعـالى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ). سـورة البقـرة؛ الآيـة: 198. وقـد اخْتُلِفَ في تحديـد مكـان المشعـر بالضبـط؛ فمـن قائـل في جبـل قـزح الرابـض في آخـر مزدلفـة؛ وقائـل مـا بيـن، الجبليـن. ولكنهـم أجعـوا علـى المزدلفـة كلهـا. وجـاء في الأثـر عـن جابـر أن النـبي صلـى اللـه عليـه وسلـم ((صلـى الفجـر بالمزدلفـة، ركـب ناقتـه حتـى أتـى المشعـر الحـرام؛ فـدعى وكبـر وهلـل؛ ولـم يـزل واقفـاً حتـى أسفـر)).

أكرم بذاك الصحب[1] والـــ ـــلـــه وذاك النَّفَـــــر[2]

يا فـــوزه مـــن موقـــف يا ربحـــه مـــن متجـــر

حـــتى إذا كـــان الـــــودا ع وطـــواف الصـــدر[3]

فـــأي صبـــر لم يخـــن أو جلـــــد لـــم يغـــدر

وأي وجـــد لـــم يصـــل وسلـــــوة لـــم تهجـــر

مـــا أفجـــع البيـــن لقلـــ ـــب الوالـــه المستغفر[4]

ثـــم ثنـــوا نحـــو رســـو لِ اللـــه سير الضمـــر

فعاينـــوا فـــي طيبـــــة[5] لألاء نـــــور نيـــــــر

زاروا رســـول الله واســـ ـــتشفعوا بلثـــم الجـــدر

نالـــوا بـــه مـــا أملـــوا وعرجـــوا في الأثـــــر

عـــلى الضجيعيـــن أبـــى بكـــر الرضـــا وعمـــر

زيـــارة الهـــادي الشفيـــ ـــع جُنَّة[6] في المحشـــر

فأحســن اللــــه عــــزا ءَ قاصـــد لـــم يـــــزر

ربـــع ترى مستنزل الـــ ـــآيِ بـــــه والســـور

وملتـــقى جبريـــل بالـــ ـــهادي الزكي العنصر

---

[1] في النفـح: ((السَّفْـر)).
[2] نفسـه: ((السَّفْـر)).
[3] طـواف الصـدر: هـو طـواف الـوداع؛ (الطـواف الأخيـر)؛ ومنـه يتجهـز النـاس للعـودة إلى بلدانـهـم.
[4] في النفـح: ((المُسْتَعْبِـر)).
[5] طيبـة: أحـد أسمـاء المدينـة المنـورة.
[6] أي وقايـة.

وروضـــة الجنـــــة بـــ ـــيـــن روضة ومنبـــر[1]
منتخـــــب اللـــه ومخـــ ـــتار الورى من مضر[2]
والمنتـــقى والكـــون مـــن ملابس الخلـــق عـــري
إذ لـــم يكـــن في أفـــق من زحـــل أو مُشْتَـــرِ[3]
ذو المعجزات[4] الغرّ أمـــ ـــثـــال النجوم الزهـــر
يشهـــد بالصـــدق لـــــه منهـــا انشقـــاق القمـــر
والضـــــبّ والظـــبي إلى نطق الحصى والشجـــر
من أطعم الألـــف بصـــا ع في صحيـــح الخبـــر
والجيـــــش رواه بمـــــا ءِ الراحـــــة المنهمـــر
يا نكتـــة الكـــون الـــتي فاتـــت منـــال الفِكَـــر
يا حجـــة اللـــه على الـــ ـــرائـــح والمبتكـــــر
يا أكرم الرســـل على الـــ ـــلـــه وخيـــر البشـــر
يا مـــن لـــه التقـــدم الـــ ـــحـــق عـــلى التأخـــر

[1] الروضة الشريفة: تقع وسط، وفي مقدمة المسجد النبوي؛ وملاصقة لبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره. قال فيها عليه الصلاة والسلام: ((ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة؛ ومنبري على حوضي))؛ وفي رواية: ((ومنبري على ترعة من ترع الجنة)).
[2] مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. أبو عرب الشمال.
[3] في النفح: ((ومشتري)).
[4] سيذكر ـ فيما يلي ـ بعض معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومنها: انشقاق القمر، وكلام: الضب والظبي والحصى والشجر، وإطعام الجيش بصاع، واتجاج إيوان كسرى، وانطفاء نار المجوس...إلخ.

يا من لدى مولده   المقدس المطهر
إيوان كسرى ارتج إذ   ضاقت[1] قصور قيصر
وموقد النار طفا   كأنها لم تسعر[2]
يا عمدتي يا ملجئي   يا مفزعي يا وزري
يا من له اللواء والـ   ـحوض وورد الكوثر
يا منقذ الغرقى وهم   رهن العذاب الأكبر
إن لم تحقق أملي   بُؤْتُ بسعي المخسر
صلى عليك الله يا   نور الدجا المعتكر
يا ويح نفسي كم أرى   من غفلتي في غمر[3]
واحسرو[4] من قلتي الـ   ـزَّاد وبعد السفر
يحجني والله بالـ   ـبرهان وعظ المنبر
يا حسنها من خطب   لو حركت من نَظَرِ[5]
يا حسنها من شجر   لو أورقت من ثمر
أومل الأوبة والـ   ـأمر بكف القدر

---

[1] في النفح: ((ضاءت)).
[2] جاء هذا البيت في نفح الطيب هكذا:
((وموقد النار طفى * كأنه لم يسعر)).
[3] ورد هذا الشطر في النفح هكذا: ((في غفلة من عُمُري)).
[4] في النفح: ((واحسرتي))؛ وهو أصوب.
[5] نفسه: ((نظري)).

أسَــوِّفُ العــزم بهــــا[1] مــن شهــــر لشهــر
مــن صفــر لرجـــب مــن رجــب لصفــر
ضيعت في الكبــرة مــا أعددتـــه في صغــري
وليــس مَا مَــرَّ من الــ ـــأيـــام بالمنتظـــر
وقــــلّ مـــا أن حمــدت سلامـــة فـــي غــــرر
ولـــي غريـــم لا يــــني عـــن[2] طلــب المنكســر
يا نفــس جدي قد بدا الــ ـــصبح ألا فاعتبــري
واتعــظي بمــن مــضى وارتدعي وازدجــري
ما بعد شيــب الفود مــن مرتقـــب فشمــــري
أنـــت وإن طال المــدى في قلعـــة[3] أو سفــــر[4]
وليــس من عــذر يقيــ ـــم حجــة المعتــذر
يا ليــت شعري والمــنى تســرق طيــب العمــر
هل ارتـــجي من عــودة أو رجعــــة أو صــدر
فأبــرد الغلــــة مـــــن ذاك الــزلال الخَصِــر[5]
مقتديـــاً بمـــن مـــــضى مــن سلــف ومعشــر
نالـــوا جـــوار الله وهــ ـــو الفخــر للمفتخــر

---

[1] **في النفـح: ((بــه)).**
[2] **نفسـه: ((في)).**
[3] **أي في انتقـال.**
[4] **في النفـح: ((وسفـر)).**
[5] **أي العذب البـارد.**

أرجـــو بإبراهيم مـــــو لانـــا بلـــوغ الوطـــــر
فوعـــده لا يمتـــــري في الصدق منه الممتـــر[1]
فهـــو[2] الإمام المرتـــضى والخيّـــر ابـــن الخيّـــر
أكـــرم من نـــال المـــنى[3] بالمرهفـــات البتـــــر
ممهـــد الملــــــك وسيـــ ـــف الحق والليث الجري
خليفـــــة اللـــه الـــــذي فـــاق بحســـن السيـــر
وكان منه الخُبْـــرُ في الـــ ـــعليـــاء وفـــق الخبـــر
فصـــدق التصديق مـــن مـــــرآه للتصـــــور
ومستعيـــن اللـــــه فـــي ورد لـــــه وصـــــدر
فاق الملوك الصيـــد[4] بالـــ ـــمجـــد الرفيع الخطـــر
فأصبحــــــت ألقابهــــــم منسيـــة لـــم تذكـــــر
وحـــاز منهم[5] أوحــــــد وصف العديد الأكثـــر
برأيـــــه المأمـــون أو عسكــــره المظفـــــر[6]
بسيفــــه السفــــــاح أو بعزمـــــه المقتـــــــدر
بالعلــــم المنصـــــور أو بالذابـــل المستنصــــر[7]

[1] في النفـح: ((ممتـري)). والممتـري: هـو الـذي يشـك في شيء مـا.
[2] نفســه: ((وهـو)).
[3] نفســه: ((العُـلا)).
[4] نفســه: ((الصيـدا)).
[5] في النفـح: ((منـه)).
[6] سيشيـر فيمـا يـلي بتوريـة إلى بعض الخلفـاء العباسييـن.
[7] في النفـح: ((المنتصـر)).

بابــــن[1] الإمــــام الطــ ـــاهر البر الزكي السير
مدحــك قــد علــم نظــ ــم الشعر من لم يشعر[2]
جهـــد المقل اليـــوم مـــن مثـــلي كوسع المكثـــر
فـــإن يقصـــر ظاهـــري فلم يقصر مُضْمِـــري

ووردت على باب السلطان الكبير العالم **أبي عنان،** فبلوت من مشاركته. وحميد سعيه، ما يليق بمثله. ولما نكبه لم أقصر عن ممكن حيلة في أمره ولما[3] هلك السلطان **أبو عنان** رحمه الله، وصار الأمر لأخيه [المتلاحق من **الأندلس أبي سالم** بعد الولد المسمى **بالسعيد**[4]] كان ممن دمث[5] له الطاعة، وأناخ راحلة الملك، الملك، وحلب ضرع الدعوة[6]، وخطب عروس[7] الموهبة،

---

[1] **في النفـح: ((يـا ابـن)).**
[2] **نظـم ابـن مـرزوق هـذه الأبيـات الأخيـرة؛ بغـرض إلقائهـا في المولـد النبـوي؛ أمـام السلطـان المرينـي أبي سالـم إبراهيـم بـن علـي؛ ولكـن هـذا الأخيـر لـقي مصرعـه قبل المولـد النبـوي في سنـة 762هـ/1360م.**
[3] **في النفـح: ((فلمـا)).**
[4] **مـا جـاء بيـن حاصرتيـن؛ أضيـف مـن النفـح. بينمـا وردت في موضعهـا مـن المخطـوط هـذه العبـارة: ((بعـد ولـده)).**
[5] **في النفـح: ((دانـت)).**
[6] **نفسـه: ((الدولـة)).**
[7] **كلمـة ((عـروس)) أضيفـت مـن النفـح.**

الموهبة، فأنشب ظفره في متات معقود من لدن الأب، مشدود من لدن القربة[1]، فاستحكم عن قرب، واستغلظ عن كثب، فاستولى على أمره، وخلطه بنفسه، ولم يستأثر عنه ببثة، ولا انفرد بما سوى بضع أهله. بحيث لا يقطع في شيء إلا عن رأيه، ولا يمحو ويثبت إلا واقفاً عند حده، فغشيت بابه الوفود، وصرفت إليه الوجوه، ووقفت عليه الآمال، وخدمته الأشراف، وجلبت إلى سدته بضايع العقول والأموال، وهادته الملوك فلا تحدو الحداة إلا إليه ولا تحط الرحال إلا لديه. إن حضر أجرى الرسم، وأنفذ الأمر والنهي لحظاً أو سراراً أو مكاتبة، وإن غاب، ترددت الرقاع، واختلفت الرسل. ثم انفرد أخيراً ببيت الخلوة، ومنتبذ المناجاة، من دونه مصطف الوزراء، وغايات الحجاب[2]، فإذا انصرف تبعته الدنيا، وسارت بين يديه الوزراء، ووقفت ببابه الأمراء، قد وسع الكل لحظه، وشملهم بحسب الرتب والأموال رعيه، ووسم أفذادهم تسويده وعقدت ببنان عليتهم بنانه. لكن رضى الناس

[1] في النفح: ((التقرب)).
[2] نفسه: ((الحجابة)).

غاية[1] لا تدرك، والحقد[2] بين بني آدم قديم، وقبيل الملك مباين لمثله، فطويت الجوانح منه على سَل، وحنيت الضلوع على بث، [وأغمضت الجفون على قذى][3] إلى أن كان من نكبته[4] ما هو معروف جعلها الله له طهوراً.

ولما جرت الحادثة على السلطان[5] [**بالأندلس**[6]]، وكان لحاق جميعنا **بالمغرب**، جنيت ثمرة ما أسلفته في وده، فوفّى كَيْلَ[7] الوفا، وأشرك في الجاه، وأدر الرزق، ورفع المجلس [بعد التسبيب[8] في الخلاص][9] والسعي في الجبر، جبره الله [تعالى وكان له][10] أحوج ما يكون إلى ذلك: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[11].

---

[1] في النفح: ((الغاية)).
[2] نفسه: ((والحسد)) .
[3] ما بين، حاصرتين أضيف من النفح.
[4] في النفح: ((نكبته الثالثة)).
[5] نفسه: ((الدولة)).
[6] كلمة بالأندلس أضيفت من النفح.
[7] في النفح: ((فوفى الكيل)).
[8] نفسه: ((التسبب)).
[9] في الإسكوريال: ((تسبيب الخلاص)).
[10] ما بين الحاصرتين أضيف من النفح.
[11] سورة الشعراء؛ الآيتان: 88 - 89.

ولما انقضى أمر سلطانه رحمه الله، وقذف به بحرالتمحيص إلى شطه، وأضحى جو النكبة بعد انطباقه، آثر التشريق بأهله وجملته، واستقر **بتونس**، خطيب الخلافة، مقيماً على رسمه من التجلة، ذايع الفضل هنالك والمشاركة، وهو بحاله الموصوفة إلى الآن كان الله له.

وكنت أحسست منه في بعض الكتب الواردة، صاغية إلى الدنيا، وحنيناً لما فارق[1] من غرورها، فحملني فحملني الطور الذي ارتكبته في هذه الأيام بتوفيق الله، على أن خاطبته[2] بهذه الرسالة وحقها أن يجعلها خدمة الملوك ممن ينسب إلى نبل، أو يُلمّ[3] بمعرفة، مصحفاً يدرسه، وشعاراً يلتزمه، وهي: سيدي، الذي يده البيضاء لم تذهب بشهرتها المكافاة[4]، ولم تختلف في مدحها الأفعال، ولا تغايرت في حمدها الصفات، ولا تزال

[1] في النفح: ((بلاه)).
[2] نفسه: ((أخاطبه)).
[3] نفسه: ((ويلم)).
[4] نفسه: ((المكافآت)).

تعترف بها العظام الرفات أطلقك الله من أسر الكون[1]، كما أطلقك من أسر بعضه، ورشَّدك[2] في سمايه العالية وأرضه، وحقر الحظ في عين بصيرتك بما يحملك على رفضه. اتصل بي الخبر السار من تركك لشانك، وإجناء الله إياك ثمرة إحسانك، وإنجياب ظلام الشدة الحالك، عن أفق حالك. فكبرت لانتشاق عفو الله العاطر[3]، واستعبرت لتضاؤل الشدة بين يدي الفرج، لا بسوى ذلك من رضى مخلوق يومر فيأتمر، ويدعوه القضاء فيبتدر[4]، إنما هو فيء[5] وظل ليس له من الأمر شيء، ونسأله[6] جل وتعالى أن يجعلها آخر عهدك بالدنيا وبنيها، وأول معارج نفسك، التي تقربها من الحق وتدنيها، وكأنني[7] والله أحس بثقل هذه الدعوة على سمعك، ومضادتها ولا حول ولا قوة إلا بالله لطبعك، وأنا أنافرك إلى العقل الذي هو

---

[1] في النفح: ((كل الكون)).
[2] نفسه: ((وزهدك في سمأته الفانية وفي أرضه)).
[3] تصرف د. طويل؛ فجعلها: ((العطر)). لكي تستقيم السجعة؛ كما قال.
[4] أي يسرع.
[5] أي: إنما هو ظِلٌ.
[6] في النفح: ((ونسأل الله جل وعلا أن يجعلها...)).
[7] نفسه: ((وكأني)).

قسطاس الله في عالم الإنسان، والآلة لبث العدل والإحسان، والملك الذي يبين عنه ترجمان اللسان.

فأقول: ليت شعري ما الذي غبط سيدي بالدنيا. وإن بلغ من زبرجها[1] الرتبة العليا، وأفرض[2] المثال لحالة[3] إقبالها، ووصل حبالها، وضراعة سبالها، وخشوع وخشوع جبالها. التوقع المكروه صباح مسا[4]، وارتقاب الحوالة التي تديل من النعيم البأسا[5]، ولزوم المنافسة التي تعادي الأشراف والرؤسا[6]. ألترتب العتب، حتى على التقصير في الكتب، وظعينة جار الجنب، وولوع الصديق بإحصاء الذنب. ألنسبة وقائع الدولة إليك وأنت بري، وتطويقك الموبقات وأنت منها عري. ألاستهدافك للمضار التي تنتجها غيرة الفروج، والأحقاد التي تضطبنها[7] ركبة السروج وسرحة المروج، ونجوم السماء ذات البروج.

---

[1] أي: من وشيها وزينتها.
[2] في النفح: ((ونفرض)).
[3] نفسه: ((بحال)).
[4] نفسه: ((صباحاً ومساء)).
[5] نفسه: ((البأساء)).
[6] نفسه: ((والرؤساء)).
[7] نفسه: ((تضبطها)).

ألتقليدك التقصير فيما ضاقت عنه طاقتك، وصحت إليه فاقتك، من حاجة لا يقتضي قضاها[1] الوجود، ولا يُكَيِّفُها[2] الرُّكوع للملك والسجود. ألقطع الزمان بين سلطان يعبد، وسهام للغيوب تكبد، وعجاجة[3] شر تلبد، وأقبوحة تخلد تخلد وتوبد ألوزير يصانع ويدارى، وذي حجة صحيحة يجادل في مرضاة السلطان ويمارى، وعورة لا توارى. ألمباكرة كل عائب[4] حاسد، وعدو ومستأسد، وسوق للإنصاف والشفقة كاسد، وحال فاسد، أَلِلْوُفود[5] تتزاحم بسدتك، مكلفة لك غير ما في طوقك، فإن لم تنل أغراضها[6]، قلبت عليك السماء من فوقك. ألجلساء ببابك، ببابك، لا يقطعون زمن[7] رجوعك وإيابك، إلا بقبيح اغتيابك فالتصرفات تمقت والقواطع النجوميات توقت، والألاقيُّ[8] تبث، والسعايات تحث، والسماجد يُشْتَكَى

[1] في النفح: ((قضاءها)).
[2] نفسه: ((ولا يكيفها)).
[3] أي غبار.
[4] في النفح: ((قرن)).
[5] نفسه: ((ألوفود)).
[6] نفسه: ((فإن لم يقع الإسعاف قلبت عليك السماء)).
[7] نفسه: ((زمان)).
[8] وهي الألغاز والأحاجي؛ ومفردها ألقية.

فيها[1] البث، يعتقدون أن السلطان في يدك، بمنزلة الحمار المدبور، واليتيم المحجور، والأسير المأمور، ليس له شهوة ولا غضب. ولا أمل في الملك ولا أرب، ولا موجدةٌ[2] لأحد كامنة وللشر ضامنة، وليس في نفسه عن رأي نفرة، ولا بإزاء ما لا يقبله نزوة وطفرة، إنما هو جارحة لصيدك، وعان في قيدك، وآلة لتصرف كيدك، وأنك علة حيفه، ومسلط سيفه الشرار يسملون عيون الناس باسمك، ثم يمزقون بالغيبة مزق جسمك، قد تنخلهم الوجود أخبث ما فيه، واختارهم السفيه فالسفيه، إذا الخير يُسرُّه[3] الله عن الدُّول ويُخْفيه، ويُقْنِعُه بالقليل فيكفيه؛ فهم يمتاحون بك، ويولونك الملامة، ويقتحمون[4] عليك أبواب القول، ويسدون طرق السلامة، وليس لك في أثناء هذه إلا ما يعوزك مع ارتفاعه، ولا يفوتك مع انقشاعه، وذهاب صداعه، من غذاء يشبع، وثوب يقنع، وفراش ينيم، وخديم يقعد ويقيم. وما الفايدة في فرش

---

[1] في النفح: ((في حلقها)).
[2] أي ولا غضبٌ.
[3] نفسه: ((يستره)).
[4] نفسه: ((ويفتحون)).

تحتها جمر الغضا، ومال من ورايه سوء القضا، وجاه يحلق عليه سيف منتضا، وإذا بلغت النفس إلى الالتذاذ بما لا تملك، واللجاج حول المسقط الذي تعلم أنها فيه تَمْلك[1]، فكيف يُنْسب[2] إلى نبل أو يُسَر مع[3] السعادة في سبل، وإن وجدت في القعود[4] بمجلس التحية بعض الأريحية، فليت شعري أي شيء زادها، أو معنى أفادها، إلا مباكرة وجه الحاسد، وذي القلب الفاسد، ومواجهة العدو المستأسد. أو شعرت ببعض الإيناس في الركوب بين الناس، هل[5] الْتَذَّت إلا بحلم كاذب، أو جذبها غير الغرور مجاذب[6]. إنما الحلية[7] وافتك من يحدق إلى البزَّة، ويستطيل ويستطيل مدة العِزَّة، ويرتاب إذا حُدِّث[8] بخبرك، ويتبع بالنقد والتجسس مواقع نظرك ويمنعك من شارة أنْسِك[9]،

---

[1] في النفح: ((تهلك)).
[2] نفسه: ((تُنْسب)).
[3] نفسه: ((تسير من)).
[4] نفسه: ((الجلوس)).
[5] نفسه: ((ما)).
[6] نفسه: ((جاذب)).
[7] نفسه: ((إنما راكبك من يُحَدِّق إلى الحلية والبزَّة)).
[8] نفسه: ((حدثت)).
[9] في النفح: ((من مسايرة انيسك)).

ويحتال على فراغ كيسك، ويضمر الشَّرّ لك ولرَسْيك[1] وأي راحة لمن لا يباشر قصده، ويسير[2] متى شاء وحده، ولو صح في هذه الحال لله حظ، وهبه زهيداً، أو عين[3] للرشد عملاً حميداً، لساغ الصاب[4]، وخفت الأوصاب[5]، الأوصاب[5]، وسهل المصاب. لاكن الوقت أشغل والفكر أوغل، والزمن قد غمرته الحصص الوهمية، واستنفدت منه الكمية؛ أما ليله ففكر أو نوم، وعتب يجر[6] الضراس ولوم، وأما يومه فتدبير، وقبيل ودبير، وأمور يعيا بها ثبير[7]، وبلاء مبير، ولغط لا يدخل فيه حكيم كبير، وأنا بمثل ذلك خبير. ووالله يا سيدي، ومن فلق الحب وأخرج الأبَّ[8]، وذرأ من مَشى وما[9] دبَّ، وسمى نفسه الربَّ، لو

---

[1] نفسه: ((ولرئيسك)).
[2] نفسه: ((ويمشي إذا شاء)).
[3] نفسه: ((وعين)).
[4] الصاب مفردها صابة: وهي عصارة تستخرج من شجر مرّ. وقد ورد هذا الشرح في هامش المخطوط.
[5] أي الأمراض.
[6] في النفح: ((بجراء الضرائر ولوم)).
[7] ثبير: جبل في مكة. وهو أعلى وأعظم جبل فيها.
[8] أي وأخرج الكلأ والمرعى.
[9] في النفح: ((من)).

لو تعلق المال الذي يجده هذا الكَدْح[1] ويورى سقيطه هذا القدح، بأذيال الكواكب، وزاحمت البدر بدره بالمناكب، لا[2] ورثه عقب، ولا خلص به محتقب[3]، ولا فاز به سافر ولا منتقب. والشاهد الدول والمشايم[4] الأول. فأين الرباع المقتناة، وأين الديار المبتداة[5]، وأين الحدايق[6] المغترسات، وأين الذخائر المختلسات، وأين الودائع المؤملة، وأين الأمانات المحملة، تأذن الله بتتبيرها، [وإدناء وتار التيّار][7] من دنانيرها، فقفلما تلقى أعقابهم [إلاَّ أعرباً للطمور][8]، مترمقين بجرايات[9] الشهور، متعللين بالهباء المنثور، يطردون من الأبواب التي حجب عندها[10] آباؤهم وعرف منها إباؤهم، وشم من مقاصيرها عنبرهم وكباؤهم، لم[11]

---

[1] نفسه: ((الذي يجرّه هذا القِدْح)).
[2] نفسه: ((لما)).
[3] أي محتمل.
[4] هكذا؛ بتخفيف الهمزة. وكتبها د. طويل: ((المشائيم)).
[5] في النفح: ((المبتناة)).
[6] نفسه: ((الحوائط)).
[7] نفسه: ((وإدناء نار التبار)).
[8] نفسه: ((إلاّ أعراء الظهور)).
[9] نفسه: ((لجرايات)).
[10] نفسه: ((عنها)).
[11] في النفح: ((ولم)).

تسامحهم الأيام إلا في إرث محررٍ، أو حلال مقرر، وربما محقة الحرام، وتعذر منه المرام.

هذه أعزك الله حال قبولها مالها مع الترفيه[1]، وعلى وعلى فرض أن يستوفي العمر في العز مستوفيه. وأما ضده من عدو يتحكم وينتقم، وحوت بغي يبتلع ويلتقم، وطبق[2] يحجب الهواء ويطيل في التراب الثوا، وثعبان قميد[3] يعض الساق، وشوبوب عذاب يمزق الأبشار الرقاق، وغيلة يهديها الواقب[4] الغاسق، ويجرعها العدو العدو الفاسق، [فصرف السوق، وسلعته المعتادة الطروق][5] مع الأفول والشروق، فهل في شيء من هذا مغتبط لنفس حرة، أو ما يساوى جرعة حالٍ مرة. واحسرتاه للأحلام ضلت، وللأقدام زلت، ويالها مصيبة جلت، ولسيدي أن يقول حكمت علي باستثقال الموعظة واستجفائها، ومراودة الدنيا بين خلانها وأكفائها وتناسي

---

[1] نفسه: ((قبولها مع الترفيه، وما لها المرغوب فيه)).
[2] نفسه: ((ومطبق)).
[3] أي طويل الجسم. وفي النفح: ((وثعبان قيد)).
[4] أي الداخل عند غياب الشمس.
[5] ما جاء بين حاصرتين أضيف من النفح.

عدم وفائها، فأقول الطبيب بالعلل أدرى والشفيق بسوء الظن مغرى. وكيف لا وأنا أقف على السحاآت، بخط يد[1] سيدي، من مطارح الاعتقال، ومثاقف النوب الثقال، وخلوات[2] الاستعداد للقاء الخطوب الشداد، ونَوْش[3] الأسنة الحداد، وحيث يجمل بمثله إلا يصرف في غير الخضوع لله بناناً، ولا يثني لمخلوق عناناً. وأتعرف أنها قد ملأت الجو الدوّ [4]، وقصدت الجماد والبوّ[5]، تقتحم أكف أولى الشمات، وحفظة المذمات، وأعوان النوب الملمات، زيادة في الشقاء، وقصد بريا من الاختيار والانتقاء، مشتملة من التجاوز على إغرب من العنقاء، ومن النقاق على أشهر من البلقاء. فهذا يوصف بالإمامة، [وهذا ينسب في الجود إلى **كعب بن مامة**][6]، وهذا يجعل من أهل الكرامة، هذا يكلف الدعاء وليس من أهله، وهذا

---

[1] **كلمة يد أضيفت من النفح.**
[2] **في النفح: ((وخطوات)).**
[3] **نفسه: ((ونوشى)).**
[4] **أي والمفازة.**
[5] **البوّ هو: جلد الحُوار (ولد الناقة قبل فصاله)؛ يُحْشى تبناً ويقرب إليها؛ لكي تتوهم أنه ولدها؛ فتعطف عليه؛ فتدر بلبنها.**
[6] **ما بين حاصرتين لم يرد في النفح.**

يطلب منه لقاء الصالحين وليسوا من شكله، إلى ما أحفظني والله من البحث عن السموم، وكتب النجوم، والمذموم من المعلوم، هلا كان من ينظر في ذلك قد قوطع بتاتاً، وأعتقد أن الله جعل لزمن الخير والشر ميقاتاً، وأنّا لا نملك موتاً ولا نشوراً ولا حياتاً، وأن اللوح قد حصر الأشياء محوراً وإثباتاً، فكيف نرجو لما منع منالاً أو نستطيع مما قدر إفلاتاً. أفيدونا ما يرجح العقيدة المقررة[1]، نتحول إليه، وبينوا لنا الحق، نعول عليه. الله الله ياسيدي في النفس المرشحة، وللذات[2] المحلات بالفضائل الموشحة، والسلف الشهير الخير، والعمر المشرف على الرحلة بعد حث السير، ودع الدنيا لأهلها[3]، فما أوكس حظوظهم، وأخس لحوظهم، وأقل متاعهم، وأعجل إسراعهم، وأكثر عناءهم، وأقصر آناءهم[4]:

---

[1] في النفح: (المتقررة فنتحول إليه)).
[2] هكذا. وفي النفح: ((والذّات)).
[3] نفسه: ((لبنيها)).
[4] مجزوء الكامل.

مـا ثـمَّ إلا مـا رأيـ ـت وربما تُعـيي السلامـهْ
والنـاس إمـا جائـر أو حائـر يشكـو ظُلامـهْ[1]
واللـه ما احتقب الحريـ ـصُ سوى الذنوب أو الملامهْ
هـل ثم شـك في المعـا د الحـق أو يـوم القيامـهْ
قولـوا لنـا مـا عندكـم أهـل الخطابـة والإمامـهْ

وإن رميت بأحجاري، وأوحرت[2] المر من أشجاري، فو الله ما تلبست منها لليوم بشيء[3] قديم ولا حديث ولا استأثرت بطيب فضلاً عن خبيث. وما أنا إلا عابر سبيل، وهاجر مرعى وبيل، ومرتقب وعد قدر فيه الإنجاز، وعاكف على حقيقة لا تعرف المجاز قد فررت من الدنيا كما يفر من الأسد، وحاولت المقاطعة، حتى بين روحي والجسد، وغسل الله قلبي، وله[4] الحمد، من الطمع والحسد، فلم أبق عادة إلا قطعتها، ولا جنة للصبر إلا

---

[1] جاء في النفح بعد هذا البيت مباشرة البيت التالي:
وإذا أردت العز لا * تـرزأ بني الدنيا قُلامـهْ
[2] هكذا. وفي النفح: ((أوجـرت المرّ))؛ أي صببتـه في الفـم كرهاً.
[3] في النفـح: ((اليـوم منهـا)).
[4] نفسـه: ((وللـه)).

أدرعتها. أما اللباس فالصوف، وأما الزهد فيما في أيدي[1] الناس فمعروف، وأما المال الغبيط فعلى الصدقة مصروف.

ووالله لو علمت أن حالي هذه تتصل، وعُراها[2] لا تنفصل، وأن ترتيبي هذا يدوم، ولا يجيزني[3] الوعد المحتوم، والوقت المعلوم، لمت أسفاً وحسبي الله وكفا ومع هذا يا سيدي، فالموعظة تتلقى من لسان الوجود، ((**والحكمة ضالة المؤمن**))[4] يطلبها ببذل المجهود، ويأخذها من غير اعتبار بمحلها المذموم أو[5] المحمود. ولقد أعملت نظري فيما يكافئ عني بعض يدك، أو ينتمي[6] في الفضل الفضل إلى أمدك، فلم أر لك الدنيا كفاء. هذا لو كنت صاحب دنيا، وألفيت بذل النفس قليلاً لك من غير شرطٍ ولا ثُنْيا[7]، فلما ألهمني الله لمخاطبتك بهذه النصيحة المفرغة

---

[1] **في النفح: ((بأيدي الخلق فمعروف)).**
[2] **نفسه: ((وأن عراها)).**
[3] **نفسه: ((يحيرني)).**
[4] **هذا الحديث الشريف رواه الترميذي وابن ماجة؛ وإسناده ضعيف عن أبي هريرة؛ جاء فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها)).**
[5] **في النفح: ((ولا)).**
[6] **هكذا. وفي النفح: ((ينتهي)).**
[7] **أي ولا استثناء.**

المفرغة في قالب الجفا، لمن لا يثبت عين الصفا، ولا يشيم بارقة الوَفا، ولا يعرف قاذورة الدنيا معرفة مثلي من المتدنسين بها المنهمكين، وينظر عُوّراها الفادح[1] بعين اليقين، يعلم أنها الموسة التي حسنها زور، وعاشقها مغرور، وسرورها شرور.

تبين لي أنّي[2] قد كافَيْتُ[3] صنيعتك المتقدمة، وخرجت عن عهدتك الملتزمة، ومحضت لله[4] النصح الذي الذي يُقِرُّ[5] بِعِزِّ الله ذاتك، ويطيب حياتك، ويحي مواتك، ويريح جوارحك من الوصب[6] وقلبك من النَّصَب[7]، ويحقر الدنيا وأهلها في عينك إذا اعتبرت، ويلاشي عظائمها لديك إذا اختبرت، [كل من تقع عليه عينك حقيرا][8] قليل وفقير ذليل، لا يفضلك بشي إلا باقتفاء رشد أو ترك غيَ، أثوابه النبيهة يجردها الغاسل،

---

[1] في النفح: ((القادح)).
[2] نفسه: ((أنني)).
[3] نفسه: ((كافأت)).
[4] نفسه: ((وأمحضت لك)).
[5] نفسه: ((يُعِزُّ))
[6] أي من المرض.
[7] أي من التعب.
[8] في النفح: ((كل من تقع عينك عليه فهو حقير)).

وعروة غيره[1] يفصلها الفاصل[2] وماله الحاضر الحاصل، يعيث فيه الحسام الفاصل ، والله ما تعين للخلف إلا ما تعين للسلف، ولا مصير المجموع إلا إلى التلف، ولا صح من الهياط والمياط[3] والصياح والعياط، وجمع القيراط إلى القيراط، والاستظهار بالوزعة والأشراط، والخبط والخباط، والاستكثار والاغتباط، الغلو والاشتطاط، وبنا الصرح وعمل الساباط، ورفع العماد[4] وإدارة الفسطاط إلا إلا أَلَمٌ[5] يذهب القوة، وينسي الآمال المرجوة، ثم نفس يصعد، وسكرات تتردد، وحسرات لفراق الدنيا تتجدد، ولسان يثقل، عين تبصر الفراق الحق وتمقل. ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾[6]. ثم القبر وما بعده، والله منجز وعيده ووعده. فالإضراب الإضراب، والتراب التراب، وإن اعتذر سيدي بقلة الجلد، لكثرة الولد، فهو

---

[1] في النفح: ((عزّه)).
[2] نفسه: ((يقلصها القاصل)).
[3] أي من المد والجزر، والدنو والابتعاد.
[4] في النفح: ((العُمُد)).
[5] نفسه: ((أمَلٌ)).
[6] سورة: ص؛ الآيتان: 67 - 68.

ابن مرزوق، لا **ابن رزاق**، وبيده من التسبب، ما يتكفل بإمساك أرماق.

أين النسخ الذي يتبلغ الإنسان بأجرته، في كِنِّ حجرته، لا بل السؤال الذي لا عار عند الحاجة بمعرته، السؤال والله أقوم طريقاً، وأكرم فريقاً، من يد تمتد إلى حرام، لا يقوم بمرام، ولا يومن من ضرام أحرقت فيه الحلل، وقلبت الأديان والملل، وضربت الأبشار، ونحرت العشار، ولم يصل منه على يدي واسطة السوء المعشار. ثم طلب عند الشدة ففضح، وبان سومه[1] ووضح، اللهم طهر منا[2] أيدينا وقلوبنا، وبلغنا من الانصراف إليك مطلوبنا، وعرفنا بمن لا يعرف غيرك، ولا يسترفد إلا خبرك يا الله. وحقيق على الفضلاء إن جنح سيدي منها إلى إشارة، أو أعمل في احتلابها إضبارة. أو لبس منها شارة، أو تشوف إلى خدمة إمارة، ألا يحسنوا ظنونهم

---

[1] **في النفح: ((شؤمه)).**

[2] **نفسه: ((منها)).**

بعدها بابن ناس، ولا يغتروا بسَمْتٍ[1] ولا خلقٍ ولا لباس، فما عدا عما بدا[2].

تَقَضَّى العُمر في سجن وقيد، **وعمرو وزيد**، وضر وكيد، وطراد صيد، وسعد وسعيد، وعبد وعبيد، فمتى تظهر الأفكار، ويقر القرار، وتلازم الأدكار[3]، وتشام الأنوار، وتتجلى الأسرار، ثم يقع الشهود الذي تذهب معه الأفكار، ثم يحق الوصول الذي إليه من كل ما سواه الفرار، وعليه المدار. وحق الحق، الذي ما سواه فباطل، والفيض الرحماني، الذي رَبابُه[4] [لا بد][5] هاطل ما شاب[6] مخاطبتي لك شايبة بريب[7]، ولقد محضت لك ما يمحضه الحبيب إلى الحبيب[8]،

---

[1] في النفح: ((بسمة)).
[2] اقتبس هذا من قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لطلحة حيث قال لطلحة يوم الجمل: عَرَفْتَني بالحجاز وأنْكَرْتَني بالعِرَاق؛ (فما عدا مما بدا)؟ لأنه بايَعه بالمدِينة المنورة،؛ وجاء يُقاتِله بالبَصْرة: ومعناه: ما الّذِي حولك وصَرَفك على التَّخَلُّف بعْد ما ظهَر منك من الطاعَة؛ والمعنى بوضوح أكثر: ما بَدَا لك مِنِّي فصرفكَ عَنِّي ؟
[3] في النفح: ((الأذكار)).
[4] أي سحابه.
[5] في النفح: ((الأبَدَ)).
[6] نفسه: ((ما شابت)).
[7] نفسه: ((تريب)).
[8] في الإسكوريال: ((الجيب)). وفي النفح: ((لحبيب)).

فيحمـــــل جفــاء[1] في الــذي حملــت عليه الغيرة، ولا تظن بي غيره. وإن[2] أقدر قدري في مكاشفة سيادتك بهذا بهذا البث، في الأسلوب الرث، فالحق أقدم، وبناؤه لا يهدم، وشأني معروف في مواجهة الجبابرة، على حين يدي إلى رفدهم ممدودة، ونفس في النفوس المتهافتة عليهم معدودة، وشبابي فاحم، وعلى الشهوات مزاحم، فكيف بي اليوم مع الشيب، ونصح الجيب، واستكشاف العيب، إنما أنا اليوم على كل من عرفني كل ثقيل، وسيف العذل[3] في كفي صقيل، أعذل أهل الهوى، وليست النفوس في القبول سوا، لا لكل من ضَرَّ[4] دوا، وقد شفيت صدري، وإن جهلت قدري، فاحملني حملك الله على الجادة الواضحة، وسحب عليك ستر الأبوة الصالحة، والسلام)).

[1] في النفح: ((فتحمل جفائي الذي حملت عليه الغيرة)).
[2] نفسه: ((وإن لم تعذرني مكاشفة سيادتك بهذا النَّثّ في الأسلوب الرَّثّ)).
[3] نفسه: ((العذل))؛ بالدال المهملة أي غير المعجمة.
[4] نفسه ((ولا لكل مرض)).

ولما شرح **كتاب الشفا**[1] للقاضي[2] **أبي الفضل عياض ابن موسى بن عياض** رحمه الله، واستبحر فيه، طلب أهل **العدوتين** بنظم[3] مقطوعات تتضمن الثناء على الكتاب المذكور، وإطراء مؤلفه؛ فانثال عليه من ذلك الطم والرم، بما تعددت منه الأوراق، واختلفت في الإجادة وغيرها الأرزاق، إيثاراً لغرضه، ومبادرة من أهل[4] الجهات لإسعاف أربه، وطلب مني أن ألم في ذلك بشيء، فكتبت في[5] ذلك[6]:

شفـــا[7] عيـــاض للصدور[8] شفـــاء

وليس[9] بفض قـــد حـــواه خفـــاء

[1] يعتبر كتاب ((الشفا بتعريف حقوق المصطفى)) أهم ما كتب الإمام عياض بن موسى اليحصبي السبتي.
[2] في النفح: للقاضي عياض رحمه الله تعالى.
[3] نفسه: ((نظم)).
[4] نفسه: ((كل)).
[5] نفسه: ((له في ذلك)).
[6] البحر الطويل.
[7] في النفح: ((شفاء))؛ وهذا أسلم.
[8] في نفاضة الجراب: ((للقلوب)).
[9] نفسه: ((فليس)).

هديـــة بـــر لم يكـــــن لجزيلهـــا[1]

سوى الأجر والذكرالجميل كفـــاء

وفى لنبي اللـــه حـــق وفـــائـــه

وأكـــرم أوصاف الكـــرام وفـــاء

وجـــاء به بحـــراً يقـــول بفضله

على البحر طعم طيب وصفـــاء

وحق رســـول اللـــه بعد وفاتـــه

رعاه وإغفـــال الحقـــوق جفـــاء

هو الذخر يغني في الحياة عتاده

ويتـــرك منـــه اليقيـــن[2] رفـــاء

هو الأثر المحمود ليـــس ينالـــه

دثـــور ولا يخشى[3] عليه عفـــاء[4]

---

[1] في نفاضـة الجـراب: ((لمديلهـا)).
[2] هكـذا. وفي نفاضة الجـراب، ونفـح الطيـب: ((للبنيـن)).
[3] في نفاضـة الجـراب: ((ولا يخـفى)).
[4] أي زوال.

حرصت على الإطناب في نشر فضله
وتمجيده لو ساعدتني فاء

واستزاد من هذا الغرض، الذي لم يقنع منه[1] بالقليل، فبعثت إليه من محل انتقالي بمدينة[2] **سلا** حرسها الله[3]:

أأزاهير رياض / أم شفاء لعياض
جدل الباطل للحق / بأسياف مواض
وجلا الأنوار برها / نا بحق[4] وافتراض
وشفى[5] من يشتكي الغُلَّـ / ـة في زُرْق الحياض
أيُّ بنيان معار[6] / آمنٍ فوق[7] انقضاض
أيُّ عهد ليس يرمى / بانتكاث وانتقاض
ومعان في سطور / كأسود في غياض

---

[1] في النفح: ((فيه)).
[2] نفسه: ((من مدينة..)).
[3] مجزوء الرمل.
[4] في الإسكوريال، ونفاضة الجراب: ((بخلف)).
[5] في نفاضة الجراب: ((وسقى)).
[6] في النفح: ((مقال))، وفي نفاضة الجراب: ((معال)).
[7] في النفاضة، والنفح: ((خوف)).

وشفـــــاء لصـــدور[1] من ضنى الجهل مراض
حرر القصد فما شيـــ ـــين بنقد واعتراض
يا أبا الفضل أُدْرِ بأنَّ[2] الله عن سعيك راض
فاز عبد أقرض اللـــ ـــه برجحان القراض[3]
وجبت عزّ[4] المزايـــا من طـــوال وعراض[5]
لـــك يا أصـــدق راو[6] لك يا أعدل قـــاض
لرســـول اللـــه وفيـــ ـــت بجدّ[7] وانتهـــاض
خير خلق الله في حـــا لِ وفي آت ومـــاض
سدد الله ابن مـــرزو قٍ إلى تلك المراضي
زبدة العرفان معـــنى كل نسك وارتيـــاض
فتولى بســـط ما أجـــ ـــملت من غير انقباض

---

[1] في النفاضـة: ((لنفـوس)).
[2] هكـذا. وفي النفـح: ((أدْرِ أنَّ))؛ وهـذا أسلـم.
[3] إحالـة إلى قولـه تعـالى: [مَنْ ذَا الـذِي يُقْـرِضُ اللّـهَ قَرْضـاً حَسَنـاً فَيُضَاعِفَـهُ لَـهُ أَضْعَافـاً كَثِيـرَة وَاللّـهُ يَقْبِـضُ وَيَبْسُـطُ وَإِلَيْـهِ تُرْجَعُـونَ). سـورة البقـرة؛ الآيـة: 245.
[4] في النفاضـة، والنفـح: ((غـرّ)).
[5] نفسهمـا: ((أو عـراض)).
[6] في النفاضـة: ((داو)).
[7] نفسـه: (بجهـد)).

ساهر[1] لم يدر في استخـــ ـــلاصه طعم اغتماض

إن يكن دنيا على الأيـــ ـــام قد حان التقـــاض

دام في علو ومن عـــا داه يهوي في انخفاض

ما وشى الصبح الدياجي في ســـواد ببيـــاض[2]

ثـم نظمـت لـه أيضـا فـي الغـرض المذكـور، والإكثـار مـن هـذا النمـط فهـذا الموضـع، ليـس علـى سبيـل التبجـح بغرابتـه وإجادتـه[3]، ولاكـن علـى سبيـل الإشـادة بالشـرح المشـار إليـه، إليـه، فهـو بالـغٌ غايـة الاستبحـار[4]:

حييـــت يا مختـــط سبت بن نـــوح[5] بكـــل مـــزن يغتـــدي أو يـــروح

---

[1] في النفاضـة، والنفـح: ((ساهـراً)).
[2] في النفـح: ((بسـواد في بيـاض)).
[3] نفسـه: ((بإجادتـه وغرابتـه)).
[4] البحـر السريـع.
[5] ذكـر الـرواة والأخباريـون أن الـذي اختـط سبتـة هـو سبـت بـن سـام بـن نـوح؛ وأوردوا حديثـا لرسـول الله صلـى اللـه عليـه وسلـم يقـول فيـه: ((أنهـا علـى مجمـع بحـري المغـرب؛ وهـذه المدينـة بنـاهـا سبـت بـن سـام بـن نـوح عليـه السـلام، واشتـق لهـا اسمـاً مـن اسمـه؛ فـهي سبتـة))؛ ودعـا لهـا بالبركـة والنصـر..

وحمـــل الريحـــان ريـــح الصبـــا
[أمانـــة فيـــك إلـــى كـــل روح][1]
دار أبـــي الفضل عيـــاض الـــذي
أضحـــت برياه رياضـــا تفـــــوح
يا ناقــــل الآثـــار يعـــنى بهـــــا
وواصلا في العلم جري الجمـــوح
طرفـــك في الفخر[2] بعيـــد المـــدى
طرفـــك للمجـــد شديـــد الطمـــوح
كفـــــاك إعجـــازا كتـــاب الشفـــا
والصبح لا ينكـــر عند الوضــــــوح
للـــه مـــا أجزلـــت فينـــا به مـــن
منحـــة تقصـــر عنهـــا المنــــــوح
روض مـــن العلـــم همـــى فوقـــه
من صيب الفكـــر الغمام السفـــوح

[1] جاء هذا الشطر في نفاضة الجراب ونفح الطيب هكذا: ((أمانـة فيك إلى كل روح)).
[2] في النفـح: ((في الفضل)).

فمـــــن بيـــان الحـــق زهـــرٌ نـــد
ومن لسان الصـــدق طير صـــدوح
تـــأرج العـــرف وطـــاب الجـــنى
وكـــيف لا يثمـــر[1] أو لا يفـــــوح
وحلـــة من طيـــب خيـــرالـــورى
في الجيـــب والأعطـــاف منهـــا نضـــوح
ومعلـــــم للديـــــن[2] شيـــدتــــــه
فهــــذه الأعـــلام منـــــه[3] تلـــوح
فقـــل لهـــامـــان كـــذا أو فـــــلا
يا من أضل الرشـــد تبـــنى الصـــروح
فـــي أحســـن التقـــويـــم أنشأتـــه
خلقـــاً جديـــداً بيـــن جســـم وروح
فعمـــره المكتـــوب لا ينقـــــضي
إذا تقـــضى عمـــر ســـام ونـــوح

---

[1] في النفاضـة: ((لا يطعم)).
[2] نفسـه: ((في الديـن)).
[3] في النفاضـة، والنفـح: ((منهـا)).

كأنـــــه فـــي الحفل ريح الصبــا
وكل عطـــف فهو غـــض[1] مـــروح
ما عذر مشغـــوف بخيـــر الورى
إن هاج منه الذكـــر أن لا يبـــوح
عجبـــت من أكبـــاد أهل الهـــوى
وقد سطـــا البعد وطـــال النـــزوح
إن ذكـــر المحبـــوب سالـــت دمـــا
ما هـــن أكبـــاد ولكـــن جـــروح
يا سيـــد الأوضـــاع يـــا مـــن لـــه
بسيـــد الإرســـال فضـــل الرجوع
يا من لـــه الفخـــر عـــلى غيـــره
والشهـــب[2] تخفى عند إشراق يـــوح[3]
ياخير مشـــروح وفـــى واكتـــفى
منه ابن[4] مـــرزوق بخـــر الشـــروح

[1] في النفاضة، والنفح: ((غصن)).
[2] في النفح: ((الشمس)).
[3] نفسه: ((بوح)).
[4] في النفاضة: ((ومن ابن)).

فتـــــح مــــــن اللـــه حبـــــاه بـــه
ومن جنـــاب اللـــه تـــأتي الفتـــوح

مولـده

بتلمسان عام أحد عشر وسبعماية[1].

***

[1] ذكر في: ((جذوة الاقتباس)): أنـه تـوفي بعد الثمانين وسبعمائـة. كمـا جـاء في هامش المخطوط: ((قال الشيخ جلال الدين السيوطي في تاريخ النحاة: مات في ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وسبعمائة)). وعدم ذكر ابن الخطيب تاريخ سببها أنه توفي قبله بخمسة أعوام.

محمد بن عبد الرحمن

ابن سعد التميمي التسلي[1] الكرسوطي[2]؛ من أهل فاس؛
نزيل مالقة؛ يكنى أبا عبد الله.

حالـه

الشيخ الفقيه المتكلم أبو عبد الله، غزير الحفظ، متبحر الذكر، عديم القرين، عظيم الاطلاع، عارف بأسماء الأوضاع، ينثال منه على المسائل كثيب مهيل، ينقل الفقه منسوباً إلى أمانة، ومنوطاً برجاله، والحديث بأسانيده ومتونه، خوار العنان[3]، وساع الخطو، بعيد الشأو، يفيض من حديث إلى فقه، ومن أدب إلى حكاية، ويتعدى ذلك إلى غرائب المنظومات، مما يختص بنظمه أولو الشطارة والحرفة من المغاربة، ويستظهر مطولات القصاص، وطوابير الوعاظ، ومساطير أهل

---

[1] **التَّسلي: نسبة إلى القبيلة الأمازيغية ((تسولة))؛ المتواجدة بالشمال الغربي من بلاد المغرب.**
[2] **توجد ترجمة محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي أيضاً في نفح الطيب.**
[3] **أي سهل المعطف ولين.**

الكدية، في أسلوب وقاحٍ يفضحه الإعراب، حسن الخلق جم الاحتمال. مطرح الوقار، رافض التصنع، متبذل[1] اللبسة، رحيب أكناف المرارة لأهل الولايات يلقي بمعاطنهم البرك، وينوط بهم الوسائل، كثير المشاركة لوصلايه، مخصب على أهل بيته، حدب على بنيه. قدم على **الأندلس** عام اثنين وعشرين وسبعمائة، فأقام **بالجزيرة** مقرياً بمسجد الصواع منها ومسجد الرايات. ثم قدم على **مالقة** وأقرأ بها، ثم قدم على **غرناطة** عام خمسة وعشرين وسبعمائة فتعرف على أرباب الأمر، بما نجحت حيلته، وخف به موقعه، فلم يعدم صلة، ولا فقد مرفقة، حتى ارتاش وتأثل بمحل سكناه من **مالقة**، مدرة مغلة، وعقارا مفيدا. وطال قعوده لسرد الفقه بمسجدها الجامع، نمير في الركب، مهجور الحلقة حملا من الخاصة والعامة، لتلبسه بالعرض الأدنى. وهو الآن خطيب مسجد القصبة بها، ومحله من الشهرة، بالحفظ والاستظهار لفروع الفقه كبير.

---

[1] **أي غير معتن بهندامه وبملابسه.**

مشيختـه

قرأ القرآن على الجماعة **بالمغرب والأندلس**، منهم أبوه، والأستاذ **أبو الحسن القيجاطي البلوي**، **وأبو إسحاق الحريري، وأبو الحسن بن سليمان، وأبو عبد الله بن أجروم**. وقرأ الفقه على **أبي زيد الجزولي، وعبد الرحمن ابن عفان، وأبي الحسن الصغير، وعبد المؤمن الجاناتي**[1]، وقرأ الكتاب بين يديه مدة، ثم عزله، ولذلك حكاية. حدثني الشيخ **أبو عبد الله الكرسوطي**، المترجم به، قال قرأت بين يديه، في قول **أبي سعيد** في التهذيب، والدجاج والأوز المخلات، فقال أنظر هل يقال الدجاج أو الجدّاد، لغة القرآن أفصح، قال الله تعالى: و**{جُدَدٌ بِيضٌ [وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا]**[2] **وَغَرَابِيبُ سُودٌ}**[3]. فأرزى به، ونقل إليه إزاره[4]، فعزله وقعد بعد ذلك للاقتراء بفاس،

---

[1] في الجذوة: ((الجناتي)).

[2] ما بين سقط في الإسكوريال.

[3] الآية كاملة هكذا: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا، وَغَرَابِيبُ سُودٌ). سورة فاطر؛ الآية: 27.

[4] في الإسكوريال: ((إزراوه)). ويبدو أن هذا أصح؛ بعد تخفيف الهمزة فوق الواو.

كذا حدث. وأخذ عن **أبي إسحق الزناتي**[1]، وعن **خلف الله المجاصي، وأبي عبد الله بن عبد الرحمن الجزولي، وأبي الحسين المزدغي، وأبي الفضل** ابنه **وأبي العباس بن راشد العمراني، وأبي عبد الله بن رشيد.** وروى الحديث **بسبتة** عن **أبي عبد الله الغماري، وأبي عبد الله بن هاني**، وذاكر **أبا الحسن بن وشاش، وبمالقة** عن الخطيب الصالح **الطنجالي، وأبي عمرو بن منظور. وبغرناطة** عن **أبي الحسن القيجاطي، وأبي إسحاق بن أبي العاص. وببلش** عن **أبي جعفر الزيات.**

تواليفه

منها ((**الغرر في تكميل الطرر**))، **طرر أبي إبراهيم الأعرج.** ثم[2] ((**الدرر في اختصار الطرر**)) المذكور. **وتقييدان على الرسالة**؛ كبير وصغير، ولخص **التهذيب لابن بشير**، وحذف أسانيد المصنفات الثلاثة [**البخاري، والترمذي، ومسلم**][3]، والتزم إسقاط التكرار،

[1] في الزيتونة ((البرناسي)).
[2] في النفح: ((ثم كتاب الدرر في اختصار الطرر)).
[3] سقط ما بين حاصرتين في الإسكوريال ونفح الطيب.

واستـــدراك[1] الصحاح[2] الواقعة[3] في **التهذيب**[4] **على مسلم والبخاري. وقيد على مختصر** الطليطلي، وشرع في تقييد على قواعد الإمام **أبي الفضل عياض بن موسى**[5] **بن عياض**؛ برسم ولدي أسعده الله.

شعره

أنشدني، وأنا أحاول **بمالقة** لَوْثَ العمامة[6]، وأستعين بالغير على إصلاح العمل، وإحكام اللِّياثة[7]:

أمعمما قمـرا تكامل حسنه
أربى على الشمس المنيرة في البها

لا تلتمس ممن لديك زيادة
فالبدر لا يمتار من نور السها

ويصدر منه الشعر مصدراً، لا تكنفه العناية.

[1] في النفح: ((واستدرك)).
[2] في الإسكوريال: ((الصحايح)). وصححت من النفح.
[3] في الإسكوريال، والزيتونة: ((المرافقة)).
[4] في النفح: ((في الترميذي على البخاري ومسلم)).
[5] نفسه: ((موسى برسم ولدي)).
[6] أي لفّ العمامة.
[7] البحر الكامل.

محنته

أسر ببحر الزقاق[1]، قادماً على **الأندلس**، في جملة من الفضلاء، منهم والده. واستقر **بطريف**[2] عام ستة وعشرين وسبعماية[3]، لقي بها شدة ونكالاً، ثم سرح والده، لمحاولة فكاك نفسه، وفك ابنه، ويسر الله عليه، فتخلصا من تلك المحنة في سبيل كدية، وأفلت من بين أنياب مشقة.

بعض أخباره

قال: لقيت الشيخ ولي الله **أبا يعقوب** بساحل **بادس**[4]، قاصداً الأخذ عنه، والتبرك به، ولم يكن رآني قط، وألفيت بين يديه عند دخولي عليه، رجلاً يقرأ عليه

---

[1] **بحر الزقاق هو الجزء البحري الفاصل بين الأندلس وبلاد المغرب؛ والموصل بين المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط؛ وتطل عليه طنجة سبتة ومليلة في الجهة الجنوبية وجبل طارق والجزيرة الخضراء في الجهة الشمالية.**

[2] **تسمى جزيرة طريف؛ وتطل على بحر الزقاق في الجانب الأندلسي؛ سميت بذلك نسبة إلى أحد الفاتحين الأول؛ الذي دخلها في غزوة استطلاعية سبقت الفتح الأكبر.**

[3] **الموافق لـ 1325م.**

[4] **المقصود هنا هي بلدة بادس المتواجدة بالمغرب الأقصى؛ وبالأحرى في بلاد الريف المغربية؛ وهي تطل على بحر الزقاق. وتعتبر هذه المدينة إحدى نقاط الصلة بين الضفتين: المغربية والأندلسية.**

القرآن. فلما فرغ، أراد أن يقرأ عليه أسطراً من الرسالة، فقال له، اقرأها على هذا الفقيه، وأشار إلي ورأيت في عرصةٍ له أصول خص، فتمنيت الأكل منها، وكان رباعها غير حاضر، فقام عن سرعة، واقتلع منها أصولاً ثلاثة، ودفعها إلي، وقال كل. فقلت في نفسي، تصرف في الخضرة قبل حضور رباعها، فقال لي إذا أردت الأكل من هذه الخضرة، فكل من هذا القسم فإنه لي. قلت، وخبرت من اضطلاع هذا المترجم به بعبارة الرؤيا، ما قضيت منه العجب في غير ما شيء جربته. وهو الآن بحاله الموصوفة. وأصابه لهذا العهد جلاء عن وطنه، لتوفر الحمل عليه من الخاص والعام، بما طال به نكده. ثم آلت حاله إلى بعض صلاح والله يتولاه.

مولده

بمدينة **فاس** عام تسعين وستماية[1].

***

[1] **الموافق لـ 1291م.**

محمد بن عبد المنعم

الصنهاجي الحميري؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن عبد المنعم[1]؛
من أهل سبتة؛ الأستاذ الحافظ.

حالـه

من **العايد**: كان رحمه الله رجل صدق، طيب اللهجة، سليم الصدر تام الرجولة، صالحاً، عابداً، كثير القرب والأوراد في آخر حاله، صادق اللسان. قرأ كثيراً، وسنه تنيف على سبع وعشرين، ففات[2] أهل الدؤب والسابقة، وكان من صدور الحفاظ، لم يستظهر أحد في زمانه من اللغة ما استظهره فكاد يستظهر **كتاب التاج للجوهري** وغيره، آية تتلى، ومثلاً يضرب، قائماً على **كتاب سيبويه**، يسرده بلفظه. اختبره **الفاسيون** في ذلك غير ما مرة . طبقة في الشطرنج، يلعبها محجوباً، مشاركاً

---

[1] **لـه ترجمـة في كتابـه المسـمى روض المعطـار في أخبـار الأقطـار، وفي الـدرر الكامنـة، وبغيـة الوعـاة.**

[2] **في الإسكوريـال: ((فسـاي)). وصوبـت مـن الزيتونـة.**

في الأصول آخذاً في العلوم العقلية. مع الملازمة للسنة، يعرب أبداً كلامه ويزينه.

مشيخته

أخذ ببلده عن الأستاذ **أبي إسحاق الغافقي**، ولازم **أبا القاسم بن الشاط**، وانتفع به وبغيره من العلماء.

دخوله غرناطة

قدم **غرناطة** مع الوفد من أهل بلده، عندما صارت إلى إيالة الملوك من **بني نصر** لما وصلوا بالبيعة.

وفاته

كان من الوفد الذين استأصلهم الموتان عند[1] منصرفهم عن باب السلطان؛ ملك **المغرب**، بأحواز **تيزي**[2]، حسبما وقع التنبيه على بعضهم.

***

[1] أضاف عنان كلمة: ((عند)).
[2] تقع شمال شرقي فاس؛ وهي بلدة تازة المغربية.

محمد بن عمر

ابن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر بن رشيد الفهري[1]؛ من أهل سبتة؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن رشيد.

حالـه

من **عايد الصلة**: الخطيب المحدث، المتبحر في علوم الرواية والإسناد. كان رحمه الله فريد دهره عدالة وجلالة، وحفظاً وأدباً، وسمتاً وهديا، واسع الأسمعة، عالي الإسناد، صحيح النقل، أصيل الضبط، تام العناية بصناعة الحديث، قيماً عليها بصيراً بها، محققا فيها، ذاكراً فيها الرجال، جماعة للكتب، محافظاً على الطريقة، مضطلعاً بغيرها، من العربية واللغة والعروض، فقيهاً أصيل النظر، ذاكراً للتفسير، ريان من الأدب، حافظاً للأخبار والتواريخ، مشاركاً في الأصلين، عارفاً بالقراءات، عظيم الوقار والسكينة، بارع الخط، حسن الخلق، كثير التواضع، رقيق الوجه، متجملاً كلف

[1] لـه ترجمـة في نفـح الطيـب.

الخاصة والعامة، مبذول الجاه والشفاعة. كهفاً لأصناف الطلبة. قدم على **غرناطة** في وزارة صديقه، ورفيق طريقه في حجه وتشريقه، **أبى عبد الله بن الحكيم** فلقي براً، وتقدم للخطابة بالمسجد الأعظم، ونفع الله لديه بشفاعته المبذولة، طائفة من خلقه، وانصرف إثر مقتله إلى **العدوة**، فاستقر بمدينة **فاس**، معظماً عند الملوك والخاصة، معروف القدر عندهم.

مشيختـه

[قرأ ببلده **سبتة** على الأستاذ إمام النحاة **أبي الحسن ابن أبي الربيع كتاب سيبويه**، وقيد على ذلك تقييداً مفيداً، وأخذ عنه القراءات. وأخذ أيضاً عن الأستاذ **أبي الحسن بن الخطار**. ورحل من بلده **سبتة ؛** لأداء الفريضة. حج ولقي المشائخ عام ثمانية وثمانين وستماية[1]، فوافى في طريقه الحاج المحدث الراوية، ذا الوزارتين بعد، **أبا عبد الله الحكيم**، وأخذ عن الجلة الذين يشق إحصاؤهم. فممن لقي **بإفريقية** الراوية العدل **أبا محمد عبد الله بن**

[1] **الموافق لـ 1289م.**

هارون؛ يروي عن **ابن بقي**، والأديب المتبحر **أبا الحسن حازم بن محمد القرطاجني**. وروى **بالمشرق** عن العدد الكثير كالإمام **جار الله أبي اليمن بن عساكر**، لقيه **بباب الصفا** تجاه الكعبة المعظمة، وهو موضع جلوسه للسماع، غرة شوال عام أربعة وثمانين وستماية[1]، وعن غيره، **كأبي العز عبد الرحمن بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منظور بن هبة الله**، وغيرهم ممن ثبت في اسم مرافقة في السماع والرحلة **أبي عبد الله بالحكيم** رحمه الله، فلينظر هنالك.][2]

تواليفه

ألف فوائد رحلته في كتاب سماه ((**ملْءُ العَيْبَة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين[3] الكريمتين إلى مكة وطيبة))[4].** قال شيخنا **أبو بكر بن شبرين**، وقفت على

---

[1] الموافق لـ 1285م.

[2] سقطت في الإسكوريال. وقد كتب الناسخ هذه العبارة: ((قلت: اختصرتها لطولها؛ ولكونها تأتي في اسم مرافقه في السماع والرحلة أبي عبد الله بن الحكيم رحمه الله)).

[3] في الزيتونة: ((الجهتين)).

[4] في نفح الطيب: ((ملْءُ العَيْبَة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة)).

مسودته، ورأيت فيه فنوناً وضروباً من الفوايد العلمية والتاريخ، وطرفاً من الأخبار الحسان. والمسندات العوالي والأناشيد. وهو ديوان كبير[1]، ولم يسبق إلى مثله. قلت ورأيت شيئاً من مختصره **بسبتة**.

دخوله غرناطة

ورد على **الأندلس** في عام اثنين وتسعين وستماية[2]. فعقد مجالس للخاص والعام، يقري بها فنوناً من العلم. وتقدم خطيباً وإماماً بالمسجد الأعظم منها. حدثني بعض شيوخنا، قال، قعد يوماً على المنبر، وظن أن المؤذن الثالث قد فرغ؛ فقام يخطب والمؤذن قد رفع صوته بآذانه، فاستعظم ذلك بعض الحاضرين، وهم آخر بإشعاره وتنبيهه. وكلمه آخر، فلم يثنه ذلك عما شرع فيه، وقال بديهة، أيها الناس، رحمكم الله، إن الواجب لا يبطله المندوب، وأن الآذان الذي بعد الأول غير مشروع الوجوب، فتأهبوا لطلب العلم، وانتبهوا، وتذكروا قوله

[1] في الإسكوريال: ((كثير)) وصوبت من الزيتونة.
[2] الموافق لـ 1292م.

عز وجل: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1]، وقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال: ((**من قال لأخيه والإمام يخطب، أصمت، فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له**)). جعلنا الله وإياكم ممن علم فعمل وعمل فقبل، وأخلص فتخلص. وكان ذلك مما استدل به على قوة جنانه، وانقياد لسانه لبيانه.

شعره

وله شعر يتكلفه إذ كان لا يزن أعاريضه إلاّ بميزان العروض فمن ذلك ما حدث به؛ قال: لما حللت **بدمشق**، ودخلت دار الحديث الأشرفية، برسم رؤية النعل الكريمة، نعل **المصطفى** صلوات الله عليه، ولثمتها، حضرتني هذه الأبيات[2]:

[1] **الآيـة كاملـة هكذا: (مّا أفاءَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ القُرَى فَلِلّهِ وَلِلرّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السّبيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتّقُوا اللّهَ إنّ اللّهَ شَدِيدُ العِقَابِ). سورة الحشر؛ الآية: 7.**

[2] **البحر الطويل.**

هنيئــاً لعيني أن رأت نعل أحمــد

فيا سعد جدي قد ظفرت بأسعــد[1]

وقبلتهــا أشــفي الغليــل فــزادني

فيا عجبــاً زاد الظما عند مــورد

فللـــه ذاك اللثم فهــو ألــذ مــن

لما شفــة لميــا وخــد مــــورد

وللـــه ذاك اليــوم عيــداً ومعلمــاً

بتاريخــه أرخـــــت مولــد أسعد

عليه صلاة نشرهــا طيــب كمــا

يحـــب ويــرضى ربنــا لمحمــد

وقال: وقلت في موسم عام ستة وثمانين وستماية[2]، بثغر **سبتة** حرسها الله تعالى[3]:

أقــول إذا هــب النسيم المعطــر

لعــل بشيــراً بــاللقــاء يبشــر

---

[1] **في الجذوة: ((بمقصدي)).**
[2] **الموافق لـ 1287م.**
[3] **البحر الطويل.**

وعالي الصبا مرت على ربع جيــرتي
فعن طيبهم عــرف النسيــم يعبــر
وأذكــر أوقاتي بسلــمى وبالحمى
فتذكو لظى في أضلعي حين أذكــر
ربوع يود المسك طيــب ترابهــا
ويهوى حصى فيهــا عقيق وجوهر
بها جيــرة لا يخفــــرون بذمــة
هــم لمواليهــم جمـــال ومفخــر
إذا ما اجتلت زهر النجوم جمالهــم
تغــار لبـــاهي نـــورهــم فتغــور
ومن جود جدواهم يرى الليث يعمر
ومــن خــوف عدواهـــم يذعـــر[1]
ومن سيب يمناهم يرى الروض يزهر
ومن فيض نعماهم يرى البحر يزخــر

---

[1] **تصرف د. طويل فجعل هذا البيت هكذا:**
((ومن جود جدواهم يرى الليث يعمر * ومن خوف عدواهم يرى الليث يذعر)).

رعى الله عهداً بالمصلى عهدتـــه

وروض المنى غـــض يرق وينضر

زمانـــاً نعمنا فيـــه والظـــل وارف

بجنـــات عدن تحتها العذب يخضر

ولـلـــه أيـــام المصـــلى وطيبهـــــا

وأنفسنـــا بالقرب والأنـــس تجبـــر

بحيـــث يـــرى بدر الكمال وشمسه

وروضته فردوس وحوض[1] ومنبـــر

أروم دنـــواً من بهـــاء جمالهـــا

ولثمـــاً فتـــأبى هيبـــة وتـــوقـــر

خضعـــت وذلي للحبيـــب تعـــزز

فطرفي مغضوض وخـــدي معفـــر

ووجـــه ســـروري سافـــر متهلـــل

وحالي بهـــم حُـــلَلٌ[2] وعيشي أخضر

[1] حذف د. طويل واو العطف في كلمة وحوض)).
[2] جعلها د. طويل: ((حلٌ)).

فطـــوبى لمن أضحى بطيبة ثاويــاً
يجـــر أذيـــال[1] الفخـــار وينشـــــر
وإذ فات عيني أن تراهم فـــرددوا
على مسمعي ذكر المصلى وكرروا
وردت فيا طيـــب الورود بطيبـــة
صدرت فوا حزني فلا كان مصـــدر
رمـــاني زماني بالفراق فغـــرني
على مثل من فارقت عز التصبـــر
وأضمـــرت أشجاني ودمعي مظهر
وأسررت هجـــراني وحـــالي تخبـــر
فمن أدمعي مـــاء يفيـــض ويهمر
ومن أضلـــعي نار تفور وتسعـــر
فجســـمي مصفر وفودي أبيـــض
وعيـــشي مغبـــر ودمعي أحمـــر

[1] جعلها د. طويل: ((بأذيـال)).

وحيــن دن التوديــع ممن أحبــه

وحان الذي ما زلت منــه أحــذر

ونادى صحابي بالرحيل وأزمعوا

وسارت مطاياهم وظلــت أقهقــر

وألوى إليــه الجيــد حتى وجعتــه

وظــل فــؤادي لوعــة يتفطــــر

وقفــت لأقضي زفــرة وصبابــة

ولا أنثــني فالموت أجدى وأجــدر

ولو أنــني بعــت الحياة بنظــرة

لأبــت وحــظي فيه أوفى وأوفر

وما باختيــاري إنما قدر جــرى

رضيــت بما يقضي الإله ويقدر

حنيني إلى مغنى الجمال مواصــل

وشوقي إلى معــنى الجمال موفر

وغير جميل أن يرى عن جمالهــا

فــؤادي صبوراً والمسيــر ميسر

أيصبــر ظمــآن يغــال بغُلَّـــــة
وفي روضة الرضوان شهد وكوثر
فيا عينهـــا الزرقـــاء إن عيونهـــا
من الحـــزن فيض بالنجيـــع تفجر
سأقطع ليلى بالســـرى أو أزورهـــا
وأحمي الكـــرى عيناً لبعدك يظهر
وأنضي المطايا أو أوافـــي ربعهـــا
فتنجـــدني طـــوراً وطـــوراً تغـــور
حظرت على نفسي الحذار من الـــردى
أتحــــــذر نفـــس الحبيـــب تسيـــر
أينكـــر تغريـــر المشـــوق بنفســـه
وقـــد علمـــوا أن المحـــب مغـــرر
وقفـــت على فتوى المحبين كلهـــم
فلم أجد التغرير في الوصـــل ينكـــر
وإني إذا ما خطرت خطرت قضت
بهـــمي وعـــزمي همـــة لا تؤطـــر

أقيـــم فألـــفي بين عَيْـــنَيَّ همـــتي

وسيـــريَ في سُبْـــل العلا ليس ينكر

إذا ما بدت للعيـــن أعـــلام طيبـــة

ولاحـــت قبـــاب كالكواكب تزهـــر

وللقبة الزهراء سمـــك سما عـــلا

وراق سنى كالشمس بل هو أزهـــر

لها منظر قيـــد النواظر والنُّـــهًى

لها ساكـــن من نوره البـــدر يبـــدر

فعرجـــوا[1] على كَمَـــلِ[2] الكمال وسلموا

سلمتـــم وبلغتـــم مناكـــم فأبشـــرو

بنفسي لا بالمال أرضى بشـــارة

إذا لاح نـــور في سناهـــا مبشـــر

وما قدر نفـــسي أن تكـــون كفـــا[3]

ولكنهـــا جهـــد[4] المقـــل فأعـــــذر

---

[1] جعلها د. طويل: ((فأعرجوا)).
[2] جعلها د. طويل: ((أهل)).
[3] جعلها د. طويل: ((كفاء)).
[4] في الإسكوريال: ((جهل)).

أقــول إذا أوفيــت أكرم مرســل

قــراي عليكــم أن ذنــبي يغفــــر

وأحــظى بتقريب الجوار مكرمــاً

وأصفــح عن جور البعاد وأعــذر

وأرتــع في ظل الجنــان منعمــاً

وأمــني بقرب من حماك وأجبــر

هناك هناك القرب فانعــم بنيلــه

بحيــث ثــوى جسم كريم مطهر

ودع عنك تطواف البــلاد وخَيْمِنْ[1]

بطيبة طابت فهي مســك وعنبــر

فخــرت بمــدحي للنــبي محمــد

ومن مدحــه المداح يزهى ويفخــر

أطلت وإني في المديــح مقصــر

فكــل طويــل في معاليــك يقصر

ما بلغــت كف أمــري متنــاول

بها المجــد إلا والذي نلــت أكبــر

---

[1] جعلها د. طويل: ((وخَيِّمْ)).

وما بلغ المهدون في القول مدحة
وإن أطنبوا إلا الـــذي فيك أفخـــــر
عليك صـــلاة الله ما مـــر سبـــق
إليـــك ومـــا هب النسيـــم المعطر

وقال يرثي ابنا نجيباً ثكله بغرناطة[1]:

شباب ثـــوى شابت عليه المفـــارق
وغصـــن ذوى تاقت إليه الحدايـــق
على حين راق الناظريـــن بسوقـــه
رمتـــه سهـــام للعيـــون رواشـــق
فما أخطـــأت منه الفؤاد بعمدهـــا
فلا أبصرت تلك العيـــون الروانـــق
وحيـــن تدانـــى للكمـــال هلالـــه
ألم بـــه نقـــص وجـــدت مواحـــق
إلى الله أشكو فهو يشكى نوازعـــاً
عظامـــاً سطاهـــا للعظـــام عوارق

---

[1] **البحر الطويل.**

ولا مثـــل فقـــدان البـــني فجيعـــة
وإن طال ما لجت وجالت بوايـــق

محمـــد إن الصبـــر صبر وعلقـــم
عـــلى أنـــه حلـــو المثوبـــة سابـــق

فإن جزعـــا فاللـــه للعبـــد عـــاذر
وإن جلـــداً فالوعـــد للـــه صـــادق

وتاللـــه ما لي بعـــد عيشـــك لـــذة
ولا راقـــني مرأى لعيـــني رايـــق

فـــأني بـــه والمذكـــرات عديـــدة
فنبـــل وهـــــم للعوايـــد خـــارق

فأين التفت[1] فالشخص للعين ماثـــل
وإن أستمع فالصوت للأذن طـــارق

وإن أدع شخصاً باسمه لضـــرورة
فإن اسمك المحبوب للنطق سابـــق

[1] جعلها د. طويل: ((فإن ألتَفِتْ)).

وإن تقــرع الأبواب راحة قــارع

يطير[1] عندها قلــب لذكرك خافــق

وكل كتــاب قد حويــت فمذكــر

وآثـــــاره كــــل إليــك تــوايــق

سبقــت كهولة[2] في الطفولة لا تــني

وأرهقت أشياخاً وأنــت مراهــق

فلو لم يغلك المــوت دمت مجليــاً

وأقبــل سكيتــاً وجبيــة[3] ولاحــق

على مهل أحــرزت ما شيت ثانياً

عنانك لا تجهــد وأنــت مسابــق

رأتــك المنايــا سابقــاً فأغرتهــا

فجـــــد طلابــاً إنهــن لواحـــــق

لين سلبــت مني نفيس ذخائـــــر

فإني بمذخــور الأجــور لواثــق

---

[1] **صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((يطر)).**
[2] **جعلها د. طويل: ((كهولاً)).**
[3] **جعلها د. طويل: ((وجيئاً)).**

وقـــد كـــان ظـــني أنني لك سابق
فقد صار علمي أنـــني بك لاحـــق
غريبيـــن كنا فـــرق البيـــن بيننـــا
فأبرح ما يلقى الغريـــب المفـــارق
فبين وبعـــد بالغريـــب تـــوكـــلاً
قد رعى بما حملت واللـــه ضايـــق[1]
عسى وطـــن يدنـــو فتدنـــو مـــنى[2]
وأيُّ الأمـــاني والخطوب عوايـــق
فلولا الأسى ذاب الفؤاد من الأسى
ولولا البكا لم يحمل الحزن طائـــق
فخط الأسى خطا تـــروق سطـــوره
وتمحو البكا فالدمـــع ماح وساحق
فيا واحداً قـــد كان للعيـــن نورهـــا
اتـــلُ ضيـــاً[3] بعـــد بعـــدك غاســـق

---

[1] هذا الشطر مختل ومضطرب.
[2] تصرف د. طويل؛ فجعل هذا الشطر هكذا: ((عسى وطن يدنو فتدنو له منى)).
[3] جعلهـا د. طويـل: ((عليـك ضيـاء)).

عليــك سلام الله ما جــن ساجــع
وما طلعت شمس وما ذر شـــارق
وما همعــت سحب غواد روايــح
وما لمعت تحدو الرعــود بــوارق
وجـــاد على مثواك غيــث مروض
عبـــاد لرضـــوان الإلـــه موافــق[1]

محنتـه

تعرض إليه قوم، يوم قتل صديقه **أبي عبد الله الحكيم** بإذاءة قبيحة، وأسمع كل شارق من القول على ألسنة زعانفة فجر وترهم القتيل، فتخلص؛ ولا تسل كيف، وأزمع الرحيل فلم يلبث بعد ذلك.

وفاتـه

كانت وفاته بمدينة **فاس**، في اليوم الثامن من شهر المحرم مفتتح عام أحد وعشرين وسبعماية[2]. ودفن في

---

[1] سقطت هذه القصيدة في الزيتونـة.
[2] الموافق لـ 1321م.

الجبانة التي بخارج **باب الفتوح** بالروضة المعروفة بمطرح الجنة، التي اشتملت على العلماء والصلحاء والفضلاء، من الغرباء الواردين مدينة فاس.

مولده

وكان مولده **بسبتة** عام سبع[1] وخمسين وستماية[2].

***

---

[1] صوبها د. طويل: فكتبها: ((سبعة وخمسين وستمائة)).

[2] الموافق لـ 1258م.

محمد بن علي

ابن هاني[1] [اللخمي][2] السبتي؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف باسم جدّه؛ أصلهم من إشبيلية.

حاله

كان رحمه الله فريد دهره في سمو الهمة، وإيثار الاقتصاد والتحلي بالقناعة، وشموخ الأنف على أهل الرياسة، مقتصراً على فائدة[3] ربع له ببلده، يتبلغ مع الاستقامة، مع الصبر والعمل على حفظ المروءة، وصون ماء الوجه، إماماً في علم العربية، مبرزاً متقدماً فيه، حافظاً للأقوال ، مستوعباً لطريق الخلاف، مستحضراً لحجج التوجيه، لا يشق في ذلك غباره، ريان من الأدب، بارع الخط، سهل مقادة الكلام، مشاركاً في الأصلين، قائماً على القراءات، حسن المجلس، رائق البزة، بارع المحاضرة، فائق الترسل، متوسط النظم، كثيرالاجتهاد

[1] لـه ترجمـة أيضـاً في نفـح الطيـب.
[2] هـذه الإضافـة مـن الزيتونـة.
[3] في الزيتونـة: ((فايـد)).

والعكوف، مليح الخلق، ظاهر الخشوع، قريب الدمعة، بيته شهير الحسب والجلالة.

وجرى ذكره في [**الإكليل الزاهر**][1] بما نصه: علم تشير إليه الأكف[2] ويعمل إلى لقائة الحافر والخف[3]، رفع للعربية ببلده راية لا تتأخر، ومرج منها لجة تزخر، فانفسخ مجال درسه، وأثمرت أدواح غرسه، فركض بما[4] شاء وبرح، ودون وشرح، إلى شمايل تملك[5] الظرف زمامها، ودعابة راشت الحلاوة سهامها. ولما أخذ المسلمون في منازلة الجبل[6] وحصاره، وأصابوا الكفر منه بجارحة أبصاره، ورموا بالثكل فيه نازح أمصاره، كان ممن انتدب وتطوع، وسمع النداء، فأهطع[7]، فلازمه إلى أن نفد لأهله لأهله القوت، وبلغ من فسحة الأجل الموقوت، فأقام

[1] **وهو كتاب صغير لابن الخطيب. وقد سبق التعريف به.**
[2] **أي مشهور.**
[3] **أي يقصده الناس بمختلف فئاتهم؛ أصحاب الحافر؛ وهم الراكبون على الجياد، وأصحاب الخفّ؛ الممتطين النوق والجمال.**
[4] **في النفح: ((ما)).**
[5] **نفسه: ((يملك)).**
[6] **المقصود هنا هو جبل طارق أو جبل النفح.**
[7] **أي فأسرع.**

الصلاة بمحرابه، وقد[1] غير محياه طول اغترابه، وبادره الطاغية قبل أن يستقر نصل الإسلام في قرابه[2]، أو يعلق أصل الدين في ترابه. وانتدب إلى الحصار به وتبرع، ودعاه أجله فلبى وأسرع. ولما هدر عليه الفنيق، [وركعت إلى قبلته المجانيق][3]، أصيب بحجر دوم عليه كالجارح المحلق، وانقض إليه انقضاض البارق المتألق، فاقتنصه، واختطفه، وعمد إلى زهره فقطفه[4] فمضى إلى الله طوع نيته، وصحبته غرابة المنازع حتى في منيته[5].

مشيخته

قرأ على الأستاذ **العلامة أبي إسحق الغافقي**، وعلى الأستاذ النحوي **أبي بكر بن عبيدة**، واعتمد عليه، وقرأ على الإمام الصالح **أبي عبد الله بن حريث.**

---

[1] **في النفح: ((وحياه وقد غير محياه)).**
[2] **أي في غمد السيف و جفنه.**
[3] **في النفح: ((وركع إلى قبلة المنجنيق)).**
[4] **نفسه: ((فاقتطفه)).**
[5] **نفسه: ((في أمنيته)).**

توالیفه

ألف كتباً، منها:[1] ((**كتاب شرح التسهيل لابن مالك**))؛ وهو أجل كتبه، أبدع فيه، وتنافس [الناس][2] فيه. ومنها[3] ((**الغُرَّةُ الطالعة في شعراء المائة السابعة**))، ومنها ((**إنشاد الضَّوَّال وإرشاد السَّوَّال في لحن العامة**))؛ وهو كتاب مفيد، و((**قوت المُقيم**)). ودَوَّنَ تَرَسُلَ[4] رييس الكتاب **أبي المُطَرِّف بن عميرة** وضمّه في سفرين. وله **رجز[5] في الفرايض** مفيد.

شعـره

حدثنا[6] شيخنا القاضي الشريف، نسيج وحده، أبو القاسم الحسني، قال: خاطبت الأستاذ أبا عبد الله بن هاني رحمه الله بقصيدة من نظمي أولها[7]:

---

[1] في النفح: ((منها شرح "تسهيل الفوائد" لابن مالك؛ مبدع؛ تنفس الناس فيه)).

[2] كلمة ((الناس)) أضيفت من النفح.

[3] في النفح: ((وكتاب)). وهذا ينطبق على العنوانين التاليين.

[4] نفسه: ((ودون ترسيل أبي المطرّف بن عميرة)).

[5] نفسه: ((جزء)).

[6] نفسه: ((وحدثني شيخنا الشريف القاضي أبو القاسم؛ قال: خاطبت ابن هاني بقصيدة من نظمي أولها:)).

[7] البحر البسيط.

(هلَّت[1] الحديث عن الكُرب[2] الذي شخصا).

فأجابني عن ذلك بقصيدة في رويها[3]:

لولا مشيب بِفَوْدي للفــؤاد عــصى
نَضَيَتُ[4] في مهمه التشبيب لي قلصا
واستوقفت عبراتي وهـــي جاريـــة
وكفاء توهم [5] ربعاً للحبيــب قصـــا
مسايلاً عن لياليـــه التي انتهــزت
أيـــدي[6] الأماني بها ما شيته فرصا
وكنت جاريت فيها من جرى طلقا
من الإجادة لم يحجـــم[7] ولا نكصـــا
أصاب شاكلة المرمي حين رمـــى
من الشـــوارد ما لـــولاه ما اقتنصا

[1] في النفـح: ((هـاتِ))؛ وهو أفضل.
[2] نفسـه: ((الركـب)).
[3] نفسـه: ((فأجابـني بقصيدة لـى رويِّهـا أولهـا)). وهي أيـاً على البحـر نفسه.
[4] نفسـه: ((أنضيـت)).
[5] في الإسكوريـال: ((يومـم))؛ وصوبـت مـن النفـح.
[6] نفسـه: ((فيهـا)). وصححـت مـن النفـح.
[7] نفسـه: ((لـم يجمـح)).

ومن أعد مكان النبــل نبل حجــاً
لم يــرض إلا بأبكار النهي قنصـــا
ثم انثنى ثانياً عطــف النسيب إلى
مدح به قد غلا ما كان قد رخصـــا
فظلـــت أرفل فيها لبســـة شرفــت
ذاتــاً ومنتسبـــاً أعــزز به قمصـــا
يقول فيها وقد خولــت منحتهـــا
وجرع الكاشح المغرى بها غصصا
هذي عقايل وافت منك ذا شـــرف
لولا أياديـــه بيع الحمد مرتخصـــا
فقلت هلا عكســـت القول منك لـــه
ولم يكن قابلاً من[1] مدحه الرخصـــا
وقلت ذي بكر فكر من أخي شرف
يردي ويرضي بها الحساد والخلصا
لها حـــلًى حسنيـــات عـــلى حلـــل
حسنية تستـــبي من حـــل أو شخصا

---

[1] **في النفـح: ((في)).**

خولتهـــا وقـــد اعتـــزت ملابسهـــا
بالبخت ينقـــاد للإنسان ما عوصـــا[1]
خذهـــا أبا قاســـم مني نتيجـــة ذي
وُدٍّ إذا شيت وداً للـــورى خلـــصا
جـــاءت تجاوب عما قد بعثـــت به
إن كنت تأخذ من[2] دُرِّ النحور حصا

وهي طويلة. ومما ينسب إليه، وهو مليح في معناه[3]:
ما للنـــوى مـــدت لغيـــر ضرورة
ولقبـــل ما عهـــدي بها مقصـــوره
إن الخليـــل وإن دعتـــه ضـــرورة
لم يرض[ذاك[4]] فكيف دون ضروره

[1] أي مـا صَعبًـا.
[2] في الإسكوريـال: ((عـن))؛ وصوبـت مـن النفـح.
[3] البحـر الكامـل.
[4] هذه الإضافـة مـن الزيتونـة والنفـح.

وقال: مضمِّناً[1]:

لا يلمــني عــاذلي حــتى يــرى[2]
وجــه من أهــوى فلومي مستحيل
لــو رأى وجــه حبيــبي عــاذلي
لتفــارقنــا على وجــه جميـــل

وقال في الفخر[3]:

قل للمــوالي عــش بغبطــة حامد
وللمعــادي بــت بضغنــة حاسـد
المــزن كــفي والثريــا همــتي
وذكــا[4] ذكــري والسعود مقاصــد[5]

وقال في غير ذلك[6]:

غنيت بي دون غيري الدهر عن مثل
بعضي لبعضي أضحى يضرب المثلا

---

[1] بحر الرمل.
[2] جاء هذا الشطر في النفح هكذا: ((لا تلمني عاذلي حين ترى)).
[3] البحر الكامل.
[4] جعلها د. طويل: ((وذكاء)).
[5] أضاف د. طويل الياء؛ فأضحت: ((مقاصدي)).
[6] البحر البسيط.

ظهري انحنى لمشيب لاح واعجبا

غـض إذا أينعـت أزهـاره ذبـلا

أذلـك[1] أم زهـر لاحـت تخبـر أن

يوم الصبا والتصابي آنـس الطفـلا

ومما جمع فيه بين نظمه ونثره، ما راجع به شيخنا القاضي الشريف **أبا القاسم الحسنى**، عن القصيدة الهمزية التي ثبتت في اسمه[2]:

يا أوحـد الأدباء أو يا أوحـد الـ

ـفضـلا أو يـا أوحـد الشرفـاءِ

من ذا تـراه أحق منك إذا التـوت

طرق الحجـاج بأن يجيـب نـداءِ[3]

أدب أرق مـن الهـواء وإن تشـا

فمـن الهـوى والماء والصهبـاءِ

[1] جعلها د. طويل: ((أذاك)).
[2] البحر الكامل.
[3] في النفح: ((ندائي))؛ وهو أصوب.

وألــذ من ظَلْم[1] الحبيــب وظلمـــه
بالظـــاء مفتوحـــاً وضـــم الظـــاء

ما السحـــر إلا ما تصـــوغ بنانـــه
ولســـانـــه مـــن حليـــة الإنشـــاء

[والفضـــل مـــا حليتـــه وحبيتـــه
وحبـــوتني منـــه بخيـــر حبـــــاء

أبكار فكرك قد زففـــت[2] بمدحـــتي
تمـــشي روايعهـــا عـــلى استحيـــاء

لا مـــن قصـــور بـــل لتقصيهـــا
من حيـــث لم يظفـــرن بالإرفـــاء

لكن جبرن[3] وقد جبلن على الرضـــا
فالجبـــــر للأبكـــــار للآبـــــاء

هذا إلى الشـــرف الذي قد فـــزت
مـــن[4] عليائـــه بالعـــزة القعســـاء

[1] الظَّلْم هنا (بفتح الطاء وسكون اللام) هو: الرِّيق.
[2] جعلها د. طويل: ((زُفَّتْ)).
[3] في الإسكوريال: ((جبلن)).
[4] حذف د. طويل: كلمة ((من))؛ فغدت: ((علياءه)).

شرف السيل من الرسول وسيلـــة
قامت بابـــن[1] سنـــاً وابـــن سنـــاء
حسن وأبو[2] حسن وفاطمة ابنة الـــ
ـــهـــادي البريـــة خاتم النبـــلاء
شرف على شـــرف إلـــى شرفيـــن
[من ذا حاز][3] ما حزت من عليـــاء
هذي ثـــلاث أنت واحـــد فخرهـــا
فاشمـــخ لها شرفـــاً بأنـــف عـــلاء
من رام رتبتـــك السنيـــة فليقـــف
دون المـــرام مواقـــــف الإقصـــاء
هذي مآثـــر قد شـــأوت بصيتهـــا
من كـــان مـــن آب لهـــا أو شـــاء
والليـــث يرهب زأره في موطـــن
ما كـــان من نقـــد بـــه أو شـــاء

[1] ((بابن)) الأولى والثانية جعلهما د. طويل بهمزة قطع: ((بإبن)).
[2] حذف د. طويل ((واو العطف))؛ فأضحت: ((أبو)).
[3] جعلها د. طويل: ((من حائز)).

يكفيك من نكـــد المعاند أن يـــرى
متقلـــــد الأعضـــاء بالبغضـــاء
الســـن يفـــنى بالأنـــامـــل قرعـــه
أو عضـــه متـــوقـــــد الأحشـــــاء
أتحفتـــنى بقصيـــدة همـــزيـــــة
مقصــــــــورة ممـــــدودة الآراء
كـــم بيـــن تلـــك وهـــذه لكنهـــا
غـــطى على هـــذي ذهـــاب فتـــاء[1]
ذو الشيب يعذره الشبـــاب فما لهم
بذكـــا[2] نبـــــل أو بنبـــل ذكـــاء
مـــن قارب الخمسين خطـــواً سنه
فمحالـــه مستوجـــب الإبطـــــاء
أبـــني إنك أنـــت أســـدى من بـــه
يتعاظـــــم الآبـــــاء بالأبنـــــاء][3]

---

[1] أضـاف د. طويـل ((اليـاء))؛ فغـدت: ((فتـائي)).
[2] جعلهـا د. طويـل: ((بذكـاء)).
[3] كـل هـذه الأبيـات الـواردة بيـن حاصرتيـن؛ لـم تذكـر في نفـح الطيـب.

للـــه نفثة سحـــر ما قد شـــدت لي
من نفـــث سحـــرك في مشاد ثنـــاء
عارضت صفواناً بها فأريـــت مـــا
يستعظـــم الـــراوي لـــه والـــراء[1]
لو راء لؤلـــؤك المنظـــــم لم يفـــز
فـــي[2] نظـــم لؤلـــؤه بغيـــر عنـــاء
بوأتـــنى منهـــا أجـــــل مبـــــوإ
فلأخمــــصي مستوطـــن[3] الجـــوزاء
وسمى بها أسمي ساير[4] فَأَنَـــا بمـــا
أسديـــت ذو الأسمـــاء في الأسماء
وأشدت ذكري في البلاد فلي بهـــا
طـــول الثناء وإن أطلـــت ثـــــواء[5]

[1] في النفـح: ((والـرَّائي))؛ باليـاء؛ وهـو أصـوب.
[2] نفسـه: ((مـن)).
[3] نفسـه:((مستـوطئ)).
[4] نفسـه: ((سائـراً)).
[5] في الاسكوريـال: ((ثنـاء)). وفي النفـح: ((ثـوائي))؛ باليـاء.

ولقــومي الفخــر المشيــد بنيتــه
بأحســن[1] تشييد وحســن وبنــــاء

فليهــن هانيهــم يــد بيضـــاء مــا
أن مثلهــا لــك من يــد بيضـــاء

حليــت أبياتــا[2] لهــــم[3] لخميــة
بحــلا عــلاً[4] مضريـــــة غـــــراء

فليشمخـــــوا أنفــا بما أوليتهــــم
يــا محــــرزا لآلاء بــالإيــــلاء

هذا، بُنيَّ، وصل الله[5] لك ولي بك علو المقدار، وأجرى وفق أو فوق إرادتك أو إرادتي[6] لك جاريات الأقدار، ما سمح[7] به الذهن الكليل واللسان الفليل في مراجعة قصيدتك الغراء، الجالية للسَّراء[8]، الآخذة بمجامع

---

[1] في النفح: ((يا حسن))؛ وهو أسلم.
[2] في الإسكوريال: ((أبا)). وصححت من النفح.
[3] في النفح: ((له)).
[4] نفسه: ((تجلى على)).
[5] نفسه: ((وصل الله سبحانه)).
[6] نفسه: ((وإرادتي)).
[7] نفسه: ((ما سنح)).
[8] نفسه: ((الجالبة السَّراء)).

القلوب، الآتية[1] بجوامع المطلوب، الحسنة المهيع[2] والأسلوب، المتحلية بالحلى الحسنية[3]، العريقة المنتسب في العلى الحسنية، الجالية صدأ قلوب[4] ران عليها الكسل، وخانها المسعدان، السؤل والأمل، فمتى حامت المعاني حولها، ولو أقامت حولها، شكت ويلها وعولها، وحرمت من فريضة الفضيلة عولها، وعهدي بها، والزمان زمان، وأحكامه[5] الماضية أماني مقضية وأمان، تتوارد ألآفها، ويجمع إجماعها وخلافها، ويساعدها من الألفاظ كل سهل ممتع، مفترق مُجمعٍ[6]، مستأنس غريب، بعيد الغور قريب، فاضح الحلا، واضح العلا، وضاح الغرة والجبين، رافع عمود الصبح المبين، أيد من الفصاحة بإياد، فلم يحفل بصاحبي **طيٍّ وإياد**، وكسي بضاعة[7]

---

[1] في النفح: ((الموفية)).
[2] أي حسنة الطريقة.
[3] في النفح : ((السَّنِيَّة)).
[4] نفسه: ((لصدإ القلوب)).
[5] نفسه: ((وأحكامها)).
[6] نفسه: ((مجتمع)).
[7] نفسه: ((نصاعة)).

البلاغة، فلم يعبأ **بهمام**[1] **وابن المراغة**[2]. شفاء المحزون، وعلم السِّرّ[3] الخزون، ما بين منثوره والموزون. والآن لا ملهج ولا مبهج [ولا مرشد ولا منهج[4]] عكست القضايا فلم تنتج، فتبلد القلب الذكي، [ولم يرشح القليب البكي][5] وعم الإفحام وغم الإحجام، وتمكن الإكداء والإجبال، (وكورت الشمس، وسيرت الجبال)[6]، وعلت سآمة وغلبت ندامة، وارتفعت ملامة، وقامت لنوعي الأدب قيامة. حتى إذا ورد ذلك المهرق، وفرع غصنه المورق، تغَنَّى[7] به الحمام الأورق، وأحاط بعداد عداته الغصص والشرق، وأمن من الغصب والسرق وأقبل الأمن، وذهب بإقباله الفرق نفخ في صور أهل المنظوم

---

[1] وهو الشاعر أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي؛ ولد بالبصرة سنة 38هـ/658م، وتوفي ببادية البصرة سنة 110هـ/728م. لقب بالفرزدق؛ بسبب ضخامة وتجهم في وجهه؛ ومعنى الفرزدق: الرغيف؛ إذ يشبهونه بالرغيف المحروق.

[2] هو الشاعر أبو حرزة جرير بن عطية اليربوعي التميمي (ت.110هـ). ولد في بادية نجد؛ وتوفي سنة 110هـ/728م. بعد الفردق بأشهر قلائل.

[3] في النفح: ((سرّ)).

[4] هذه الإضافة من النفح.

[5] في النفح: ((ولم يرشح القلم الذكي)).

[6] إحالة إلى قوله تعالى: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ). سورة التكوير؛ الآيات: 1 - 2 - 3.

[7] في النفح: ((وتغنَّى)).

والمنثور: و﴿بُعْثِرَ مَا فِي القُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾[1]، وتراءت للأدب صور، وعمرت للبلاغة كور، وهمت لليراعة درر، ونظمت للبراعة درر، وعندها يَتَبَيَّنُ [2] أنك واحد حلبة البيان، والسابق في ذلك الميدان، يوم الرهان، فكان لك القدم، وأقر لك مع التأخر السابق الأقدم فوحق نصاعة[3] ألفاظ أجدتها، حين أوردتها، وأسلتها حين أرسلتها، وأزنتها حين وزنتها، وبراعة معان سلكتها حين ملكتها، وأرويتها حين روأتها وأرويتها[4] وأصلتها حين فصلتها ووصلتها[5]، ونظام جعلته لجسد[6] البيان قلبا، والمعصمة قلماً[7]، وهصرت حدايقه غلبا، وارتكبت روية[8] صعباً، ونثاراً[9] أتبعته له خديماً، وصيرته

---

[1] الآيـة الأولى كاملـة هكذا: (أفلاَ يَعْلَمُ إذا بُعْثِرَ مَا فِي القُبُور). سـورة العاديـات؛ الآيـة: 9. وتليهـا الآيـة المذكـورة أعـلاه؛ ورقمهـا: 10.
[2] في النفـح: ((تبيـن)).
[3] نفسـه: ((فصاحة)) .
[4] نفسـه: ((رَوَيْتـهـا أو رَوَّيْتـهـا)).
[5] نفسـه: ((أو وصلتـهـا)).
[6] نفسـه: ((بجسـد)).
[7] نفسـه: ((ولمعصمـه قُلْبـاً)).
[8] نفسـه: ((رويـه)).
[9] نفسـه: ((نثـار)).

وصيرته لمدير كأسه نديماً، ولحفظ[1] ذمامه المدامي، أو مدامه الذمامي مديماً، لقد فتنتني حين أتتني، وسبتني حين نصبتني[2]، فذهبت خفتها بوقاري، ولم يرعها بعد شيب عذاري، بل دعت للتصابي فقلت مرحباً، وحللت لفتنتها الحبا، ولم أحفل بشيب، وألفيت مارد نصابي **نصيب**[3]، وإن كنا فرسي رهان، وسابقي حلبة ميدان، غير غير أن الجلدة [4] بيضاء، والمرجو الإغضاء، بل الإرضاء. بني كيف رأيت للبيان هذا الطوع، والخروج فيه من نوع إلى نوع. أين **صفوان بن إدريس**[5]، ومحل دعواه بين رحلة رحلة وتعريس[6]، كم بين ثغاء بقر[7] هذا الفلا، وبين زئير[8] زئير[8] ليث العريس، كما أني أقطع[9] علمًا، وأعلم قطعاً،

---

[1] في النفح: ((ولحفظه)).
[2] نفسه: ((أطَّبَتْني)).
[3] يشير هنا إلى قول الشاعر نصيب بن رباح (ت:108هـ/726م):
ولولا أن يقال صبا نصيب * لقلت بنفسي النشأ الصغار
بنفسي كل مهضوم حشاها * إذا ظلمت فليس لها انتصار
[4] في الإسكوريال: ((الجادة)). وصوبت من النفح.
[5] هو أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي الأندلسي. توفي سنة 598هـ/1201م. مؤلف كتاب زاد المسافر.
[6] أي ونزول بالليل للراحة.
[7] سقطت في الإسكوريال. وفي النفح: ((بقر الفلاة وبين ليث الفريس))
[8] سقطت كلمة ((زئير)) في النفح.
[9] في النفح: ((أعلم قطعاً وأقطع علماً)).

قطعاً، وأحكم مضاء، وأمضى حكماً، أنه لو نظر إلى قصيدتك الرائقة، وفريدتك الحالية الفايقة، المعارضة بها قصيدته، المنتسخة بها فريدته لذهب عرضاً وطولاً، ثم اعتقد لك اليد الطولى، وأقرَّ بارتفاع[1] النزاع، وذهبت له تلك العلالات[2] والأطماع، ونسي كلمته اللؤلؤية، ورجع عن دعواه الأدبية، واستغفر الله ربه من تلك الإلهية[3].

بني وهذا من ذلك، من الجري في تلك المسالك، والتبسط في تلك المآخذ والمتارك، أينزع غيرى هذا المنزع، أم المرء بشعره[4] وابنه مولع. حياً الله الأدب وبنيه، وأعاد علينا من أيامه وسنيه، ما أعلى منازعه، وأكبا منازعه، وأجل مآخذه ، وأجهل تاركه، وأعلم آخذه، وأرق طباعه، وأحق أشياعه وأتباعه، وأبعد طريقه، وأسعد فريقه، وأقوم نهجه، وأوثق نسجه، وأسمح الفاظه، وأفصح عكاظه، وأصدق معانيه وألفاظه، وأحمد نظامه

---

1 في النفح: (فارتفع)).
2 نفسه: ((العلاقات)).
3 نفسه: ((الألية)).
4 نفسه: ((بنفسه)).

ونثاره، وأغنى [شعاره ودثاره][1]. فعايبه مطرود، وعاتبه مصفود، وجاهله محصود، وعالمه محسود. غير أن الإحسان فيه قليل، ولطريق الإصابة فيه علم ودليل، من ظفر بهما وصل، وعلى الغاية القصوى منهما[2] حصل، ومن نكب عن الطريق، لم يعد من ذلك الفريق، فليهنك أيها الإبن الذكي، البر الزكي، الحبيب الحفي[3]، الصفي الوفي، أنك حامل رايته، وواصل غايته، ليس أولوه وآخروه لذلك بمنكرين، ولا تجد أكثرهم شاكرين. ولولا أن يطول الكتاب، وينحرف الشعراء والكتاب، لفاضت ينابيع هذا الفصل[4] فيضاً، وخرجت إلى نوع آخر من البلاغة أيضاً، قرت عيون أودّايك[5]، وملئت غيظاً صدور أعدايك، ورقيت درج الآمال، ووقيت عين الكمال، وحفظ منصبك العالي، بفضل ربك الكبير المتعال. والسلام الأتم الأكمل الأعم[6] يخصك به، من طال في مدحه إرقالك

[1] في الإسكوريال: ((دثاره وشعاره)). والتصويب من النفح.
[2] في النفح: ((منه)).
[3] أي الحبيب الذي يبالغ في السؤال عن الشيء.
[4] في النفح: الفضل)).
[5] الأودّاء؛ مفردها ودود: أي مُحِب. وأودايك؛ خففت همزتها.
[6] في النفح: ((الأتم الأنم الأكمل)).

وإغذاذك[1]، وراد روض حمده طلك ورذاذك[2] وغدت مصالح سعيه في سعي مصالحك، وسينفعك بحول الله وقوته، وفضله ومنته معاذك ووسمت نفسك بتلميذه، فسمت نفسه بأنه أستاذك، **ابن هاني** ورحمة الله وبركاته.

دخوله غرناطة

دخل **غرناطة** مع الوفد من أهل بلده عند تصيرها إلى الإيالة **النصرية**؛ حسبما ثبت في موضعه.

وفاته.

توفي بجبل الفتح ـ والعدو يحاصره. أصابه حجر المنجنيق في رأسه؛ فذهب به، تقبل الله شهادته ونفعه ـ في أواخر ذي قعدة من عام ثلاثة وثلاثين وسبعماية[3].

---

[1] **الإرقال والإغذاذ: ضربان من ضروب السير.**

[2] **في النفح: ((حمدك وابلك وطلك ورذاذك)).**

[3] **تغلب النصارى القشتاليون على جبل الفتح (جبل طارق) سنة (709هـ/1310م) وبقي المسلمون يتربصون لاسترداده؛ حيث حاصرت جيوش غرناطة والمغرب جيوش النصارى في ذلك الجبل؛ أين تمكنوا من نتزاعه منهم سنة (733هـ/1333م). وجاء في نفح الطيب: ((وكانت وفاته شهادة في أواخر ذي القعدة عام ثلاثة وسبعمائة)).**

وممن رثاه قاضي الجماعة شيخنا القاضي **أبو القاسم الحسني**، وهي القصيدة التي أولها[1]:

سقى الله بالخضراء أشلاء سؤدد
تضمنهن الترب صوب الغمايم

وقد ثبت في ((**جهد المقل**)) في اسم المذكور فلينظر هنالك.

وممن رثاه شيخنا القاضي **أبو بكر بن شبرين** رحمه الله بقوله[2]:

قد كان ما قال اليزيد[3]
فاصبر فحزنك لا يفيد
أودى ابن هانيء الوضا
فاعتادني للثكل عيد
بحر العلوم وصدرها
وعميدها إذ لا عميد

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **مجزوء الكامل.**
[3] **في النفح: ((البريد)).**

قــد كان زينــاً للوجــو
دِ ففيــه قد فجــع الوجــود
العلــم والتحقيــق والتــ
ــوفيــق والحســب التليــد
تنــدى خــلايقــه فقــل
فيهــا هي الروض المجــود
مغــض عن الإخــوان لا
جهــم اللقــاء ولا كنــود
أودى شهيــداً بــــاذلاً
مجهــوده نعــم الشهيــد
لــم أنســه حيــن المعــا
رف باسمــه فينــا تشيــد
ولــه صبــوب في طــلا
ب العلــم يتلــوه صعــود
للــه وقــت كــان ينــ
ــظمنــا كما نظم الفريــد

أيـــام نغـــــدو أو نـــرو

ح وسعينـــا السعي الحميـــد

وإذا المشيخـــــة جثـــــم

هضبـــات حلـــم لا تبيـــــد[1]

ومـــرادنـــا جـــــم النبـــا

ت وعيشنـــا خَضِرُ الْبُـــرود[2]

لهفي على الإخوان والـــ

ـــأتراب كلهـــم فقيـــــد

لو جيت أوطـــاني لأنـــ

ـــكرني التهايـــم والنجـــود

ولراع نفـــسي شيـــب من

غادرتـــه وهـــو الوليـــــد

ولطفـــت ما بيـــن اللحـــو

د وقد تكاثـــرت اللحـــــود

---

[1] في النفـح: ((لا تميـد)).
[2] نفسـه: ((خضِرٌ بَرود)).

سرعـــان ما عـــاث الحما

م ونحـــن إيقـــاظ هجـــود

كم رمت إعمـــال المســـ

ير فقيـــدت عـــزمي قيـــود

والآن أخلفـــت الوعـــــو

د وأخلقـــت تلـــك البـــرود

مـــا للفـــتى مـــا يبتـــغي

واللـــه[1] يفعـــل مـــا يريـــد

أعلى القديـــم الملـــك يـــا

ويـــلاه يعتـــرض العبيـــد

يا بَيْـــنُ قد طال المـــدى

أرعـــد وأبـــرق يا يزيـــد[2]

ولكـــل شـــيء غايـــــة

ولـــربمـــا لان الحديـــــد

---

[1] في النفـح: ((فاللـه)).

[2] نفسـه: ((أبـرق وأرعد يـا يزيـد))؛ وهـذا مقتبس مـن قـول الكميـت:

((أرعد وأبرق يا يزيـ * ـدُ فما وعيدك ضائـر))

إيـــه أبـــا عبـــد الإلـــ

ــه ودوننا مـــرمى بعيـــد

أيـــن الرسايـــل منك تـــأ

تينـــا كمـــا نُظِـــم[1] العقـــود

أيـــن الرســـوم الصالحـــا

ت تصرمت أيـــن العهـــود

أنعـــم مســـاء لا تخطتـــ

ـــك[2] البشايـــر والسعـــود

وأقـــدم على دار الرضـــا

حيـــث الإقامـــة والخلـــود

والـــق الأحبـــة حيـــث دا

رُ الملك والقصـــر المشيـــد

حـــتى الشهـــادة لم تفتـــ

ـــك فنجمك النجم السعيـــد

---

[1] في النفـح: ((نسـق)).
[2] نفسـه: ((تخطيـك)).

لا تبعدن وعــد[1] لَــوَ أنْ

الميــت[2] في الدنيــا يعــود

ولئــن[3] بليــت فإن ذكــر

ك في الدنا غــض جديــد

تــاللــه لا تنســاك أنــ

ـدية العلى ما اخضــر عــود

وإذا تسومــح في الحقــو

قِ فحقــــك الحــق الأكيــد

جــادت صداك غمامــة

يُــرْوَى[4] بها ذاك الصّعيــد

وتعهــدتــك من المهيــ

ـمــن رحمــة أبداً وجــود

***

---

[1] في النفـح: ((وعـداً)).
[2] نفسـه: ((البـدء)).
[3] نفسـه: ((فلئـن)).
[4] نفسـه: ((يـرمي)).

محمد بن يحيى

العبدري؛ من أهل فاس؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بالصدفي.

حالـه

قال الأستاذ في **صلته**[1]: إمام في العربية، ذاكر للغات والآداب، متكلم، أصولي مفيد، متفنن، حافظ، ماهر، عالم، زاهد، ورع، فاضل. أخذ علم العربية والآداب عن النحوي **أبي الحسن بن خروف**، وعن النحوي الأديب الضابط **أبي ذر الخشني**، وأكثر عنهما، وأكمل الكتاب على **ابن خروف**، تفقهاً وتقييدًا وضبطاً. وكان حسن الإقراء، جيد العبارة، متين المعارف والدين، شديد الورع، متواضعاً جليلاً، عالماً عاملا، من أجل من لقيته، وأجمعهم لفنون المعارف، وضروب الأعمال، وكان الحفظ أغلب عليه، وكان سريع القلم إذا كتب أو قيد، وسمعته يقول، ما سمعت شيئاً من أحد من أشياخي، من نكت العلم، وتفسير مشكلٍ، وما يرجع

[1] أي كتاب ((صلة الصلة))؛ لأستاذ أبي جعفر بن الزبير.

إلى ذلك، إلا وقيدته، ولا قيدت بخطي شيئاً إلا حفظته، ولا حفظت شيئاً فنسيته. هذا ما سمعت منه.

مشيخته

أخذ العربية عن الأستاذ **أبي الحسن بن خروف**، وعن النحوي الأديب الضابط **أبي ذر الخشني**. وأكثر عنه، وأخذ معهما عن **أبي محمد بن زيدان**، ولازم ثلاثتهم، وسمع وقرأ على الفقيه الصالح **أبي محمد صالح**، وأخذ[1] عن غير من ذكر.

دخوله غرناطة

قال: دخل **الأندلس** مراراً بيسير بضاعة كانت لديه يتجر فيها، ودخل **إشبيلية**. وتردد آخر عمره إلى **غرناطة ومالقة**؛ إلى حين وفاته.

---

[1] في الزيتونة: ((وأكثر)).

وفاتـه

تـوفي رحمـه الله شهيداً بمـرسى جبـل الفتـح. دخـل عليهـم العـدو فيـه. فقاتـل حيـن قتـل؛ وذلـك سنة أحـد[1] وخمسيـن وستمايـة[2]؛ وسمعتـه يتوسـل إلـى الله، ويسألـه الشهـادة.

***

[1] صوبهـا د. طويـل؛ فجعلهـا: ((إحـدى)).
[2] الموافـق لـ 1253م.

***

محمد بن أحمد

ابن إبراهيم بن الزبير[1] من أهل غرناطة؛ ولد الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير؛ يكنى أبا عمرو.

حالـه

هذا الشيخ سكيت حلبة، ولد أبيه في علو النباهة إلا أنه لوذعي فكه، حسن الحديث، رافض للتصنع ركض طرف الشبيبة في ميدان الراحة، منكباً عن سنن أبيه وقومه، مع شغوف[2] إدراك، وجودة حفظ، كانا يطمعان والده في نجابته، فلم يعدم قادحاً. ورحل إلى **العدوة**، وشرَق[3] ونال حظوة، وجرت عليه خطوب. ثم عاد إلى **الأندلس** على معروف رسمه يتكور بها، وهو الآن قد نال

---

[1] لـه ترجمـة أيضاً في نفح الطيب.
[2] في النفـح: ((شفوف)).
[3] أي رحـل إلى المشـرق.

منه الكبر. يزجي الوقت[1] **بمالقة**، متعللاً بوقف من بعض الخدم المخزنية[2]، لطف الله به.

مشيختـه

استجاز له والده الطّم والرّم، من أهل **المغرب والمشرق**، ووقف عليه منهم في الصِّغَر وقفاً لم يغتبط به عمره، وادَّكره الآن بعد أمةٍ، عندما نقر عنه لديه، فأثرت به يده من علو رواية، وتوفر سبب مبرة، وداعيةٍ إلى إقالة عثرة، وستر هيبة شيبةٍ. فمن ذلك الشيخ الإمام **أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد المشدالي**، إجازة ثم لقاء وسماعاً، والشيخ الخطيب الراوية **أبو عبد الله بن غريون**. وأجازه الأستاذ **أبو إسحق الغافقي**، **وأبو القاسم ابن الشاط**، والشريف **أبو العباس أحمد الحسني**، والأستاذ الإمام **أبو الحسين عبد الله بن أبي الربيع القرشي** نزيل **سبتة**. **ومحمد بن صالح بن أحمد بن محمد**

[1] في النفح: ((لوقته)).
[2] أي الإدارية.

الكتاني الشاطبي ببجاية، والإمام **أبو اليمن بن عساكر** بالمسجد الحرام، **وابن دقيق العيد** وغيرهم. ومن أهل **الأندلس أبو محمد بن أبي السداد، وأبو جعفر بن الزيات، وأبو عبد الله بن الكماد، وأبو عبد الله بن ربيع الأشعري، وأبو عبد الله بن برطال، وأبو محمد عبد المنعم بن سماك**، والعدل **أبو الحسن بن مستقور**. وأجازه من أهل **المشرق والمغرب**، عالم كبير.

شعـره

وبضاعته فيه مزجاة، فمن ذلك ما خاطبني به عند إيابي من **العدوة** في غرض الرسالة عن السلطان[1]:

نــوالي الشكر للرحمــن فرضــاً
علــم نعم كســت طولاً وعرضــاً

[1] **البحر الوافر.**

وكم لله من لطيف خفي
لنا منه الذي يشاء[1].... [2] وأمضى

بمقدمك السعيد أتت سعود
تنال[3] بها نعيم الدهر محضاً

فيا بشرى لأندلسٍ بما قد
به والاك بارينا وأرضى

ويا لله من سفر سعيد
قدَ أقْرضت[4] المهيمن فيه قرضاً

نهضت[5] بنيةٍ أخلصت فيها
فأتت[6] بكل ما يبغي ويرضى

وثبت لنصرة الإسلام لما
علمت بأن الأمر إليك أفضى

---

[1] **في النفح: ((قد شا))؛ حيث حذفت الهمزة للضرورة الشعرية.**
[2] **هذا البياض ورد في الإسكوريال.**
[3] **في النفح: ((ننال)).**
[4] **نفسه: ((قد اقرضك)).**
[5] **نفسه: ((ورحت)).**
[6] **نفسه: ((فأُبْت)). وهذا أسلم.**

لقد أحييـــت بالتقـــوى رسومـــــاً
كما أرضيــت بالتمهيد أرضــــــا
وقمـــــت بسنــــــة المختار فينـــا
تمهــد سنـــة وتقيـــــم فرضــــــا
ورضت من العلـــوم الصعب حتى
جنيـــت ثمارهـــا رطبـــاً وغضـــا
فرأيـــــك ناجـــح[1] فيمـــا تـــراه
وعزمـــك من مواضي الهند أمضى
تدبــــــر أمـــر مولانــــــا فيلـــقى
المسيء لديــك إشفاقـــاً وإغضـــا
فأعقبنـــــا شفـــــاً[2] وانبساطـــــاً
وقد كانت قلـــوب النـــاس مرضى
ومن أضحى على ظمـــإ وأمسى
يرد إن شـــاء من نعماك خوضـــا[3]

---

[1] في النفـح: ((راجـح)).
[2] نفسـه: ((شفـاء))؛ وهـو أسلـم.
[3] نفسـه: ((حوضـاً)).

أبا عبـــد الآلـــه إليـــك أشكـــو

حيـــن نــــابُ الفقـــــر عضــــا[1]

ومـــن نعمـــاك استجـــدي لباســـاً

يفيـــض[2] بــــه على الجـــاه فيضـــا

بقيـــت مؤمـــــلاً تـــرجى وتخـــشى

ومثلـــك مـــن إذا ما جـــاد أرضـــا

وفاتـه

تـوفي في التاسـع لمحـرم مـن عـام خمسـة وستيـن وسبعمايـة[3].

***

---

[1] ورد هذا الشطر في النفح هكذا: ((زمني حين ناب الفقر عضًّا))؛ وهذا أسلم.

[2] في النفـح: ((تفيـض)).

[3] الموافـق لـ 1363م.

محمد بن أحمد

ابن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني[1]؛
من أهل غرناطة؛ يكنى أبا أبكر؛ ويعرف بالقليعي.

أوليته

قد جرى من ذكره، وذكر بيته في الطبقات ما فيه كفاية[2].

حالـه

كان نبيه البيت، رفيع والدين، وأجمع على استقضائه أهل بلده بعد **أبي محمد بن سمحون**؛ سنة ثمان وخمسماية[3].

وفاتــه

توفي **بغرناطة**، أوايل صفر عشرة وخمسماية[4]. ودفن في روضة أبيه ذكره ابن الصيرفي وأطنب.

***

[1] لـه ترجمـة أيضاً في: التكملـة لكتـاب الصلـة، والذيـل والتكملـة.
[2] أورد ابـن الخطيـب ـ في الإحاطـة قبـل هذا ـ ترجمـة وافيـة لأبيـه.
[3] الموافق لـ 1114م.
[4] الموافق لـ 1116م.

محمد بن أحمد

ابن محمد الدوسي[1]؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن قطبة.

حالـه

من **عايد الصلة**: كان رحمه الله شيخ الفقهاء والموثقين، صدر أرباب الشورى، نسيج وحده في الفضل، والتخلق والعدالة، طرفاً في الخير، محبباً إلى الكافة، مجبولاً على المشاركة، مطبوعاً على الفضيلة، كهفاً للغرباء والقادمين، مألفاً للمتعلمين، ثِمالاً للأسرى والعانين، تخلص منهم على يديه أمم، لقصد الناس إياه بالصدقة، مقصوداً في الشفاعات، معتمداً بالأمانات، لا يسدل دونه ستر، ولا تحجب عنه حرمة، فقيها حافظاً، إخبارياً محدثاً ممتعاً، متقدماً في صناعة التوثيق، حسن المشاركة في غيرها، كثير الحض على الصدقة في المحول والأزمات، يقوم في ذلك مقامات حميدة، ينفع الله بها

---

[1] سمي في تاريخ قضاة الأندلس: ((أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن قطبة الدوسي)).

الضعفاء، وينقاد الناس لموعظته، ويؤثر في القلوب بصدقه. فقد بفقدانه رسم من رسوم البر والصدقة.

مشيختـه

قرأ على الأستاذ الكبير **أبي جعفر بن الزبير**، والخطيب ولي الله **أبى الحسن بن فضيلة**، وروى عن الشيخ الوزير المسن المحدث **أبي محمد عبد المنعم بن سماك**، **وأبي القاسم بن السكوت المالقي**، والخطيب **أبي عبد الله بن رُشيد**، والقاضي **أبي يحيى بن مسعود**، والعدل **أبي علي البجلي، وأبي محمد عبد المؤمن الخولاني**، وأجازه جماعة من أهل **المشرق والمغرب**، وناب عن بعض القضاة **بغرناطة**. ولد عام تسعة وستين وستماية[1]، وتوفي في الثالث لربيع الأول من عام ثمانية وثلاثين وسبعماية[2]. وكانت جنازته مشهودة.

***

---

[1] **الموافق لـ 1270م.**
[2] **الموافق لـ 1337م.**

محمد بن إبراهيم

ابن عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن رويبل الأنصاري؛
من أهل غرناطة؛ ويكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن السراج؛
طليطلي الأصل؛ طبيب الدار السلطانية.

حاله

من **العايد**: كان رحمه الله من أهل التفنن والمعرفة متناهي الأبهة والحظوة، جميل الصورة، مليح المجالسة، كثير الدعابة والمؤانسة، ذاكراً للأخبار والطرف، صاحب حظ من العربية والأدب والتفسير، قارضاً للشعر، حسن الخط، ظريف الوراقة، طرفاً في المعرفة بالعشب، وتمييز أعيان النبات، سنياً، محافظاً، محبا في الصالحين، ملازماً لهم، معتنياً بأخبارهم، متلمذاً لهم. انحاش إلى الولي أبي عبد الله التونسي، وانقطع إليه مدة حياته، ودون أحواله وكراماته. وعين ريع ما يستفيده في الطب صدقة على يديه، أجرى ذلك بعد موته لبنيه. ونال حظاً عريضاً من جاه السلطان، فاطرح حظ نفسه مع المساكين والمحتاجين، فكان على بأوه على أهل الدنيا، يوثر ذوي الحاجة،

ويخف إلى زيارتهم، ويرفدهم، ويعينهم على معالجة عللهم.

مشيختـه

قرأ الطب على الشيخ الطبيب نسيج وحده **أبي جعفر الكزني**، رييس الصناعة في وقته، ولقي فيه الأستاذ إمام التعاليم والمعارف **أبا عبد الله الرَّقوطي المرسي** وغيره؛ وقرأ القرآن على المقري الشهير **أبي جعفر الطباع** بالروايات السبع، والعربية على الأستاذ **أبي الحسن ابن الصايغ الإشبيلي**، وأكثر القراءة على شيخ الجماعة العلامة **أبي جعفر بن الزبير**.

تواليفـه

ألف كتباً كثيرة؛ منها **في النبات والرؤيا**، ومنها كتاب سماه ((**السِّرُّ المُذاع في تفضيل غرناطة على كثير من البقاع**)).

شعـره

مـن ذلـك قولـه ملغـزاً فـي المطـر[1]:

وما زايــر مهما أتى ابتهجــت به
نفوس وعم الخلــق جوداً وإحسانــا
يقيم فيشكــو الخلــق منــه مقامـــه
ويكربهــم طـــــرا إذا عنهــم بانا
يســـر إذا وافـــى ويكـــرب إن نأى
ويكره منه الوصـــل إن زار أحياناً
وأعجب شيء هجر حب مواصـــل
به حين يطل هواه إن لم يطل خانـــا

محنتـه

ذكـر أنـه لما تـوفي السلطان ثـاني الملـوك مـن **بـني نصـر**[2] فجأة، وهـو يصـلي المغـرب، وباكـر الطبيـب بابـه غـداة ليلـة موتـه. سـأل عـن الطعـام القريـب عهـد موتـه بتناولـه، فأخـبر

[1] البحـر الطويـل.

[2] هـو محمـد بـن محمـد بـن يوسـف؛ الملقـب بالفقيـه؛ ثـاني ملـوك بـني نصـر بمملكـة غرنـاطـة. تـولى الملـك بعد وفـاة أبيـه محمـد بـن يوسـف (ابـن الأحمـر الكبيـر) فـي سنـة (671هـ/1272م؛ وبـقي فـي الحكـم حتـى وفاتـه سنـة 701هـ/1301م. ولـه ترجمـة في الإحاطـة.

أنه تناول كعكاً وصلته من ولي عهده، فقال كلاماً أوجب نكبته، فامتحن بالسجن الطويل، والتمست الأسباب الموصلة إلى هلاكه، ثم أجلي إلى **العدوة**. ثم دالت الأيام، فعاد إلى وطنه؛ مستآنفاً ما عهده من البر وفقده من التجلة.

ميلاده

بغرناطة عام أربعة وخمسين وستماية[1].

وفاته

ليلة الخميس التاسع من شهر ربيع الأول من عام ثلاثين وسبعماية[2].

***

[1] **الموافق لـ 1256م.**
[2] **الموافق لـ 1329م.**

محمد بن ابراهيم

ابن عبد الله بن أبي زمنين المري[1]؛ يكنى أبا عبد الله[2]؛ وبيته معلوم.

حالـه

كـان مـن أهـل المعرفـة والنبـل والذكـاء

مشيختـه

قرأ القرآن على **أبي بكر بن النفيس، وأبي عبد الله ابن شهيد المرّي** المقري **بطخشارش** من **غرناطة**. ودرس الفقه عند المشاور **أبي عبد الله بن ملك**[3] المقري، **وأبي الحسن علي بن عمر بن أضحى**، وعلى غيرهما من شيوخ **غرناطة**.

---

[1] لـه ترجمـة في كتـاب الذيـل والتكملـة؛ وسـمي فيـه: ((محمـد بـن إبراهيـم ابـن محمـد بـن عبـد اللـه بـن أبي زمنيـن)).
[2] في الذيـل والتكملـة: ((أبـو بكـر)).
[3] في الذيـل: ((مالـك)).

وفاتـه

تـوفي سنـة أربعيـن وخمسمايـة[1].

قلـت: وإنما ذكـرت هـذا المترجـم بـه مـع كـوني اشترطـت صـدر خطبتـه، ألا أذكـر هـذا النمـط لمكـان مصاهـرتي فـي هـذا البيـت. ولعـل حافـد هـذا المترجـم بـه مـن ولـدي، يطلـع عـلى تعدادهـم وذكرهـم فـي هـذا التأليـف وتردادهـم؛ فيكـون ذلـك محرضـاً لـه عـلى النجابـة. محرضـاً للإجابـة، جعلنـا اللـه ممـن انتـمى للعلـم وأهلـه، واقتـفى مـن سننـه واضـح سبلـه.

***

[1] الموافـق لـ 1145م.

محمد بن جابر

ابن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي[1]
الوادي آشي الأصل والمعرفة، التونسي الاستيطان،
يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن جابر.

حاله

من **عايد الصلة**: نشأ **بتونس**، وجال في البلاد **المشرقية والمغربية**، واستكثر من الرواية ونقب عن المشايخ، وقيد الكثير، حتى أصبح جماعة **المغرب**، وراوية الوقت. ثم قدم **الأندلس** ظريف النزعة، عظيم الوقار، قويم السمت، يأوي في فضل التعيش إلى فضل ما كان بيده، يصرفه في مصارف التجارة. وقعد للإسماع والرواية، وانتقل إلى **بلش**، فقرأ بها القرآن العظيم والروايات السبع، على الخطيب **أبي جعفر بن الزيات**. ثم رحل إلى **المغرب**، ثم أعاد الرحلة **الحجازية**، وأعرق،

---

[1] **له ترجمة في: التعريف بابن خلدون، والديباج المذهب، ونفح الطيب.**

فلقي أمة من العلماء والمحدثين، وأصبح بهم شيخ وحده، انفساح رواية، وعلو إسناد.

مشيخته

من شيوخه: قاضي الجماعة **بتونس أبو العباس بن الغماز الخزرجى البلنسي**، وقاضي الجماعة بها **أبو إسحق ابن عبد الرفيع**، وقاضي قضاة **الديار المصرية بدر الدين ابن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة ابن صخر الكناني**. وقاضي الجماعة **ببجاية أبو العباس الغبريني، وسراج الدين أبو جعفر عمر بن الخضر بن طاهر بن طراد بن إبراهيم بن محمد بن منصور الأصبحي، وأبو محمد عبد الغفار بن محمد السعدي المصري، ورضي الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الخليلي الجعفري. وشرف الدين أبو عبد الله بن الحسن بن عبد الله** بن الحافظ **عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي. وأبو الفضل أبو القاسم بن حماد بن أبي بكر بن عبد الواحد الحضرمي اللبيد. وعبد الله بن يوسف بن موسى الخلاسي. وعبد الله بن محمد بن هرون، وإبراهيم بن محمد بن**

أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحاج التجيبي، وأحمد ابن يوسف بن يعقوب بن علي الفهرى اللبلي[1]، وولده جابر بن محمد بن قاسم معين الدين، وعز الدين أبو القاسم بن محمد بن الخطيب، وجمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن الصفار، وأبو بكر بن عبد الكريم ابن صدقة العزفي، ومحمد بن إبراهيم بن أحمد التجيبي، وأبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن عقاب الجذامي الشاطبي، وعبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسدي القيرواني، وأبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري[2]، وعلي بن محمد بن أبي القاسم بن رزين التجيبي، وأحمد بن موسى ابن عيسى البطرني[3]، وغير القضاة **فخر الدين أبو محمد عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير، وتقي الدين محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري،** وصدر النحاة **أبو حيان، وظهير الدين أبو محمد بن عبد الخالق المخزومي**

---

[1] نسبة إلى مدينة لبلة المتواجدة غرب الأندلس.
[2] نسبة إلى بلدة قبتور أو كبتور؛ نواحي إشبيلية.
[3] نسبة إلى بلدة بطرنة؛ التي تقع في شمال غربي بلنسية.

المقدسي الدلاصي، **ورضي الدين بن إبراهيم بن أبي بكر الطبري**، والمعمر **بهاء الدين أبو محمد القاسم بن مظفر بن محمود بن هبة الله بن عساكر الدمشقي**. وأما من كتب إليه فنحو ماية وثمانين من أهل **المشرق والمغرب**.

قدم **غرناطة** في أول عام ستة وعشرين وسبعماية[1]، فهو باعتبار أصله أصلي، وباعتبار قدومه طارئ وغريب.

تواليفه

له تواليف حديثية جملة، منها ((**أربعون حديثاً**))؛ أغرب فيها بما دل على سعة خطوه وانفساح رحله.

وفاته

كان حيا سنة أربعين وسبعماية[2]، وبلغنى أنه توفي عام سبعة بعدها.

***

---

[1] **الموافق لـ 1325م.**
[2] **الموافق لـ 1339م.**

محمد بن خلف

ابن موسى الأنصاري الأوسي[1]؛ من أهل إلبيرة؛
يكنى أبا عبد الله.

حاله

كان متكلماً، واقفاً على مذاهب المتكلمين، متحققاً برأي الأشعرية، ذاكراً لكتب الأصول والاعتقادات، مشاركاً في الأدب، مقدماً في الطب.

مشيخته

روى عن: **أبي جعفر بن محمد بن حكم بن باق، وأبي جعفر بن خلف بن الهيثم، وأبوي الحسن بن خلف العنسي، وابن محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن حمدين، وأبوي عبد الله بن عبد العزيز الموري، وابن فرج** مولى الطلاع، **وأبي العباس بن محمد الجذامي، وأبي علي الغساني، وأبي عمرو زياد بن الصفار، وأبي القاسم أحمد بن عمر**. وأخذ علم الكلام عن **أبي بكر بن الحسن المرادي، وأبي جعفر بن محمد بن باق، وأبي الحجاج بن**

---

[1] **لـه ترجمـة في: التكملـة لكتـاب الصلـة، والذيـل والتكملـة، ونفـح الطيـب.**

موسى الكلبي. وتأدب في بعض مسائل النحو **بأبي القاسم ابن خلف بن يوسف بن فرتون بن الأبرش.**

من روى عنه

روى عنه: **أبو إسحق بن قرقول، وأبو خالد المرواني، وأبو زيد بن نزار، وأبو عبد الله بن الصيقل المرسي، وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن سمعان، وأبو الوليد بن خيرة.**

تواليفه

من تواليفه: ((**النكت والأمالي في الرَّد[1] على الغزالي**))، و((**الإيضاح[2] والبيان في الكلام على القرآن**))، و((**الوصول[3] إلى معرفة الله ونبوة الرسول**))، و((**رسالة الاقتصار[4] على مذاهب الأيمة الأخيار**))، و((**رسالة البيان في[5] حقيقة الإيمان**))، و((**الرد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء**)) الواقعة له في الجزء

[1] في التكملة لكتاب الصلة: ((في النقض)).
[2] سقطت كلمة ((الإيضاح)) في الذيل والتكملة.
[3] في التكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة: ((الأصول)).
[4] نفسهما: ((الانتصار)).
[5] نفسهما: ((عن)).

الأول من مقدماته، و((**شرح مشكل ما وقع في الموطإ وصحيح**[1] **البخاري**))، وقد كان شرع في تصنيفه عام ثمانية عشر وستماية[2] في شوال منه، وبلغ في الكلام فيه إلى النكتة الرابعة والخمسين، وقطعت به قواطع المرض، وشرع في معالجة **العين** لرؤيا رآها، يقال له: ((**ألفت في نور البصيرة، فألف في نور البصر تنفع وتنتفع**))، فأقبل على تأليفه في مداواة العين، وهو كتاب جم الإفادة، ثم أكمل النكت.

شعره

وكان له حظ من قرض الشعر، فمن ذلك ما مدح به إمام الحرمين **أبا المعالي الجويني**[3]:

حب حبر يكنى أبا المعالي[4]

هو ديني ففيه لا تعذلوني

---

[1] في التكملة: ((وكتاب)).
[2] الموافق لـ 1221م. وفي الزيتونة، والتكملة، والذيل: ((عام ثمانية عشر وخمسمائة)) الموافق لـ 1124م. وهو صحيح.
[3] البحر الخفيف. وهذا الإمام هو يوسف بن عبد الله بن عبد الملك الجويني.
[4] في الذيل، ونفح الطيب: ((أباً للمعالي)).

أنـــاو اللـــه مغـــرم في هـــواه[1]
عللــوني بــذكــره عللــــوني

مولـده

ولـد يـوم الثلاثـاء لإثنـتي عشـرة ليلـة خلـت مـن ربيـع الآخـر سنـة سبـع وخمسيـن وخمسمايـة[2].

***

[1] في الذيـل، ونفـح الطيـب: ((بهـواه)).
[2] الموافـق لـ 1161م. وذكـر في الذيـل والتكملـة: ((وتـوفي في جمـادى الآخـرة سنـة سبـع وثلاثيـن وخمشمائـة)).

محمد بن محمد

ابن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني[1]؛ غرناطي؛
يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بالشريشي.

حالـه

من أهل التصاون والحشمة والوقار، معرق في بيت الخيرية والعفة، وكان والده صاحبنا رحمه الله آية في الدؤوب والصبر على انتساخ الدواوين العلمية والأجزاء، بحيث لا مظنة معرفة أو حجرة طلب تخلو عن شيء من خطه إلا ما يقل، على سكون وعدالة وانقباض وصبر وقناعة. وأكتب للصبيان في بعض أطواره. ونشأ ابنه المذكور، ظاهر النبل والخصوصية مشاركاً في فنون، من عربية وأدب وحساب وفريضة، وتصرف في الشهادة المخزنية برهة، ثم نزع عنها انقيادا لداعي النزاهة، وهو الآن بحاله الموصوفة.

[1] لـه ترجمـة في: الكتيبـة الكامنـة، ونفـح الطيـب.

شعـره

وشعره من نمط الإجادة، فمن ذلك قوله [1]:

بي شـــادن أهيــف مهمى انثـــنى
يحكي تثنيه القضيــب الرطيــب
ذو غـــرة كالبـــدر قـــد أطلعـــت
فـــوق قضيب نابت في كثيــب
خضت حشا الظلمـــاء من حبه
أختلـــس الوصل حـــذار الرقيــب
فبـــت وللوصـــل[2] لنـــا ثالـــــث
يضمنـــا ثـــوب عفـــاف قشيــب
حـــتى إذا ما الليـــل ولى وقـــد
مالت نجوم الأفق نحو الغـــروب
ودعتـــه والقلـــــب ذو لوعـــة
أسيل[3] من ماء جفـــوني غـــروب

---

[1] البحـر السريـع.
[2] في الكتيبـة الكامنـة: ((والوصـل))؛ وهـذا أسلـم وأصـوب.
[3] نفسـه: ((أسيـل)).

فلســـت أدري حيـــن أودعتـــــه[1]
قلـــب بأضـــلاعي غدا أم قليـــب

ومن ذلك في النسيب[2]:

يا أجمـــل النـــاس ويا من غدت
غرتـــه تمحـــو سنـــا الشمـــس
أنعـــم على عبـــدك يـــا مالـــكي
دون اشتـــراء ومنـــى نفـــسي
بأن تـــرى وسطى لعقـــدي وأن
تعيـــد ربـــعي كامـــل الأنـــس
فـــإن تفضلـــت بمـــا ارتـــجي
ابقيتـــني في عالـــــم الإنـــــس
وإن تكـــن ترجعـــني خايبـــــاً
فإنـــــني أدرج فـــــي رمـــس[3]

---

[1] في الكتيبـة الكامنـة: ((ودعتـه)).
[2] البحـر السريـع.
[3] في الكتيبـة: ((رمـسي)).

وقال في فضل العلم[1]:

يا طالب العلم اجتهد إنه
خير من التالد والطارف
فالعلم يذكو[2] قدر إنفاقه
والمال إذا[3] أنفقته تالف

وتراقَّى إلى هذا العهد بإشارتي إلى التي لا فوقها من تعليم ولد السلطان، والرياسة القرآنية بباب الإمارة، والإمامة بالمسجد الجامع من القلعة[4] حميد الطريقة في ذلك كله، معروف الحق، تولاه الله.

مولده

عام ثمانية عشر وسبعماية [5].

***

[1] البحر السريع.
[2] في الكتيبة: ((يزكو)).
[3] نفسه: ((إن))؛ وهو أسلم.
[4] هي القلعة أو القصبة الحمراء؛ الملاصقة للقصر السلطاني بغرناطة.
[5] الموافق لـ 1318م.

محمد بن محمد

ابن علي بن سُودة المُرّي؛ يكنى أبا القاسم

أوليته

من نبهاء بيوتات **الأندلس** وأعيانها، سكن سلفه **البشارة**[1]، **بشارة بني حسان**، وولى جده الأشغال، حميد السيرة، معروف الإدانة.

حاله

هذا الفتى من أهل الخصوصية والسكون والحياء، المانع عن كثير من الأغراض. مال إلى العلوم العقلية، فاستظهر على المُماسَّة في بعض أغراضها بالدُّؤوب والعكوف، والمورَّيْن تأثير حبل الرَّكيَّة في جحرها، فتصدر للعلاج، وعانى الشعر، وأُرْسم في الكتابة، وعد

---

[1] البشارة أو البشارات Alpujarras: هي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب سفوح جبل شلير (سييرا نيفادا Sierra Nevada). وهي مشهور بخصوبة أرضها، وحدائقها المثمرة.

من الفضلاء، وظهرت على عباراته اصطلاحات الحكماء، وتشوف إلى العهد للرحلة **الحجازية**، والله ييسر قصده.

مشيخته

قرأ الطب والتعديل على الحبر طبيب الدار السلطانية، فارس ذينك الفنين، **إبراهيم بن زرزار اليهودى**؛ ورحل إلى **العدوة**، فقرأ على الشريف العالم الشهير، رحلة الوقت في **المغرب أبي عبد الله العلوى،** وبلقيايه نجح.

شعره

أنشد السلطان قوله[1]:

جـــاد الحمى صوب الغمـــام هتونه
تـــزجي البـــروق سحابـــه فتعينـــه
وســـقى ديار العامريـــــة بعدمـــا
وافـــى الجرعا[2] الكثيـــــب معينـــه

[1] البحر الكامل.
[2] جعلها د. طويل: ((بجرعاء)).

ينــدى بــأفنــان الأراك كأنـــــه

عقــد تناثـــــر بالعقيــق ثمينـــــه

ومـــحى الكثيـــب سكوبه فكأنـــــه

خــط تطلـــس ميمـــه أو نونـــــه

حـــتى إذا الأرواح هبـــت بالضحى

مسحـــت عليـــه بالجنـــاح تبينـــه

وكأنـــه والرعـــد يحـــدو خلفـــــه

صب يطـــول إلى اللقـــاء حنينـــــه

أو ســـح دمـــعي فوق أكناف اللوى

جـــادت بلؤلـــؤة النفيـــس عيونـــه

والبـــرق في حلـــل السحاب كأنـــه

مكنـــون سر قد أذيع[1] مضمونـــــه

أو ثـــوب ضافية الملابس كاعـــب

عمـــدت بحاشيـــة النضار تزينـــه

هـــن الديـــار برامـــة لا دهرهـــا

سلـــس القيـــاد ولا العتـــاب يلينـــه

[1] جعلها د. طويل: ((يَذِعْ)).

ولقــد وقفــت برسمهــا فكأنــني

من ناحــل الأطــلال فيــه أكونــه

قلــبي بــذاك اللـــــوى خلفتــــه

ألــوى بمزدلــف الرفــاق ظعينــه

لا تســل[1] العــذال عــني فالهــوى

ذا يخامـــــر بالضلــوع دفينــــه

إن يخف عن شرحي حديــث زميرتي

فعــلى الفنــون فريضـــة تبينيــه

عجبــاً لدمــعي لا يكــف كأنمـــا

جــدوى أبي عبــد الالــه هتونــه

مــحي المكـــارم بعد ما أودى بهـــا

زمــن تقلــب بالكـــرام خؤونـــــه

مولى الملــوك عميــد كل فضيلـــة

علق الزمـــان ثمينــــه ومكينــــه

---

[1] جعلها د. طويل: ((لا تَسْأل)).

يضـــفي إلى داعي النـــدى فيهـــزه

وبملتقى الجمعيـــن طال سكونـــــه

من ذا يسابـــق فضلـــه لوجـــــوده

ويلـــج فيض البحـــر فاض يمينـــه

إن تلقـــه تلـــق الجمـــال وقـــــاره

والحلـــم طبـــع والسماحـــة دينـــه

غمـــر الأنام نواله ومحـــا الضلا

ل رشـــاده وجـــلا الظلام جبينـــه

أحيا رســـوم الدين وهـــي دوارس

ولطالمـــا صـــدع الشكـــوك يقينـــه

شمس الهدى حتف العدا محي الندا

بحـــر الجـــدا طول المدى تمكينـــه

ليث الشرى غوث الورى قمر السُّرى

ســـن القِــرَى عَـــمَّ القُـــرَى تأمينه

فلبأســـه يـــوم الـــوغى ولعزمـــــه

جـــاش الهزبـــرإذا الهزبر يخونـــه

لا تســـــل[1] الهيجـــاء عنـــه إنـــه
يصل المراد كمـــا تحـــب ظنونـــه
لو كان يشغلـــه المنـــام عن العـــلا
هجـــر المنـــام وباعدتـــه جفونـــه
وإذا تطاولـــت الملـــوك بماجـــــد
بمحمـــــد دون الأنـــــام يكونـــــه
يا ابن الألى نصـــروا الرسول ومن بهم
نطـــق الكتـــــاب فصيحـــه ومبينـــه
خصـــوا ببيعتـــه وحامـــوا دونـــه
نهج الرضـــا حتى تقـــاوم دينـــــه
أمعاضـــد الإسلام أنـــت عميـــده
وخليفـــة الرحمـــن أنـــت أمينـــه
لم يبـــق إلا من بسيفـــك طايـــــع
وألفنـــش[2] في أقـــصى البلاد رهينه

[1] جعلها د. طويل: ((لا تَسْأل)).
[2] حذف د. طويل ((الواو)). واسم ألفنش يطلقه مسلمو الأندلس على ملوك النصارى؛ والمقصود هنا هو ملك قشتالة بالذات.

وبجيشـــــك المنصـــور لو لاقيتـــه
أدرى بمشتجــر الرمـــاح طعينـــه
ولو اصطنعــت إلى العــدو إدالـــة
طاعــت إليــك بــلاده وحصونـــه
خذهـــا إليك قصيـــدة من شاعـــر
حلـــو الكـــلام مهـــذب تبيينـــــه
جعـــل القـــوافي للمعـــالي سلمـــاً
فجنى القريـــض كما اقتضته فنونـــه
غـــطى هـــــواه عقلـــــه واقتـــاده
يحـــصي النجـــوم جهالـــة تزيينـــه

ولـو أخذتـه أيـدي التحرير والنقـد، لـرجي أن يكـون شاعـراً، وبالجملة فالرجـل معـدود مـن السـراة بيتـاً وتخصصـاً.

***

محمد بن عبد العزيز

ابن سالم بن خلف القيسي؛ منكبي[1] الأصل؛ يكنى أبا عبد الله، طبيب الدار السلطانية.

حاله

من **عايد الصلة**: كان رحمه الله فذا في الانطباع واللوذعية، حين المشاركة في الطب، مليح المحاضرة، حفظة، طلعة، مستحضراً للأدب، ذاكراً لصناعة الطب، أخذها عن إمام وقته، **أبي جعفر الكزني**، وانتصب للعلاج، ثم انتقل إلى الخدمة بصناعته بالباب السلطاني، وولي الحسبة، ومن شعره يخاطب السلطان على ألسنة أصحابنا الأطباء الذين جمعتهم الخدمة ببابه يومئذ، وهم: **أبو الأصبغ بن سعادة، وأبو تمام غالب الشقوري[2]:**

---

[1] أي من سكان ثغر المنكب Almunecar؛ المتواجد شرقي مالقة؛ على ساحل البحر الأبيض المتوسط

[2] البحر الخفيف.

قــد جمعنـــا بابكــم سطر علــم

لبلــوغ المــنى ونيــل الإرادة

ومِنَ أْسمائنـــا لكم حسن فـــال

غالـــب ثـــم سالـــم وسعـــادة

وفاتـه

تـوفي في شهر رجب من عام سبعة عشر وسبعماية[1].

***

[1] الموافق لـ 1317م.

محمد بن عبد الله

ابن أبي زمنين[1]؛ من أهل إلبيرة؛ يكنى أبا عبد الله.

حاله

من **الملاحي**[2]: قال ولي الأحكام، وكان فقيها نبيها.

وفاته

توفي **بغرناطة** في عشر الستين وأربعمائة[3]. قلت: قد تقدم اعتذاري عن إثبات مثله في هذا المختصر؛ فلينظر هناك إن شاء الله.

***

[1] لـه ترجمـة في: مطمح الأنفس، ونفح الطيب.
[2] هو أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي؛ المعروف باسم الملاحي. الملاحي صاحب كتاب تاريخ علماء إلبيرة. ولـه ترجمـة في الإحاطـة.
[3] الموافق لـ 1067م.

محمد بن عبد الله

ابن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي زمنين عدنان بن بشير بن كثير المري.

حاله

كان من كبار المحدثين والعلماء الراسخين، وأجل وقته قدراً في العلم والرواية والحفظ للرأي والتمييز للحديث، والمعرفة باختلاف العلماء متفنناً في العلم، مضطلعاً بالأدب، قارضاً للشعر، متصرفاً في حفظ المعاني والأخبار، مع النسك والزهد، والأخذ بسنن الصالحين، والتخلق بأخلاقهم. لم يزل أمة في الخير، قانتاً لله، منيباً له، عالماً زاهدا صالحاً خيراً متقشفاً، كثير التبتل والتزلف بالخيرات، مسارعاً إلى الصالحات، دايم الصلاة والبكاء، واعظاً، مذكراً بالله، داعياً إليه، ورعاً ملبي الصدقة، معيناً على النايبة، مواسياً بجاهه وماله، ذا لسانٍ وبيان، تصغي إليه الافئدة، فصيحاً، بهياً، عربيا شريفاً، أبي النفس، عالي الهمة، طيب المجالسة، أنيس المشاهدة،

ذكياً، راسخاً في كل جم من العلوم، صيرفياً جهبذاً، ما رؤي[1] قبله ولا بعده، مثله.

مشيخته

سكن **قرطبة**، وسمع بها من: **أحمد بن مطرف**، **ووهب بن مسرة الحجاري**، وعن **أبان بن عيسى بن محمد ابن دنير**، وعن والده **عبيد الله بن عيسى**.

من روى عنه

روى عنه الزاهد **أبو اسحق إبراهيم بن مسعود الإلبيري**، وغيره.

تواليفه

ألف ((**كتاب المُغْرب في اختصار المدونة**))؛ ثلاثين جزءاً؛ ليس في المختصرات مثله بإجماع، و((**المهذب في**

[1] في الإسكوريال: ((رىء)).

تفسير الموطأ))، و((**المشتل في أصول الوثايق**))، و((**حياة القلوب**))، و((**أنس الفريد**))، و((**منتخب الأحكام**))، ((**والنصائح المنظومة**))، و((**تفسير القرآن**)).

مولده

في المحرم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة[1].

وفاته

توفي في شهر ربيع الثاني عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة[2]؛ بحاضرة **إلبيرة**، رحمه الله ونفع به.

***

[1] **الموافق لـ 935م.**
[2] **الموافق لـ 1007م.**

محمد بن عبد الرحمن

ابن الحسن بن قاسم بن مشرف بن قاسم بن محمد بن هاني اللخمي القايصي[1]؛ يكنى أبا الحسن.

حاله

كان وزيراً جليلاً، فقيهاً رفيعاً، جوادا، أديباً، جيد الشعر، عارفاً بصناعة النحو والعروض، واللغة والأدب والطب، من أهل الرواية والدراية.

مشيخته

روى عن الحافظ **أبي بكر بن عطية**، **وأبي محمد بن عتاب، وأبي الوليد بن رشد** القاضي الإمام، والقاضي **أبي محمد عبد الله بن علي بن سمجون.**

[1] له ترجمة في: التكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة.

شعره

من شعره قوله[1]:

يا حرقة البيـن كويـت الحشـا
حتى أذبـت القلب في أضلعـه
أذكيـت فيه النـار حتى غـدا
ينساب ذاك الذوب من مدمعـه
يا سؤل هذا القلب حـتى مـتى
يوسى برشف الريق من منبعه
فـإن في الشهد شفـا للـورى[2]
لا سيما إن يصر من مكرعـه
واللـه يـدني منكـم عاجـلاً
ويبلـغ القلـب إلى مطمعـه

---

[1] البحر السريع.
[2] في النفح: ((شفاء الورى)).

مولـده

ولـد فـي الثلـث الأخيـر مـن ليلـة الجمعـة لثـلاث بقيـن لـذي حجـة سنـة ثمـان وتسعيـن وأربعمائـة[1].

وفاتـه

تـوفي فـي آخـر جمـادى الأخـرى سنـة سـت وتسعيـن وخمسمائـة[2].

***

[1] الموافـق لـ 1104م.

[2] الموافـق لـ 1199م.

محمد بن عبد الرحمن

ابن عبد السلام بن أحمد بن يوسف بن أحمد الغساني[1]؛
من أهل غرناطة؛ يكنى أبا عبد الله.

حالـه

كـان محدثًا نبيلاً حاذقاً ذكياً، ولـه شـرح جليـل علـى **كتـاب الشهـاب**[2]، واختصـار حسـن فـي **اقتبـاس الأنـوار للرشـاطي**. وكـان كاتبـاً وافـر الحـظ مـن الأدب، يقـرض شعـراً لا بـأس بـه.

مـن شعـره فـي ذكـر أنسـاب طبقـات العـرب[3]:

الشعـــب ثـــم قبيلـــة وعمـــارة
بطـــن وفخـــذ والفصيلـــة تابعـــة
فالشعـــب يجمـــع[4] للقبائـــل كلها
ثـــم القبيلـــة للعمـــارة جامعـــة

---

[1] لـه ترجمـة في: التكملـة لكتـاب الصلـة، والذيـل والتكملـة، ونفـح الطيـب.
[2] سمـاه الغسـاني ـ كمـا ورد في التكملـة ـ ((مستفـاد الرحلـة والاغتـراب))
[3] البحـر الكامـل.
[4] في النفـح: ((مجتمـع القبيلـة)).

والبطن تجمعه العمار[1] فاعلمـــن

والفخذ بجمعه[2] البطـــون الواسعة

والفخذ يجمع[3] للفصايـــل كلهـــا[4]

جـــاءت على نسق لها متتابعـــة

فخزيمـــة شعـــب وإن كنانـــــة

لقبيلـــة عنها الفصايل شاسعـــة[5]

وقريشها تسمـــو العبارة[6] يا فتى

وقـــصي بطن الأعـــادي[7] قامعة

ذا ما ثـــم[8] فخـــذ وذا[9] عباسهـــا

الاَّ[10] الفصيلـــة لا تنـــاط بسايعـــة

---

[1] في الذيـل، والنفـح: ((تجمعـه العمائـر)).
[2] نفسهمـا: ((تجمعـه)).
[3] في الذيـل: ((تجمـع)).
[4] في النفـح، والذيـل: ((هاكهـا)).
[5] نفسهمـا: ((شائعـة)).
[6] نفسهمـا: ((تسـمي العمـارة)).
[7] نفسهمـا: ((بطـنٌ للأعـادي)).
[8] في النفـح: ((ذا هاشـم))؛ وهـذا أسلـم وأصـوب.
[9] في الذيـل: ((ومـا)).
[10] في النفـح: ((أثـر)).

مولـده

ولـد **بغرناطـة** سنة ثمـان وستيـن وخمسمايـة[1].

وفاتـه

بمرسيـة في رمضـان تسـع عشـرة وستمايـة[2].

***

[1] الموافـق لـ 1172م.

[2] الموافـق لـ 1222م. جـاء في التكملـة: ((وتـوفي بمرسيـة في العشـرة الأواخـر مـن رمضـان سنـة تسـع عشـرة وستمائـة.

محمد بن عبد الواحد

ابن إبراهيم بن مفرج بن أحمد بن عبد الواحد بن حريث بن جعفر ابن سعيد بن محمد بن حقل الغافقي[1]؛ من ولد مروان بن حقل النازل بقرية الملاحة من قنب قيس؛[2] من عمل إلبيرة؛ يكنى أبا القاسم؛ ويعرف بالملاحي؛ وقد نقلنا عنه الكثير؛ وهو من المفاخر الغرناطية.

حالـه

كان محدثا راوية معتنيا، أديباً، مؤرخاً، فاضلاً جليلاً. قال الأستاذ في **الصلة[3]:** كان من أفضل الناس، وأحسنهم عشرة، وألينهم كلمة، وأكثرهم مروءة، وأحسنهم خلقاً وخلقاً. ما رأيت مثله؛ قدس الله تربته. وذكره صاحب **الذيل**[4]، الأستاذ **أبو عبد الله بن عبد الملك**، وأطنب فيه، وذكره المحدث **أبو عبد الله الطنجالي**، وذكره **ابن عساكر** في تاريخه.

---

[1] له ترجمة في: التكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة، والوافي بالوفيات، والمغرب في حلى المغرب.

[2] الملاحة **La Mala**: بلدة تابعة لمملكة غرناطة، وقنب قيس **Cambea**: وقد سبق التعريف بهذين الموضعين.

[3] هو كتاب صلة الصلة للأستاذ أبي جعفر أحمد بن الزبير.

[4] هو كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة؛ لأبي عبد الله محمد ابن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي.

مشيخته

روى عن أبيه **أبي محمد، وأبي القاسم بن بشكوال، وأبي العباس بن اليتيم،** وعالم كثير من غير بلده، ومن أهل بلده سوى أبيه، وعن **أبي سليمان داود بن يزيد بن عبد الله السعدي القلعي**، لازمه مدة، وعن **أبي خالد بن رفاعة اللخمي**، **وأبي محمد عبد الحق بن يزيد العبدري، وأبي جعفر عبد الرحمن بن الحسن بن القصير، وأبي بكر ابن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، وأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم، وأبي جعفر بن حكم الحصار، وأبي عبد الله بن عروس، وأبي الحسن ابن كوثر، وأبي بكر الكتندي، وأبي إسحق بن الجلا، وأبي بكر ابن زمنين، وأبي القاسم بن سمجون، وأبي محمد بن عبد الصمد بن محمد بن يعيش الغساني.** وكان من المكثرين في باب الرواية، أهل الضبط والتقييد والإتقان، بارع الخط، حسن الوراقة، أديباً بارعاً ذاكراً للتاريخ والرجال، عارفاً بالأنساب، نقاداً حافظاً للأسانيد، ثقة عدلاً، مشاركاً في فنون، سياسياً. وروى

عنه الأستاذ[1]، واعتنى بالرواية عنه وقال الأستاذ، حدثني عنه من شيوخي جماعة، منهم القاضي العدل أبو بكر بن المرابط.

تواليفه

ألف كتابه في **تاريخ علماء إلبيرة**، واحتفل فيه. وألف ((**كتاب الشجرة في الأنساب**))، وكتاب ((**الأربعين حديثاً**))، و((**كتاب فضايل القرآن**))، **وبرنامج روايته**، وغير ذلك.

مولده

سنة تسع وأربعين وخمسماية[2].

وفاته

توفي في شعبان سنة تسع عشرة وستماية[3] ببلده.

***

---

[1] **ابن الزبير.**
[2] **الموافق لـ 1145م.**
[3] **الموافق لـ 1232م.**

محمد بن علي

ابن عبد الله اللخمي؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بالشقوري؛ منسوباً إلى مدينة شقورة[1] ومنها أهله؛ صاحبنا طبيب دار الإمارة؛ حفظه الله.

حالـه

هـذا الرجـل طرف فـي الخيـر والأمانـة، فـذ فـي حسـن المشاركـة، نـقيٌّ فـي حـب الصالحيـن، كثيـر الهـوى إلـى أهـل التقـوى، حـذر مـن التفريـط، حريـص علـى التعلـق بجنـاب اللـه. نشـأ سابـغ رداء العفـة، كثيـف جلبـاب الصيانـة، متصـدراً للعـلاج في زمـن المراهقـة، معمـاً، مخـولاً فـي الصناعـة بـادي الوقـار فـي سـن الحشمـة. ثـم نظـر واجتهـد، فأحـرز الشهـرة بدينـه، ويمـن نقيبتـه، وكثـرة حيطتـه، ولطيـف علاجـه، ونجـح تجربتـه. ثـم كلـف بصحبـة الصالحيـن، وخـاض فـي السلـوك، وأخـذ نفسـه بالارتيـاض والمجاهـدة، حتـى ظهـرت عليـه آثـار ذلـك. واستدعـاه السلطـان لعـلاج نفسـه، فاغتبـط بـه، وشـد اليـد عليـه، وظهـر لـه فضلـه، وهـو لهـذا العهـد ببابـه، حميـد

---

[1] **شقـورة Segura de la Sierra؛ بلدة تابعـة لجيـان؛ وتقـع شمـال شـرقي أبـدة، وشمـال غـربي مرسيـة؛ وبالقـرب مـن نـهـر شقـورة.**

السيرة، قويم الطريقة، صحيح العقد، حسن التدبير، عظيم المشاركة للناس، أشد الخلق حرصاً على سعادة من صحبه، وأكثرهم ثناء عليه، وأصرحهم نصيحة له، نبيل الأغراض، فطن المقاصد، قايم على الصنعة، مبين العبارة، معتدل في البحث والمذاكرة، متكلم في طريقة الصوفية، عديم النظير في الفضل، وكرم النفس.

شيوخه

قرأ على جده للأب، وعلى الحكيم الوزير **خالد بن خالد** من شيوخ **غرناطة**، وعلى شيخنا الحكيم الفاضل **أبي زكريا بن هذيل** ولازمه، وانتفع به، وسلك بالشيخ الصوفي **أبي مهذب عيسى الزيات**، ثـ بأخيه الصالح الفاضل **أبي جعفر الزيات**، والتزم طريقته، وظهرت عليه بركته.

تواليفه

ألف كتباً نبيلة، منها: ((**تحفة المتوسل في صنعة الطب**))، وكتاباً أسماه ((**الجهاد الأكبر**))، وآخر سماه ((**قمع اليهودي عن تعدي الحدود**)) ؛ أحسن فيه ما شاء.

شعـره

أنشـدني بعـد ممانعـة واعتـذار، إذ هـذا الغـرض ليـس مـن شأنـه:

سألت ركاب العــز أين ركابي
فابـــدي عنـــادا ثم رد جـــوابي
ركابك مع سيري يسير بسيره
بغير حـــول مذ حللـــت جنـــابي
فلا تلتفـــت سيـــراً لذاتـــك إنما
تسيـــر بها سيراً لغيـــر ذهـــاب

وهـي متعـددة.

مولـده

ولـــد فـــي عـــام سبعـــة وعشريـــن وسبعمايـــة[1].

***

[1] الموافق لـ 1326م.

محمد بن علي [1]

ابن فرج القربلياني [2]؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بالشفرة [3]

حالـه

كان رجلاً ساذجاً، مشتغلا بصناعة الطب، عاكفا عليها عمره محققاً لكثير من أعيان النبات، كلفاً به، متعيشاً من عشبه أول أمره، وارتاد المنابت، وسرح بالجبال، ثم تصدر للعلاج، ورأس به، وحفظ الكثير من أقوال أهله، ونسخ جملة من كنانيشه على ركاكة خطه، وعالج السلطان **نصر؛** المستقر **بوادي آش**؛ وقد طرق من بها مرض وافد [حمل علاجه المشاقحة لأجله، وعظم الهلاك فيمن اختص بتدبيره، فطوف القلب المبارك بمبراه. ثم رحل إلى **العدوة**، وأقام **بمراكش** سنين عدة، ثم كرّ إلى **غرناطة** في عام أحد وستين [4]، وبها هلك على أثر وصوله.

---

[1] **تعتبر هذه الترجمة منطلق الجزء الثالث من كتاب الإحاطة؛ ضمن مخطوط الزيتونة؛ المحفوظ بدار الكتب التونسية، ومخطوط المتحف البريطاني، ومخطوط مكتبة الرباط العامة (الكتانية).**

[2] **نسبة إلى قرية قرْبَلْيان Grevillente؛ المتواجدة في مقاطعة لقنت. وتشتهر بكثرة الزيتون.**

[3] **في الزيتونة: ((الشفر)).**

[4] **أي 761هـ.**

مشيختـه

زعـم أنـه قـرأ عـلى أبيـه ببلـده مـن **قربليـان** بلـد الدجـن[1]؛ وأخـذ الجراحـة عـن فـوج مـن محسـني صناعـة عمـل اليـد مـن الـرُّوح. وقـرأ عـلى الطبيـب **عبـد الله بـن سـراج** وغيـره.

تواليفـه

ألـف **كتابـاً فـي النبـات**.

وفاتـه

فـي السابـع عشـر لربيـع الأول عـام أحـد وستيـن وسبعمايـة.][2]

***

[1] المقصود ببلد الدجن هنا؛ هو البلد الذي يسكنه المسلمون تحت حكم النصارى.
[2] الموافق لـ 1359م. مـا كتـب بيـن حاصرتيـن؛ ساقـط في الإسكوريـال.

محمد بن علي

ابن يوسف بن محمد السكوني[1]؛ يكنى أبا عبد الله
ويعرف بابن اللؤلؤة؛ أُصله من جهة قمارش[2].

حالـه

رحل في فتايه، بعد أن شدا شيئاً من الطلب، وكلف بالرواية والتقيد؛ فلقي مشيخة، وأخذ عن جلة، وقدم على بلده حسن الحالة، مستقيم الطريقة، ظاهر الانقباض والعفة، وأدخل **الأندلس** فوايد وقصايد، وكان ممن ينتفع به؛ لو أمهلته المنية.

شعـره

مما نسبه إلى نفسه من الشعر قوله[3]:

يا مــن عليه اعتمادي في قل أمري وكثــره

---

1 لـه ترجمـة أيضـاً في الكتيبـة الكامنـة.

2 قمـارش Comares؛ بلـدة تقـع شمـال شـرقي مالقـة؛ في سفـح جبـال سييـرا نفـادا؛ أي(جبـل الثلـج).

3 بحـر المجتـث.

سهــل علي ارتحـــالي إلـــى النـــبي وقبـــــره
فذاك أقــصى مــرادي من الوجـــــود بأســره
وليـــس ذا بعزيـــــز عليك فامنـــن بيســره

ومن ذلك[1]:

أمن بعد ما لاح المشيب بمفرقي
أميــل لزور بالغرور مصـــاغ[2]
وأرتاح للذات والشيـــب منـــذر
بما ليـــس عنه للأنـــام مـــراغ
ومن[3] يمــت قبل المشيـــب فإنه
يـــراع بهـــول بعده ويـــراغ
فيا رب وفقني إلى ما يكون لي
به للذي أرجـــوه منـــك بـــلاغ

[1] البحـر الطويـل.
[2] في الكتيبـة: ((يصـاغ)).
[3] نفسـه: ((ومـن لـم)).

وفاتـه

توفي معتبطاً في وقيعة الطاعون[1] عـام خمسين وسبعماية[2]، خطيباً بحصن قمارش.

***

[1] وقيعة الطاعون المشار إليها هنا؛ معروفة أيضاً باسم الطاعون الأعظم. وهي كارثة الوباء الجارف الذي اجتاح أمم الشرق والغرب؛ فيما بين سنتي: 749هـ/1348 و 750هـ/1349م.

[2] الموافق لـ 1349م.

محمد بن سودة

ابن إبراهيم بن سودة المري؛ أصله من بشرة غرناطة؛ يكنى أبا عبد الله.

حاله

من بعض التواريخ المتأخرة: كان شيخاً جليلاً، كاتباً مجيداً، بارع الأدب، رايق الشعر، سيال القريحة، سريع البديهة، عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ، ذاكراً لأيام السلف، طيب المحاضرة، مليح الشيبة، حسن الهيئة، مع الدين والفضل، والطهارة والوقار والصمت.

مشيخته

قرأ **بغرناطة** على الحافظ **أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن الفرس**، وغيره من شيوخ **غرناطة**؛ **وبمالقة** على الأستاذ **أبي القاسم السهيلي؛ وبجيان** على **ابن يربوع**؛ **وبإشبيلية** على **الحسن بن زرقون** ،وغيره من نظرائه.

أدبــه

قال **الغافقي**: كانت بينه وبين الشيخ الفقيه واحد عصره **أبي الحسن سهل بن مالك** مكاتبات ومراجعات، ظهرت فيها براعته، وشهدت له بالتقدم يراعته.

محنته

أصابته في آخر عمره نكبة ثقيلة؛ أسر هو وأولاده، فكانت وفاته أسفاً لما جرى عليهم نفعه الله.

وفاته

توفي في حدود سبعة وثلاثين وستماية[1].

***

[1] الموافق لـ 1239م.

محمد [بن يزيد] [1]

ابن رفاعة الأموي[2] البيري[3]؛ أصله من قرية طرش[4]

حاله

طلب العلم وعنَى بسمعه[5]، ونسخ أكثر كتبه بخطه، وكان لغوياً شاعراً، من الفقهاء المشاورين الموثقين، وولي الصلاة بالحاضرة، وعزل وسَرَد الصَّوْم عن نَذْرٍ لَزِمه عُمْره.

مشيخته

سمع من شيوخ **إلبيرة**: **محمد بن فطيس، وابن عمريل، وهاشم بن خالد، وعثمان بن جهير، وحفص ابن نجيح؛ وبقرطبة** من **عبيد الله بن يحيى بن يحيى،** وغيره.

---

[1] هذه الإضافة من الزيتونة.
[2] في الزيتونة:((الأسدي)).
[3] نفسه:((الإلبيري)).
[4] وهي بلدة صغيرة تقع بين المنكب وبلش مالقة؛ على مقربة من البحر الأبيض المتوسط.
[5] في الإسكوريال: ((بجمعه)).

من حكاياته

قال المؤرخ: من غريب ما جرى **لأبي علي البغدادي**، في مقدمه إلى **قرطبة**، أن الخليفة **الحكم**؛ أمر **ابن الرماحس** عامله على كورتي: **إلبيرة وبجانة**؛ أن يجيء مع **أبي علي** في وفد من وجوه رعيته؛ وكانوا يتذاكرون الأدب في طريقهم؛ إلى أن تجاروا يوماً وهم سايرون؛ أدب **عبد الملك بن مروان**، ومساءلته جلساءه عن أفضل المناديل، وإنشاده بيت عَبْدَة بن الطبيب[1]:

ثمت قمنا إلى جرد مسومة
أعْرقُهُنَّ[2] لأيدينا مناديل

وكان الذاكر للحكاية **أبو علي**؛ فأنشد الكلمة في البيت أعْرَاقُهَا، فلوى **ابن رفاعة** عنانه منصرفاً، وقال: مع هذا يوفد على أمير المؤمنين، وتتجشم الرحلة

---

[1] **من البحر البسيط. وهو عبدة بن الطيب (يزيد) بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبدالله؛ من تميم؛ وهو شاعر مخضرم؛ عاش في الجاهلية ودخل في الإسلام. وله بيت شعر يعتبر أرثى بيت قلته العرب؛ وهو:**

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

[2] **في الشعر والشعراء، والأغاني: ((أعْرافُهُنَّ)).**

العظيمة، وهو لا يقيم وزن بيت مشهور في الناس، لا يغلط فيه الصبيان، والله لا تبعته خطوة، وانصرف عن الجماعة، وندبه أميره **ابن الرماحس**، ورامه بأن لا يفعل؛ فلم يجد فيه حيلة؛ فكتب إلى الخليفة يعرفه **بابن رفاعة**، ويصف ما جرى معه؛ فأجابه **الحكم** على ظهر كتابه: الحمد لله الذي جعل في بادية من بوادينا من يخطِّئ وفد أهل **العراق**؛ **وابن رفاعة** بالرضا أولى منه بالسخط؛ فدعه لشأنه؛ وأقدم بالرجل غير منتقص من تكريمه؛ فسوف يعليه الاختبار أو يحطه.

وفاته

توفي سنة ثلاث أو أربع وأربعمائة[1].

***

[1] الموافق لـ 1012 أو 1013م. في الإسكوريال والزيتونة: ((وثلاثمائة)). والصحيح كما تبين هو ((أربعمائة)).

محمد بن أحمد

ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر بن خميس الأنصاري؛ من أهل الجزيرة الخضراء.

حالـه

كان فاضلاً وقوراً، مشاركاً، خطيباً، فقيهاً، مجوداً للقرآن، قديم الطلب، شهير البيت، معروف التعين، نبيه السلف في القضاء، والخطابة والإقراء، مضى عمره خطيباً بمسجد بلده الجزيرة الخضراء، إلى أن تغلب العدو عليها، وباشر الحصار بها عشرين شهراً، نفعه الله ثم انتقل إلى مدينة **سبتة**، فاستقر خطيباً بها إلى حين وفاته.

مشيختـه

قرأ على والده رحمه الله، وعلى شيخه، وشيخ أبيه **أبي عمر، وعباس بن الطفيل**؛ الشهير **بابن عظيمة** ، وعلى الأستاذ **أبي جعفر بن الزبير**، والخطيب **أبي عبد الله بن رشيد بغرناطة** عند قدومه عليها، والقاضي **أبي المجد بن أبي الأحوص** قاضي بلده؛ وكتب له بالإجازة

الوزير **أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع**، وأجازه الخطباء الثلاثة: **أبو عبد الله الطنجالي، وأبو محمد الباهلي، وأبو عثمان بن سعيد**؛ وأخذ عن القاضي **بسبتة أبي عبد الله الحضرمي**، والإمام الصالح **أبي عبد الله بن حريث**، والمحدث **أبي القاسم التجيبي**، والأستاذ **أبي عبد الله بن عبد المنعم**، والأخوين **أبي عبد الله وأبي إبراهيم؛ ابني يربوع**. قال: وكلهم لقيته وسمعت منه. وأجاز لي إجازة عامة؛ ما عدا الإمام **ابن حريث** فإنه أجاز لي، ولقيته ولم أسمع عليه شيئاً؛ وأجاز لي غيرهم **كناصر الدين الشدالي**، والخطيب **ابن عزمون**، وغيرهما؛ ممن تضمنه برنامجه.

تواليفه

قال: وكان أحد بلغاء عصره، وله مصنفات منها: ((النفحة الأرجية في الغزوة المرجية)). ودخل **غرناطة** مع مثله من مشيخته بلده في البيعات؛ أظن ذلك.

وفاتـه

تـوفي فـي **الطاعـون** بسبتـة ؛ أخـر جمـادى الآخـرة مـن عـام خمسيـن وسبعمايـة[1].

***

[1] **الموافـق لـ 1349م.**

محمد بن أحمد

ابن عبد الله العطار من أهل ألمرية. حاله من بعض التقييدات، كان فتى وسيماً وقوراً، صيباً، متعففاً، نجيباً، ذكياً. كتب عن شيخنا أبي البركات ابن الحاج، وناب عنه في القضاء، وانتقل بانتقاله إلى غرناطة؛ فكتب بها. وكان ينظم نظماً مترفعاً عن الوسط. وجرى ذكره في الإكليل بما نصه: ممن نبغ ونجب، وخلق له البر بزاته ووجب، تحلى بوقار، وشعشع للأدب كأس عقار، إلاّ أنه اخترم في اقتبال وأصيب الأجل بنبال.

من شعره

قوله من قصيدة[1]:

دعـــاني على طول البعاد هواها
وقـــد سد أبواب اللقـــا[2] نواهـــا
وقد شمـــت برقـــا للقا[3] مبشـــراً
وقد نفحت ريح الصبا بشذاهـــا
وجن دجى ليل بخيل بصبحـــه
كما بخلـــت ليـــلى بطيف سراها

---

[1] البحر الطويل.
[2] جعلها د. طويل: ((اللقاء)).
[3] جعلها د. طويل: ((للقاء)).

وقاد زمان قايد الحب قاصـــدا
ربوعا ثـــوت ليلى بطول قناهـــا
وناديت والأشواق بالوجد برحت
ودمعي أجـــرى سابـــغٌ للقاهـــا
أبا كعبة الحسن التي للنفس[1] ترتجي
رضاها وحاشى أن يخيب رجاها
أحبك يا ليلى على البعد والنوى
وبي منك أشوقـــا تشب لظاهـــا
لين حجبت ليلى عن العين إنني
بعيـــن فـــؤادي لا أزال أراهـــا
إلى أن بدا الصبح المشتت شملنا
وما بلغت نفسي المشـــوق مناها
فمدت يمينـــاً للـــوداع ودمعهـــا
يكفكفـــه خوف الرقيب سراهـــا
وقالـــت وداعاً لا وداع تفـــرق
لعـــل الليالي أن تديـــل نـــواها

[1] جعلها د. طويل: ((النفس)).

تذكرنـــا ليلى معاهـــد باللـــوى
رعى اللـــه ليلات اللوى ورعاها

وفاتـه

تـوفي في **الطاعـون** الأعظـم ؛ عـام خمسيـن وسبعمائـة[1].

***

[1] **الموافـق لـ 1349م.**

محمد بن أحمد

ابن المراكشي؛ من أهل ألمرية؛ يكنى أبا عبد الله؛
ويعرف بالمراكشي

حالـه

كان فتى جميل الرؤيا[1]، سكوتاً، مطبوعاً على المغافصة[2] والغمز، مهتدياً إلى خفي الحيلة، قادراً على المباحثة، ذكياً، متسوراً[3] على الكلام في الصنايع والألقاب، من غير تدرب ولا حنكة، دمث الأخلاق، لين العريكة، انتحل الطب، وتصدر للعلاج والمداواة، واضطبن أغلوطة صارت له بها شهرة، وهي رق يشتمل على أعداد وخطوط وزايرجة، وجداول غريبة الأشكال، تحتها علامات فيها اصطلاحات الصنايع والعلوم، ويتصل

---

[1] في الإسكوريال: ((الرواية)).
[2] أي المفاجأة.
[3] في الزيتونة: ((مستوراً)). وفي الإسكوريال ((ستسورا)).

بها قصيدة رويها لأم الألف أولها، وهي منسوبة **لأبي العباس السبتي**[1].

يقول سبتي[2] ويحمد ربه

مصل على هاد إلى الناس أرسلا

وأنها مدخل للزيرجة؛ ذكر أنه عثر عليها في مظنة غريبة، وظفر برسالة العمل بها، وتحرى بالإعلام بالكنايات، [والإخبار بالخفي][3] وتقدمة المعرفة، والإنذار بالوقايع، حتى استهوى بذلك جماعة من المشيخة، ممن كان يركن إلى رجحان نظره، وسلامة فطرته، واستغلت الشهادة له بالإصابة، سجية النفوس في حرصها على إثبات دعاوى المتحرفين، أخبرني بعهم أنه خبأ له عظماً صغيراً، يكون في أطراف أجنحة الطير، أخذه من جناح

---

[1] البحر الطويل. والسبتي هو أحد الأولياء السبعة في مراكش؛ ويسمى: أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي (ولد بسبتة سنة 524هـ/1129م وتوفي بمراكش سنة سنة 601هـ/1204م. نسبت إليه - والله أعلم - زايرجية (زيرجة)؛ وهي تصميم لجداول حسابية؛ مقابلة لحروف الهجاء؛ الغرض منها التنجيم، ومحاولة اكتشاف خبايا الغيب. غفر الله لنا وله.

[2] جعلها د. طويل: ((لسبتيّ)).

[3] في الإسكوريال: ((وإخراج الخبء)).

ديك، وزعم أرباب الخواص أنه يزيل الإعياء إذا علق، فتصرف على عاداته [من الدخول][1] في تلك الجداول، وأخذ الأعداد الكثير، يضربها آونة، ويقسمها أخرى، ويستخرج من تلك الجداول جيوباً وسهاماً، ويأخذ جذوراً، وينتج له العمل آخراً حروفاً مقطعة، يبقيها الطرح، يولف منها كلاماً، تقتنص منه الفائدة؛ فكان في ذلك بيت شعر[2]:

وفي يدكم عظم صغير مدور
يزيل به الإعيا[3] من كان في السفر

وأخبرني آخرون أنه سؤل في نازلة فقهية لم يلق فيها نص، فأخبر أن النص فيها موجود **بمالقة**، فكان كذلك. وعارض ذلك كله جلة من أشياخنا، فذكرني الشيخ نسيج وحده، **أبو الحسن بن الجياب**: أن سامره يخرج خبيئته سواد ليلة، فتأمل ما يصنعه؛ فلم يأت

[1] هذه الإضافة من الزيتونة.
[2] البحر الطويل.
[3] جعلها د. طويل: ((الإعياء))،

بشيء، ولا ذهب إلى عمل يتعقل، وظاهر الأمر أن تلك الحال كانت مبنية على تخيل وتخمين، وتختلف فيه الإصابة وضدها؛ بحسب الحالة والقايل؛ لتصرف الحيلة فيه؛ فاقتضى ذلك تأميل طائفة من أهل الدول إياه، وانتسخوا نظاير من تلك الزيرجة المموهة، ممطولين منه بطريق التصرف فيها إلى اليوم، واتصل بالسلطان؛ فأرسم ببابه، وتعدى الإنس إلى طب الجن، فافتضح أمره، وهم به، فنجا مفلتاً. ولم تزل حاله مضطربة؛ إلى أن دعي من **العدوة** وسلطانها، منازل مدينة **تلمسان**، ووصلت الكتب عنه؛ فتوجه في جفن هيئ له، ولم ينشب أن توفي بالمحلة في أوايل عام سبعة وثلاثين وسبعماية[1].

***

[1] الموافق لـ 1336م.

محمد بن بكرون

ابن حزب الله؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا عبد الله.

حالـه

من أهل الخصوصية والفضل، ظاهر الاقتصاد، كثير التخلق، حسن اللقاء، دايم الطريقة، مختصر الملبس والمأكل، على سنن الفضلاء وأخلاق الجلة. انتظم لهذا العهد في نمط من يستجاز ويجيز. وكان غفلاً فأقام رسماً محموداً، ولم يقصر عن غاية الاستعداد.

مشيختـه

منهم الأستاذ مولى النعمة على أهل بلده؛ **أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد الباهلي**؛ قرأ عليه القرآن العظيم أربعة عشر[1] ختمة قراءة تجويد وإتقان بالأحرف السبعة، وسمع عليه كتباً كثيرة، وقال عند ذكره في

[1] **صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((أربع عشرة)).**

بعض الاستدعاءات: ولازمته رضي الله عنه وأرضاه إلى حين وفاته ونلت من عظيم بركاته، وخالص دعواته، ما هو عندي من أجل الوسايل، وأعظم الذخيرة، وأفضل ما أعددته لهذه الدار والدار الآخرة. وكان في صدر هذا الشيخ الفاضل كثير من علم اليقين. وهو علم يجعله الله في قلب العبد إذا أحبه، لأنه يؤول بأهله إلى احتمال المكروه، والتزام الصبر، ومجاهدة الهوى، ومحاسبة النفس، ومراعاة خواطر القلب، والمراقبة لله، والحياء من الله، وصحة المعاملة له، ودوام الإقبال عليه، وصحة النية، واستشعار الخشية. قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾[1]. فكفى بخشية الله علماً، وبالإقبال عليه عزاً. قلت: وإنما نقلت هذا؛ لأن مثله لا يصدر إلاّ عن ذي حركة، ومضطبن بركة، ومنهم الشيخ الخطيب الفاضل ولي الله، **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الطنجالي.**

---

[1] **الآية كاملة هكذا: (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ). سورة فاطر؛ الآية: 28.**

دخل **غرناطة** راوياً، وفي غير ذلك في شئونه. وهو الآن ببلده **مالقة**؛ يخطب ببعض المساجد الجامعة بها على الحال الموصوفة.

***

محمد بن الحسن

ابن أحمد بن يحيى الأنصاري الخزرجي الميورقي[1] الأصل؛
سكن غرناطة.

حاله

كان محدثاً عالي الرواية، عارفاً بالحديث وعلله، وأسماء رجاله، مشهوراً بالإتقان والضبط؛ ثقة فيما نقل وروى، ديناً، زكياً، متحاملاً، فاضلاً، خيراً، متقللاً من الدنيا، ظاهري المذهب داوديه[2]، يغلب عليه الزهد والفضل.

مشيخته

روى **بالأندلس** عن: **أبي بكر بن عبد الباقي بن محمد بن الحجاري، وأبي علي الصدفي الغساني، وأبي مروان الباجي**؛ ورحل إلى **المشرق** وحج؛ وأخذ **بمكة** كرمها الله عن: **أبي ثابت، وأبي الفتح عبد الله بن محمد**

---

[1] نسبة إلى مدينة ميورقة Mallorca؛ عاصمة جزيرة ميورقة، كبرى الجزائر الشرقية (البليار).

[2] نسبة إلى خلف بن داود الإصفهاني. مؤسس المذهب الظاهري؛ المتوفى سنة 270 هـ/883م.

البيضاوي، وأبي نصر عبد الملك بن أبي مسلم العمراني.
قلت: وغيرهم؛ اختصرتهم لطولهم. وقفل إلى **الأندلس**؛ فحدث بغير بلده منها، لتجواله فيها.

ومن روى عنه

روى عنه: **أبو بكر بن رزق، وأبو جعفر بن الغاسل**، وغيرهم[1].

محنته

امتحن من قبل **علي بن يوسف بن تاشفين**؛ فحمل إليه صحبة **أبي الحكم بن يوجان، وأبي العباس بن العريف**؛، وضرب بالسوط عن أمره، وسجنه وقتاً، ثم سرحه وعاد إلى **الأندلس**، وأقام بها يسيراً، ثم انصرف إلى **المشرق**، فتوقف **بالجزاير**؛ وتوفي بها في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وخمسماية[2].

***

---

[1] جعلها د. طويل: ((وغيرهما)).
[2] الموافق لـ 1142م.

محمد بن محمد

ابن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف ببلده مالقة بالمُعَمّم

حالـه

كان طبقة من طبقات الكفاة، ظرفاً ورواءً وعارضةً وترتيباً، تجلل بفضل شهرة أبيه، وجعل بعض المترفين من وزراء الدول **بالمغرب** أيام وجهته إليه، وصحبة الشيخ الصالح أبيه في غرض السفارة، مالاً عريضاً لينفقه في سبيل البر؛ فبنى المدرسة غربي المسجد الأعظم، ووقف عليها الرباع، وابتنى غيرها من المساجد؛ فحصلت الشهرة، ونبه الذكر، وتطور، ورام العروج في مدارج السلوك، وانقطع إلى الخلوة، فنصلت الصبغة، وغلبت الطبيعة، وتأثل له مال جم، اختلف في سبب اقتنايه، [وأظهر][1] التجر المرهف الجوانب بالجاه العريض، والحرص الشديد، والمساحة في باب الورع، فتبنك به نعيماً من ملبس ومطعم وطيب وترفه، وطارد به اللذة ما

---

[1] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

شاء في باب النكاح استمتاعاً وذواقاً يتبع رايد الطرف، ويقلد شاهد السمع، حتى نعي عليه. وولي الخطابة بالمسجد الأعظم بعد أبيه، فأقام الرسم، وأوسع المنبر ما شاء من جهورية وعارضة، وتسور على أعراض[1]، وألفاظ في أسلوب ناب عن الخشوع، عريق في نسب القحة. ثم رحل إلى المشرق مرة ثانية، وكر إلى بلده، مليح الشيبة بادي الوقار، نبيه الرتبة، فتولى الخطابة إلى حين وفاته.

مشيخته

حسبما قيدته من خط ولده أبي الحسن، وارثه في كثير من خلاله، وأغلبها الكفاية. فمنهم والده رحمه الله. قرأ عليه وتأدب به، ودون في طريقه، حسبما يتقرر ذلك، ومنهم الأستاذ **أبو محمد بن أبي السداد الباهلي**، ومنهم الشيخ الراوية **أبو عبد الله بن عياش**، والخطيب الصالح **أبو عبد الله الطنجالي**، والخطيب الصالح **أبو جعفر بن الزيات**، والأستاذ **ابن الفخار الأركشي**، والقاضي **أبو عمرو بن منظور**، والأستاذ **ابن الزبير**

[1] في المخطوطين: ((أغراض)).

وغيرهم، **كابن رشيد، وابن خميس، وابن برطال، وابن مسعدة، وابن ربيع، وبالمشرق** جماعة اختصرتهم لطولهم.

تواليفه

وتسور على التأليف، بفرط كفايته، فمما ينسب إليه: ((**كتاب التجر الربيح في شرح الجامع الصحيح**))؛ قال: منه ما جرده من المبيضة؛ ومنه ما لم يسمح الدّهر بإتمامه، و((**كتاب بهجة الأنوار**))، ((**وكتاب الأسرار**))، و((**كتاب إرشاد السايل لنهج الوسايل**))[1]، و((**كتاب بغية السالك في أشرف المسالك**))؛ في التصوف، و((**كتاب أشعة الأنوار في الكشف عن ثمرات الأذكار**))، و((**كتاب النفحة القدسية**))، و((**كتاب غنية الخطيب بالاختصار والتقريب في خطب الجمع والأعياد**))، و((**كتاب غرايب النجب في رغايب الشعب**))؛ شعب الإيمان، و((**كتاب في مناسك الحج**))، و((**كتاب نظم سلك الجواهر في جيد المعارف الصدور والأكابر**))؛ فهرسة تحتوي على فوايد من العلم وما يتعلق بالرواية، وتسوية الشيوخ وتحرير الأسانيد.

---

[1] **في الزيتونة ((المسائل)).**

دخوله غرناطة

دخلها مرات تشذ عن الإحصاء.

مولده

ولد عام ثمانية وسبعين وستماية[1].

وفاته

وتوفي **بمالقة** في صبيحة ليلة النصف من شعبان عام أربعة وخمسين وسبعماية[2].

***

[1] **الموافق لـ 1279م.**
[2] **الموافق لـ 1353م.**

محمد بن محمد

ابن يوسف بن عمر الهاشمي؛ يكنى أبا بكر؛ ويعرف بالطنجالي؛ ولد الشيخ الولي أبي عبد الله.

حالـه

من **ذيل تاريخ مالقة** للقاضي **أبي الحسن بن الحسن**. قال: كان هذا العالم الفاضل ممن جمع بين الدراية والرواية، والتراث[1] والاكتساب. وعلو الانتساب، وهو من القوم الذين وصلوا الأصالة بالصول، وطول الألسنة بالطول، وهدوا إلى الطيب من القول، أثر الشموخ يبرق من أنفه، ونسيم الرسوخ يعبق من عرفه. وزاجر الصلاح يومي بطرفه، فتخاله من خوف الله ذا لمم، وفي خلقه دمائة، وفي عرنينه شمم. ووصفه بكثير من هذا النمط.

ومن العايد: كان من أهل العلم والتفنن في المعارف والتهمم بطلبها، جمع بين الرواية والدراية الصلاح. وكانت فيه خفة، لفرط صحة وسذاجة وفضل رجولة[2] به، بارع الخط، حسن التقييد، مهيباً جزلاً، مع ما كان

[1] في الزيتونة: ((والثراة)).
[2] نفسه ((وجولة)).

عليه من التواضع، يحبه الناس ويعظمونه، خطب بالمسجد الأعظم من **مالقة**، وأقرأ به العلم.

مشيخته

قرأ على الأستاذ **أبي محمد الباهلي**، وأبيه الولي الخطيب رحمه الله. وروى عن جده **أبي جعفر،** وعن الراوية الأستاذ الكبير **أبي جعفر بن الزبير،** والراوية **أبي عبد الله بن عياش**، والقاضي **أبي القاسم بن السكوت**، وغيرهم ممن يطول ذكره؛ من أهل **المشرق والمغرب.**

وفاته

توفي **بمالقة** في أول صفر من عام ثلاثة وثلاثين وسبعماية[1]؛ [وكان عمره][2] نحواً من تسع وخمسين سنة.

***

[1] الموافق لـ 1332م.
[2] هذه العبارة أضافها عنان.

محمد بن محمد

ابن ميمون الخزرجي؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بلا أسلم؛
لكثرة صدور هذه اللفظة عنه؛ مرسي الأصل،
وسكن غرناطة ووادي آش والمرية.

حالـه

من **كتاب المؤتمن**[1]: كان دمث الأخلاق، قبل أن يحرجه شيء من [مضيقات الصدور][2] يشارك في العربية، والشعر نازل عن الدرجة الوسطى، لا يخلو بعضه عن لحن. وكان يتعيش من صناعة الطب. وجرت له شهرة بالمعرفة [نرفع به بتلك الصناعة على حد شهرةٍ ترك النصيحة فيها، فكانت شهرته بالمعرفة ترفع به][3]. وشهرته بترك النصيحة تنزله، فيمر بين الحالتين بشظف العيش، ومقت الكافة إياه.

---

[1] عنوانه بالكامل هو: المؤتمن على أنباء أبناء الزمن؛ ألفه أبو البركات ابن الحاج البلفيقي؛ وهو من شيوخ ابن الخطيب الأثيريين؛ وقد خصه بترجمة في الإحاطة.
[2] في الزيتونة: ((ضيق الصدر)).
[3] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة.

قلت: كان لا أسلم، طرفاً في المعرفة بطرق العلاج، فسيح التجربة، يشارك في فنون، على حال غريبة من قلة الظرف، وجفاء الآلات، وخشن الظاهر، والإزراء بنفسه وبالناس، متقدم في المعرفة بالخصوم، يقصد في ذلك. وله في الحرب والحيل حكايات، قال صاحبنا أبو الحسن ابن الحسن: كانت للحكيم لا أسلم خمر مخبأ، في كرم كان له بألمرية عثر عليها بعض الدعرة، فسرقها له. قال: فعمد إلى جرة وملأها بخمر أخرى، ودفنها بالجهة، وجعل فيها شيئاً من العقاقير المسهلات[1]، وأشاع أن الخمر العتيقة التي كانت له لم تسرف، وإنما باقية، بموضع كذا، فعمد إليها أولئك الدعرة، وأخذوا في استعمالها، فعادت عليهم بالاستطلاق القبيح المهلك، فقصدوا الحكيم المذكور، وعرضوا عليه ما أصابهم، فقال لهم إيه، أدوا إلى ثمن الشريبة؛ وحينئذ أشرع لكم في الدواء، ويقع الشفا بحول الله؛ فجمعوا له أضعاف ما كان يساويه خمره، وعالجهم حتى شفوا بعد مشقة. وأخباره كثيرة.

---

[1] في الزيتونة: ((المسهلة)).

وفاتـه

توفي عقب إقلاع **الطاغية** ملك **برجلونة** عن **ألمرية** عام تسعة ....[1] وسبعماية[2]. وخلفه ابن كان له يسمى **إبراهيم**، ويعرف **بالحكيم**، وجرى له من الشهرة ما جرى لأبيه. مرت عليه ببخت وقبول، وتوفي بعد عام خمسين وسبعماية[3].

***

[1] ورد مكان هذا الرقم بياض.

[2] ربما تكون سنة 739هـ؛ لأن ابنة توفي بعد 750هـ؛ ويستبعد أن يحصل على الشهرة المذكورة خلال عام واحد. والله أعلم.

[3] الموافق لـ 1349.

محمد بن قاسم

ابن أحمد بن إبراهيم الأنصاري[1]؛ جياني الأصل مالقيه؛
يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالشُّرَيْر على بِنْيَةِ التَّصْغير؛
وهو كثير التردد والمقام بحضرة غرناطة.

حالـه

من أهل الطلب والذكاء والظرف والخصوصية، مجموع خلال من خط حسن واضطلاع بحمل كتاب الله. بلبل دوح السبع المثاني، وماشطة عروس **أبي الفرج الجوزى**، وآية صقعه في بالصوت، وطيب النغمة ، اقتحم لذلك دسوت الملوك وتوصل إلى صحبة الأشراف، وجر أذيال الشهرة. قرأ القرآن والعشر بين يدى السلطان، أمير المسلمين **بالعدوة**، ودنا منه محله، لولا إيثار مسقط رأسه. وتقرب بمثل ذلك إلى ملوك وطنه، وصلى التراويح بمسجد **قصر الحمراء**، غريب المنزع، عذب الفكاهة، ظريف المجالسة، قادر على الحكايات، مستور حمى الوقار ، ملب داعي الانبساط، على استراجاع واستقامة، مبرور

[1] لـه ترجمـة أيضـاً في نفـح الطيـب.

الوفادة، منوه الإنزال، قلد شهادة الديوان **بمالقة**، معولاً عليه في ذلك، فكان مغار جبل [1] الأمانة، صليب العود، شامخاً، صادق النزاهة، لوحاً للألقاب، محرزاً للعمل. وولي الحسبة **بمالقة** حرسها الله تعالى، فخاطبته في ذلك أداعبه، وأشير إلى قوم من أجداده، وأولي الحمل عليه بما نصه[2]:

يـــا أيهـــا المحتســـب الجـــــزل
ومـــن لديـــه الجـــــد والهـــــزل
تهنيك[3] والشكر لمـــولى الــــورى
ولايــــــة ليـــس لهـــا عـــــزل

كتبت أيها المحتسب، المنتمى إلى النزاهة المنتسب، وأهنيك ببلوغ تمنيك، و أحذرك من طمع نفس بالغرور تمنيك، فكأني وقد طافت بركابك الساعة، ولزم لأمرك السمع والطاعة، وارتفعت في مصانعتك الطماعة،

---

[1] في الإسكوريال والنفح: ((حبل))؛ وصححت من الزيتونة.
[2] البحر السريع.
[3] في النفح: ((يهنيك)).

وأخذت أهل الريب بغتة كما تقوم الساعة، ونهضت تقعد وتقيم، وسكوتك الريح العقيم، وبين يديك القسطاس المستقيم[1]، ولا بد من شرك ينصب، وجماعة على ذي جاه تتعصب، وحالة كيتٍ بها الجناب الأخصب، فإن غضضت طرفك، أمنت عن الولاية صرفك، وإن مَلأْتَ ظَرْفَكَ[2]، رحلت عنها حرفك، وإن كففت فيها كفك، حفك العز فيمن حفك. فكن لقالي المجبنة قالياً[3]، ولحوت السلة سالياً؛ وأبْدِ لدقيق الحُوّارَى[4] زهد حواري[5]، وازهد فيما بأيدي الناس من العواري. وسر في اجتناب الحلو[6] على السبيل السوا، وارفض في الشوا[7] دواعي الأهوا[8]، وكن على الهراس[9]، وصاحب فريد[10] الرأس، شديد

---

[1] أي الميزان المستقيم.
[2] في هذا القول كناية عن قبول الهدايا والرشا.
[3] أي مبغاً.
[4] أي خالص الدقيق ولبابه.
[5] الحواريُّ؛ جمعه؛ حواريُّون: وهم أنصار الأنبياء.
[6] في الزيتونة والنفح:((الحلوى)).
[7] في الزيتونة:((الشوى)).
[8] نفسه: ((الأهوى)).
[9] أي الذي يصنع الهريسة؛ وهي ضرب من الحلواء.
[10] في النفح: ثريد. وهو ضرب من الطعام؛ يُصَبُّ فيه المَرَقُ المطبوخ باللحم على قطع من كسرة الخبز.

المراس، وثب على بايع طبيخ الأعراس، ليثاً مرهوب الافتراس، وأدب أطفال السوق [1] في السوق، سيما من كان قبل البلوغ والسبوق، وصمم في استخراج الحقوق، والناس أصناف؛ فمنهم خسيس يطمع منك في أكلة، ومستعد عليك بوكزة أو ركلة؛ وحاسد في مطية تركب، وعطية تسكب، فاخفض للحاسد جناحك، وسدد إلى حربه رماحك، وأشبع الخسيس منهم مرقة دسمة فإنه حنق، ودس له فيها عظماً لعله يختنق، واحفر لشريرهم حفرة عميقة، فإنه العدو حقيقة؛ حتى إذا حصل، وعلمت أن وقت الانتصار قد وصل، فأوقع وأوجع، ولا ترجع، وأولياه من [حزب][2] الشيطان فأفجع، والحق أقوى، ﴿وَإِنْ تَعْفُو أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[3]. سددك الله تعالى إلى غرض التوفيق وأعلقنا من الحق بالسبب الوثيق،

---

[1] في النفح: ((الفسوق)).

[2] هذه الإضافة من الزيتونة.

[3] الآية كاملة هكذا: (وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسّوهُنّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إلاّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُو أَقْرَبُ لِلتّقْوَى وَلاَ تَنْسَوُا الفَضَلَ بَينَكُمْ إنّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ). سورة البقرة؛ الآية: 237.

وجعل قدومك مقروناً برخص اللحم والزيت والدقيق. بمنه وفضله.

مشيختـه

قرأ القرآن على والده المكتب النصوح رحمه الله، وحفظ كتباً: **كرسالة أبي محمد بن زيد، وشهاب القضاعي، وفصيح ثعلب**، وعرض **الرسالة** على ولي الله **أبي عبد الله الطنجالي**، وأجازه. ثم على ولده الخطيب **أبي بكر**، وقرأ عليه من القرآن، وجود بحرف **نافع** على شيخنا **أبي البركات**. وتلا على شيخنا **أبي القاسم بن جزي**. ثم رحل إلى **المغرب**، فلقي الشيخ الأستاذ الأوحد في التلاوة، **أبا جعفر الدراج**، وأخذ عن الشريف المقري **أبي العباس الحسني بسبتة**، وأدرك **أبا القاسم التجيبي**، وتلا على الأستاذ **أبي عبد الله بن عبد المنعم** ولازمه، واختص بالأستاذ **ابن هاني السبتي**، ولقي **بفاس** جماعة: كالفقيه **أبي زيد الجزولي، وخلف الله المجاصي، والشيخ أبا العباس المكناسي**، والشيخ البقية **أبا عبد الله بن عبد الرازق**، وقرأ على المقري الفذ الشهير في الترنم بألحان

القرآن **أبي العباس الزواوي** سبع ختمات، وجمع عليه السبع، والمقري **أبي العباس بن حزب الله،** واختص بالشيخ الرييس **أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي.**

شعـره

من شعره ما كتب به إلى وزير الدولة **المغربية** في غرض الاستلطاف[1]:

يا مـــن به أبدا عرفـــت ومن أنا
لولاه لي دامـــت عـــلاه ودامـــا
لا تأخذنـــك في الشديـــد لومـــة
فشخيـــص نشأتـــه بفضلك قاماً
ربيتـــــه علمتـــــه أدبتـــــــه
قدمته للفـــرض منـــك إمامـــاً
فجزاك رب الخلق خير جزايـــة
عني وبـــوأك الجنـــان مقامـــاً

---

[1] **البحر الكامل.**

وهو الآن بالحالة الموصوفة، مستوطناً حضرة **غرناطة**، وتالياً الأعشار القرآنية، بين يدي السلطان أعزه الله، مرفع الجانب، معزز الجراية بولايته أحباس المدرسة، أطروفة عصره، لولا طرش نقص الأنس به، نفعه الله.

ولد **بمالقة** في عاشر ربيع الأول من عام عشرة وسبعماية[1].

***

[1] **الموافق لـ 1310م.**

ومن الغُرباء في هذا الاسم

***

محمد بن أحمد

ابن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري السبتي الدار الغرناطي الاستيطان؛ يكنى أبا الحسين؛ ويعرف بالتلمساني

حاله

طرف في الخير والسلامة، معرق في بيت الصون والفضيلة، معمّ[1] تخول في العدالة، قديم الطلب والاستعمال، معروف الحق، مليح البسط، حلو الفكاهة، خفيف إلى هيعة الدعابة، على سمت ووقار، غزل، لوذعي، مع استرجاع وامتساك، مترف، عريق في الحضارة، مؤثر للراحة، قليل التجلد، نافر عن الكد، متصل الاستعمال، عريض السعادة في باب الولاية، محمول على كتد المبرة، جار على سنن شيوخ الطلبة والمقتاتين من الأرزاق المقدرة، أولي الخصوصية والضبط، من التظاهر بالجاه على الكفاية. قدم على **الأندلس** ثمانية

[1] أي الذي يعم بخيره وعطاياه على الناس.

عشر وسبعماية[1]؛ فمهد كنف القبول والاستعمال، فولي الحسبة **بغرناطة**، ثم قلد تنفيذ الأرزاق، وهي الخطة الشرعية، والولاية المجدية، فاتصلت بها ولايته. وناب عني في العرض والجواب بمجلس السلطان حميد المنأى في ذلك كله؛ يقوم على كتاب الله حفظاً وتجويداً، طيب النغمة، راوياً محدثاً، إخبارياً، مرتاحاً للأدب، ضارباً فيه بسهم، يقوم على كتب السيرة النبوية، فذاً في ذلك. قرأه بالمسجد الجامع للجمهور، عند لحاقه بغرناطة؛ معرباً به عن نفسه، منبهاً على مكانه، فزعموا أن رجلاً فاضت نفسه وجداً لشجو نغمته، وحسن إلقايه. وقرأ التراويح بمسجد قصر السلطان إماماً به، واتسم بمجلسه بالسلامة والخير، فلم تؤثر عنه في أحد وقيعة، ولا بدرت له في الحمل على أحد بنت شفه.

[1] **الموافق لـ 1318م.**

مشيختـه

منهـم الشريـف **أبـو علـي الحسـن بن الشريـف أبـي التقـا طاهـر بـن أبـي الشـرف ربيـع بـن علـي بـن أحمـد بـن علـي بـن أبـي طاهـر بـن حسـن بـن موهـوب بـن أحمـد بـن محمـد بـن طاهـر بـن أبـي الشـرف الحسـن بـن علـي بـن محمـد بـن علـي ابـن مـوسى بـن جعفـر بـن محمـد بـن علـي بـن الحسـن بـن علـي ابـن الحسـن بـن علـي بـن أبـي طالـب**. ومنهـم والـده المترجـم بـه، ومنهـم أبـوه وجـده، ومنهـم الأمير الصالـح **أبـو حاتـم أحمـد بـن الأمير أبـي القاسـم محمـد بـن أبـي العبـاس أحمـد ابـن محمـد العـزفي**، والمقـري **أبـو القاسـم بـن الطيـب**، وإمـام الفريضـة **أبـو عبـد الله محمـد بـن محمـد بـن حريـث**، والأستـاذ ملحـق الأبنـاء بالآبـاء **أبـو إسحـق الغـافـقي**، والكاتـب الناسـك **أبـو القاسـم خلـف بـن عبـد العزيـز القبتـوري**، والأستـاذ المعمـر **أبـو عبـد الله بـن الخضـار**، والخطيـب المحـدث **أبـو عبـد الله بـن رشيـد**، والخطيـب الأديـب **أبـو عبـد الله الغمـاري**، والأستـاذ **أبـو البركـات الفضـل بـن أحمـد القنطـري**، والوزيـر العابـد **أبـو القاسـم محمـد بـن محمـد بـن سهـل بـن مالـك**،

والولي الصالح **أبو عبد الله الطنجالي**، والخطيب الصالح **أبو جعفر بن الزيات**، والقاضي الأعدل **أبو عبد الله بن برطال**، والشيخ الوزير المعمر **أبو عبد الله بن ربيع**، والصوفي الفاضل **أبو عبد الله بن قطرال**، والأستاذ الحسابي **أبو إسحق البرغواطي**. هؤلاء لقيهم وقرأ وسمع عليهم. وممن كتب له بالإجازة؛ وهم خلق كثير؛ كخال أبيه، الشيخ الأديب **أبي الحكم مالك بن المرحل**، والخطيب **أبي الحسن فضل بن فضيلة**، والأستاذ الخاتمة **أبي جعفر بن الزبير**، والعدل **أبي الحسن بن مستقور**، والوزير المعمر **أبي محمد بن سماك**، والخطيب **أبي محمد** مولى الرييس **أبي عثمان بن حكم**، والشيخ الصالح **أبي محمد الحلاسي**، والقاضي **أبي العباس بن الغماز**، والشيخ **أبي القاسم الحضرمي اللبيدي**، والعدل المعمر الراوية **أبي عبد الله بن هرون** ، والمحدث الراوية **أبي الحسن القرافي، وأبي إسحق إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن بن هبة الله ابن أبي المنصور**، والإمام **شرف الدين أبي محمد الدمياطي**، **وبهاء الدين بن النحاس**، وقاضي القضاة **تقي**

الدين بن دقيق العيد، وضياء الدين أبي مهدي عيسى بن يحيى بن أحمد، وكتب في الإجازة له[1]:

ولـــدت لعام من ثلاث وعشرة
وســـت مئيـــن هجـــرة لمحمـــد
تطوفـــت قدماً بالحجاز وإنـــني
بمصر هو المربلي وسبتة مولـــد[2]

إلى عالم كثير من أهل **المشرق**؛ يشق إحصاؤهم. قد ثبت معظمهم في اسم صاحبه **أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي** رحمه الله.

محنته

نالته محنة بِجَرْي الأمور الاشتغالية وتبعاتها قال الله فيها لعثرته لغاً؛ فاستقل من النكبة، وعاد إلى الرتبة. ثم عفت عليه بآخرة، فهلك تحت بركها بعد مناهزة التسعين سنة، نفعه الله.

---

1 البحر الطويل.
2 كتب د. طويل هذا الشطر هكذا:
(بمصر هو المربى وسبتة مولدي)).

مولـده

ولـد عـام ستـة وسبعيـن وستمايـة[1].

وفاتـه

وتـوفي فـي شهـر محـرم مـن أربعـة وستيـن وسبعمايـة[2].

***

[1] الموافـق لـ 1277م.
[2] الموافـق لـ 1362م.

محمد بن علي

ابن محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن قطرال الأنصاري؛
من أهل مراكش؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن قطرال.

حاله

من **العايد**: كان رحمه الله فاضلاً صوفياً، عارفاً، متحدثاً، فقيهاً، زاهداً، تجرد عن ثروة معروفة، واقتصر على الزهد والتخلي، وملازمة العبادة، والغروب عن الدنيا. وله نظم رايق، وخط بارع، ونثر بليغ، وكلام على طريقة القوم، رفيع الدرجة، عالي القدر. شرح **قصيدة الإسراييلي**؛ بما يشهد برسوخ قدمه، وتجول في لقاء الأكابر على حال جميلة من إيثار الصمت والانقباض والحشمة. ثم رحل إلى **المشرق** حاجاً صدر سنة ثلاث وسبعماية[1].

[1] **الموافق لـ 1303م.**

مشيختـه

من شيوخه: القاضي العالم **أبو عد الله محمد بن علي**، والحافظ **أبو بكر بن محمد المرادي**، والفقيه **أبو فارس الجروي**، والعلامة **أبو الحسين بن أبي الربيع**، والعدل **أبو محمد بن عبيد الله**، والحاج **أبو عبد الله بن الخضار، وأبو إسحق التلمساني، وأبو عبد الله بن خميس، وأبو القاسم بن السكوت. وأبو عبد الله بن عياش. وأبو الحسن بن فضيلة، وأبو جعفر بن الزبير، وأبو القاسم بن خير**. هؤلاء كلهم لقيهم؛ وأخذ عنهم؛ وكتب له بالإجازة جملة: كالقاضي **أبي علي بن الأحوص، وأبي القاسم العزفي، وأبي جعفر الطنجالي، وصالح بن شريف، وأبي عمرو الداري، وأبي محمد بن الحجام، وأبي بكر بن حبيش، وأبي يعقوب بن عقاب، وعز الدين الجداي، وفخر الدين بن البخاري، وابن طرخان، وابن البواب، وأمين الدين بن عساكر، وقطب الدين بن القسطلاني**؛ وغيرهم.

شعـره

وأما شعره فكثير بديع. قال شيخنا القاضي **أبو بكر ابن شبرين**: كتبت إليه[1]:

يـــا معمـــل السيـــر أي إعمـــال
سلم على الفاضـــل ابن قطـــرال

من أبيات راجعني عنها بأبيات؛ منها[2]:

زارت فـــأزرت بمســـك داريـــن
تفتـــــن للحســـــن في أفانيـــــن
ومثلهـــا فـــي شـــتى محاسنهـــا
ليســـت ببدع مـــن ابن شبريـــن

---

[1] **بحر المنسرح.**
[2] **بحر المنسرح.**

وفاتـه

تـوفي بحـرم اللـه عاكفـاً علـى الخيـر وصالـح الأعمـال، معرضـاً عـن زهـرة الحيـاة الدنيـا، إلـى أن اتصـل خبـر وفاتـه؛ وفيـه حكاية؛ عـام تسعـة وسبعمايـة[1]. ودخـل **غرناطـة** برسـم لقـاء الخطيـب الصالـح **أبـي الحسـن بـن فضيلـة**، وغيـر ذلـك.

***

[1] **الموافـق لـ 1309م.**

***

محمد بن أحمد

ابن محمد بن الأكحل[1]؛ يكنى أبا يحيى.

حاله

شيخ حسن الشيبة، شامل البياض، بعيد مدى الذقن، خدوع الظاهر، خلوب اللفظ، شديد الهوى إلى الصوفية، والكلف بإطراء الخيرية، سيما عند فقدان شكر الولاية، وجماح الحظوة، من بيت صون وحشمة، مبين عن نفسه في الأغراض، متقدم في معرفة الأمور العملية، خايض مع الخايضين في غمار طريق التصوف، وانتحال كيمياء السعادة، راكب متن دعوى عريضة في مقام التوحيد، تكذبها أحواله الراهنة جملة، ولا تسلم له منها نبذة، لمعاصاة خلقه على الرياضة واستيلاء الشره، وغلب سلطان الشهوة، فلم يجن من جعجاعه المبرم فيها إلا استغرق الوقت في القواطع عن الحق، والأسف على ما

[1] لـه ترجمـة أيضـاً في نفـح الطيـب.

رزته الأيام من متاع الزور، وقنية الغرور، والمشاحة أيام الولاية، والشباب الشاهد بالشره، والخلف المتصل بياض اليوم، في ثمن الخردلة باليمين التي تجر فساد الأنكحة، والغضب الذي يقلب العين، والبذا الذي يصاحب الشين، مغلوب عليه في ذلك، ناله بسببه ضيق واعتقال، وتفويت جدة، وإطباق روع، وقيد للعذاب، فألقيت عليه ردايي، ونفس الله عنه بسببي، محواً للسيئة بالحسنة، وتوسلاً إلى الله بترك الحظوظ، والمنة لله جل جلاله على ذلك.

شعره

خاطبني بين يدي نكبته أو خلفها بما نصه ؛ ولم أكن أظن الشعر مما تلوكه جحفلته[1]، ولكن الرجل من أهل الكفاية[2]:

[1] الجحفلة للدابة: بمنزلة الشفة للإنسان.
[2] البحر الطويل.

راجوتك[1] بعد الله يا خير منجـــد
وأكـــرم مأمـــول وأعظـــم مرفـــد[2]
وأفضـــل من أملت للحادث الذي
فقـــدت به صبري وما ملكـــت يـــد[3]
وحاشـــا وكلا أن يخيب مأمـــلي[4]
وقد علقـــت بابن الخطيب محمـــد
وما أنـــا إلا عبد أنعمـــه الـــتي[5]
عهدت بها يمني وإنجاح مقصـــد[6]
وأشـــرف من حض الملوك على التـــقى
وأبدى لهم نصحاً وصية[7] مرشـــد
وساس الرعايا الآن خير سياســـة
مباركـــة في كل غيـــب ومشهد[8]

---

[1] في النفـح: ((رجوتـك))؛ وهـو أسلـم.
[2] أي يـا أعظـم معط ومانـح.
[3] في النفـح: ((يـدي)).
[4] نفسـه: ((مؤمـلي))؛ وهـذا أسلـم.
[5] نفسـه: ((نعمتـه الـتي)).
[6] نفسـه: ((مقصـدي)).
[7] نفسـه: ((نصيحـة)).
[8] أي في كـل غيـب وحضـور.

وأعرض عن دنياه زهداً وإنهـــا
لمظهـــرة طوعـــاً له عن تـــودد
وما هو إلا الليث والغيث إن أتى
له خايـــف أو جاء مغنـــاه مجتـــد[1]
وبحـــــر علـــوم دره كلماتـــه
إذا رددت في الحفـــل أي تـــردد
صقيل مرأى[2] الفكر رب لطايف
محاسنهـــا تجـــلى بحســـن تعبـــد
بديع عـــروج النفس للملإ الـــذي
تجلـــت به الأسرار في كل مصعد
شفيـــق رقيق دايم الحلم راحـــم
وأي جميـــل للجميـــل معـــــود
صفوح عن الجاني على حين قدرة
يواصل[3] تقوى الله في اليوم والغد

---

[1] في النفـح: ((مجتـدي))؛ وهـو الـذي يطلـب العطـاء.
[2] نفسـه: ((مـرائي))؛ وهـو أسلـم.
[3] نفسـه: ((مواصـل)).

أيا سيدي يا عمـــدتي عند شدتي

ويا شربي[1] متى ظميت ومـــوردي

حنانيك والطف بي وكن لي راحماً

ورفقاً على شيـــخ ضعيف منكـــد

رجـــاك رجـــا[2] الذي أنت أهلـــه

ووافـــاك يهـــدي الثنـــا[3] المجـــدد

وأمك مضطراً لرحماك شاكيـــاً

بحال كحـــر الجمر حيـــن توقـــد[4]

وعندي افتقار لأنوال[5] مواصـــلاً

لأكرم مـــولى حاز أجـــراً وسيـــد

ترفـــق بأولاد صغـــار بكاؤهـــم

يزيـــد لوقـــع الحـــادث المتزيـــد

وليـــس لهـــم إلا إليـــك تطلـــع

إذا مسهـــم ضـــر أليـــم التعهـــد

---

[1] في النفـح: ((ويـا مشـربي))؛ وهـو أسلـم.
[2] نفسـه: ((رجـاء))؛ وهـو أسلـم.
[3] نفسـه: ((للثنـاء))؛ وهـو أسلـم.
[4] جـاء هـذا الشطر في النفـح هكذا: ((بحـال كجـر الشمـس حـال توقُّـد)).
[5] في النفـح: ((افتقـار لا يـزال))؛ وهـذا أسلـم.

أنلهـــم أيا مولاي نظرة مشفــق
وجد بالرضا وانظر لشمل مبـــدد
وقابل أخا الكره[1] الشديد برحمـــة
وأسعف بغفران الذنـــوب وأبعــد[2]
ولا تنظرن إلا لفضلـــك لا إلى
جريمـــة شيـــخ عن محلـــك مبعد
وإن كنـــت قد أذنبت إني تايـــب
فعـــاود[3] لي الفعل الجميـــل وجدد
بقيـــت بخيـــر لأنـــوال[4] وعـــزة
وعيـــش هنيء كيف شيت وأسعد
وسخـــرك الرحمـــن للعبـــد إنه
لمتـــــن[5] وداع للمحـــل المجـــدد

وقد ولي خططاً نبيهة، منها خطة الاشتغال على عهد الغادر المكايد للدولة؛ إذ كان من أولياء شيطانه وممديه في غيه، وسماسير شعوذته، فلم يزل من

[1] في النفح: ((الكرب)).
[2] نفسه: ((وأسعد)).
[3] نفسه: ((فعوِّد)).
[4] نفسه: لا يزال))؛ وهو أسلم.
[5] نفسه: ((لمثن)).

مسيطري ديوان الأعمال، على تهور واقتحام كبرة، وخط لا غاية وراءه في الركاكة، كما قال المعري[1]:

تمشـــت فوقـــه حمـــر المنايـــا

ولكـــن بعـــد ما مسخـــت نمـــالا

استحضرته يوماً بين يدي السلطان، وهو غفل لفك ما أشكل من معمياته في الأعمال عند المطالعة؛ فوصل بحال سيئة، ولما أعتب بسببه، ونعيت عليه هجنته، أحسن الصدر عن ذلك الورد، ونذر في نفسه، وقال حيا الله رداءة الخط، إذا كانت ذريعة إلى دخول هذا المجلس الكريم؛ فاستحسن ذلك، لطف الله بنا أجمعين.

وفاتـه

توفي عام سبعة وستين وسبعماية[2].

***

---

[1] البحر الوافر.

[2] الموافق لـ 1365م.

محمد بن الحسن

ابن زيد بن أيوب بن حامد الغافقي؛ يكنى أبا الوليد.

أوليته

أصله من **طليطلة**، انتقل منها جد أبيه، وسكنوا **غرناطة**، وعدوا في أهلها.

حاله

كان **أبو الوليد** طالباً نبيلاً، نبيهاً، سرياً، ذكياً، ذا خط بارع، ومعرفة بالأدب والحساب، ونزع إلى العمل فكان محمود السيرة، مشكور الفعل. وولي الإشراف في غير ما موضع. قلت: وآثاره في الأملاك المنسوبة إليه، التي من جملة المستخلص السلطاني **بغرناطة** وغيرها؛ مما يدل على قدم، وتَعِمّة أصيلة.

وفاتـه

تـوفي بمدينة **إشبيليـة** سنـة ثمـان وثمانيـن وخمسماية[1]؛ وسنـة دون الخمسيـن.

***

[1] **الموافـق لـ 1192م.**

محمد بن محمد

ابن حسان الغافقي؛ إشبيلي الأصل؛ غرناطي المنشأ؛
يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن حسان.

حالـه

من **العايد**: كان من أهل السرو والظرف والمروءة، وحسن الخلق. تولى الإشراف **بغرناطة**، وخطة الأشغال، فحسن الثناء عليه. وله أدب ومشاركة. حدثني بعض أشياخنا؛ قال: كنت على مائدة الوزير **ابن الحكيم**؛ وقد تحدث بصرف **ابن حسان** عن عمل كان بيده؛ وإذا رقعة قد انتهت إليه أحفظ منها[1]:

لكـم أيــاد لكـم أيـــاد
كـــررتهــا إنهــا كثيـــرة
فإن عزمتــم على انتقــالي
ريَّــة أبــغي أو الجزيـــرة

[1] البحر البسيط.

وإن أبيتـــم إلا مقــامي
فنعمـــة منكـم كبيـــرة

وقال لي بعضهم: جرى بين **ابن حسان** هذا، وبين أحد **بني علاق**[1]، وهم أعيان كلام وملاحة[2] فقال **ابن حسان**، إنما كان جدكم مولى **بني أضحى**، وجد **بني مشرف**؛ فاستعدى عليه، ورفعه إلى الوزير **ابن الحكيم**؛ فيما أظن. فلما استفهمه عن قوله؛ قال: أعزك الله؛ كنت بالكتبيين، وعُرِض عليّ كتاب قديم؛ في ظهره أبيات حفظتها وهي[3]:

أضحى الزمان بأضحى وهو مبتسـم
لنوره في سمـــاء[4] المجد إشـــراق
فلم يـــزل ينتمي للمجـــد كل فـــتى
تطيــب منه مواليـــد وأعـــراق

---
[1] في الزيتونـة ((بـني غبـلان)).
[2] في الإسكوريـال ((ملاحـاة))؛ وصوبت من الزيتونـة.
[3] البحـر البسيـط.
[4] في الزيتونـة: ((سنـاء)).

فإن تــرد شرفــاً يمــم مشرفــه[1]
وإن تــرد علق مجد فهو عــلاق

فعلـم الوزيـر أن ذلـك مـن نظمـه، ونتيجة بديهتـه؛ فعجـب مـن كفايتـه، وتـرضى خصمـه؛ وصرفهمـا بخيـر.

وفاتـه

وتـوفي فـي شهـر رجـب ثلاثـة عشـر وسبعمايـة[2].

***

[1] في الزيتونـة: ((مشرفهـم)).
[2] الموافـق لـ 1313م.

محمد بن عبد الله

ابن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم
ابن عبد العزيز بن إسحق بن أحمد بن أسد بن قاسم النميري؛
المدعو بابن الحاج؛ يكنى أبا عمرو؛ وقد مرّ ذكر أخيه.

حالـه

تولى خطة الإشراف **بلوشة وأندرش**[1] **ومالقة** وولي النظر في مختص **ألمرية**، والأعشار **الرومية بغرناطة**. وكان له خط حسن، وجودة كاملة، وحسن خلق، ووطأة أكناف، تشهد له بجلالة قدره، ورفيع خطره. وصاهر في أعيان كالوزير **أبي عبد الله بن أبي الحسن**؛[فاضل، سرى، مخلق، حسن الضريبة، متميز بخصال متعددة، من خط بديع، ونظم، ومشاركة في فنون، من طب وتعديل، وارتياض سماع، وذكر التاريخ. حج وجال في البلاد؛ ولقي جلة، وتولى **بالمغرب** خططاً نبيهة[2]][3] علية.

---

[1] سبق التعريف بها.
[2] في الإسكوريال: ((عملية)).
[3] ما بين الحاصرتين ورد في الزيتونة.

ثم كر إلى **الأندلس** عام ستين وسبعماية[1]؛ فأجرى من الاستعمال على رسمه. ثم اقتضت له العناية السلطانية ـ بإشارتي ـ أن يوجه في غرض الرسالة إلى **تونس** وصاحب **مصر**؛ لما تقدم من مرانه على تلك البلاد، وجولاته في أقطارها، وتعرفه بملوكها والجلة من أهلها؛ فآب بعد أعوام، مشكور التصرفات جارياً على سنن الفضلاء، مضطلعاً بالأحوال التي أسندت إليه من ذلك. فلم يزل معتنى به، مرشحاً إلى الخطط التي تطمح إليها نفس مثله، مسندا النظر في زمام العسكر الغربي إلى ولده؛ الذي يخلفه عند رحلته نايبا عنه، معززاً ذلك بالمرتبات والإحسان، تولاه الله وأعانه.

---

[1] **الموافق لـ 1358م.**

شعـره

مـدح السلطـان، وأنشـد لـه فـي المواليـد النبويـة ؛ ورفـع إلـى السلطـان ـ بحضـرتي ـ هـذه الأبيـات[1]:

مـــولاي يا خيـــر أعـــلام السلاطيـــن
ومن له الفضل في الدنيا وفي الديـــن

ومـــن له سيـــر ناهيـــك من سير
وافـــت بأكرم تحسين وتحصيـــن

شرفت عبـــدك تشريفاً له رتـــب
فوق النجوم التي فوق الأفق تعلين[2]

وكـــان لي موعـــد مولاي أنجزه
وزاد في العز بعد الرتبة الـــدون

والله ما الشكر مني قاضياً وطري
ولـــو أتيت بـــه حيناً على حيـــن

---

[1] البحـر البسيـط.

[2] تصـرف د. طويـل؛ فجعل هـذا الشطـر هكـذا: ((فـوق النجـوم الـتي للأفـق تعليـني)).

ولا الثنـــاء مـــوف حق أنعمـــه

ولـــو ملأت بـــه كل الـــدواويـــن

لكن دعـــايي وحبي قد رضيتهما

كفـــا[1] أفعالـــــه الغـــر الميامين

وعنـــد عبدك إخـــلاص يواصله

في خدمة لم يـــزل للخير تدنيـــن[2]

وســـوف أنصح كل النصح مغتنما

رضى إمـــام لـــه فضل يرجيـــن[3]

جوزيت عني أميرالمسلمين بمـــا

ترضاه للملك من نصر وتمكيـــن

وأنت أكرم من ساس الأنـــام ومن

عـــمَّ البـــلاد بتسكيـــن وتهديـــن

ومـــن كمثـــل أبي عبـــد الآلـــه إذا

أضحى الفخار لنا رحب الميادين

---

[1] أضـاف د. طويـل الهمـزة؛ فغدت: ((كفـاء)).
[2] أضـاف د. طويـل اليـاء؛ فأضحـت: ((تدنيـني)).
[3] أضـاف د. طويـل اليـاء؛ فأضحـت: ((يرجيـني)).

محمـــد بن أبي الحجاج خيرة من
أهدي إليه[1] مدحاً بالسعد يحظيـــن[2]

وجـــه جميل وأفعـــال تناسبـــــه
ودولـــة دولـــة المأمـــون تتسين

لا زال في السعد والإسعاد ما سجعت
ورق الحمام على قضب البساتيـــن][3]

***

---

[1] جعلها د. طويل: ((لـه)).
[2] أضـاف د. طويل اليـاء؛ فأضحت: ((يحظيـني)).
[3] هذه القصيدة ساقطة في الزيتونـة.

محمد بن عبد الرحمن

الكاتب، يكنى أبا عبد الله، من أهل غرناطة، أصله من وادي آش.

حالـه

كان طالباً نبيهاً كاتباً[1] جليلاً، جيد الكتابة. كتب عن بعض أبناء الخليفة **أبي يعقوب**، واختص بالسيد **أبي زيد بغرناطة**، **وبشرق الأندلس**، وكان أثيراً عنده مكرماً. وكان رحمه الله شاعراً، مطبوعاً، ذا معرفة جيدة بالعدد والمساحة، ثم نزع عن الكتابة، واشتغل بالعمل، فراش فيه، وولي إشراف بنيات **غرناطة**. ثم ولي إشراف **غرناطة**، فكف يده، وظهرت نصيحته. ثم نقل إلى حضرة **مراكش**، فولي إشرافها مدة، ثم صرف عنها إلى **غرناطة**، وقدم على النظر في المستخلص إلى أن توفي.

[1] **سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.**

مناقبـه

أشهد لما قربت وفاته، أنه كان قد أخرج في صحته وجوازه، أربعة آلاف دنير من صميم ماله؛ لتتميم القنطرة التي بنيت على **وادي شنجيل**[1] بخارج **غرناطة**[2]. وكان قبل ذلك قد بنى مسجد دار القضاء من ماله، وتأنق في بنائه، وأصلح مساجد عدة، وفعل خيراً، نفعه الله.

شعـره

من شعره ما كتب به إلى الشيخ **أبي يحيى ابن أبي عمران** وزير الخلافة، وهو بحال شكاية أصابته[3]:

[شكوت فأضنى المجد برح شكاته
وفارق وجه الشمس حسن أياتـــه
وعادت بعديك[4] الزمـــان زمانـــة
تعــدت إلـــى عـــــواد[5] وأساتـــه

---

[1] أو نهر شنيل؛ سبق التعريف به.
[2] وردت بعد هذه الكلمة في الزيتونة عبارة: ((وشرق الأندلس)).
[3] البحر الطويل.
[4] جعلها د. طويل: ((ببعديك)).
[5] جعلها د. طويل: ((عوّاده)).

وغيــض ما للبشــر لما تبسطت

يد للسقم[1] في ساحات كافي كفاتــه

فكيف بمقصوص وصلت جناحــه

وأدهــم قــد سربلــته بشاتـــــه

وممتحــن لولاك أذعــن خبــرة

وهان على الأيام غمــز قناتـــــه

أمعلــق آمــالي ومطمح همــتي

وواهــب نفسي في عداد مباتــه

سأستقبــل النعــمى ببرك غضـــة

ويصغــر ذنب الدهر في حسناته

وتسطو عين الحق منك بمرهــف

تراع الخطوب الجور من فتكاته

وتطلــع في أفق الخلافــة نيــراً

تطالعنـــا الأقمــار من قسماتــه

---

[1] **جعلها د. طويل: ((السقم)).**

حرام على الشكوى اعتياد مطهر
حياة الدنا والديـــن طي حياتـــه
فما عرضـــت في قصـــده بمساءة
ولكن ترجت أن ترى في عفاتـــه][1]

مشيختـه

قال **الغافقي**: قرأ **بمالقة** على الأستاذ **أبي زيد السهيلي** رحمه الله.

وفاتـه

وتوفي **بغرناطة** سنة سبع وستماية[2]؛ ودفن بداره بجهة قنطرة القاضي منها على ضفة الوادي.

***

[1] هذه القصيدة ساقطة في الزيتونة.
[2] الموافق لـ 1210م.

محمد بن عبد الملك

ابن سعيد بن خلف بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر[1].

أوليتـه

قـد وقـع التنبيـه عليهـا ويقـع بحـول اللـه.

حالـه

كـان وزيـراً جليلاً بعيـد الصيـت عـالي الذكـر رفيـع الهمـة، كثيـر الأمـل[2].

نباهتـه

ذكـره **ابـن صاحـب الصـلاة**؛ فـي تاريخـه فـي **الموحدين**[3]، فنبـه علـى مكانـة **محمـد بـن عبـد الملـك** منهـم فـي

---

[1] لـه ترجمـة في المغرب إذ يكنـي فيـه أبـا عبـد اللـه. ثـم نفـح الطيـب.

[2] في الزيتونـة: ((الأمـال)).

[3] وهـو عبـد الملـك بـن محمـد بـن صاحـب الصـلاة البـاجي المتـوفى حـوالي 605هـ/1208م؛ وكتابـه المشـار إليـه هـو كتـاب تاريـخ المـن بالإمامـة علـى المستضعفيـن بـأن جعلهـم اللـه أئمـة وجعلهـم الوارثيـن.

الرأي والحظوة، والأخذ عنه[1] في أمور **الأندلس**[2]، وأثنى عليه. وذكره **أبو زيد السهيلي** في **شرح السيرة الكريمة**[3]؛ حتى انتهى إلى حديث كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الموجه إلى **هرقل**، وأن **محمد بن عبد الملك** عاينه عند **أذفونش**، مكرماً، مفتخراً به. والقضية مشهورة. وأما محله من أمداح الشعراء، فهو الذي مدحه الأديب **أبو عبد الله الرصافي** بقوله[4]:

أبـــداً[5] تفيض وخاطـــراً متوقـــداً
دعها تبت قبســـاً على علم النـــدا

وفيه يقول **أبو عبد الله بن شرف**؛ من قصيدة[6]:

---

[1] في الإسكوريال: ((معه))؛ وصححت من الزيتونة.
[2] في النفح: ((أمور الناس)).
[3] في النفح: ((الشريفة)). لأن ((شرح السيرة الكريمة)) هو كتاب روض الأنف؛ في السيرة النبوية؛ وهو شرح لسيرة ابن هشام.
[4] البحر الكامل.
[5] في ديوان الرصافي: ((أيَداً)).
[6] البحر البسيط.

يا رحمة الله للـــراجي ونقمتـــه

لكل باغ طغـــا عن خيرة الرســـل

لم تبق منهـــم كفـــوراً دون مرقبة

مطالعاً منك حتفـــاً غير منفصـــل

كما بزاتـــك لم تتـــرك بأرضهـــم

وحشا يفر ولا طيـــرا بلا وجـــل

وكان كثير الصيد، ومتردد الغارات.

مناقبـه في الديـن

قالوا: لما أنشده **أبو عبد الله الرصافي** في القصيدة التي مطلعها[1]:

لِمَحَلِّـــكَ التَّـــرْفيـــعُ والتَّعْظيـــمُ

وَلِوَجْهِـــكَ التَّقْدِيـــسُ وَالتَّكْرِيـــمُ

[1] **البحر الكامل.**

حلف ألا يسمعها؛ وقال: عليَّ جايزتك؛ لكن طباعي لا تحتمل مثل هذا. فقال **الرّصافي**: ومن مثلك، ومن يستحق ذلك في الوقت غيرك. فقال له: دعني من خداعك. أنا وما أعلمه عن نفسي.

شعره

أنشده صاحب **الطالع**[1]، ولا يذكر له غيره[2]:

فلا تظهرن ما كان في الصدر كامناً
ولا تركبن بالغيظ في مركب وعر
ولا تبحثن في عذر من جاء تايباً
فليس كريماً من يباحث في عذر[3]

---

[1] هو كتاب الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد؛ لأبي الحسن علي بن سعيد الأندلسي؛ وهو بدوره صاحب كتاب المغرب في حلى المغرب.
[2] في الإسكوريال: ((قوله))؛ وصوبت من الزيتونة. وهذان البيتان من البحر الطويل.
[3] في المغرب، والنفح: ((في العذر)).

وولي من الأعمال **للموحدين** كثيراً، كمختص حضرة **مراكش**، ودار السلاح، **وسلا**، **وإشبيلية**، **وغرناطة**. واتصلت ولايته على أعمال **غرناطة**؛ وكان من شيوخها وأعيانها.

محنته

وعمل فيه عقد بأن بداره من أصناف الحلى، ما لا يكون إلا عند الملوك، وأنه إذا ركب في صلاة الصبح، من دار الرخام التي يجري الماء فيها، في اثني عشر مكاناً، شوش الناس في الصلاة، دوي الجلاجل بالبزاة، ومناداة الصيادين، ونباح الكلاب؛ فأمر المنصور بالقبض عليه، وعلى ابن عمه صاحب أعمال **إفريقية أبي الحسين**؛ في سنة ثلاث وسبعين وخمسماية[1]. ثم رضي عنهما، وأمر **محمد بن عبد الملك** أن يكتب بخطه كل ما أخذ له، فصرفه عليه، ولم ينقصه منه شيء، وغرم ما فات له.

---

[1] **الموافق لـ 1177م.**

مولـده

ولـد سنـة أربـع عشـر[1] وخمسمايـة[2].

وفاتـه

وتـوفي **بغرناطـة** سنـة تسـع وثمانيـن وخمسمايـة[3].

***

[1] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((أربع عشرة)).
[2] الموافق لـ 1120م.
[3] الموافق لـ 1193م.

محمد بن سعيد

ابن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن عثمان ابن محمد بن عبدالله بن عمار بن ياسر العنسي[1]؛ يكنى أبا بكر، وقد تقدم التعريف بأوليته.

حالـه

قال في الطالع ساد في دولة الملثمين[2]، وولوه **بغرناطة** الأعمال، وكانت له دار الرخام المشهورة بإزاء الجامع الأعظم **بغرناطة**. قال **الغافقي** فيه: شيخ جليل، فقيه نبيه من أهل **قلعة يحصب**[3]. كان في عداد الفقهاء، ثم نزع إلى العمل، وولي إشراف **غرناطة** في **إمارة أبي سعيد الميمون بن بدر اللمتوني**. وقال صاحب **المسهب**: وحَسْبُ القلعة كون هذا الفضل الكامل منها، وقد رَقَمَ بُرْدَ مَجْدِهِ بالأدب، ونال منه بالاجتهاد والسجية القابلة، أعلى سبب، وله من المكارم ما يغير في وجه **كعب**

---

[1] له ترجمة أيضاً في: المغرب في حلى المغرب، ورايات المبرزين، ونفح الطيب، وتاريخ قضاة الأندلس.
[2] أي دولة المرابطين اللمتونيين.
[3] تسم أيضاً قلعة بني سعيد؛ تقع شمال غرناطة؛ وقد سبقت الإشارة إليها.

وحاتم[1]، لذلك ما قصدته الأدباء، وتهافتت في مدحه الشعراء، وفيه أقول[2]:

وكان أبو بكر من الكفر عصمة
ورد به الله الغواة إلى الحق
وقام بأمر الله حافظ أهله
بلين وسبط في المبرة والخلق
وهذا أبو بكر سليل ابن ياسر
بغرناطة ناغاه في الرأي والصدق
فهذا لنا بالغرب يجنى معالماً
تباهى الذي أحيا الديانة بالشرق

وقد جرى من ذكره عند ذكر **أبي بكر بن قزمان**، ويجري عند ذكر **نزهون بنت القلاعي** ما فيه كفاية، إذ كان مفتوناً بها، **وبحمدة وزينب بنتي زياد المؤدب؛** من **أهل وادي آش**، وفيهما يقول[3]:

---

[1] **هما: كعب بن مامة الإيادي وحاتم الطائي. سبقت الإشارة إليهما.**
[2] **البحر الطويل.**
[3] **بحر المجتث.**

مــا بيــن زينــب عمــري

أحـــــث كــأسي وحمـــــده

وكــــل نظــــم ونثــــــر

وحكمـــــــة مستجـــــــــده

وليـــــس إلا عفـــــاف

يبلــــغ المــــرء قصـــــده

ولذلك ما سعى به **المخزومي الأعمى**، وقد سها عن رسم تفقده ، فكتب إلى **علي بن يوسف**[1] في شأنه بما كان سبب عزله ونكبته[2]:

إليــك أميــر المؤمنين نصيحــة

يجوز بها البحر المجعجع شاعــر

بغرناطة وليت في الناس عامــلاً

ولكــن بما تحويه منــه المــآزر

---

[1] **أمير المسلمين المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين؛ الذي حكم من 500هـ/1106م إلى 537هـ/1142م.**

[2] **البحر الطويل.**

وأنـــت ما[1] تخـــفي عليـــك خفية
فسل أهلها فالأمر للناس ظاهــر
وما لإلآه العــرش تفنيـــه حمـــدة
وزينب والكأس الذي هو دايـــر

شعــره

من ذلـك قولـه[2]:

يـــا هـــذه لا تـــرومي
خـــداع مـــن ضـــاق ذرعـــــه
تبـــكي وقـــد قتلتـــني
كالسيـــف يقطـــــر دمعـــــه

وقـال عـفى اللـه عنـه[3]:

لقد صدعت قلبي حمامة أيكـــة[4]
أثارت غراماً ما أجـــل وأكرمـــا

---

[1] جعلها د. طويل: ((أمـا)).
[2] البحـر المجتـث.
[3] البحـر الطويـل.
[4] في المغرب: ((بانـة)).

ورق نسيم الريح من نحو أرضكم
ولطف حــتى كــاد أن يتكلمــا

وقال في مذهب الفخر[1]:

فخرنــا بالحديــث بعد القديــم
من معــال توارثــت[2] كالنجــوم
نحن في الحــرب أجبل راسيات
ولنــا في الندي لطــف النسيــم

مولـده

ولـد في سنة ثـلاث وثمانيـن وأربعمائـة[3].

وفاتـه

وتـوفي سنـة تسـع وثلاثيـن وخمسمايـة[4].

***

---

[1] البحـر الخفيـف.
[2] في المغـرب: ((تواتـرت)).
[3] الموافـق لـ 1090م.
[4] الموافـق لـ 1142م.

ومن الطارئين في هذا الاسم من العمال

***

محمد بن أحمد

ابن المتأهل العبدري[1]؛ من أهل وادي آش؛ يكنى أبا عبد الله.

حاله

كان رجلاً شديد الأدمة، أعين، كث اللحية طرفاً في الأمانة، شديد الاسترابة بجليسه، مخيناً لرفيقه، سيئ الظن بصديقه، قليل المداخلة، كثير الانقباض، مختصر الملبس والمطعم، عظيم المحافظة على النفير والقطمير، مستوعب للحصر والتقييد، أسير محيي وعابد زمام، وجنيب أمانة وحلس سقيفة، ورقيب مشرف، لا يقبل هوادة، ولا يلابس رشوة، كثير الالتفات، متفقداً للآلة، متمماً للعمل.

جرى ذكره في بعض الموضوعات الأدبية بسبب شعر خامل نسب إليه بما نصه: رجل غليظ الحاشية معدود في جنس السائمة والماشية، تليت على العمال به سورة

---

[1] له ترجمة أيضاً في نفح الطيب؛ حيث سمي ((العذري))؛ بدل ((العبدري)).

الغاشية، ولي الأشغال السلطانية، فذعرت الجباة لولايته، وأيقنوا بقيام قيامتهم لطلوع آيته، وقنطوا كل القنوط، وقالوا جاءت الدابة تكلمنا، وهي إحدى الشروط، من رجل صايم الحسوة، بعيد عن المصانعة والرشوة، يتجنب الناس، ويقول عند المخالطة لهم لا مساس، عهدي به في الأعمال يخبط ويتبر، وهو يهلل ويكبر، ويحسن ويقبح، وهو يسبح، انتهى. قلت: وولي الأشغال السلطانية، فضم النشر، وأوصد باب الحيلة، وبث أسباب الضياع، وترصد ليلاً وأصيب بجراحة أخطأته، ثم عاجلته الوفاة، فنفس عن أقتاله المخنق.

شعره

قال يخاطب بعض أثراء الدولة قبل نباهته[1]:

عمادي ملاذي مويلي ومؤملي
ألا أنعم بما ترضاه للمتأهل

---

[1] البحر الطويل.

وحقــق بنيل القصد منك رجاءه
على نحو ما يرضيك يا ذا التفضل
فأنت الذي في العلــم يعرف قدره
بخير زمان منه لا زلت فيه تعتل[1]
فهنيــت يا مَغْنَى[2] الكمــال برتبة
تقــر لكم بالسبــق في كل محفل

وفاته

تـوفي عـام ثلاثـة وأربعيـن[3]؛ **بغرناطة** أو قبـل ذلـك بيسير، ولـه خـط حسـن، وممارسـة فـي الطلـب، وقـد توسـط المعتـرك.

***

---

[1] جـاء هذا الشطر في النفـح هكذا: ((بخير زمان فيه لا زلت تعتلي)).
[2] في النفـح: ((معنى)).
[3] يقصد 743هـ/1342م. إذ جـاء في النفـح: ((تـوفي عـام ثلاثـة وأربعيـن وسبعمائـــة)).

محمد بن محمد

ابن محمد بن عبد الواحد البلوي[1]؛ من أهل ألمرية؛ يكنى أبا بكر.

أوليته

من كتاب **المؤتمن**[2] قال: يشهر بنسبه وأصل سلفه من جهة[3] إما من بجانة[4]، وإما من **البريج**[5]، واستوعب **بيرة** سبب انتقالهم.

حاله

من **عايد الصلة**، كان أحد الشيوخ من طبقته، وصدر الوزراء من نمطه ببلده، سراوة وسماحة، ومبرة[6] وأدباً ولوذعية ودعابة، رافع راية الانطباع، وحايز قصب[7]

---

[1] نسبة إلى دار بَلِيّ بقرطبة؛ وهم من بني بَلِيّ بن عمرو بن قضاعة. وكان هذا الحي العربي يسكن في الجهات الشمالية من قرطبة.
[2] وهذا الكتاب يسمى: المؤتمن في أنباء أبناء الزمن. ألفه أبو البركات محمد بن محمد البلفيقي. سبق التعريف بالكتاب وبصاحبه.
[3] تقع هذه البلدة جنوب المنصورة المتواجدة على نهرالمنصورة؛ شمال شرقي ألمرية.
[4] بجانة Pechina؛ وهي مدينة اشتهرت بحمتها ومياهها الطبية؛ وتقع غربي نهر أندرش؛ وإلى الشمال الغربي من ألمرية؛ بحدود خمسة أميال.
[5] بلدة في مقاطعة ألمرية؛ وتقع على مقربة من بجانة.
[6] في الزيتونة: ((مبارة)).

قصب[1] السبق في ميدان التخلق، مبذول البر، شايع المشاركة.

وقال في **المؤتمن**: كان رجلاً عاقلاً، عارفاً بأقوال الناس، حافظاً لمراتبهم، منزلاً لهم منازلهم، ساعياً في حوايجهم، لا يصدرون عنه إلا عن رضى بجميل مداراته. التفت إلى نفسه، فلم ينس نصيبه من الذل، ولا أغفل من كان يألفه في المنزل الخشن، واصلاً لرحمه، حاملاً لوطأة من يجفوه منهم، في ماله حظ للمساكين وفي جاهه رفد للمضطرين، شيخاً ذكي المجالسة تستطيب معاملته، على يقين أنه يخفي خلاف ما يظهر، من الرجال الذين يصلحون الدنيا، ولا يعلق بهم أهل الآخرة، لعروه عن النخوة والبطر، رحمه الله. تكررت له الولاية بالديوان غير ما مرة، وورد على **غرناطة**، وافداً ومادحاً ومعزياً.

---
[1] **في الزيتونة: ((قصبة)).**

مشيخته [وما صدر منه][1]

قرأ على **ابن عبد النور**، وتأدب به، وتلا على القاضي **أبي علي بن أبي الأحوص** أيام قضايه ببسطة، ونظم رجزاً في الفرايض.

شعره

قال الشيخ[2] في **المؤتمن**: كانت له مشاركة في نظم الشعر الوسط، وكان شعر تلك الحلبة الآخذة عن **ابن عبد النور**، كأنه مصوغ من شعره شيخهم المذكور، ومحذو عليه، في ضعف المعاني، ومهنة الألفاظ. تنظر إلى شعره، وشعر **عبد الله بن الصايغ**، وشعر **ابن شعبة**، **وابن رشيد، وابن عبيد**؛ فتقول ذرية بعضها من بعض.

[1] **هذه الإضافة من الزيتونة.**
[2] **الشيخ هنا هو أبو البركات؛ شيخ ابن الخطيب.**

فمن ذلك ما نظمه في ليلة سماع واجتماع بسبب قدوم أخيه **أبي الحسن من** الحجاز[1]:

إلـــهي أجرني إنـــني لـــك تايب
وإنـــي من ذنـــبي إليك لهـــارب
عصيتك جهـــلاً ثم جئتك نادمـــاً
مقراً وقد ســـدت علي المذاهـــب
مضى زمن بي في البطالة لاهيـــاً
شبابي قد ولى وعمـــري ذاهـــب
فخـــذ بيدي واقبل بفضلك توبتي
وحقق رجائي في الذي أنا راغب
أخاف على نفسي ذنوباً جنيتهـــا
وحاشاك أن أشقى وأنت المحاسب
وإني لأخشى في القيامـــة موقفـــاً
ويوماً عظيماً أنت فيه المطالـــب
وقد وضع الميـــزان بالقسط حاكما
وجاء شهيد عنـــد ذاك وكاتـــب

---

[1] **البحر الطويل.**

وطاشت عقول الخلق واشتد خوفهـم

وفــرّ عن الإنسان خــل وصاحــب

فما ثم من يرجى سواك تفضـــلاً

وإن الــذي يرجو ســواك لخايب

ومن ذا الذي يعطي إذا أنت لم تجـد

ومن هو ذو منع إذا أنت واهــب

عبيدك يا مــولاي يدعوك رغبـــة

وما زلت غــفاراً لمن هو تايــب

دعوتك مضطراً وعفوك واســع

فأنت المجازي لي وأنت المعاقب

فهب لي من رحماك ما قد رجوته

وبالجود يا مولاي ترجى المواهب

توسلــت بالمختار من آل هاشـم

ومن نحوه قصداً تحث الركايــب

شفيع الورى يوم القيامة جاهـــه

ومنقذ من في النار والحق واجب

وممـا بلـغ فيـه أقصـى مبالـغ الإجـادة، قولـه مـن قصيـدة هنـأ فيهـا سلطاننـا **أبـا الحجـاج بـن نصـر**[1]، لمـا وفـد وهـو وجملـة أعيـان البـلاد أولهـا[2]:

يهـــني الخلافـــة فتحت لك بابهـــا
فادخل على اسم اللـــه يمنا غابهـــا

منهـا وهـو بديـع ، استظـرف يومئـذ :

يـــا يوسفيـــاً باسمـــه وبوجهـــه
اصعد لمنبرهـــا وصن محرابهـــا
في الأرض مكنك الإله كيوسف
ولتملكـــــن بربهـــــا أربابهـــــا
بلغت بكم آرابهـــا من بعـــد مـــا
قالـــت لذلـــك نســـوة ما رابهـــا

---

[1] سابـع سلاطيـن بـني نصـر وهـو أبـو الحجـاج يوسـف بـن إسماعيـل؛ حكـم مـن سنـة 733هـ/1332م إلى سنـة 755هـ/1354م.
[2] البحـر الكامـل.

كانت تـــراود كفوهـــا حـــتى إذا
ظفـــرت بيوسف غلقـــت أبوابهـــا

[قلت: ما ذكره المؤلف **ابن الخطيب** رحمه الله، في هذا المترجم به، من أنه ينظم الشعر الوسط، ظهر خلافه، إذا أثبت له هذه المقطوعة الأخيرة. ولقد أبدع فيها وأتى بأقصى مبالغ الإجادة كما قال: وحاز بها نمطاً أعلى مما وصفه به. وأما القصيدة الأولى فلا خفاء أنها سهل المأخذ، قريبة المنزع، بعيدة من الجزالة، ولعل ذلك كان مقصوداً من ناظمها رحمه الله][1].

وفاته

توفي ببلده عن سن عالية؛ في شهر ربيع الآخر عام ثمانية وثلاثين وسبعماية[2].

---

[1] **هذا التعليق المحصور بين حاصرتين ـ الذي كما هو ظاهر من إنشاء الناسخ ـ وهذه الفقرة لم ترد إلاّ في مخطوط الإسكوريال.**
[2] **الموافق لـ 1337م.**

ورثاه شيخنا **أبو بكر بن شبرين** رحمه الله بقوله[1]:

يا عين سحي بدمع واكف سرب
لحامل الفضل والأخـــلاق والأدب
بكيت إذ ذكرت الموتى على رجل
إلى بـــلي من الأحيـــاء منتســـب
عـــلى الفقيـــه أبي بكر تضمنـــه
رمـــس وأعمل سيرا ثم لم يـــؤب
قد كـــان بي منه ود طاب مشرعه
ما كان عن رغب كلاً ولا رهـــب
لكـــن ولا[2] على الرحمن محتسبـــاً
في طاعة اللـــه لم يمذق ولم يشب
فاليوم أصبح في الأجداث مرتهنا
ما ضرت الريح أملودا من الغضب
إنا إلى اللـــه من فقد الأحبة مـــا
أشد لذعاً لقلـــب الثاكل الوصـــب

[1] البحر البسيط.
[2] جعلها د. طويل: ((ولاء)).

من للفضائــل يسديهــا ويلحمهــا
من للعلى بين موروث ومكتســب
قل فيــه أما[1] تصف ركناً لمنتبــذ
روض لمنتجــع أنــس لمغتــرب
باق على العهــد لا تثنيــه ثانيــة
عن المكارم في ورد ولا قــرب
سهل الخليقة بادي البشر منبســط
يلقى الغريب بوجه الوالد الحــدب
كم غير الدهــر من حال فقلبهــا
وحــال إخلاصــه ممتدة الطنــب
ســامي المكانــة معروف تقدمــه
وقدره في ذوي الأقدار والرتــب
أكرم به من سجايا كان يحملهــا
وكلها حســن تنبيك عن حســب
ما كان إلا من الناس الإلى درجــوا
عقلاً وحلماً وجــوداً هامي السحــب

[1] **جعلها د. طويل: ((مـا))؛ بعد حذف الألـف.**

أمسى ضجيع الثرى في جنب بقلعــة
لكــن محامــده تبــقى على الحقــب
ليست صبابة نفسي بعده عجبــاً
وإنما صبرهـــا من أعجب العجب
أجاب دمعي إذ نادى النعي بـــه
لو غير منعاه نادى الدمع لم يجب
ما أغفــل المــرء عما قد أريد به
في كل يوم تناديــه الردى اقترب
يا ويح نفسي الأنفاس[1] مضت هدراً
بين البطالـــة والتسويــف واللعـــب
ظننـــت أنـــي بالأيـــام ذو هـــزء
غلطـــت بل كانت الأيام تهزأ بي
أشكو إلى الله فقري من معاملـــة
لله أنجو بهـــا في موقف العطـــب

[1] جعلها د. طويل: ((أنفاس)).

ما المال إلا من الله قوى فأفلـــح مـــن[1]

جـــاء القيامـــة ذا مال وذا نشـــب

أبـــا بكـــر الأرضي نـــداء أخ[2]

بـــاك عليـــك مدى الأيام مكتئـــب

أهلاً بقدمتـــك الميمون ظاهرهـــا

على محل الرضى والسهل والرحـــب

نم في الكرامة فالأسباب وافـــرة

وربمـــا نيلت الحسنى بلا سبـــب

للـــه للـــه والآجـــــال قاطعـــة

ما بيننـــا من خطابات ومن خطب

ومـــــن فرايـــد آداب يحبرهـــا

فيودع الشهب أفلاكاً من الكتـــب

أما الحيـــاة فقـــد مليـــت مدتهـــا

فعـــوض اللـــه منهـــا خير منقلب

---

[1] **هذا الصدر مختل.**

[2] **تصرف د. طويل؛ فجعل هذا الصدر هكذا: ((اسمع أبا بكر الأرضي نداء أخ)).**

لولا قواطع لي أشراكها نصبــت
لزرت قبرك لا أشكو من النصب
وقل ما تتشفيت نفس بزورة مَــنْ
حــل البقيــع ولكن جهــد ذي أرب
يا نخبـــة ضمها ترب ولا عجب
إن التراب قديمـــاً مدفــن النخـــب
كيف السبيل إلى اللقيا وقد ضربوا
بيني وبينك ما بقي من الحجــب
عليـــك مني سلام اللـــه يتبعـــه
حسن الثنا[1] وما حييت من كثـــب

***

[1] أضـاف د. طويـل الهمـزة؛ فأضحـت: ((الثنـاء)).

محمد بن محمد

ابن شعبة الغساني[1]؛ من أهل ألمرية؛ يكنى أبا عبد الله.

حاله

قال شيخنا **أبو البركات** في **الكتاب المؤتمن**: من أهل **ألمرية** ووجوهها؛ لا حظ له في الأدب، وبضاعته في الطلب مزجاة. قطع عمره في الأشغال المخزنية، وهو على ذلك حتى الآن. قلت: هذا الرجل أحد فرسان الطريقة العملية، ماض على لين، متحرك في سكون، كاسد سوق المروءة، ضان بما يملك من جدة، منحط في هوة اللذة، غير معرج على ربع الهمة، لطيف التأني، متنزل في المعاملة، دمث الأخلاق، مليح العمل، صحيح الحساب، منجب الولد.

[1] **لـه ترجمـة أيضـاً في الكتيبـة الكامنـة.**

مشيختـه

قـرأ عـلى **ابـن عبـد النـور**، والقـدر الـذي يحـس بـه عنـه أخـذه.

شعـره

من شعره يخاطب **أبا الحسن بن كماشة**[1]:

وافى البشير فوافى الأنس والجذل
وأقبـل السعد والتوفيق والأمـل
وراقت الأرض حسناً زاهراً وسـنى
واخضرت[2] منها الربى والسهل والجبل
ولاح وجـه علي بعـد ذا فغـدا
له شعاع كضوء الشمس متصـل
مذ غاب أظلمت الدنيا لنا وغـدت
أحشاؤنـا بلهيـب الشوق تشتعل

---

[1] **البحر البسيط.**
[2] **حذف د. طويل ((التاء))؛ فغدت: ((واخضرّ)).**

وحيـــن أشرقـــت الدنيـــا بغرتـــه

عاد الظلام ضياء وانتفى الخبـــل

إيه أبا حســـن أنت الرجـــاء لنـــا

مهمى اعترت شدة أو ضاقت الحيـــل

وأنت كهف منيـــع من نحاك فقـــد

نال المنى وبدا عيش له خضـــل

يا سيداً قد غدا في المجد ذا رتب

مشيـــدة قد بنتهـــا الســـادة الأول

بنو كماشة أهل الفضل قد شهروا

باهت بهم في قديم الأعصر الدول

السالكـــون هدى السابقـــون مدى

والباذلـــون ندى والناس قد بخلوا

أنت الأخير زمانـــاً والقديم عـــلاً

والسيد المرتجى والفارس البطـــل

إن كنـــت جئــت أخيـــراً فلقـــد[1]

أضحى بجود يديك يضرب المثل

حزت المآثـــر لا تحصى لكثرتهـــا

من رام إحصاءها سدت له السبل

جزت البدور سنى والفرقدين علا

وأنت تجر الندى والوابل الهطـــل

من جاء يطلب منك السلم قابلـــه

وجه طليـــق ولفـــظ كله عســـل

ومن يرد غير ذا تبـــاً له وردى

لقد ترفـــع في بـــرج له زحـــل

هنـــاك ربك ما أولاك من نعـــم

وعشت في عزة تترى وتتصـــل

ولا عدمت مـــدى الأيـــام منزلـــة

من دونها رفعة في الأبرج الحمل

---

[1] **تصرف د. طويل؛ فجعل هذا الصدر هكذا:**
((إن كنت جئت فارساً أخيراً فلقد)).

وخذه بعد سلاماً عاطراً أرجـــــاً
يدوم ما دامت الأسحار والأصـــل
من خـــادم لعلاكـــم مخلص لكـــم
من حبكم لا يـــرى ما عاش ينتقل
تقبيـــل كفـــك أعـــلى ما يؤملـــه
فجـــد بـــه فشفـــا الهايـــم القبـــل

وفاتـه

في أول عـام أربعـة وستيـن وسبعمايـة[1].

***

[1] الموافق لـ 1362م.

محمد بن محمد

ابن العراقي[1]؛ وادي آشي؛ يكنى أبا عبد الله.

حالـه

فاضل الأبوة، معروف الصون والعفة، بادي الاستقامة، دمث الأخلاق، حسن الأدوات، ينظم وينثر، ويجيد الخط، تولى أعمالاً نبيهة، ثم علقت به الحرفة؛ فلقي ضغطاً، وفقد نشباً، واضطر إلى التحول عن وطنه إلى بر **العدوة** عام ستة وخمسين وسبعماية[2]، وتعرف لهذا العهد أنه تولى الأشغال **بقسنطينة** الهواء[3] من عمل **إفريقية**.

---

[1] له ترجمة أيضاً في نفح الطيب؛ حيث سمي: محمد بن محمد العراقي.
[2] الموافق لـ 1355م.
[3] هكذا كانت تسمى مدينة قسنطينة الجزائرية؛ بحكم موقعها، وتخطيط مبانيها المعلقة في قمة جبل شاهق؛ يحاذيه وادٍ ذي مهاوٍ سحيقة. وتعتبر قسنطينة من المدن الجزائرية العريقة التي بنيت في حقبة سبقت الحكم الروماني؛ وهي من المدن الزاهرة المتنورة في الجزائر.

شعـره

كتب إلـيّ وقـد أبـى عمـلاً عـرض عليه[1]:

أأصمت أنفاً ثم أنطـق بالخلـف
وأفقـد إلفـاً ثم آنـس بالجلـف
وأمسك دهري ثم أنطق[2] علقمـاً
ويمحق بدري ثم ألحق بالخسـف
وعزكم لا كنـت بالـذل عامـلاً
ولو أن ضعفي ينتـمي إلى حتف[3]
فـإن تعملوني في تصرف عـزة
وعدل وإلا فاحسموا علة الصرف
بقيت وسحب العطف[4] منكم تظلني
وعطـف ثنـاتي دائمـاً ثـاني العطـف[5]

***

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] في النفـح: ((أفطـر)).
[3] كتب هذا العجز في النفح هكذا: ((ولو أن ضعفي ينتمي بي إلى الحتف)).
[4] في النفـح: ((العفـو)).
[5] ورد هـذا الشطـر في النفـح هكذا: ((وحـظٌ ثنـائي دائمـاً ثـاني العطـف)).

محمد بن عبد الله

ابن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فُرتون الأنصاري؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا القاسم، ويعرف بالهنا.

أوليته

ينسب إلى القاضي **ببطليوس**، قاضي القضاة رحمه الله. **وبمالقة** دور تنسب إلى سلفه تدل على نباهة، وقد قيل غير ذلك. والنص الجلي أولى من القياس.

حاله

من **عايد الصلة**: الشيخ الحاج المحدث صاحب الأشغال بالدار السلطانية. صدر نمطه، وفريد فنه، رجولة وجزالة واضطلاعاً وإدراكاً وتجلداً وصبراً. نشأ **بمالقة**، معدوداً في أهل الطلب والخصوصية، ورحل إلى **الحجاز** الشريف في فتايه[1]، فاستكثر من الرواية، وأخذ عن أكابر

[1] في الزيتونة: ((شبابه)).

من أهل **المشرق والمغرب**؛ حسبما يشهد بذلك برنامجه. وكان على سنن من السرو[1] والحشمة، فذا في الكفاية، جرياً مقداماً مهيباً، ظريف الشارة، فاره المركب، مليح الشيبة، حسن الحديث، وقاد الذهن، صابراً على الوظايف، يخلط الخوض في الأمور الدنيوية، بعبادة باهظة، وأوراد ثقيلة، ويجمع ضحك الفاتك، وبكاء الناسك، في حالة واحدة، هشاً، مفرط الحدة، يشرد عليه مجل[2] لسانه في المجالس السلطانية بما تعروه المندمة بسببه، قايماً على حفظ القرآن وتجويده وتلاوته، ذا خصال حميدة، صناع اليد، مقتدراً على العمليات من نسخ ومقابلة وحساب، معدوداً من صدور الوقت وأعلام القطر، ورجال الكمال.

---

[1] في الزيتونة: ((الصبر)).
[2] في الإسكوريال: ((مجد)).

مشيختـه

أخذ عـن الجلـة مـن أهـل بلـده كالأستـاذ **أبـي محمـد بـن أبـي السـداد الباهـلي**؛ لازمـه وانتفـع بـه والخطيـب **أبـي عثمـان بـن عيسـى**؛ أخـذ عنـه[1]، والـولي **أبـي عبـد اللـه الطنجـالي**، وغيرهـم مـا يطـول ذكرهـم مـن **العـدوة والأندلـس والمشارقـة**.

محنتـه

لـقي نصبـاً فـي الخدمـة السلطانيـة، وغـضاً مـن الدهـر لبـأوه، بتعنتـه وعـدم مبالاتـه مـرات؛ ضيـق لهـا سجنـه، وعـرض عليـه النكـال، ونيـل منـه بالإهانـة كـل منـال، وأغـرم مـالا أجحـف بمحتجنـه، وعـرض للأيـدي نفايـس كتبـه، وعـلى ذلـك فلـم يذعـر سربـه، ولا أضعفـت النكبـة جأشـه.

---

[1] جـاء فـي الزيتونـة بعـد هـذا الاسـم مـا يـلي: ((ومـن أهـل الشـرق جـار الله تـقي الديـن، وأبـو محمـد عبـد الله بـن عبـد المؤمـن القـرشي الـدلاصي؛ قـرأ عليـه القـرآن بالحـرم الشريـف)).

مولـده

ولـد عـام ثلاثـة وسبعيـن وستمايـة[1].

وفاتـه

ومات ميتة حسنة. صلى الجمعة ظهراً؛ وقد لزم الفراش، ونفث دم **الطاعون**؛ ومات مستقبل القبلة؛ على أتم وجوه التأهب؛ سابع شوال من عام خمسين وسبعماية[2].

***

[1] **الموافق لـ 1274م.**
[2] **الموافق لـ 1349م.**

محمد بن عبد الله

ابن محمد بن مقاتل؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا القاسم؛
أزدي النسب، إشبيلي الأصل، من بيت نزاهة ونباهة.

حاله

كان فاضلاً وقوراً سمحاً، مليح الدعابة، عذب الفكاهة، حلو النادرة، يكتب ويشعر، طرفاً في الانطباع واللوذعية، آية في خلط الجد بالهزل. ولي الإشراف بمدينة **مالقة**، وتقلب في الشهادة المخزنية عمره.

شعره

من شعره يخاطب ذا الوزارتين **أبا عبد الله بن الحكيم** رحمه الله[1]:

فـــؤادي من خطب الزمان سقيم
وفيـــه لسهـــم الحادثـــات كلـــوم

1 **البحر الطويل.**

ولم أشك دايي في البرية لامـــرئ
أأشكـــو به وابن الحكيـــم حكيـــم

وفاتـه

تـوفي **بمالقـة** يـوم الخميس عاشـر شهـر رمضـان مـن عـام تسعـة وثلاثيـن وسبعمايـة[1].

***

[1] **الموافـق لـ 1338م.**

محمد بن علي

ابن عبد ربه التجيبي؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا عمرو.

حاله

كان راوية ثقة، بارع الأدب، بليغ الكتابة، طيب النفس، كامل المروءة، حسن الخلق، جميل العشرة، تلبس بالأعمال السلطانية دهراً، وولي إشراف **غرناطة** وغيرها، إلى أن قعد لشكاية منعته من القيام والتصرف فعكف على النظر، فانتفع به.

مشيخته

كانت له رحلة سمع فيها **بالأسكندرية** على **أبي عبد الله بن منصور** وغيره، وروى عنه الأخوان: **سالم وعبد الرحمن** ابنا **صالح بن سالم**.

توالیفـه

لـه اختصـار حسـن فـي **أغـاني الإصبهـاني**، ورد جيـد على **ابـن غرسيـة** فـي **رسالتـه الشعوبيـة** [1]؛ لـم يقصـر فيهـا عـن إجـادة.

وفاتـه

وتـوفي لسبـع خلـون مـن محـرم مـن عـام اثنيـن وستمايـة[2].

***

[1] **هـو أبـو عامـر أحمـد بـن غرسيـة؛ مـولى مجاهـد العامـري صاحـب دانيـة (400-436 هـ)؛ ينتـمي إلى نصـارى البشكنـس؛ سـبي في صغـره؛ وأدبـه مـولاه. أمـا رسالتـه المسمـاة بالرسالـة الشعوبيـة؛ فقـد شحنهـا بكراهيـة العرب، وملأهـا بالتحامـل عليهـم. وبالمقابـل يمجـد قومـه الأول مـن العجـم (الـروم والنصـارى). ثـم وجههـا إلى الشاعـر ابـن الحـداد؛ المقيـم ببـلاط المعتصـم بـن صمـادح أمير المريـة. وقـد تصـدى لابـن غرسيـة عـدد مـن الأدبـاء والعلمـاء؛ حيـث اتهمـوه بالشعوبيـة؛ ومـن هـؤلاء صاحـب هـذه الترجمـة.**

[2] **الموافـق لـ 1205م.**

***

محمد بن إبراهيم

ابن محمد بن محمد الأنصاري[1]؛ من أهل غرناطة؛
يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالصناع.

حالـه

من **عايد الصلة**: الشيخ الصوفي، الكثير الأتباع، الفذ الطريقة المحبب إلى أهل الثغور من البادية. كان رحمه الله شيخاً حسن السمت كثير الذكر والمداومة، يقود من المخشوشنين عدد ربيعة ومضر، يعمل الرحلة إلى حصونهم، فيتألفون عليه، تألف النحل على أمرايها ويعاسيبها، معلنين بالذكر، مهرولين، يغشون مثواه، بأقواتهم على حالها، ويتناغون في التماس القرب منه، ويباشرون العمل في فلاحة كانت له بما يعود عليه بوفر وإعانة. وكان من الصالحين، وعلى سنن الخيار الفضلاء

[1] سمي في تاريخ قضاة الأندلس: ((محمد بن إبراهيم بن محمد بن غالب الأنصاري)).

من المسلمين، وله حظ من الطلب ومشاركة، يقوم على ما يحتاج إليه من وظائف دينه، ويتكلم في طريق المتصوفة على مذهب **أبي عبد الله الساحلي** شيخه، كلاماً جهورياً، قريب الغمر[1] وكان له طمع في صناعة الكيمياء تهافت على دفاتيرها، وأهل منتحليها، ليستعين بها بزعم على آماله الخيرية ؛ فلم يحل بطايل.

مشيخته

قرأ على أستاذ الجماعة **أبي جعفر بن الزبير**، وكانت له في حاله فراسة. حدثني بذلك شيخنا **أبو عبد الله بن عبد الولي** رحمه الله. وسلك على الشيخ الصالح **أبي عبد الله الساحلي**.

---

[1] **في الإسكوريال: ((القصر)) .**

وفاتـه

وتـوفي ليلـة الاثنيـن السابـع مـن شهـر شـوال عـام تسعـة وأربعيـن وسبعمايـة[1]، وكانـت جنازتـه آخـذة فـي الاحتفـال، قـدم لهـا العهـد، ونفـر لهـا النـاس مـن كـل أوب، وجـيء بسريـره، تلـوح عليـه العنايـة، وتحفـه الأتبـاع المقتاتـون مـن حـل أموالهـم وأيديهـم من شيـوخ الباديـة، فتولـوا مواراتـه، تعلـو الأصـوات حولـه، ببعـض أذكـاره.

***

[1] الموافق لـ 1346م.

محمد بن أحمد

الأنصاري؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالمؤاق.

حالـه

كان معلماً لكتاب الله[1] تعالى، خطيباً بمسجد **ربض الفخارين**، طرفاً في الخير ولين العريكة، والسذاجة المشفوعة بالاختصار، وإيثار الخمول، مستقيماً في طريقته، خافتاً في خطبته، عاكفاً على وظيفته، مقصوداً بالتماس الدعاء، مظنة الصلاح والبركة.

وفاتـه

توفي **بغرناطة** قبل سنة خمسين وسبعماية[2] بيسير، وكلف الناس بقبره بعد موته، فأولوا حجارته من التعظيم، وجلب أواني المياه للمداواة ما لم يولوه معشاره أيام حياته.

***

---

[1] هذه الإضافة من الزيتونة.

[2] الموافق لـ 1349م.

محمد بن حسنون

الحميري، من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله

حالـه

كان فاضلاً صالحاً، مشهور الولاية والكرامة يقصده الناس في الشدايد، فيسألون بركة دعايه. ومن إملاء الشيخ **أبي بكر بن عتيق بن مقدم**؛ قال: أصله من **بياسة**[1]، وكان عمه من المقرئين المحدثين بها، وسكن هو **مرسية**، ونشأ بها، وقرأ على أشياخها، وحفظ **كتاب التحبير في علم أسماء الله الحسنى** للإمام أبي **القاسم القشيري**، ثم انتقل إلى **غرناطة**، فسكن فيها **بالقصبة القديمة**، وأم الناس في المسجد المنسوب إليه الآن. وكان يعمل بيده في الحلفا، ويتقوت من ذلك.

[1] بياسة **Baeza**؛ بلدة صغيرة تابعة لجيان؛ وتبعد عنها بعشرين ميلا تقريبا. وهي قريبة من نهر الوادي الكبير.

وفاتـه

تـوفي عـام خمسـة وسبعمايـة[1] **بغرناطـة** ؛ وهـو مـن عـدد الزهـاد.

ومـن مناقبـه

ذكـروا أنـه سمـع يومـاً بعـض الصبيـان يقـول لصبـي آخـر: مـر للحبـس ؛ فقـال أنـا المخاطـب بهـذا ؛ فانصـرف إلـى السجـن، فدخلـه، وقعـد مـع أهلـه، وبلـغ ذلـك السلطـان ؛ فوجـه وزيـره، فأخرجـه، وأخـرج معـه أهـل السجـن كلهـم، وكانـت مـن كراماتـه.

***

[1] الموافـق لـ 1305م.

محمد بن محمد

البكري؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الحاج.

كان رحمه الله شيخاً صالحاً جهورياً، بعيداً[1] عن المصانعة، متساوي الظاهر والباطن، مغلظاً لأهل الدنيا، شديداً عليهم، غير مبال في الله بغيره، يلبس خرقة الصوفية من غير التزام لاصطلاح، ولا منقاد لرقو، ولا مؤثر لسماع. مشاركاً للناس، ناصحاً لهم، ساعياً في حوايجهم. خدم الصالح الكبير **أبا العباس بن مكنون**، وسلك به، وكان من بيت القيادة والتجند، فرفض زيه، ولبس المسوح والأسمال. وكان ذا حظ من المعرفة، يتكلم للناس. قال شيخنا **أبو الحسن بن الجياب**، سمعته ينشد في بعض مجالسه[2]:

---

[1] **في الأسكوريال: ((من)).**
[2] **بحر الرجز.**

يـــا غاديـــاً في غفلـــة ورايحـــاً
إلى مـــتى تستحســـن القبايحـــــا
وكم إلى كـــم لا تخـــاف موقفـــاً
يستنطـــق اللـــه به الجوارحـــــا
يا عجبـــاً منـــك وأنـــت مبصـــر
كيف تجتنب[1] الطريـــق الواضحـــا
كيف تكون حيـــن تقـــرأ[2] في غد
صحيفـــة قـــد مليـــت فضائحـــا
أم كيـــف ترضى أن تكون خاسراً
يـــوم يفـــوز من يكـــون رابحـــا

---
[1] جعلها د. طويل: ((تُجَنِّبُ)).
[2] حذف د. طويل الهمزة؛ فغدت: ((تقرا)).

ولما حاصر **الطاغية**[1] **مدينة ألمرية**، وأشرفت على التلف، تبرع بالخروج منها ولحاقه بباب السلطان، لبث حالها، واستنفار المسلمين إلى نصرها؛ فيسر له من ستر غرضه، وتسهيل قصده، ما يشهد بولايته.

وفاتـه

توفي **بألمرية** محل سكناه؛في حدود عام خمسة عشر وسبعماية[2].

***

[1] المقصود هنا هو خايمي الثاني؛ ملك أرجون؛ حين حاول الإستيلاء على ألمرية؛ فقام بحصارها في سنة 709هـ/1309م؛ وذلك بتحريض من صنوه فرناندو الرابع ملك قشتالة؛ الذي سعى ـ في الوقت نفسه ـ بدوره إلى حصار جبل طارق.
[2] الموافق لـ 1315م.

محمد بن محمد

ابن أحمد الأنصاري؛ غرناطي، قيجاطي[1] الأصل؛ يعرف بالسواس.

قال في **المؤتمن** في حاله: رجل متطبب، سهل الخلق، حسن اللقاء. رحل من بلده، وحج، وفاوض **بالمشرق** الأطباء في طريقته، وعاد فتصدر للطب، ثم عاد إلى بلاد **المشرق**. قلت: وعظم صيته، وشهر فضله، وقدم أمينا على أحباس مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم **بالمدينة الطاهرة** وصدقاته، وذكر عنه أنه اضطره أمر إلى أن خصي نفسه، وسقطت لذلك لحيته.

قال شيخنا **أبو البركات**: أنشدنا بدكانه برحبة المسجد الأعظم، من حضرة **غرناطة**؛ قال: أنشدنا **أبو عبد الله المراكشي بالإسكندرية**؛ قال: أنشدنا **مالك بن المرحل** لنفسه[2]:

---

[1] **نسبة إلى بلدة قيجاطة Quesada؛ هي بلدة تابعة لجيان؛ وتقع إلى الشمال الشرقي منها.**

[2] **البحر الطويل.**

أرى الكلاب بشتـــم الناس قد ظلمت

والكلب أحفظ مخلـــوق لإحســـان

فإن غضبت على شخـــص لتشتمه

فقل له أنت إنســـان ابـــن إنســـان

وفاتـه

كـان حياً عـام خمسيـن وسبعماية[1] فيمـا أظـن.

***

[1] **الموافق لـ 1349م.**

ومن الطارئين عليها في هذا الاسم

***

محمد بن أحمد

ابن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن جعفر بن محمد بن أحمد
ابن مروان بن الحسن بن نصر بن نزار بن عمرو بن زيد بن عامر
ابن نصر بن حقاف السلمي؛ يكنى أبا عبد الله،
ويعرف بابن جعفر، ويشهر في الأخير بالقونجي؛
منسوباً إلى قرية بالإقليم؛ وكان من أهل غرناطة.

حاله

من خط شيخنا **أبي البركات بن الحاج**: كان هذا الرجل، رجلاً صالحاً فاضلا متخلقاً، سمحاً، جميل اللقاء على قدم الإيثار على رقة حاله، ممن وضع الله له القبول في قلوب عباده؛ فكانت الخاصة تبره ولا تنتقده، والعامة توده وتعتقده، وتترادف على زيارته، فئة بعد فئة، فلا تنقلب عنه إلا راضية، وكان جارياً على طريقة الشيخ **أبي الحسن الشاذلي** ؛ إذ كان قد لقي **بالمشرق** الشيخ الإمام **تاج الدين بن عطاء الله**، ولازمه وانتفع به، كما

لقي ولازم **تاج الدين أبا العباس المرسي**، كما لازم **أبو العباس أبا الحسن الشاذلي**][1]. قال: ولقيه بعد هذا الشيخ **أبي عبد الله جماعات** في أقطار شتى، ينسبون إليه، ويجرون من ملازمته الأذكار في أوقات معينة على طريقته، وله رسايل منه إليهم طوال وقصار، يوصيهم فيها بمكارم الأخلاق، وملازمة الوظايف، وخرج عنه إليهم على طريقة التدوين، كتاب سماه بـ((**الأنوار في المخاطبات والأسرار**))؛ مضمنه جملة من كلام شيخهم **تاج الدين**، وكلام **أبي الحسن الشاذلي**، ومخاطبات خوطب بها في سره، وكلام صاحبه **أبي بكر الرندي**، وحقايق الطريق، وبعض كرامات غير من ذكر من الأولياء، وذكر الموت، وبعض فضايل القرآن.

مشيخته

قرأ على الأستاذ **أبي الحسن البلوطي** وأجازه، وعلى **أبي الحسن بن فضيلة** وأجازه كذلك، وعلى **أبي جعفر بن الزبير** وأجازه، ثم رحل؛ فحج ودخل **الشام**، وعاش

---

[1] **ما جاء بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة.**

مدة من حراسة البساتين، واعتنى بلقاء المعروفين بالزهد والعبادة، وكان ملياً بأخبار من لقي منهم، فمنهم الشيخ **أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله**، وصاحبه **أبو بكر بن محمد الرندي**.

مناقبه

قال: دخلت معه إلى من خفَّ على قلبي الوصول إلى منزله لما قدم **ألمرية**، وهو رجل يعرف بالحاج رحيب، كان من أهل العافية، ورقت حاله، ولم يكن ذلك يظهر عليه، لمحافظته على ستر ذلك لعلو همته، ولم يكن أيضاً أثر ذلك يظهر على منزله، بل أثاث العافية باق فيه من فرش وماعون. فساعة وصول هذا الشيخ، قال: الله يجبر حالك، فحسبتها فراسة من هذا الشيخ. قال: وخاطبته عند لقائي إياه بهذه الأبيات:

أشكو إليك بقلـــب لست أملكـــه

ما لم يرد من سبيل فهو يسلكـــه

له تعاقـــــب أهـــــواء فيقلقـــه

هذا ويأخـــذه هـــذا ويتركـــــه

طـــوراً يؤمنـــه طورا يخوفـــه

طورا ييقنـــه طـــورا يشككـــه

حينـــاً يوحشـــه حينـــا يونســـه

حينا يسكنـــه حينـــا يحركـــــه

عسى الذي يمسك السبع الطباق على

يديـــك يا مطلع الأنوار يمسكـــه

فيه سقام من الدنيـــا وزخرفهـــا

مهما أبيضـــه بالذكـــر تشركـــه

عسى الذي شأنه الست[1] الجميل كما

غـــطى عليه زماناً ليس يهتكـــه

[1] سقطت هذه الكلمـة في الإسكوريـال.

فلما قرأ منها: ((فيه سقام من الدنيا وزخرفها))؛
قال: هذه علتي.

مولده

سألته عنه فقال لي عام ثمانية وستين[1] **بقرية الجيط** من قرى الإقليم.

وفاته

بقرية **قنجة**[2] خطيباً بها، يوم الاثنين عشرين من شهر شعبان المكرم عام خمسين وسبعماية[3]، في الوباء العام، ودفن بقرية **قنجة**، رحمة الله عليه ورضوانه.

***

[1] يقصد: 668هـ/1269م.
[2] في الزيتونة: ((قرتجة)).
[3] الموافق لـ 1349م.

محمد بن أحمد

ابن حسين بن يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن صفوان
القيسي[1]؛ وبيته شهير بمالقة؛ يكنى أبا الطاهر،
ويعرف بابن صفوان.

حالـه

كان مفتوحاً عليه في طريق القوم، ملهماً لرموزهم، مصنوعاً له في ذلك، مع المحافظة على السنة، والعمل بها. آخر الرعيل، وكوكب السحر، وفذلكة الحساب ببلده، اقتداء وتخلقاً وخشوعاً وصلاحاً وعبادة ونصحاً. رحل فحج، وقفل إلى بلده، مؤثراً الاقتصار على ما لديه، فإذا تكلم في شيء من تلك النحلة، يأتي بالعجايب، ويفك كل غامض من الإشارات. وعُني بالجزء المنسوب إلى شيخ الإسلام **أبي إسمعيل الروبي** المسمى بـ((**منازل الساري إلى الله**))؛ فقام على تدريسه، واضطلع بأعبايه، وقيد عليه ما لا يدركه إلا أولوا العناية، ولازمه الجملة من أولى الفضل والصلاح، فانتفعوا به،

---

[1] **لـه ترجمـة في: الكتيبـة الكامنـة، ونيـل الابتهـاج.**

وكانوا في الناس قدوة. وولي الخطابة بالمسجد الجامع من الربض الشرقي، وبه كان يقعد، فيقصده الناس، ويتبركون به، وكان له مشاركة في الفقه، وقيام على كتاب الله.

توالیفه

ألف بإشارة السلطان على عهده، أمير المسلمين **أبي الحجاج** رحمه الله[1]، كتاباً في التصوف والكلام على اصطلاح القوم، كتب عليه شيخنا **أبو الحسن بن الجياب** بظهره؛ لما وقع عليه؛ هذه الأبيات[2]:

[أيـــام مولاي الخليفـــة يوســـف

جـــاءت بهـــذا العالم المتصـــوف

فكفى بما أسدى من الحكـــم الـــتي

أبديـــن من سر الطريقة ما خـــف[3]

---

[1] هو أبو الحجاج يوسف بن فرج بن إسماعيل؛ سابع سلاطين دولة بني نصر بغرناطة؛ حكم من سنة 733هـ1332م/ إلى سنة 755هـ/1354م.

[2] البحر الكامل.

[3] أضاف د. طويل الياء؛ فغدت: ((خفي)).

وحقايق رفع الحجاب بهن عن
نور الجمال فــلاح غيــر مكيــف][1]
كالشمــس لكن هــذه أبدي سنــاً
للحســن والمعنى لعين المنصــف
فيــه حيــاة قلوبنــا ودواؤهــا
فمن استغاث بجرعــة منها شــف[2]
إن ابــن صفــوان إمــام هدايــة
صافي فصوفي فهو صوفي صف[3]
وإن اختبرت فإنه صفو ابن صفــ
ــوٍ ظاهر في طيه صفــو خــف[4]
علــم توارثــه وحــال قد خلــت
ذوقاً فنعــم المقتــدى والمقتــف[5]

---

[1] الأبيات الواردة بين حاصرتين وردت في الزيتونة فقط.
[2] أضاف د. طويل الياء؛ فغدت: ((شفي)).
[3] أضاف د. طويل الياء؛ فغدت: ((صفي)).
[4] أضاف د. طويل الياء؛ فغدت: ((خفي)).
[5] أضاف د. طويل الياء؛ فغدت: ((المقتفي)).

فليهنـــك المـــولى سعـــود إيالـــة
فيهـــا ســـراج نـــوره لا ينطـــف[1]
جلَّى وجـــوه شريعـــة وحقيقـــة
صبحـــاً سنـــاه باهـــر لا يختـــف[2]
لا زلت تسلك كل نهـــج واضـــح
منهـــا وتحيـــي كل سعي مزلـــف

من تواليفه

((**جَرُّ الحرِّ**))؛ في التوحيد، وعلق على الجزء المنسوب **لأبي إسماعيل الهروي**.

من أخذ عنه

أخذ عنه ببلده، وتبرَّك به جُلَّة، وكان يحضر مجلسه عالم، منهم: شيخ الشيوخ الأعلام **أبو القاسم الكسكلان، وأبو الحسين الكوّاب، والأستاذ الصالح أبو**

---

[1] **أضاف د. طويل الياء؛ فغدت: ((لا ينطفي)).**
[2] **أضاف د. طويل الياء؛ فغدت: ((لا يختفي)).**

عبد الله القطان، وصهره الأستاذ **أبو عبد الله بن قوال**، والعاقد الناسك **أبو الحسين الأحمر**، وغيرهم.

شعـره

رأيت من الشعر المنسوب إليه، وقد رواه عنه جماعة من أصحابنا، يُذَيِّل قول **أبي زيد** رضي الله عنه[1]:

رأيتــك تدنيني إليــك تباعــدني[2]
فأبعدت نفسي [الابتغاء التقــرب][3]

فقـال[4]:

هويــت بدمنى إليه فلــم يكــن[5]
بي البعــد بعدي فصح به قــرب[6]

---

[1] البحر الطويل.
[2] ورد هذا الصدر في الكتيبة الكامنة هكذا:
((رأيتك يدنيني إليك تباعدي)).
[3] في الإسكوريال: ((لابتغاء في القرب)). وما ذكر أعلاه ورد في الزيتونة. وصوبت في الكتيبة الكامنة حيث كتبت: ((وابتغائي من القرب)).
[4] البحر الطويل.
[5] ورد هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا:
((هربت به مني إليه فلم يكن)).
[6] في الكتيبة: ((قربي)).

فكـــان به سمعي كما بصري بـــه
وكان به لأئ[1] لساني مع القلـــب
فقربــــي به قرب بغيـــر تباعـــد
وقربي في بعدي فلا شيء من قرب[2]

وفاتـه

سافر من بلده إلى **غرناطة** في بعض وجهاته إليها، وذهب سحراً يرتاد ماء لوضويه. فتردى في حفرة تردياً أوهن قواه، وذلك بخارج **بلش**؛ فرد إلى **مالقة**؛ فكانت بها وفاته قبل الفجر من ليلة يوم الجمعة الرابع عشر لشعبان عام تسعة وأربعين وسبعماية[3].

***

[1] في الكتيبة: ((لا بي)).
[2] نفسه: ((قربي)).
[3] الموافق لـ 1348م.

محمد بن أحمد

ابن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالساحلي[1].

حاله

من **عايد الصلة**: المثل الساير في عمران أوقاته كلها بالعبادة، وصبره على المجاهدة. قطع عمره في التبتل والتهجد لا يفتر لسانه عن ذكر الله، والصلاة على نبيه، صلى الله عليه وسلم. خرج عن متروك والده، واقتصر على التمعش من حرفة الخياطة. ثم تعداها إلى النسخ والتعليم، وسلك على الشيخ **أبي القاسم المريد**، نفع الله به، حتى ظهرت عليه سيما الصالحين، وأقام عمره مستوعباً ضروب الخير، وأنواع القرب من صوم وأذان وذكر، ونسخ وقراءة، وملازمة خلوة. ذا حظ من الفصاحة. وجرأة على الوعظ، في صوت جهير، وعارضة صليبة. اقتدى به طوايف من أصناف الناس على تباعد الديار، وألزمهم الأذكار، وحولهم للسلوك، فأصبح كثير

[1] له ترجمة أيضاً في: الكتيبة الكامنة، ونيل الابتهاج.

الأتباع، بعيد الصيت. وولي الخطابة بالمسجد الجامع من بلده، ونقل إلى الخطابة، بجامع **غرناطة** في نبوة عرضت له بسبب ذنابى ذرية طرقوا الكدر إلى سربه[1]، ثم عاد إلى بلده متين ظهر الحظوة، وثيق أساس المبرة.

مشيخته

قرأ ببلده **مالقة** على الخطيب **أبي محمد بن عبد العظيم بن الشيخ، وأبي عبد الله بن لب، وأبي جعفر الحرار، وأبي عبد الله بن الحلو،** الخطيب **أبي عبد الله ابن الأعور**.

محنته

ابتلي بعد السبعين من عمره بفقد بصره؛ فظهر منه من الصبر والشكر والرضا بقضاء الله، ما يظهر من مثله. وأخبرني بعض أصحابه أنه كان يقول: سألت الله أن

---

[1] **في الزيتونة: ((شرفه)).**

يكف بصري خوفاً من الفتنة. وفي هذا الخبر نظر لمكان المعارضة في أمره صلى الله عليه وسلم بسؤال العافية، والإمتاع بالإسماع والإبصار.

شهرته

وجعل الله له في قلوب كثير من الخلق، الملوك فمن دونهم، من تعظيمه ما لا شيء فوقه، حتى أن الشيخ المعمر الحجة الرحلة **أبا علي ناصر الدين المشدالي؛** كتب إليه من **بجاية** بما نصه: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾[1]. وبعده: من العبد الأصغر والمحب الأكبر فلان، إلى سيد العارفين، وإمام المحققين، في ألفاظ تناسب هذا المعنى.

---

[1] **الآية كاملة هكذا: (فَلَمّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قالُوا يا أيّهَا العَزِيزُ مَسّنَا وَأَهْلَنَا الضّرّ وَجِئْنَا ببِضَاعَةٍ مّزْجَاةٍ فأَوْفِ لنَا الكَيْلَ وَتَصَدّقْ عَلَيْنَا إنّ اللّهَ يَجْزي المُتَصَدّقِينَ). سورة يوسف؛ الآية: 88.**

حدثني شيخنا **أبو الحسن بن الجياب**؛ وكان من أعلام تلاميذه، وصدور السالكين على يديه؛ قال: قصدت منه خلوة، فقلت: يا سيدي، أصحابنا يزعمون أنك ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فاخبرني واشف صدري؛ هل هذه الرؤيا عينية أو قلبية؟ قال: فأَفْكَر ساعة، ثم قال: عندي شك في رؤية **ابن الجياب** الساعة ومحادثته؛ فقلت: لا؛ فقال: كذلك الحال؛ قلت: وهذا أمر غريب؛ ولا يصح إلا رؤية القلب، ولكن غلبت عليه حتى تخيل في الحس الصورة الكريمة؛ إذ وجود جوهر واحد في محلين اثنين محال.

شعـره

نظم الكثير من شعر منحط؛ لا يصلح للكتب ولا للرواية؛ ابتلي به رحمه الله، فمن لبابه قوله؛ وهو من الوسط[1]:

[1] **البحر الكامل.**

إن كنت تأمل[1] أن تنال وصالهم
فامح الهوى في القيل والأفعال
واصبر على مر الدواء فإنه
ياتيك بعد بخالص السلسال

تواليفه

ألف كتاباً سماه ((**إعلان الحجة في بيان رسوم المحجة**)).

توفي يوم الجمعة الرابع والعشرين لشوال عام خمسة وثلاثين وسبعماية[2]، وكانت جنازته مشهودة، تزاحم الناس على نعشه، وتناولوه تمزيقاً على عادتهم من ارتكاب القحة[3] الباردة في مسلاخ حسن الظن.

***

---

[1] في الكتيبة: ((تطلب)).
[2] الموافق لـ 1334م.
[3] في الزيتونة: ((الحجة الباردة)).

محمد بن أحمد

ابن قاسم الأمي؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالقطان؛ الفقيه الأوواب المتكلم المجتهد.

حالـه

من **العايد**: كان هذا الرجل غريب المنزع عجيب التصوف. قرأ وعقد الشروط، وتصدر للعدالة، ثم تجرد، وصدق في معاملته لله، وعول عليه، واضطلع بشروط التوبة، فتحلل من أهل بلده، واستفاد واسترحم، واستغفر، ونفض يديه من الدنيا، والتزم عبادة كبيرة، فأصبح يشار إليه في الزهد والورع، لا تراه إلا متبسماً، ملازماً لذكر الله، متواضعاً لأصاغر عباده، محبا في الضعفاء والمساكين، جميل التخلق، مغضياً عن الهنات، صابراً على الإفادة. وجلس للجمهور بمجلس **مالقة**، يتكلم في فنون من العلم، يعظ الناس، ويرشدهم، ويزهدهم، ويحملهم على الإيثار، في أسلوب من الاستنفار[1] والاسترسال، والدلالة، والفصاحة والحفظ

---

[1] في الإسكوريال: ((الاستحفار))؛ وفي الزيتونة: ((الاستعمار)).

كثير التأثير في القلوب، يخبر بإلهام وإعانة. فمال الخلق إليه، وتزاحموا على مجلسه، وأعلنوا بالتوبة، وبادر مترفوهم إلى الإقلاع عن إجابة الشهوات، والاستقالة من الزلات. ودهم الوباء، فبذلوا من الأموال في أبواب البر والصدقة، ما لا يأخذه الحصر ولا يدركه الإحصاء ولو لا أن الأجل طرقه، لعظم صيته، وانتشر نفعه.

وفاتـه

توفي شهيد الطاعون عصر يوم الأربعاء الرابع لصفر من عام خمسين وسبعماية[1]، ودفن بجبانة **جبل فاره**[2]، ضحى يوم الخميس الثاني من يوم وفاته. وصلى عليه خارج **باب قِنتنالة**، وألحده في قبره الخطيب القاضي الصالح **أبو عبد الله الطنجالي**، رحم الله جميعهم.

وممن رثاه الشيخ الأديب **أبو الحسن الورَّاد** فقال[3]:

---

[1] **الموافق لـ 1349م.**

[2] **جبل فارة وبالإسبانية Gibralfaro؛ هو الجبل الذي يشرف على مالقة من الجهة الجنوبية.**

[3] **البحر الطويل.**

[أبعـــد ولـــي اللـــه دمعي يسجم
وغمار قلبي من كلــوم تترجــم
فــؤادي مكلوم بحـــزني لفقــده
لـــذاك جفــوني دمعهـــا كلـــه دم][1]
وماذا عسى يغني التفجـــع والبكـــا
وماذا عسى يجدي الأسى والتبرم
سأصبر للبلوى وإن جل خطبهـــا
فصبـــر الفتى عند الشدايد يعلـــم
كذا العلم بالسيف الصقيل لدى الوغى
فويـــق الذي من حسنـــه يوســـم[2]
على قدر صبر المرء تصغر عنده
خطوب من الدنيا على الناس تعظم
ألا إنهـــــا الدنيـــا تعلـــة باطـــل
ومخمضة[3] أحلام لمن بات يحلـــم

---

[1] **هذان البيتـان المحصـوران بيـن حاصرتيـن؛ وردا في الزيتونـة فقـط.**
[2] **أضـاف د. طويـل: ((لا))؛ فأضحـت: ((لا يوسـم)).**
[3] **جعلهـا د. طويـل: ((محمـض)).**

تجنبهـــا أهل العقـــول فأقصــــروا

وأغـــرق فيها الجاهلـــون وأشأم[1]

أعد نظـــراً فيها تجبـــك براحـــة

وانس بما تقـــضي عليـــك وتحكم

أعـــد لها دريـــاق صبـــرك إنهـــا

من البـــؤس والتلويـــن والله أرقم

تلفت إلـــى تعـــذيبهـــا لمحبهـــا

ومإذا بهـــا يلقى كثيب ومغـــرم

يظـــن بها ريحانـــة وهي ســـدرة

ولا منتهـــى إلا الـــردى والتنـــدم

عجبت لها تخفـــي علينا عيوبهـــا

وذاك لأنـــا فـــي الحقيقـــة نـــوم

أليـــس عجيبـــاً أن يعـــول عاقـــل

على عاجل من وصلها يتصـــرم

---

[1] جعلها د. طويل: ((وأشأموا)).

وما وصلها معشار عشر صدورها
ولكنـــه صـــرف للـــدهـــر[1] أدوم
إذا ابتسمت يوماً ترقب عبوسهـــا
فمـــا إن لنا منهـــا يدوم التبســـم
ضحى كان وجه الدهر سبر بشره
فلـــم يمس حتى بان منه التجهـــم
ذرينـــا بعقـــد من ولي مكانـــه
مكين لدي العلياء ســـام معظـــم
هوى مثل هوى من الأفق كوكب
فجللنـــا ليل من الخطـــب مظلـــم
تساوى لديه صيدهـــا وعبيدهـــا
وعالمهـــــا النحريـــر والمتعلـــم
هو الموت لا ينفك للخلـــق طالبـــاً
يروح ويغـــدو كل حيـــن عليهـــم
ومـــا هـــو إلا الـــداء عـــز دواؤه
فليـــس لشيء في البسيطة يحسم

---

[1] **أضـاف د. طويـل: الـواو؛ فأضحـت: ((وللدهـر)).**

دها كل مخلـــوق فما منــــه سيـــد

له الجاه عنـــد اللـــه ينجو فسلـــم[1]

ولو كان ذا كـــان النـــبي محمـــد

تجنبـــه صلـــوا عليـــه وسلـــم[2]

تعـــنى به مـــوسى ويوسف قبله

ونـــوح وإدريـــس وشيـــث وآدم

به بـــاد بهـــرام وتبـــــر بهـــرم

وكسر من كسرى سوار ومعصم

وكم من عظيم الشأن حل بربعـــه

فإن تختبـــره فهـــو رب وأعظـــم

ولكننـــا ننـــسى ونـــأبى حديثـــه

وننجد في الإعراض عنه ونتهـــم

فحـــتى إذا حـــل ساحـــة ماجـــد

نظـــل بهـــا مـــن حســـرة نتكلـــم

---

[1] **جعلها د. طويل: ((ويسلم)).**
[2] **جعلها د. طويل: ((وسلموا)).**

نسينا حديث الموت جهلاً بغـــدره

فألهمنـــا إذ هزنـــا منـــه ملهـــــم

وفـــاة ورمي في التـــراب موســـد

وآثـــاره فـــــوق السمـــاك تخيـــم

خبا ضـــوء نـــادي أقفـــر[1] ربعـــه

من العلـــم والتعليـــم ربع ومعلـــم

تـــردى فأردى فقـــده أهـــل ريـــة

فمـــا منهـــم إلا كئيـــب ومغـــرم

غدا أهلهـــا من فجعـــة بمصابـــه

وعيشهم صـــاب قطيـــع وعلقـــم

وهل كان إلا والـــد مات عنهـــم

فيا من لقوم يتمـــوا حين أو يتـــم[2]

قضى نحبه الأستاذ واحد عصـــره

فكاد الأسى يقضي إلى الكل منهم

---

[1] **جعلها د. طويل: ((فأقفر)).**
[2] **جعلها د. طويل: ((أيِّموا)).**

قضى نحبه القطان فالحزن قاطــن
مقيــم بأحنــاء الضلــوع محكــم
وهل كـــان إلا روضة رف ظلها
أتيح له قيظ من الجــون صيلــم
وهل كان إلا رحمـــة عاد فقدهـــا
علامـــة فقــد العلم واللـــه أعلــم
سل التائبيـــن العاكفين على الهدى
لكـــم منة أسدى وأهــدى إليهـــم
أفـــادهـــم من كـــل علـــم لبابـــة
وفهمهــــــم أســـــراره فتفهـــــم[1]
جزى الله رب الناس خير جزائـــه
دليـــلا بهم نحو الهدى حيث يمـــم[2]
أبان لهم طرق الرشـــاد فأقدمـــوا
وحذرهـــم عن كل غـــي فأحجـــم[3]

---

[1] **جعلها د. طويل: ((فتفهموا)).**
[2] **جعلها د. طويل: ((يمموا)).**
[3] **جعلها د. طويل: ((فأحجموا)).**

وجـــاء من التعليـــم للخيـــر كلـــه

بأبيـــن من يـــأتي بـــه من يعلـــم

فصاحـــة ألفـــاظ وحسن عبـــارة

مضي كما يمضي الحسام المصمم

يصيـــب فلا يخطي إذا مقصـــدا

ولمن[1] يجيب فلا يبطي ولا يتلعثم

يحدث في الآفاق شرقاً ومغربـــاً

فأخبـــاره أضحت تخـــط وترســـم

سرى في الورى ذكر له ومدايـــح

يكـــاد بها طيـــر العـــلى يترنـــم

لعمـــرك ما يـــأتي الزمان بمثلـــه

وما ضـــرني لو كنت بالله أقســـم

فقيـــه نزيـــه زاهـــد متواضـــع

رؤوف عطوف مشفـــق مترحـــم

يود لو أن النـــاس أثرى جميعهـــم

فلم يبق مسكيـــن ولم يبق معـــدم

---

[1] حذف د. طويل اللام؛ فغدت: ((ومن)).

يود لو أن الله تاب على الـــورى

فتابوا فمـــا يبقى من الكل مجـــرم

عليـــه من الرحمن أوسع رحمـــة

فقد كـــان فينا الدهر يحنو ويرح

***

محمد بن أحمد

ابن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي بن خالد
ابن عبد الرحمن بن حميد الهاشمي الطنجالي[1]؛ لوشي[2] الأصل؛
مالقي النشأة والاستيطان.

أوليته

[بيتهم نبيه إلى هاشمية النبه][3] وهم ببلدنا **لوشة** أشراف، وكانت لهم فيها ثروة وثورة؛ اجتثها الدهر ببعض طوارقه، في أبواب المغالبات. ويمت سلفنا إليهم بصحبة ومصاهرة في حديث يستدعي طولاً؛ وانتقل خلفهم إلى **مالقة**.

حاله

من **عايد الصلة**: كان هذا الولي الفاضل ـ المجمع على ولايته وفضله ـ سهل اللقاء، رفيقاً بالخلق، عطوفاً على الضعفاء، سالكاً سنن الصالح من السلف، سمتاً

---

[1] هو جد القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن يوسف الهاشمي الطنجالي؛ التذي ولي قضاء مالقة سنة 750هـ/1349م. له ترجمة في: تاريخ قضاة الأندلس، ونفح الطيب.

[2] أي من مدينة لوشة؛ بلد ابن الخطيب؛ وهي تابعة لغرناطة؛ و تقع إلى الغرب منها، وجنوبي نهر شنيل.

[3] في الزيتونة وردت العبارة ((بيتهم ينسب إلى الهاشمية أهل بيت نبيه)) .

وهدياً، بصره مغضوض، ولسانه صامت، [إلا من ذكر الله، وعلمه نافع][1] وثوبه خشن، وطعمته قد نفدها الورع الشديد، حتى اصطفاها مختاره، إذا أبصرت بها العين، سبقتها العبرة. بلغ من الخلق، الملوك فمن دونهم الغاية، فكان يلجأ إليه المضطر، وتمد إلى عنايته الأيدي، وتحط بفنايه الوسايل، فلا يرتفع عن كلف الناس ولا حوايجهم، ولا ينقبض عن الشفاعة لهم، وإصلاح ذات بينهم. له في ذلك كله أخبار طريفة. واستعمل في السفارة بين ملكي **العدوة والأندلس**، في أحوال المسلمين؛ فما فارق هيئته، وركوب حماره واستصحاب زاده، ولبس الخشن من ثوبه. وكان له حظ رغيب من فقه وحديث، وتفسير، وفريضة. ولي الخطابة ببلده **مالقة**، واستسقى في المحول، فسقي الناس.

حدثني بعض أشياخنا؛ قال: حضرت مقامه مستسقياً، وقد امتنع الغيث، وقحط الناس، فما زاد عند قيامنا أن قال: أستغفر الله؛ فضج الخلق بالبكاء

---

[1] **ما بين حاصرتين ساقط في الإسكوريال.**

والعجيج، ولم يبرحوا حتى سقوا. وكراماته كثيرة، ذايعة من غير خلاف ولا نزاع.

حدث بعض أشياخنا عن الخطيب الصالح **أبي جعفر الزيات**؛ قال: رأيت في النوم قايلاً يقول: فقد الليلة من يعمر بيت الإخلاص **بالأندلس**؛ فما انتصف النهار من تلك الليلة؛ حتى ورد الخبر بموته.

مشيخته

من شيوخه الذين قرأ عليهم، وأسند إليهم الرواية والده رحمه الله، **وأبو عمرو بن حوط الله**، والخطيب **ابن أبي ريحانة المربلي**، والقاضي **أبو علي بن أبي الأحوص**، والراوية **أبو الوليد بن العطار**، والراوية المحدث **أبو بكر بن مشليون**، والمقري **أبو عبد الله بن مستقور الطايي**، والأستاذ **أبو جعفر الطباع**، **وأبو الحسين بن أبي الربيع**، والمحدث **أبو عبد الله بن عياش**، والأستاذ **أبو الحسن السفاج الرندي**، والخطيب **بألمرية أبو الحسن الغزال**. وقرأ على الأستاذ **أبي جعفر بن الزبير**. وأجازه من أهل **المشرق** جماعة منهم: **أبو عبد الله بن رزيق الشافعي**،

والعباس أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، وأبو اليمن عبد الصمد بن أبي الحسن عبد الوهاب بن أبي البركات المعروف **بالنجام، والحسن بن هبة الله بن عساكر، وإبراهيم بن محمد الطبري** إمام الخليل، **ومحمد بن محمد ابن أحمد بن عبد ربه الطبري، ومحمد بن علي بن وهب ابن مطيع القشيري، وأبو الفتح تقي الدين بن أبي الحسن فخر الدين، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي الشافعي** وغيرهم.

ميلاده

بمالقة في رجب سنة أربعين وستماية[1].

وفاته

بمالقة في يوم الخميس الثامن لجمادى الأولى من عام أربعة وعشرين وسبعماية[2]. وقد ناهز الثمانين سنة، لم ينتقص شيء من أعماله المقربة إلى الله، من الصوم

---

[1] **الموافق لـ 1242م.**
[2] **الموافق لـ 1323م.**

والصلاة، وحضور الجماعات، وملازمة الإقراء والرواية، والصبر على الإفادة.

حدث من يوثق به، أن ولده الفقيه **أبا بكر** دخل عليه، وهو في حال النزع، والمنية تحشرج في صدره؛ فقال يا والدي أوصني؛ فقال وعيناه تدمعان: يا ولدي اتق الله حيث كنت، [واتبع السيئة بالحسنة تمحها][1]، وخالق الناس بخلق حسن.

***

[1] **وردت العبارة في الزيتونة كالآتي: ((واتبع الحسنة بالسيئة تمحها)). وهذا؛ قلب للمعنى المقصود، وخطأ من الناسخ.**

محمد بن إبراهيم

ابن محمد بن إبراهيم البلفيقي[1] ابن الحاج؛ والد شيخنا أبي البركات. وقد مرّ في ذكر النسب المتصل بعباس بن مرداس، والأولية النبيهة ما يغني عن الإعادة.

حالـه

من خط ولده شيخنا على الاختصار؛ قال: يخاطبني في بعض ما كتب به إلي: ذكر أبي، وهو ممن طلبتم ذكره إلي في أخباره جزءاً من نحو سبعين ورقة في المقسوم، لخصت لك من مبيضته ما يذكر: نشأ رحمه الله **بسبتة** على طهارة تامة، وعفة بالغة، وصون ظاهر، كان بذلك علماً لشبان مكتبه. قرأ القرآن بالقراءات السبع، وحفظ ما يذكر من المبادي، واتسم بالطلب. ثم تاقت نفسه إلى الاعتلاق بالعروة الوثقى، التي اعتلق بها سلفه، فنبذ الدنيا، وأقبل على الآخرة، وجرى على سنن المتقين، أخذاً بالأشد من ذلك والأقوى، طامحاً بهمته إلى

[1] نسبة إلى بلفيق، Vellefique؛ بلدة صغيرة تقع بولاية ألمرية؛ قريبة من برشانة؛ وإلى الجنوب منها.

أقصى ما يؤمله السالكون. فرفض زي الطلبة، ولبس الخشنية[1]، وترك ملابسة الخلق بالجملة، وبالغ في الانقباض عنهم، وانقطع إلى الله برباطات **سبتة** وجبالها، وخصوصاً بمينايها، وعكف على ذلك سنين؛ ثم سافر إلى **المغرب**، سايحاً في الأرض، على زي الفقهاء للقاء العباد وأهل العلم، فأحرز من ذلك ما شاء. ثم أجاز البحر إلى جزيرة **الأندلس**، وورد **ألمرية**، مستقر سلفه، وأخذ في إيثار[2] بقايا أملاك بقيت لأسلافه بها، على ما كان عليه من التبتل والإخبات. وكان على ما تلقينا من أصحابه وخدانه، صواماً، قواماً، خاشعاً ذاكراً، تالياً[3]، قوالاً للحق، وإن كان مراً كبيراً في إسقاط التصنع والمباهاة، لا يضاهى في ذلك، ولا يشق غباره. وقدم على **غرناطة**، ودخل على أمير المسلمين، وقال له الوزير، يقول لك السلطان ما حاجتك، فقال: بهذا الرسم رحلت، ثم ظهر لي أن أنزل حاجتي بالله، فعار على من

---

[1] في الزيتونة: ((الخشينة)).
[2] في الإسكوريال: ((أثارة)).
[3] نفسه: ((تلا)).

انتسب إليه، أن يقصد غيره. ثم أجاز البحر وقد اشتدت أحوال أهل **الأندلس**؛ بسبب عدوهم، وقدم على مَلِكه، ووعظه موعظة، أعنف عليه فيها؛ فانفعل لموعظته، وأجاز البحر بسببه[1] إلى **جزيرة الأندلس**، وغزا بها، وأقام بها ما شاء الله،] وتأدب **الروم** لو تم المراد[[2]**؛** قال، وأخبره السلطان **أبو يوسف** ملك **المغرب**؛ قا:ل كل رجل صالح دخل علي كانت يده ترعد في يدي؛ إلاّ هذا الرجل، فإن يدي كانت ترعد في يده عند مصافحته.

كراماتـه

وجلب له كرامات عدة، فقال في بعضها، ومن ذلك ما حدثني الشيخ المسلم الثقة **أبو محمد قاسم الحصار؛** وكان من الملازمين له، المنقطعين إلى خدمته، والسفر معه إلى البادية؛ فقال: إني لأحفظ لأبيك أشياء من الأحوال العظيمة، منها ما أذكره، ومنها ما لا أستطيع

---

[1] في الزيتونة: ((بسبتة)).

[2] وردت هذه العبارة في الزيتونة هكذا: ((وتأدب لتوهم الراد)).

ذكره. ثم قال: حدثني أهل **وادي الزرجون**، وهو حش[1] من أعمال **سبتة**، قالوا: انصرف السيد **أبو عبد الله** من هنا؛ هذا لفظه؛ فلما استقر في رأس العقبة، المشرفة على الوادي؛ صاح عليه أهل القرى؛ إذ كانوا قد رأوا أسداً كبيراً جداً؛ قد تعرض في الطريق، ما نجا قط من صادفه مثله؛ فلما سمع الصياح؛ قال ما هذا، فقيل له أهل القرى يصيحون عليه خيفة من السبع؛ قال: فأعرض عنهم بيده، ورفع حاجبه كالمتكبر على ذلك، وأسكتهم، وأخذ في الطريق حتى وصل إلى الأسد، فأشار عليه بالقضيب؛ وقال له: من ها هنا.. من ها هنا.. أخرج عن الطريق؛ فخرج بإذن الله عن الطريق، ولم يوجد هنالك بعد. وأمثال ذلك كثيرة.

---

[1] **الحش هو البستان.**

مشيختـه

قرأ على الأستاذ **أبي الحسين بن أبي الربيع القرشي**، وأجازه والده **أبو إسحق** إجازة عامة. ومن شيوخه: القاضي المسن **أبو عبد الله الأزدي**، والمحدث **أبو بكر بن مشليون، وأبو عبد الله بن جوهر، وأبو الحسين بن السراج، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الخزرجي، وأبو عبد الله بن الأبار، وأبو الوليد بن العطار، وأبو العباس ابن عبد الملك، وأبو إسحق بن عياش، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن عطية، وأبو بكر القرطبي حُميد، وأبو إبراهيم الطرسي**، والقاضي **أبو عبد الله بن عياض**، والكاتب **أبو الحسن الرعيني، وأبو الحسن الشاري، وأبو يحيى بن الفرس، وأبو إسحق بن عبيد الله، وأبو الحسن الغزال**، وجماعة من **الأندلس** غير هؤلاء. ومن أهل **العدوة كأبي يعقوب المحاسبي**[1] **وابن فرتون**، وغيرهم[2].

---

[1] في الإسكوريال: ((المحاسني)).
[2] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((وغيرهما)).

محنته

نمي عنه إلى السلطان بالأندلس، أنه أغرى به ملك **المغرب**، وتخلص بعد لأي في خبر طويل، وانتهب السلطان ماله، وألحق أملاكه بالمختص[1] واستمر. وذلك إلى دولة والده وامتحن الساعون به، فعجل الله عقوبتهم.

مولده

قال شيخنا: نقلت من خط أبيه ما نصه: ولد ابني **أبو بكر محمد** أسعده الله ووفقه، في النصف الأول من ليلة يوم الاثنين الحادي والعشرين لذي قعدة من سنة ست وأربعين وستماية[2].

---

[1] **المختص والمستخلص: الأملاك السلطانية.**

[2] **الموافق لـ 1248م.**

وفاتـه

قال ألفيت بخط القاضي الأديب الكاتب **أبي بكر بن شبرين**؛ وكان ممن حضر جنازته **بسبتة**: وكانت وفاة الفقيه الناسك السالك الصالح **أبي بكر محمد بن** الشيخ الفقيه المحدث **أبي إسحاق السلمي البلفيقي** في العشر الأواخر من رمضان أربعة وتسعين وستماية[1] بمحروسة **سبتة**، ودفن إثر صلاة العصر **بجبانة الخروبة**؛ من منارتها بمقربة من قبر **ريحان الأسود**؛ العبد الصالح؛ نفع الله به. وصلى عليه الإمام **أبو عبد الله بن حريث**.

***

[1] **الموافق لـ 1294م.**

محمد بن يحيى

ابن إبراهيم بن أحمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد النفزي[1]؛ من أهل رندة؛ يكنى أبا عمرو، ويعرف بابن عباد، الحاج الصوفي.

حالـه

نشأ ببلده **رندة**، وهو من ذوي البيوتات الأصلية بها، ثم رحل إلى **المشرق**، ولقي العلماء والصوفية، وحضر عند المشيخة، ثم كرَّ إلى **الأندلس**، فتصوف، وجال في النواحي، واطرح السموت، وفوت ما كان بيده من متاع الدنيا، وكان [له مال][2] له خطر، وألقى التصنع لأهله رأساً. وكان فيه توله وحدة، وله ذهن ثاقب، يتكلم في المعقولات والمنقولات، على طريقة الحكماء والصوفية، ويأتي بكل عبارة غريبة، وآثاره هايلة من غير تمكن علم ولا وثاقة إدراك، غير أنك لا تسمع منه إلا حسناً، وهو مع ذلك طواف على البلاد، زوار للربط،

---

[1] له ترجمة أيضاً في: الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب. ولم يذكر ابن الخطيب في هذه الترجمة تاريخي: ميلاد ووفاة ابن عباد النفزي؛ علماً أن مولده كان برندة سنة 733هـ/1332م ووفاته سنة 792هـ/1389م.

[2] سقطت هذه العبارة في الإسكوريال.

صبار على المجاهدة طوعاً وضرورة، ولا يسل ثياباً البتة إلا بذلة من ثوب أو غيره، صدقة واحد في وقته.

محنته وفضله وشعره

نُمِيَ عنه كلام بين يدي صاحب **المغرب**، أسف به مدبر الدولة يومئذ، فأشخص عند إيابه إلى **رندة** وسجن بسجن أرباب الجرائم، فكتب إلى ولي الأمر[1]:

تركـــت لكـــم عز الغنى فأبيتـــم
وأن تتركـــوني للمذلـــة والفقـــر
ونازعتموني في الخمول وإنـــه
لذي مهجتي أحلى من البِنَى والأمـــر

ثم قال: يا من رماني بسهمه، الغرب، قد رد عليك مخضوباً بالدم. قال فو الله ما مرت ثلاثة، حتى نفذ حكم الله فيمن عدا عليه. وشعره حسن يدل على طبع معين، فمن ذلك[2]:

---

[1] البحر الطويل.
[2] البحر الكامل.

سـرى يسـر إلي أنـك تاركي
نفسي الفداء للطفـك المتـدارك
يا مالـكي ولي الفخـار بأنـني
لك في الهوى ملك وأنك مالـك[1]
الترك هلك فاعفني منـه وعـد
بالوصل تحيي ذما[2] محب هالـك
وأعد جميلاً في الهوى عودتني
إن لم تعـده إلي مـن للهالـك
يا منيـة القلـب الذي بجمالـه
فتن الورى من فاتـك أو ناسـك
أأتيه[3] دونك أو أحار وفي سـنى
ذاك الجمال جلا الظلام الحالـك
ولكم سلكت إليك لكن حيـن لـم
تكن الدليل اختـل قصد السالـك

[1] أضـاف د. طويـل اليـاء؛ فأضحـت: ((مالـكي)).
[2] جعلهـا د. طويـل: ((ذا)).
[3] جعلهـا د. طويـل: ((آتيـه)).

ولقد عرفت بستــر سري في الهوى

فهجرتـــني فكسيت ثوب الهاتــك

ما الستر إلا ما يحوك رضاك لا

ما حاكه للبتــر[1] كــف الحايــك

ما الفضل إلا ما حكمت به فصن

وأهتك وصل إن شيت أو كن تــارك[2]

ما لي ســوى حبيك يا حبي فدع

تركي فهلك الملك ترك المالــك

وقال أيضاً[3]:

هــذا العقيق فسل معاطف بأنــه

هــل نسمة عادتــه من نعمانــه

وأسألــه[4] إن زارتــه مإذا أخبرت

عن أجــرع العلميــن أو سكانــه

---

[1] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

[2] أضاف د. طويل الياء؛ فغدت: ((تاركي)).

[3] البحر الكامل.

[4] في الإسكوريال: ((وأرسله)).

وأصخ لحسن حديثها وأعــده للـــ
ـــمضني ففيه البرء من أشجانـــه
يا حبـــذا ذاك الحديـــث وحبـــذا
من قـــد رفـــاه[1] وحبـــذا[2] ببيانـــه
وســـقى الآلـــه زمانـــه ومكانـــه
ويعـــز قدر زمانـــــه ومكانـــه
يا سعـــد ساعـــد مستهاماً فيه لا
ذقت الهوى ونجوت من عدوانه
وأصخ لما يتلو[3] الوجود عليك من
أنبائهـــــم بلســـان حال كيانـــه[4]
وأبنـــه لي واقبل ذمامي بشـــارة
ويقـــل بـــذل ذَمـــايَ في تبيانـــه

[1] في الكتيبـة الكامنـة: ((رواه)).
[2] في الإسكوريـال: ((وحـب أن)).
[3] في الكتيبـة الكامنـة: ((يجلـو)).
[4] نفسـه: ((بيانـه)).

وسل النسيـــم يهـــب من واديهـــم
شـــذا[1] خزاماه وطيـــب لبانـــــه[2]
ارحم بـــروح منه روحي تحيـــه
ويسقمـــه[3] سقـــمي فديتـــك عانـــه
وبنشره انشر نفسك مشتاق قضت
شوقـــا لنفحـــة نسمـــة[4] من بانـــه
يـــا سعد حدثـــني فكـــل مخبـــر
عن خســـر من أهواه أو إحسانـــه[5]
يا سعد حدثني فكل حديث عنهـــم[6]
ويجـــل قـــدر الحب عن نسيانـــه
يا سعـــد طارحنيه واملأ مسمعي
من ســـره إن شئـــت أو إعلانـــه

[1] في الكتيبـة الكامنـة: ((بشـذا)).
[2] نفسـه: ((ليانـه))؛ باليـاء المثنـاة.
[3] نفسـه: ((وبسقمـه))؛ وهـو أسلـم.
[4] نفسـه: ((هبـة)).
[5] سقـط هـذا البيـت في الكتيبـة الكامنـة.
[6] جـاء هذا الشطـر في الكتيبـة هكذا: ((يـا سعد حدثـني حديثـا عنهـم)).

أنا في الغــرام أخوك حقا والفتى
لا يكتــم الأســرار من[1] إخوانــه
قل كيف وادي ودّ سكــان الحمى[2]
ومــنى أمانيــه وروض لسانــه[3]
هل قلصـــت أيدي النوى من ظله
أو ما جرى هل عاث في جريانه
وهل الربـــوع أواهــل بجمالهــم[4]
فسقى للربوع[5] الــودق من هتانــه
وهل التــقى بان على العهد النوى[6]
وهل اللــوى يلوي بعود زمانــه
فبـــروض أنسهم غمدت[7] نضـــارة
نزهت منها الطرف[8] في بستانــه

[1] في الكتيبـة: ((عـن)).
[2] في الإسكوريـال: ((الفضـا)).
[3] في الكتيبـة: ((أمانـه)).
[4] نفسـه: ((بحـمى لهـم)).
[5] نفسـه: ((الربـوع)).
[6] نفسـه: ((الهـوى)).
[7] نفسـه: ((عهـدت)).
[8] نفسـه: ((القلـب)).

وأرى هجيــر الهجر أذبل يانعــا
منه وأذوى الغــض من ريحانـــه
وأحال حال الأنــس فيه وحشـــة
وطوى بســاط الأنس في هجرانه
آها ووالهفى يويــحي أن مــضى
عهــد عرفت الأنس في أزمانـــه
وبأجـــرع العلميــن من شرقيـــه
حــب غــذاني حبــه بلبانـــه
حاز المحاســن كلهــا فجمعن لي
كل الهــوى فحملــت[1] كل كوانــه
وزها عــلي بعــزة[2] فبــواجــب
أزهــو[3] بــذلي في يــد سلطانـــه
وقضى بأن أقضي وليت بما قــضى
يرضي فطيب العيش في رضوانه

---

[1] في الكتيبـة: ((وحملـت)).
[2] نفسـه: ((بعـزه)).
[3] نفسـه: ((أزهى)).

واختـــار لي أن لا أميـــل لسلـــوة
عن حبه فسلـــوت عـــن سلوانـــه
يا عاذلي أو ناصـــحي أو لائـــمي
تبغي السلـــو ولات حيـــن أوانـــه
غلب الغرام وعز السلطان الهوى
فالكـــل فيه عـــلي مـــن أعوانـــه
فعـــلام تعتـــب مستهامـــا كلمـــا
في الكـــون[1] عاذره على شيمانـــه[2]
دع عنك لـــومي إنني لك ناصـــح
أبدى الجمـــال العذر عن هَيْمانـــه
وإذا الفـــتى قام الجمـــال بعـــذره
في الحب فاتركه وثـــني عنانـــه
من ســـام قلبي في هـــواه سلـــوة
قد سامه ما ليـــس في إمكـــانـــه

---

[1] في الإسكوريـال مـحي نصف هذه الكلمـة.
[2] ورد هـذا البيـت في الكتيبـة الكامنـة هكـذا:
((فعلام تعتـب مستهاما كـل مـا * في الكـون عـاذره على هَيَمانـه)).

وقال في الغرض المذكور[1]:

يا للرجـــال ألا حـــب يساعـــدني
في ذا الغـــرام فأبكيـــه ويبكيـــن[2]
غلبـــت فيه وما أجـــدت مغالبتي
وهنت والصب أولى الناس بالهون
ركبـــت لجته وجدي فأدهشـــني
ومِـــتُّ[3] في يـــده فـــردا فدلـــون[4]
واضيعة العمر والبلوى مضاعفة
ما بيـــن يـــأس وآمـــال تُرَجِّيـــن[5]
والهف نفسي إن أودت وما ظفرت
في ذا الهـــوى بتمـــن أو بتأميـــن

---

[1] البحـر البسيـط.
[2] في الكتيبـة: ((يبكيـني)).
[3] نفسـه: ((وتـهت)).
[4] نفسـه: ((فدلـوني)).
[5] نفسـه: ((ترجيـني)).

فليت[1] شعري وعمري ينقضي طمعــاً
في[ذاالهوى][2] بين مغلوب ومغبون
هل الأولى[3] ملكوا رقي وقد علموا
بــذلي[4] وافتقــاري أن يواســون
فكم أكفكف دمعي بعدهــم وأرى
مجدداً نار يــأسي وهــي تبليــن
وكم أمر على الأطــلال[5] أندبهــا
وبالمنــازل من خيــف وداريــن
وفي الفؤاد لهم ما ليــس يعلمــه
إلا هــم علمهــم بالحــال يكفيــن
أهمي المدامع كي أروى فتعطشني
وألزم الذكــر للسلــوى فيشجيــن

---

[1] في الكتيبـة: ((وليـت)).
[2] نفسـه: ((في الحـب مـا بيـن)).
[3] نفسـه: ((هل الأولى)).
[4] نفسـه: ((بذلـتي))؛ وهـو أسلـم.
[5] في الإسكوريـال: ((الأطنـاب))؛ وصوبـت مـن الكتيبـة.

وكـــل من لمحت عيـــني أسائلـــه

عنهم فيغـــري بهم قلبي ويغريني

يا أهل نجد وفخـــري[1] أن أحبكـــم

لا أطلب الوصل عز الحب يغنين

هل للهوى[2] من سبيـــل للمنى فلقـــد

عزت أمانيه في الدنيـــا وفي الدين[3]

***

[1] في الكتيبـة: ((ومجدي)).

[2] نفسـه: ((في الهـوى)).

[3] نبـه عنـان في الهامـش؛ إلى أن ترجمـة ابـن عبـاد النفـزي اختصـرت في الإحاطـة والكتيبـة الكامنـة؛ بحيـث لـم تستـوف أعمالـه كلهـا، ولـم تحـط بمكانتـه العلميـة. وأرجـع السبب ـ كمـا يعتقـد ـ إلى الناسـخ. وعليـه فقـد أشـار إلى مؤلفاتـه الـتي قـال أنـهـا كثيـرة؛ ومنـهـا شرحـه علـى كتـاب الحكـم العطائيـة؛ الـذي ألفـه الصـوفي المصـري عطـاء اللـه السكنـدري المتـوفي سنـة 779هـ؛ كمـا ذكـر أن لابـن عبـاد أيضـاً مجمـوع في أجوبـة العلـوم؛ صنفـه في مجلديـن.

تذكيـر

هـذا ختـام القسـم الثالـث مـن كتـاب الإحاطـة في أخبـار غرناطـة للكاتـب
المعجـزة والشاعـر المبـدع ذي الوزارتيـن لسـان الديـن
ابـن الخطيـب. ويـلي هـذا القسـم الثالـث،
القسـم الرابـع، الـذي يبـدأ بترجمـة
محمـد بـن يوسـف
ابـن خلـدون

((الناشـر))

فهرس الموضوعات والتراجم

(القسم الثالث)